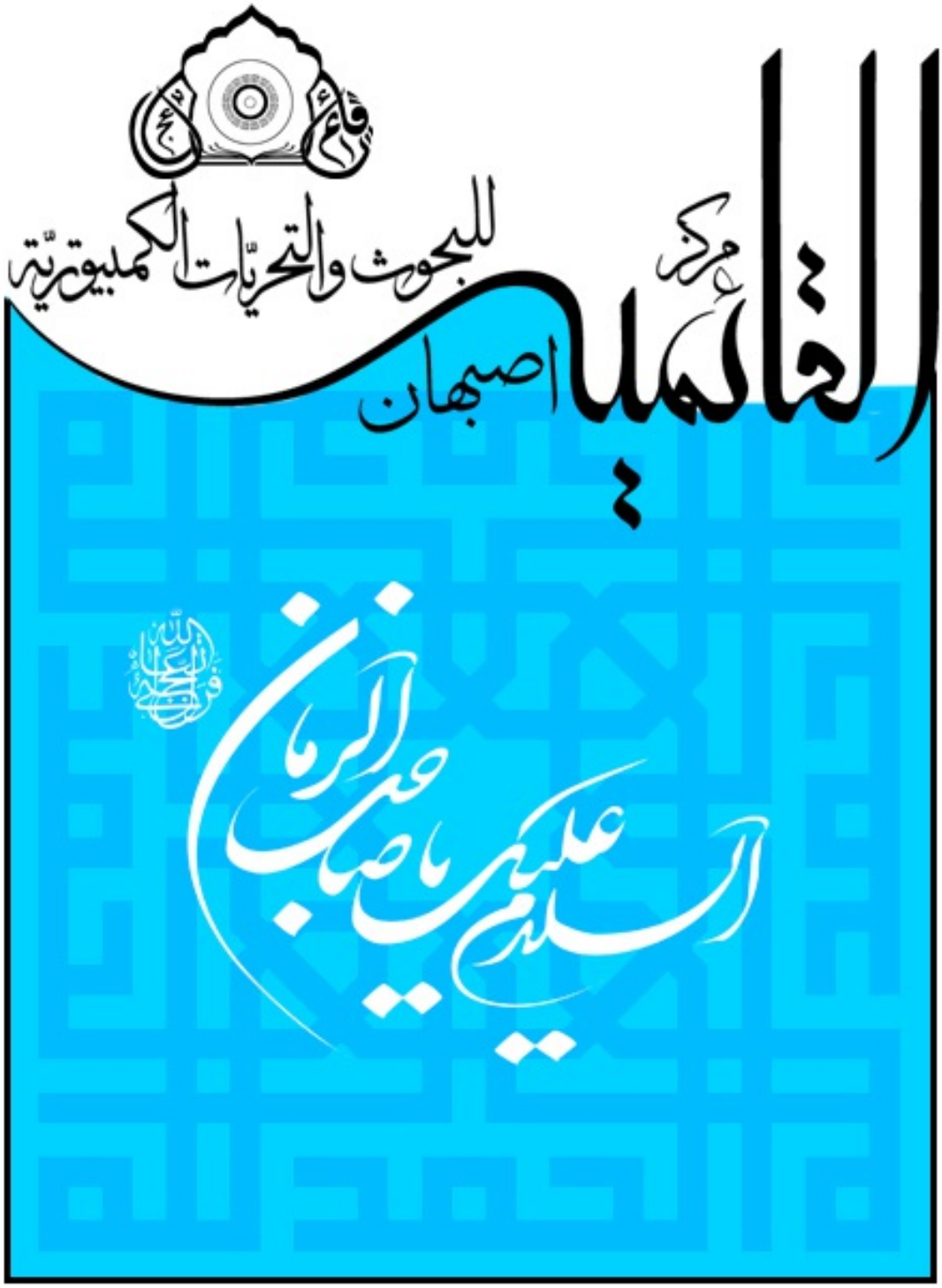

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

آية الله العظمى مكارم الشيرازي
نفحات الولاية
شرح عصري جامع لنهج البلاغة
من خطبة ٦١ الى ٩٠
الجزء الثالث

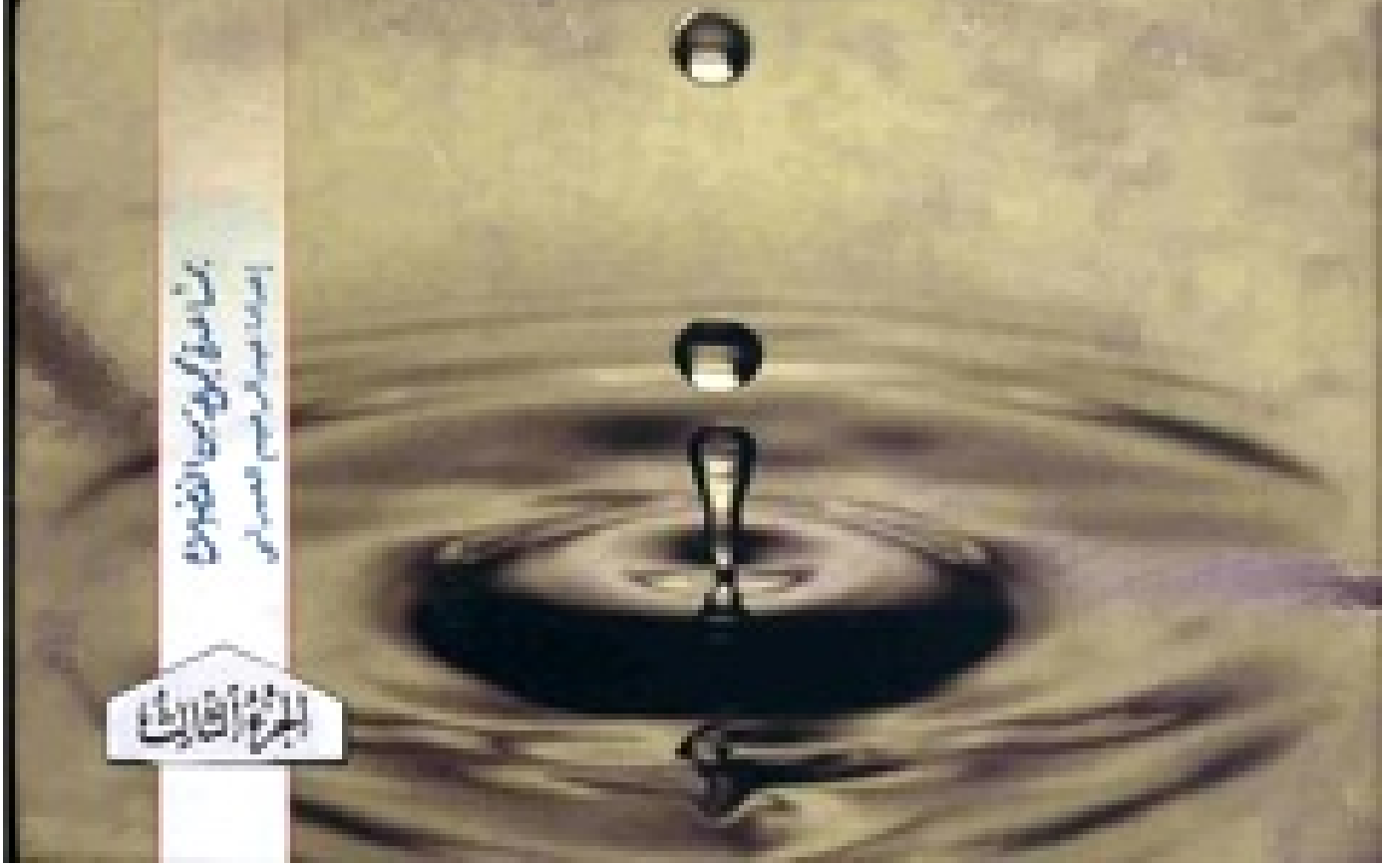

بسم الله الرحمن الرحيم

نفحات الولايه: شرح عصرى جامع لنهج البلاغه

كاتب:

ناصرمكارم شيرازى

نشرت فى الطباعة:

مدرسه الامام على بن ابى طالب (عليه السلام)

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
نفحات الولایة المجلد ۳ ----- ۱۸
اشارة ----- ۱۸
الخطبة[۱] الحادیة والستون ----- ۱۸
اشارة ----- ۱۸
الفارق بین الخوارج وأهل الشام ----- ۱۹
تأمّلان ----- ۲۰
۱- أضّل من الخوارج ----- ۲۰
۲- جهل اتباع الحق وعلم اتباع الباطل ----- ۲۱
الخطبة[۵] الثانیه و الستون ----- ۲۲
اشارة ----- ۲۲
لماذا أخشی الموت؟ ----- ۲۲
الخطبة[۱۸] الثالثة والستون ----- ۲۳
اشارة ----- ۲۳
نظرة إلی الخطبة ----- ۲۳
الدنیا ظل زائل ----- ۲۴
الخطبة[۲۲] الرابعة و الستون ----- ۲۵
اشارة ----- ۲۵
نظرة إلی الخطبة ----- ۲۵
القسم الأول: الموت یلقی بظلاله علی الجمیع ----- ۲۵
القسم الثانی: التزود قدر المستطاع ----- ۲۸
القسم الثالث: الإنسان والغفلة ----- ۳۰
اشارة ----- ۳۰

تأمّلات ----- ۳۱
۱- فلسفة خفاء الموت ----- ۳۱
۲- الاغترار بالامانی ----- ۳۱
۳- تزیین الشیطان ----- ۳۲
۴- عمر الإنسان حجّة علیه ----- ۳۲
۵- سکر النعم ----- ۳۲
الخطبة[۵۶] الخامسة و الستون ----- ۳۳
اشارة ----- ۳۳
نظرة إلی الخطبة ----- ۳۳
القسم الأول: الحمد والثناء ----- ۳۳
القسم الثانی: تجلیات جلال اللّه وجماله ----- ۳۷
اشارة ----- ۳۷
نقطة مهمة: الآثار التربویة لمعرفة الله ----- ۳۹
الخطبة[۸۰] السادسة و الستون ----- ۴۰
اشارة ----- ۴۰
نظرة إلی الخطبة ----- ۴۰
القسم الأول: طائفة من الفنون القتالیة ----- ۴۰
اشارة ----- ۴۰
تأمّل: الفنون القتالیة فی الماضی والحاضر ----- ۴۲
القسم الثانی: الثبات والمقاومة ----- ۴۲
الخطبة[۱۰۱] السابعه و الستون ----- ۴۵
اشارة ----- ۴۵
نظرة إلی الخطبة ----- ۴۵
الاستدلال المنطقی علی الخلافة ----- ۴۵

تأمّل: الخلافة وقصة سقيفة بنى‌ساعدة ---- ۴۶
أضواء على السقيفة ---- ۴۷
الخطبة الثامنة و الستون ---- ۴۸
اشارة ---- ۴۸
نظرة إلى الخطبة ---- ۴۸
محمد بن أبى بكر وحكومة مصر ---- ۴۹
تأمّلان ---- ۵۰
۱- من هو هاشم المرقال؟ ---- ۵۰
۲- محمد بن أبى‌بكر ---- ۵۱
الخطبة[۱۱۷] التاسعة و الستون ---- ۵۱
اشارة ---- ۵۱
نظرة إلى الخطبة ---- ۵۱
عظم الشكوى من الاصحاب الضعفاء ---- ۵۲
الخطبة[۱۳۵] السبعون ---- ۵۴
اشارة ---- ۵۴
رؤية رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله ---- ۵۴
تأمّلان ---- ۵۵
۱- أصحاب على عليه السلام ---- ۵۵
۲- الأفراد الملعونون ---- ۵۷
الخطبة[۱۴۴] الحادية و السبعون ---- ۵۸
اشارة ---- ۵۸
نظرة إلى الخطبة ---- ۵۸
الشكوى من الاتباع الجهلاء ---- ۵۸
تأمّلان ---- ۶۰

۱- علی علیه السلام أول من أسلم ۶۰
۲- إجابة عن سؤال ۶۱
الخطبة[۱۶۳] الثانیة و السبعون ۶۲
اشارة ۶۲
نظرة إلی الخطبة ۶۳
القسم الأول: ربّ السموات ۶۳
القسم الثانی: آلاف التحیة و السلام علی النبی صل الله علیه و آله ۶۴
القسم الثالث: الحشر مع النبی صلی الله علیه و آله ۶۶
اشارة ۶۶
تأمّل: معطیات الصلاة علی النبی صلی الله علیه و آله ۶۷
اشارة ۶۷
الاجابة علی بعض الأسئلة ۶۹
۱- ما سرّ هذه الاهمیة للصلوات علی النبی ۶۹
۲- آثار الصلاة علی النبی صلی الله علیه و آله ۶۹
۳- الفاظ الصلوات علی النبی صلی الله علیه و آله ۷۰
۴- الصلاة علی النبی واجبة أم مستحبة؟ ۷۰
۵- المفهوم الحقیقی للصلاة علی النبی صلی الله علیه و آله ۷۱
الخطبة[۲۱۷] الثالثة و السبعون ۷۱
اشارة ۷۱
نظرة إلی الخطبة ۷۱
الغنی عن بیعة مروان ۷۲
تأمّل: قصة غریبة من حیاة مروان بن الحکم ۷۳
الخطبة[۲۲۲] الرابعة و السبعون ۷۴
اشارة ۷۴

نظرة إلی الخطبة ----- ۷۴
علم الجمیع باحقیتی من غیری ----- ۷۵
الإجابة عن بعض الأسئلة ----- ۷۶
الخطبة[۲۲۷] الخامسة و السبعون ----- ۷۶
اشارة ----- ۷۶
نظرة إلی الخطبة ----- ۷۷
العدو اللدود للمنحرفین ----- ۷۷
الخطبة[۲۳۶] السادسة و السبعون ----- ۷۸
اشارة ----- ۷۸
نظرة إلی الخطبة ----- ۷۸
عشرون کلمة قیمة ----- ۷۹
تأمّل: الصبر واغتنام الفرصة ----- ۸۰
الخطبة[۲۵۶] السابعة و السبعون ----- ۸۱
اشارة ----- ۸۱
نظرة إلی الخطبة ----- ۸۱
غیض من فیض جنایات بنی‌أمیة ----- ۸۲
اشارة ----- ۸۲
تأمّلان ----- ۸۳
۱- من هو سعید بن العاص؟ ----- ۸۳
۲- بنی‌أمیة ----- ۸۳
اشارة ----- ۸۳
الف) بنی‌أمیة فی القرآن الکریم ----- ۸۳
ب) بنی‌أمیة فی أحادیث العامة ----- ۸۴
ج) بنی‌أمیة فی نهج‌البلاغة ----- ۸۴

د) مفاسد حکومة بنی‌أمیة ---- ۸۴
اشارة ---- ۸۴
۱- انحراف الخلافة عن مسارها الصحیح واستبدالها بالسلطة ---- ۸۴
۲- مسخ وتحریف الحقائق والمعارف الإسلامیة ---- ۸۴
الخطبة[۲۸۰] الثامنة و السبعون ---- ۸۵
اشارة ---- ۸۵
نظرة إلی الخطبة ---- ۸۵
من الأدعیة التربویة للإمام علی علیه السلام ---- ۸۶
فصل فی الدعاء ودوره فی حیاة الإنسان ---- ۸۸
الخطبة[۲۹۴] التاسعة و السبعون ---- ۸۹
اشارة ---- ۸۹
نظرة إلی الخطبة ---- ۸۹
القسم الأول: خطأ المنجمین ---- ۸۹
القسم الثانی: اجتناب نبوءات المنجمین ---- ۹۰
اشارة ---- ۹۱
تأمّلات ---- ۹۱
۱- ما هو علم النجوم؟ وما المحظور منه؟ ---- ۹۱
۲- الکهانة والکفر ---- ۹۲
۳- کیفیة ظهور التکهنات النجومیة ---- ۹۴
الخطبة[۳۰۲]: الثمانون ---- ۹۴
اشارة ---- ۹۴
نظرة إلی الخطبة ---- ۹۴
مکانة المرأة فی المجتمعات البشریة ---- ۹۵
اشارة ---- ۹۵

تأمّلان ----- ۹۷
۱- الفوارق والمساواة بین الجنسین ----- ۹۷
۲- أخبار عائشة ----- ۹۹
الخطبة[۳۲۱] الحادیة والثمانون ----- ۱۰۰
اشارة ----- ۱۰۰
نظرة إلی الخطبة ----- ۱۰۰
حقیقة الزهد ----- ۱۰۰
تأمّل: الزاهد أمیر لاأسیر ----- ۱۰۱
الخطبة[۳۳۳]: الثانیة والثمانون ----- ۱۰۲
اشارة ----- ۱۰۳
نظرة إلی الخطبة ----- ۱۰۳
الدنیا وسیلة لأهدف ----- ۱۰۳
اشارة ----- ۱۰۳
تأمّلان ----- ۱۰۶
۱- کیفیة الحساب فی الآخرة ----- ۱۰۶
۲- المذموم عبادة الدنیا لانیلها ----- ۱۰۸
الخطبة[۳۵۱] الثالثة و الثمانون ----- ۱۰۸
اشارة ----- ۱۰۸
نظرة إلی الخطبة ----- ۱۰۸
القسم الأول: البعید القریب والعالی الدانی ----- ۱۰۹
القسم الثانی: دور التقوی فی تقریر مصیر الإنسان ----- ۱۱۰
اشارة ----- ۱۱۰
التقوی فی کل زمان ومکان ----- ۱۱۲
القسم الثالث: حقیقة الدنیا ----- ۱۱۲

اشارة ----- ۱۱۲
تقلب الدنيا ----- ۱۱۵
القسم الرابع: أهوال المحشر ----- ۱۱۵
اشارة ----- ۱۱۵
تأمّلات ----- ۱۱۷
۱- أضواء على المعاد الجسمانى ----- ۱۱۷
۲- شبهة الآكل والمأكول المعروفة ----- ۱۱۷
۳- بعث من فى القبور ----- ۱۱۸
القسم الخامس: الإنسان، من أين وإلى أين؟ ----- ۱۱۸
اشارة ----- ۱۱۸
تأمّل: الدنيا دار إمتحان ----- ۱۱۹
القسم السادس: مواعظ شافية ----- ۱۲۰
اشارة ----- ۱۲۰
شعب التقوى ----- ۱۲۱
القسم السابع: الجميع يدين له بالفضل ----- ۱۲۲
القسم الثامن: الحذر، فالنعم إلى زوال ----- ۱۲۴
القسم التاسع: عاقبة الغضاضة الذبول ----- ۱۲۴
القسم العاشر: مواجهة الأهاويل ----- ۱۲۶
اشارة ----- ۱۲۶
تأمّلان ----- ۱۲۷
۱- كيف نجتاز الصراط بسهولة؟! ----- ۱۲۸
۲- صلاة الليل شرف المؤمن ----- ۱۲۹
القسم الحادى عشر: المانع الآخر وساوس الشيطان ----- ۱۲۹
اشارة ----- ۱۲۹

مکائد الشیطان ----- ۱۳۱
القسم الثانی عشر: بدایة حیاة الإنسان ونهایتها ----- ۱۳۲
اشارة ----- ۱۳۲
النعم والجحود ----- ۱۳۳
القسم الثالث عشر: الموت المفاجئ ----- ۱۳۳
القسم الرابع عشر: حوادث مابعد الموت ----- ۱۳۴
اشارة ----- ۱۳۴
تأمّلان ----- ۱۳۵
۱- وداع الأحیاء للأموات ----- ۱۳۵
۲- سؤال القبر ----- ۱۳۶
القسم الخامس عشر: القبر روضة من ریاض الجنّة أو حفرة من النار ----- ۱۳۷
القسم السادس عشر: مصیر الجاحدین من أصحاب السطوة ----- ۱۳۸
القسم السابع عشر: الحذر الحذر ----- ۱۳۹
القسم الثامن عشر: حسن الختام ----- ۱۴۰
الخطبة[۵۹۱]: الرابعة و الثمانون ----- ۱۴۱
اشارة ----- ۱۴۱
نظرة إلی الخطبة ----- ۱۴۱
ابن النابغة الکاذب ----- ۱۴۱
اشارة ----- ۱۴۱
تأمّلان ----- ۱۴۴
۱- نسب عمرو بن العاص وطرف من أخباره ----- ۱۴۴
۲- المزاح فی الإسلام ----- ۱۴۵
الخطبة[۶۲۷]: الخامسة والثمانون ----- ۱۴۶
اشارة ----- ۱۴۷

نظرة إلى الخطبة ----- ۱۴۷
القسم الأول: معرفة اللّه ----- ۱۴۷
اشارة ----- ۱۴۷
تأمّل: كيفية معرفة الإنسان بالذات المقدسة ----- ۱۴۹
القسم الثانى: الاتعاظ والاعتبار ----- ۱۵۰
القسم الثالث ----- ۱۵۱
اشارة ----- ۱۵۱
درجات الجنّة ----- ۱۵۱
الخطبة[۶۵۲] السادسة و الثمانون ----- ۱۵۳
اشارة ----- ۱۵۳
نظرة إلى الخطبة ----- ۱۵۳
القسم الأول: العالم بالخفايا والاسرار ----- ۱۵۳
القسم الثانى: الزاد إلى المعاد ----- ۱۵۴
القسم الثالث: الكتاب الجامع ----- ۱۵۵
اشارة ----- ۱۵۵
جامعية القرآن والسنة ----- ۱۵۶
إجابة عن سؤال ----- ۱۵۷
القسم الرابع: إغتنام الفرصة ----- ۱۵۷
اشارة ----- ۱۵۷
طرق نفوذ الشيطان ----- ۱۵۸
القسم الخامس: من هو السعيد؟ ----- ۱۵۸
اشارة ----- ۱۵۹
مواطن السعادة لدى الإنسان ----- ۱۶۰
القسم السادس: الصفات والذميمة ----- ۱۶۰

اشارة ----- ۱۶۰
المواعظ البالغة ----- ۱۶۱
الخطبة[۶۸۷] السابعة و الثمانون ----- ۱۶۲
اشارة ----- ۱۶۲
نظرة إلى الخطبة ----- ۱۶۲
القسم الأول: أحب العباد إلى اللّه ----- ۱۶۲
اشارة ----- ۱۶۲
أفضل النعم ----- ۱۶۴
القسم الثانی: خصائص المخلصین ----- ۱۶۵
اشارة ----- ۱۶۵
تأمّلان ----- ۱۶۸
۱- فتح باب الاجتهاد ----- ۱۶۸
۲- شمولیة القرآن ----- ۱۶۸
القسم الثالث: العلماء المخلصون والعلماء المتشبهون ----- ۱۶۸
اشارة ----- ۱۶۸
تأمّلات ----- ۱۷۱
۱- علماء الضلالة ----- ۱۷۱
۲- التفسیر بالرأی، فخ الشیطان الأکبر ----- ۱۷۱
۳- البدع مادة الانحراف ----- ۱۷۳
القسم الرابع: لم الضلال، والعترة بین الاظهر؟ ----- ۱۷۳
اشارة ----- ۱۷۳
منزلة أهل البیت علیهم السلام ----- ۱۷۵
القسم الخامس: أعلام الهدی ----- ۱۷۵
القسم السادس: زوال حکومة بنی‌أمیة ----- ۱۷۸

اشارة ----- ۱۷۸
تأمّلان ----- ۱۷۹
حکومة بنی‌امیة الفاشلة ----- ۱۷۹
اشارة ----- ۱۷۹
أ) قیام الخوارج ضد بنی أمیة ----- ۱۷۹
ب) قیام سائر الناس ضد بنی‌أمیة ----- ۱۸۰
الخطبة[۷۷۴]: الثامنة والثمانون ----- ۱۸۱
اشارة ----- ۱۸۱
نظرة إلی الخطبة ----- ۱۸۱
القسم الأول: هل من عین باصرة واذن سامعة؟ ----- ۱۸۱
اشارة ----- ۱۸۲
مصیر الجبابرة ----- ۱۸۲
القسم الثانی: الاستبداد مادة الاختلاف ----- ۱۸۳
اشارة ----- ۱۸۳
المستبدون الظالون ----- ۱۸۵
الخطبة[۷۸۸] التاسعة والثمانون ----- ۱۸۵
اشارة ----- ۱۸۵
نظرة إلی الخطبة ----- ۱۸۵
القسم الأول: العالم علی أعتاب الدعوة ----- ۱۸۶
اشارة ----- ۱۸۶
الجاهلیة المعاصرة ----- ۱۸۸
القسم الثانی: کلکم مسؤول ----- ۱۸۹
الخطبة[۸۱۰] التسعون ----- ۱۹۰
اشارة ----- ۱۹۰

نظرة إلى الخطبة ----- ۱۹۰
القسم الأول: كان ولم يكن أحد سواه ----- ۱۹۱
القسم الثانی: العالم بالخفايا والأسرار ----- ۱۹۳
القسم الثالث: ليس كمثله شئ ----- ۱۹۴
القسم الرابع: محاسبة النفس ----- ۱۹۵
اشارة ----- ۱۹۵
تأمّلان ----- ۱۹۶
۱- الوزن والحساب فی المحشر ----- ۱۹۶
۲- الواعظ الباطنی ----- ۱۹۶
تعریف مرکز ----- ۲۳۲

نفحات الولایة المجلد ۳

اشارة

عنوان و نام پدیدآور : نفحات الولایه: شرح عصری جامع لنهج‌البلاغه/ ناصرمکارم شیرازی، بمساعده مجموعه من‌الفضلاء؛ اعداد عبدالرحیم الحمدانی.

مشخصات نشر : قم : مدرسه‌الامام علی‌ابن‌ابی‌طالب (ع) ، ۱۴۲۶ق.-= ۱۳۸۴.

مشخصات ظاهری : ج.

شابک : ۳۰۰۰۰ ریال : دوره ۹۶۴-۸۱۳-۹۵۸-X: ؛ ج. ۱ ۹۶۴-۸۱۳-۹۰۷-۵ : ؛ ج. ۲ ۹۶۴-۸۱۳-۹۰۸-۳ : ؛ ج. ۳ ۹۶۴-۸۱۳-۹۱۷-۲ : ؛ ج. ۴ ۹۶۴-۸۱۳-۹۱۸-۰ : ؛ ج.۵ : ۹۶۴-۸۱۳-۹۴۱-۵ ؛ ۷۰۰۰۰ ریال: ج. ۶۹۷۸-۹۶۴-۵۳۳-۱۲۰-۵ : ؛ ۷۰۰۰۰ ریال: ج. ۷۹۷۸-۹۶۴-۵۳۳-۱۲۱-۲ : ؛ ۷۰۰۰۰ ریال: ج. ۸۹۷۸-۹۶۴-۵۳۳-۱۲۲-۹ : ؛ ۷۰۰۰۰ ریال: ج. ۹۹۷۸-۹۶۴-۵۳۳-۱۲۳-۶ : ؛ ۷۰۰۰۰ ریال: ج. ۱۰۹۷۸-۹۶۴-۵۳۳-۱۲۴-۳ :

یادداشت : عربی.

یادداشت : ج ۱- ۵ (چاپ دوم: ۱۳۸۴).

یادداشت : ج. ۶- ۱۰ (چاپ اول: ۱۴۳۲ ق.= ۱۳۹۰).

یادداشت : کتابنامه.

مندرجات : .- ج. ۶. من خطبة ۱۵۱ الی ۱۸۰.- ج. ۷. من خطبة ۱۸۱ الی ۲۰۰.- ج. ۸. من خطبة ۲۰۱ الی ۲۴۱.- ج. ۹. من رسالة ۱ الی ۳۱.- ج. ۱۰. من رسالة ۳۲ الی ۵۳

موضوع : علی‌بن ابی‌طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق -- خطبه‌ها

موضوع : علی‌بن ابی‌طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. -- کلمات قصار

موضوع : علی‌بن ابی‌طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. -- نامه‌ها

موضوع : علی‌بن ابی‌طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج‌البلاغه -- نقد و تفسیر

شناسه افزوده : حمرانی، عبدالرحیم

شناسه افزوده : علی‌بن ابی‌طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج‌البلاغه. شرح

شناسه افزوده : مدرسة الامام علی بن ابی طالب (ع)

رده بندی کنگره : BP۳۸/۰۲ /م۷ ۱۳۸۴

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۵۱۵

شماره کتابشناسی ملی : م۸۴-۴۰۳۴۷

الخطبة[۱] الحادیة والستون

اشارة

وقال علیه‌السلام

«لا تُقاتِلُوا الْخَوارِجَ بَعْدِی فَلَیْسَ مَنْ طَلَبَ الْحَقّ فَأَخْطَأَهُ کَمَنْ طَلَبَ الْباطِلَ فَأَدْرَکَهُ».

الشرح والتفسير

الفارق بين الخوارج وأهل الشام

تعرضت بعض الخطب السابقة للخوارج، فقد أشارت بعضها إلى الأمور المهمة فى سيرتهم ومواقفهم وما آل إليه مصيرهم. ويتضمن كلامه عليه السلام هنا الإشارة إلى الاسلوب الذى يتم من خلاله التعامل مع الخوارج بعده عليه السلام فيقول

«لاتقاتلوا الخوارج بعدى»

. استناداً إلى صراعه المرير عليه السلام الذى خاضه ضد الخوارج، ولا سيما فى النهروان التى وجه فيها ضرباته الماحقة إلى فلولهم، وكونهم يشكلون أعدى أعداء الإسلام حتى قتل على يدهم، فانّ مثل هذا الكلام يبدو مستغرباً فى عدم التعرض لهم ومقاتلتهم، إلا أنّ الإمام عليه السلام يقدم دليله بهذا لاشأن فيقول

«فليس من طلب الحقّ فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه»

وقد صرح السيد الرضى (ره) بأنّ مراد الإمام عليه السلام

«يعنى معاوية وأصحابه»

. فالواقع هو أنّ الإمام عليه السلام أراد أن يجنب أصحابه فتح جبهتين وأن يكرسوا قوتهم تجاه عدو واحد كان يتمثل أنذاك بمعاوية وحزب بنى‌أمية المقيت ورهطهم وأعوانهم من أهل الشام. فمما لاشك فيه أنّ أصحاب الإمام عليه السلام لن

يصبحوا بعده كما لو كان عليه السلام بينهم، أضف إلى ذلك، ليس لديهم القدرة على التحرك ضمن جبهتين، ومن هنا أوصاهم بلم الشمل وتعبئة قواهم وطاقاتهم ضد عدو واحد. ولا سيما أنّ الخوارج كانوا من الناقمين على حكومة معاوية، ولعلهم يقفون إلى جانب المؤمنين فى قتالهم لأهل الشام. وناهيك عما سبق فانّ الخوارج كانوا فى مركز حكومة أميرالمؤمنين عليه السلام ويشكلون جزءا من الجبهة الداخلية، وعليه فقد كا يسعهم زعزعة هذه الجبهة وتصديع الحالة الأمنية دون أدنى عناء؛ الأمر الذى دفع بالإمام عليه السلام لأنّ يوصى بالكف عن مقاتلتهم بعده. وهكذا يتّضح الرد على ذلك التساؤل المعروف الذى عجز البعض من شرّاح نهج البلاغة عن الرد عليه. فقد أثاروا هذا السؤال: لم قاتل الإمام عليه السلام الخوارج بنفسه بينما نهى أصحابه عن مقاتلتهم بعده؟ لم شهر سيفه بوجوههم بينما نصح أصحابه بغمد السيوف وعدم التعرض لهم؟

ونقول فى الجواب على هذا السؤال أنّ الظروف التى كانت سائدة على عهد الإمام عليه السلام تختلف كلياً عنها بعده عليه السلام، والقائد الحكيم ينبغى أن يأخذ بنظر الاعتبار هذه الظروف كل يوم، بل كل ساعة فلا يعيش الجمود ويكتفى باسلوب واحد فى المجابهة والصراع.

وبغض النظر عما تقدم فانّ الإمام عليه السلام ينكر السبب الذى يقف وراء هذا الاسلوب فى المجابهة فيقول «فانّ من طلب الحق فأخطأه ليس كمن طلب الباطل فأدركه». فهنالك فارق واضح بين الفريقين؛ فالخوارج حفنة من الجهال ظنت أنّها خرجت من أجل الحقّ، الا أنّ تعصبها وجهلها إنتهى بها إلى الحيرة والضلال، أمّا معاوية ورهطه فانّهم يتجهون عن علم نحو الباطل. وبناءاً على هذا فماذا يسع الإنسان أن يقاتل من هذين الفريقين إذا كان لابدّ له من القتال ويتعذر عليه عملياً مواجهة الفريقين؟

قطعا سيرجح قتال الفريق الثانى، فاذا فرغ منه وتمكن من دحره، آنذاك سيقف بوجه الفريق الأول. ولعل الحديث الذى نقله المبرد فى الكامل يشير إلى هذا المعنى من أنّ قتال معاوية وأهل الشام كان أولى من قتال الخوارج، فقد جاء فى الحديث أنّ الخوارج قاموا على معاوية بعد شهادة أميرالمؤمنين على عليه السلام حين كان فى الكوفة، فبعث معاوية برسوله إلى الإمام الحسن عليه السلام فى الكوفة- وهم بالخروج إلى المدينة- لأن يتصدى للخوارج، فأجابه عليه السلام بانّه كف عن قتاله حقناً لدماء المسلمين، فهل يقاتل

الخوارج نيابة عنه وهو يرى أنّه أحق منهم بالقتل.[۲]

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۷

الجدير بالذكر أن الخوارج قد إرتكبوا أعظم جناية عرفها العالم الإسلامى والتى تمثلت بقتلهم لعلى عليه السلام؛ الأمر ألذى أخبر عنه الإمام عليه السلام فى عصره، مع ذلك لم يفكر الإمام عليه السلام فى الثأر منهم، بل نهى من بعده حتى عن قتالهم، وهذا نموذج آخر من نماذج ذروة عدالته التى لا يرى مثيلها فى تأريخ القادة والزعماء. وأخيراً نقول أنّ وصية الإمام عليه السلام نافذة مادام الخوارج لم يمارسوا علياتهم الإجرامية فى البلاد الإسلامية؛ وإلّا فاذا إرتكبوا مثل هذه الأعمال كان لابدّ من معاملتهم على أنّهم محاربون مفسدون فى الأرض.

تأمّلان

۱- أضّل من الخوارج

لاشك أنّ الخوارج- وبالاستناد إلى ممارستهم وصفاتهم آنفة الذكر وما ذكره المؤرخون عن عقائدهم وآرائهم- فرقة ضاله ومنحرفة تشكل خطراً جدياً على الإسلام، إلّا أنّ الإمام عليه السلام وعلى ضوء هذه الخطبة يرى فى معاوية ورهطه أنهم أضل من تلك الفرقة سبيلًا، ثم يوصى أصحابه بانّ الأولوية فى القتال إنّما تتجه صوب معاوية وأهل الشام لا الخوارج. وقد علق ابن أبى الحديد على هذا الأمر فقال: وقد طَعن كثير من أصحابنا فى دين معاوية، ولم يقتصروا على تفسيقه، وقالوا عنه إنّه كان ملحِداً لا يعتقد النبوة، ونقلوا عنه فى فلتات كلامه وسقطات ألفاظه ما يدلّ على ذلك.

و روى الزبير بن بكار فى "الموفقيات- "وهو غير متّهم على معاوية، ولا منسوب إلى اعتقاد الشيعة، لما هو معلوم من حاله من مجانَبة على عليه السلام، والانحراف عنه-:

قال المطرف بن المغيرة بن شعبة: دخلت مع أبى عَلَى معاوية، وكان أبى يأتيه، فيتحدّث معه، ثم ينصرف إلىّ فيذكر معاوية وعقلَه، ويعجَبُ بما يرى منه، إذ جاء ذاتَ ليلة، فأمسك عن العَشاء، ورأيته مغتَّما فانتظرته ساعة، وظننت أنّه لأمرٍ حدث فينا، فقلت: ما لى أراك مغتّماً منذ الليلة؟ فقال يا بُنىّ، جئت من عند أكفر الناس وأخبثهم، قلت: وما ذاك؟ قال: قلت له وقد خلوتُ به: إنّك قد بلغتَ سنًّا يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عدلًا، وبسطت خيراً فإنّك قد

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۸

كبرت؛ ولو نظرت إلى إخوتك من بنى هاشم، فوصلْت أرحامَهم فو الله ما عندهم اليومَ شىء تخافه، وإنّ ذلك ممّا يَبْقى لك ذكره وثوابه؛ فقال: هيهات هيهات! أىذِكْر أرجو بقاءه! مَلَك أخو تَيْم فعدَل، وفعل مافعل، فما عدا أن هَلَك حتى هلك ذكُره؛ إلا أن يقول قائل: أبوبكر؛ ثم ملك أخو عدىّ، فاجتهد وشمرَّ عشر سنين؛ فما عدا أن هلك حتى هلَك ذكُره؛ إلا أن يقول قائل: عمر؛ وإن ابنَ أبى كبشةَ[۳] ليُصاح به كلَّ يوم خمس مرات: «أشهد أنّ محمّداً رسول الله»، فأىّ عملى يبقى؟ وأىّ ذكر يدوم بعد هذا لا أبا لك! لا والله إلّادَفْناً دفناً.[۴]

«فقد أثر هذا الكلام حتى فى المغيرة بن شعبة المعروف بفساده وانحرافه، فلم يذهب إلى تكفير معاوية فحسب، بل رآه من أكفر الناس وأخبثهم» ثم خاض ابن أبىالحديد فى أفعال معاوية وحياته الطاغوتية وتصرفاته المجانبة للعدل والمروءة؛ الأمر الذى يؤكد عمق ما أورده الإمام عليه السلام فى الخطبة المذكورة. فقال ابن أبىالحديد:

و أما أفعاله المجانِبة للعدالة الظاهرة من لُبسه الحرير، وشربه فى آنية الذهب والفضة؛ حتى أنكر عليه ذلك أبو الدَّرْداء، فقال له: إنّى سمعت رسول الله ص يقول؛ «إنّ الشّارب فيها ليُجرْجِر فى جوفه نار جهنم»، وقال معاوية: أما أنا فلا أرى بذلك بأساً، فقال أبو الدرداء:

مَنْ عذیری من معاویة! أنا أخبره عن الرسول صلی الله علیه و آله؛ وهو یخبرنی عن رأیه! لا أساکنک بأرضٍ أبداً.

نقل هذا الخبرَ المحدّثون والفقهاء فی کُتبهم فی باب الاحتجاج علی أنّ خبر الواحد معمول به فی الشرع؛ وهذا الخبر یقدَح فی عدالته، کما یقدح أیضاً فی عقیدته، لأنّ مَنْ قال فی مقابلة خَبَرٍ قد روی عن رسول الله صلی الله علیه و آله: أمّا أنا فلا أری بأساً فیما حرّمه رسول الله صلی الله علیه و آله، لیس بصحیح العقیدة ومن المعلوم أیضاً من حالة استئثاره بمال الفیء، وضربه مَنْ لا حدّ علیه، وإسقاط الحدّ عمّن یستحقّ إقامةَ الحدّ علیه، وحکمه برأیه فی الرَّعیّة وفی دین الله، واستلحاقه زیادا؛ وهو یعلم قول رسول الله صلی الله علیه و آله: «الولَد للفراش وللعاهر ألحجَر»، وقتله حُجْر بنَ عدیّ أصحابه ولم

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۹

یجب علیهم القتل، ومهانته لأبی‌ذرّ الغِفاری وَجبْهُه وشتمه إشخاصه إلی المدینة علی قَتَب بعیر وطاء لإنکاره علیه، ولعنه علیّاً وحسنا وحسینا وعبد الله بن عباس علی منابر الإسلام، وعهده بالخلافة إلی ابنه یزید، مع ظهور فسقه وشُرْبِه المسکر جهاراً، ولعبه بالنَّرد، ونومه بین القیان المغنّیات، اصطباحه معهنّ، ولعبه بالطنبور بینهنّ، وتطریقه بنِی أمیة للوثوب علی مقام رسول الله صلی الله علیه و آله وخلافته، حتی أفْضَت إلی یزید بن عبد الملک والولید بن یزید، المفتضحین الفاسقین: صاحب حَبَابة وسلّامة؛ والآخر رامی المصحف بالسّهام وصاحب الأشعار فی الزندقة والإلحاد.

و لا ریب أنّ الخوارج إنّما برىء أهلُ الدین والحقِّ منهم، لأنّهم فارقوا علیّاً برئوا منه، وما عدا ذلک من عقائدهم، نحو القول بتخلید الفاسق فی النار، القول بالخروج علی أمراء الجوْر؛ وغیر ذلک من أقاویلهم؛ فإنّ أصحابنا یقولون بها، ویذهبون إلیها، فلم یبق ما یقتضی البراءة منهم إلا براءتهم من علیّ؛ قد کان معاویة یلعنُه علی رؤوس الأشهاد وعلی المنابر فی الجمع والأعیاد، فی المدینة ومکة وفی سائر مدن الإسلام؛ فقد شارک الخوارج فی الأمر المکروه منهم؛ وامتازوا علیه باظهار الدین والتلزّم بقوانین الشریعة، والاجتهاد فی العبادة، وإنکار المنکَرات، وکانوا أحقَّ بأن یُنْصَرُوا علیه مِنْ أن یُنصَر علیهم، فوضح بذلک قولُ أمیر المؤمنین:

«لا تقاتلوا الخوارج بعدی»

، یعنی فی مُلْک معاویة.

۲- جهل اتباع الحق وعلم اتباع الباطل

إتّضح من کلام الإمام علیه السلام أنّه رجح الخوارج علی أهل الشام من أتباع معاویة واستدل علی ذلک بقوله:

«فلیس من طلب الحق فاخطأه کمن طلب الباطل فأدرکه»

ولا تقتصر هذه المقارنة علی عصر الإمام علیه السلام؛ بل لا یخلو عصر ومصر من هاتین الفرقتین، فمازلنا نری الیوم بعض الفئات المعادیة للإسلام التی تحث الخطی نحو الباطل وقد شمرت عن سواعدها للقضاء علی الإسلام والمسلمین؛ فی حین هنالک الفئات الاخری التی تنشد الحق إلّاأنّها لن تبلغه، وهی الاخری معادیة للإسلام والمسلمین. ولا ینبغی للمسلمین أن ینظروا ذات النظرة لهاتین الفئتین، بل علیهم أن یمنحوا الأولویة فی الصراع للفئة الاولی وذلک لعدم وجود سبیل إزاء الفئة الاولی التی تنهج الفساد والباطل عن علم- سوی الصراع المسلح، بینما تحتاج الفئة

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۱۰

الثانیة إلی قدر من الوعظ والإرشاد والانفتاح علی التعالیم الإسلامیة الحقة.

وقد أثبت هذا الاسلوب جدواه فی موقعة النهروان بتوبة أغلب الخوارج وانابتهم إلی الحق بعد سماعهم لمواعظ أمیرالمؤمنین علی بن أبی‌طالب علیه السلام، فقد جاء فی الأخبار أنّ ثمانیة آلاف منهم قد رجعوا عن ضلالتهم ولم یبق سوی أربعة آلاف منهم.

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۱۱

الخطبة[۵] الثانيه و الستون

اشارة

ومن كلام له عليه السلام

لما خوف من الغيلة[۶]

«وَإِنَّ عَلَيَّ مِنَ اللَّهِ جُنَّةً حَصِينَةً فَإِذَا جَاءَ يَوْمِي انْفَرَجَتْ عَنِّي أَسْلَمَتْنِي فَحِينَئِذٍ لا يَطِيشُ السَّهْمُ ولا يَبْرَأُ الْكَلْمُ».

الشرح والتفسير

لماذا أخشى الموت؟

قيل فى سبب هذا الكلام أنّ أصحاب الإمام عليه السلام كانوا يخبرونه عن سوء نية ابن ملجم، وقد قامت عدة قرائن واضحة تكشف عن سوء نيته، حتى ذكروا أنّ الإمام عليه السلام كان يخطب الناس يوما فجلس ابن‌ملجم أمام المنبر وهو يقول:

«و اللّه لَأُريحَنّهم منكَ»

فلما إنتهى الإمام عليه السلام من خطبته. أمسكه البعض ممن سمعه وأتوا به إلى الإمام عليه السلام. فقال عليه السلام: دعوه، ثم قال، وإنّ علىَّ من

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۲

اللّه ...[۷] نعم قال الإمام عليه السلام:

«و إن على من اللّه جنة حصينة، فإذا جاء يومى انفرجت عنّى وأسلمتنى؛ فحينئذٍ لايطيش ۸] السّهم ۹] ولايبرأ[۱۰] الكلم ۱۱]»

. والعبارة إشارة إلى سنة كونية ثابتة، وهى أنّ الإنسان لايغادر هذه الدنيا ما لم يحن أجله، وعليه فأجل الإنسان بيد اللّه، ومفهوم ذلك أنّ إرادته هى التى إقتضت أن يبقى فلان إلى الوقت الفلانى، وممّا لا شك فيه أنّ أحداً لا يسعه الوقوف بوجه هذه الإرادة، ومن هنا يمكن إعتبار الأجل الإلهى جنة حصينة إزاء بعض الحوادث؛ المعنى الذى ورد كراراً فى نهج‌البلاغة، ومن ذلك قوله عليه السلام:

«إنّ الأجل جنّةٌ حصينةٌ».[۱۲]

كما قال فى موضع آخر

«كفى بالْأجل حارساً»[۱۳]

بل يمكن القول بأنّ هذا المعنى قد ورد فى الآية الحادية عشرة من سورة الرعد: «لَهُ مُعَقِّباتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ» وجاء فى تفسير الأية أن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«يقول: بأمر اللّه من أن يقع فى ركىٍّ أو يقع عليه حائطٌ أو يصيبه شىءٌ حتّى إذا جاء الْقدر خلّوا بيْنه وبيْنه يدْفعونه إلى المقادير وهما ملكان يحفظانه باللّيل وملكان بالنّهار يتعاقبانه»[۱۴]

. وهنا يبرز هذه السؤال وهو لو كان الأمر كذلك، فليس هنالك من ضرورة فى حفظنا لأنفسنا من المخاطر ونسعى لأن نقيها بعض الحوادث من قبيل الزلازل والأعاصير والأمراض وحوادث الدهس

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۳

والاصطدام، بل يجب علينا أن نندفع بكل قوة وعدم مبالاة واكتراث وخشية من هذه الحوادث؟! وللإجابة على هذا السؤال ينبغى الألتفات إلى أنّ أجل الإنسان على نوعين: أجل حتمى وأجل غير حتمى، والأجل الحتمى هو الأجل الذى لارجعة فيه، من قبيل مقدار نبض قلب الإنسان الذى قدر له العمل إلى اللحظة الفلانية، بالضبط كالساعة التى تعمل إلى أجل معين يتعلق بوجود البطارية فيها،

فمتى ما نفدت قوة البطارية توقفت الساعة عن العمل.

أما الأجل غير الحتمى فهو الأجل الذى يمكن إجتنابه؛ وهو على قسمين: قسم تحت تصرف الإنسان بحيث يسعه إجتنابه من خلال رعاية الموازين العقلائية من قبيل التترس والتدرع وإرتداء الخوذة فى ساحة القتال التى تحول عادة دون اغلب حالات القتل، فقد وكل للإنسان التعامل بحذر مع مثل هذه الامور، وهو المسؤول عن هذه الحوادث، أمّا القسم الآخر فهو الأجل غير القطعى الخارج عن إرادة الإنسان من قبيل بعض حوادث المرور أو عدم التحسب من الوقوع فى البئر أو إنهيار الجبل وما إلى ذلك من الامور التى لا يمكن التكهن بوقوعها. وهنا يأتى دور الملائكة الحفظة الذين يحفظون الإنسان من هذه الحوادث ما لم يصل أجله الحتمى، فاذا بلغ أجله تركوه وتلك الحوادث. وبالطبع فانّ هذا القسم الأخير هو الأخر يمكن تقسيمه إلى نوعين: مشروط وغير مشروط والمشروط ما تتولى فيه الملائكة حفظ الإنسان شريطة قيامه ببعض الاعمال من قبيل التصدق والدعاء وصلة الرحم وما إلى ذلك من المندوبات، بينما لايشترط مثل هذه الأعمال فى غير المشروط. والخلاصة ليس هنالك من تخلف فى الأجل المحتوم بينما يمكن تغيير الأجل المشروط أو المعلق من خلال التدبير والاحتياط أحياناً، والقيام ببعض الاعمال المندوبة من قبيل التصدق والدعاء وصلة الرحم أحيانا أخرى، كما يمكن ذلك من خلال الملائكة الموكلة بحفظ الإنسان من الأخطار غير المحتومة. ومن هنا يتبين عدم التعارض بين الّايات القرآنية من قبيل: «فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لايَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ»[۱۵] والآية الشريفة «وَلَنْ يُؤَخِرَّ اللَّهُ نَفْساً إِذا جاءَ أَجَلُها»[۱۶] مع الآية المباركة: «لَهُ مُعَقِّباتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ...»، ولا مع الروايات التى

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۴

صرحت بتأخير أجل الإنسان إثر التصدق والدعاء، وهكذا يتضح الجمع بين كافة هذهالايات والروايات على ضوء التقسيم الثلاثى أو الرباعى الذى ذكرنا للأجل.[۱۷]

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۵

الخطبة[۱۸] الثالثة والستون

اشارة

ومن خطبة له عليه السلام

يحذر من فتنة الدنيا

نظرة إلى الخطبة

الخطبة كما يفهم من عنوانها تحذير للجميع من فتنة الدنيا، حيث يشير الإمام عليه السلام فيها إلى موضوعين مهمين: الأول أنّ الدنيا قد تكون مصدر شقاء الإنسان أو سعادته؛ الأمر الذى يتوقف على طبيعة النظرة إلى الدنيا والتعامل معهما. فالدنيا مذمومة وهى مصدر بؤس وشقاء إن كانت هدفا وإنشدت الأنظار إلى زخارفها وأموالها وثرواتها، فى حين ممدوحة هى الدنيا ومصدر سعادة الإنسان وفلاحه إذا كانت وسيلة ومزرعة الآخرة وأداة للوصول إلى القيم والمثل الإنسانية. الموضوع الاخر الذى أشار إليه الإمام عليه السلام هو فناء الدنيا وتقلب أحوالها، وتشبيهها بفيء الظل الذى يلجأ إليه الإنسان للراحة وسرعان ما يزول.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۷

«أَلا إِنَّ الدُّنْيا دارٌ لا يُسْلَمُ مِنْها، إِلَّا فِيها وَلا يُنْجَى بِشَيْءٍ كانَ لَها: ابْتُلِيَ النَّاسُ بِها فِتْنَةً، فَما أَخَذُوهُ مِنْها لَها أُخْرِجُوا مِنْهُ وَحُوسِبُوا، عَلَيْهِ وَما أَخَذُوهُ مِنْها لِغَيْرِها قَدِمُوا عَلَيْهِ وَأَقامُوا فِيهِ؛ فَإِنَّهَا عِنْدَ ذَوِى الْعُقُولِ كَفَيْءِ الظِّلِّ، بَيْنا تَراهُ سابِغاً حَتَّى قَلَصَ، وَزائِداً حَتَّى نَقَصَ».

الشرح والتفسير

الدنيا ظل زائل

لما كانت زخارف الدنيا وزينتها تدعوا إلى المبالغة فى التعلق بها؛ الأمر الذى يفضى إلى مقارفة الذنوب والمعاصى والانحراف عن الصراط المستقيم والسقوط فى هاوية الضلال فانّ القادة الربانيين لا ينفكون عن تحذير أتباعهم منها، وهذا ما نلمسه بوضوح فى معظم نهج‌البلاغة الذى أورد التحذير تلو التحذير على لسان خطبه ورسائله وقصار كلماته.

والخطبة التى نحن بصددها هى نموذج من هذا التحذير الذى ضمنه الإمام عليه السلام ستة امور مهمة، فقد إستهل ذلك قائلًا:

«ألا وإنّ الدّنيا دار لايسلم منها إلّافيها»

والدليل واضح لانقاش فيه؛ لأنّ من أهم أسباب السلامة هو كسب الفضائل الأخلاقية والتحلى بالقيم والمثل المعنوية وعبودية اللّه وطاعته، والتى لا تتسنى إلّافى هذه الدنيا، وليس للإنسان من فرصة سوى فى هذا العالم دون العوالم الاخرى ومن هنا قال الإمام عليه السلام لاتنال السلامة من الدنيا إلّافيها. ثم قال عليه السلام:

«و لاينجى بشىءٍ كان لها»

أى إن كانت الدنيا هى دافع نشاطات الإنسان وغاية أعماله وأفعاله وحتى إتيانه بالعبادات إذا كان ينطوى على هدف دنيوى ويشوبه الرياء والسمعة فانّها لن تكن سببا لنجاته، بل ستفضى إلى هلاكه وشقائه. ثم أشار فى الأمر الثالث إلى كونها ميدان إمتحان:

«ابتلى النّاس بها فتنةً»؛

فالدنيا مليئة بالنعم إلى جانب المشاكل

والمصائب؛ فالنعمة وسيلة للإمتحان، كما المصيبة إمتحان من نوع آخر. فهل تطغى النعمة الإنسان أم تشده إلى اللّه، وهل يؤدى شكر النعم عملًا فضلًا عن شكرها لساناً؟ وهل يستشعر قلبه اليأس حين المصيبة ويشكو ربه، أم يصبر عند المصاب ويشكر؟ فالإنسان يعيش الإمتحان فى هذين الأمرين كل يوم طيلة حياته فى الدنيا، وهذا قانون خالد انبثق منذ خلق آدم عليه السلام وسيستمر إلى يوم القيامة، فقد قال القرآن الكريم بهذا الشأن: «أَحَسِبَ النّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ* وَلَقَدْ فَتَنّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكاذِبِينَ».[۱۹] ثم قال عليه السلام فى الأمر الرابع:

«فما أخذوه منها لها أخرجوا منه وحوسبوا عليه».

ثم واصل كلمه قائلًا:

«و ما أخذوه منها لغيرها قدموا عليه، وأقاموا فيه»

والعبارة إشارة إلى النظرتين المعروفتين فى نهج‌البلاغة، النظرة إلى الدنيا كوسيلة والاخرى كغاية؛ فان كانت إمكانات هذه الدنيا والأموال والثروات والنعم والمقام والجاه وسيلة لنيل السعادة والحياة الاخروية الهنيئة فليس هناك أفضل منها، وإن كانت صنماً يسجد له الإنسان فليس هناك أسوأ منها. فالنظرة الاولى تسوق الإنسان إلى الورع والتقى والطهر والعفاف بينما تدعوه النظرة الثانية إلى الحرص والطمع والظلم والذلة والهوان. والنظرة الاولى تحيل النعم الدنيوة الفانية إلى نعم اخروية باقية، فى حين تكون النظرة الثانية سبباً لزوال النعم وبقاء التبعات. ومن هنا تتضح علية مدح الدنيا فى أغلب الآيات والروايات، إلى جانب ذمها فى البعض الآخر. فلعل البعض يفسر ذلك بالتناقض للوهلة الاولى بينما كل واحدة منها صحيحة فى مكانها وكأنّ الواحدة منها مكملة للُاخرى، فالمدح يرتبط بالدنيا الوسيلة، والذم بالدنيا الهدف والغاية. وسنعرض لهذا الموضوع بالتفصيل فى الأبحاث القادمة ذات الصلة.

وأخيراً يكشف الأمام عليه السلام اللثام عن حقيقة الدنيا ليشبهها بفى الظل الذى يمر سريعاً فقال:

«فإنّها عند ذوى العقول كفيء الظّلّ، بينا تراه سابغاً[۲۰] حتّى قلص،[۲۱] وزائداً حتّى نقص»

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۹

فقد ورد ا لظل بمعناه المطلق سواء ظل الأشياء قبل الزوال أو بعده، وبطلق أحياناً على ما قبل الظهر خاصة الذى تزيله الشمس تدريجياً، أما

«فى»

فهى تعنى الظل بعد الزوال (لأن مفهوم هذه المفردة يتضمن الرجوع والعودة) الذى يتسع كلما إقتربت الشمس من أفق المغرب ويزول إثر غروب الشمس وحلول الظلمة. وكأنّ الإمام عليه السلام أشار إلى حقيقة مهمة وهى أن أصحاب الدنيا يجمعون الأموال والثروات كل يوم بحيث تزداد كلما إقترب عمرهم من نهايته، إلّاأنّها تزول وتنعدم من الوجود بغروب شمس العمر، وتنتهى كل هذه الثروات بحلول ظلمة الموت.

ونختتم تفسير هذه الخطبة بالقول أنّ الإمام عليه السلام دائم التحذير من مغبة التعلق بالدنيا والاغترار بها وفضحها بمختلف الطرائف والأمثال وذلك للاسباب التالية: أولًا: أنّ حبّ الدنيا والاغترار بها يمثل مادة الذنوب والمعاصى؛ الأمر الذى يجعل القائد الربانى محذراً أتباعه وملفتا إنتباههم إلى عظم هذا الخطر على الدوام، وثانياً: شهد عصر الإمام عليه السلام وما سبقه بعض الفتوحات الإسلامية التى درت على المجتمع الإسلامى ما لا يحصى من الغنائم والثروات والإمكانات؛ الأمر الذى جعل أفراد الامّة تعيش حالة من السباق للتكالب على هذا الحطام، وهذا ما أفرز حالة من الانحراف والاختلاف والتشتت والابتعاد عن التواضع فى الحياة والاقبال على الراحة والدعة والضعف أمام العدو من خلال التقاعس عن الجهاد، ومن هنا كان الإمام عليه السلام لايرى أدنى فرصة إلّاواغتنمها من أجل إعادة الامّة إلى مسارها الإسلامى الصحيح. وقد وعظهم بسيرته وحياته قبل وعظهم بلسانه.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۱

الخطبة[۲۲] الرابعة و الستون

اشارة

ومن خطبة له عليه السلام

فى المبادرة إلى صالح الاعمال

نظرة إلى الخطبة

جرى الحديث فى هذه الخطبة- كما فى الخطبة السابقة- عن تقلب أحوال الدنيا وضرورة الزهد فيها، داعياً الناس إلى الاستعداد والتأهب للآخرة. ثم صور الدنيا بهذه الصورة

«وما بين احدكم وبين الجّنة أو النار الا الموت أن ينزل به، وإن غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة، لجديرة بقصرا لمدة، وأنّ غائباً يحدوه ۲۳] الجديدان: الليل والنهار، لحرى بسرعة الأوبة».

ثم يختتم عليه السلام خطبته بدعوة الناس إلى التوبة والإنابة إلى اللّه ويحذر من الغفلة عن الموت والاغترار بالأمل الذى يصد عن الآخرة، فاذا باغت الإنسان الموت وكان غارقا فى شهواته ومعاصيه صعب عليه مفارقة الدنيا.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۳

القسم الأول: الموت يلقى بظلاله على الجميع

«فـاتَّقُوا اللَّهَ عِبادَ اللَّهِ، وَبادِرُوا آجالَكُمْ بِأَعْمالِكُمْ، وَابْتاعُوا ما يَبْقَى لَكُمْ بِما يَزُولُ عَنْكُمْ، وَتَرَحَّلُوا فَقَـدْ جُـدَّ بِكُمْ، وَاسْـتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظَلَّكُمْ، وَكُونُوا قَوْمـاً صِـيحَ بِهِمْ فـانْتَبَهُوا، وَعَلِمُوا أَنَّ الـدُّنْيا لَيْسَتْ لَهُمْ بِـدارٍ فاسْـتَبْدَلُوا؛ فَإِنَّ اللَّهَ سُـبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً، وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى».

الشرح والتفسير

يسـتهل الإمام عليه السـلام خطبته بتحذير الجميع من الدنيا والالتفات إلى سـرعة زوالها والهدف من خلق الإنسان فيها، والاستغراق فى الغاية التى ينبغى أن ينشدها فى هذه الحياة. فقد قال عليه السلام:

«فاتّقوا اللّه عباد اللّه»

كل مالـديكم من اللَّه وقد أمطركم بوابل نعمه وآلائه فانتم عباده ولا يصح لكم الخروج على أوامره وعصـيانه. أما التأكيد على التقوى فى هـذه الخطبـة وسائر الخطب مما لايحتاج إلى أدنى إيضاح كون التقوى تشـكل اللبنـة الأساس للمؤمن والعمل الصالـح، الأمر الذى ورد التأكيد عليه كراراً فى القرآن حتى عد الوسيلة للتفاضل «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ»[۲۴] وهى خير الزاد «وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزّادِ التَّقْوى [۲۵]. ثم قال عليه السلام:

«و بادروا آجالكم بأع مالكم»

، وكأنّ السـباق قد بلغ ذروته بين الإنسان والموت، فلو طبع حياته بالعمل الصالح فانّه سـيصل غايته قبل أن يحل به الموت فيحول دون بلوغ تلك الغاية.

والواقع أن غاية الإنسان تتمثل بالعسادة والسمو والتكامل والقرب الإلهى؛ الامور التى يمكن

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۴

للإنسان بلوغها إذا تحلى بالورع والتقوى والعمل الصالـح قبل حلول أجله وانتهاء عمره، وإلّا سـيفاجئه الموت دون الظفر بغايته وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم: «وَأَنْفِقُوا مِمّا رَزَقْناكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَـدَكُمُ المَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصّالِحِينَ»[۲۶] ثم اتبع ذلك بالقول: «و لن يؤخّر اللّه نفساً إذا جاء أجلها» أى ليست هناك من استجابة لمثل هذه الطلبات هناك. ثم قال عليه السلام:

«و ابتاعوا ما يبقى لكم بما يزول عنكم»

فالـدنيا ومتاعها ونعمها إلى زوال وتبـدل وعـدم إسـتقرار، بينما تتصف نعم الآخرة بالـدوام والخلود، فهل من عاقل يتردد فى مثل هـذه الصفقة وذلك بان يشترى ذلك المتاع الخالد بهذا المتاع الفانى؟ ابتاعوا من مادة ابتياع بمعنى الشراء، وهو ما أشار إليه القرآن الكريم فى عدة آيات، منها «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرى مِنَ المُؤْمِنِينَ أَنْفُسَـهُمْ وَأَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْراةِ وَالإِنْجِيلِ وَالقُرآنِ وَمَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بايَعْتُمْ بِهِ وَذلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ»[۲۷]، فهذه الآية- التى شرحت المقايضـة المعنويـة والإلهيـة للناس مع اللَّه باروع بيان وضـمن عشـرة تأكيـدات- إنّما تشـمل كافـة ميادين الحياة البشـرية وإن وردت بشـأن الجهاد؛ لأنّ الجهاد جزء من مفردات هـذه الحياة، وقـد جاء شبيه هـذا المعنى فى الآيـة العاشـرة من سورة الصف «يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى تِجارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَـذابٍ أَلِيمٍ ...» فهل هناك أعظم وأربح من هذه التجارة التى يمثل طرف الإنسان فيها اللَّه سـبحانه الكريم الغفور الرحيم من جانب، ومن جانب آخر يرضـى اللَّه بهـذه المعاملـة لأن يبادل الإنسان بهذا المتاع الفانى والزائل الذى يفقده الإنسان شاء أم أبى بذلك المتاع الخالد الذى يأبى الزوال والفناء؟! ثم قال عليه السلام:

«و ترحّلوا[۲۸] فقد جدّ[۲۹] بكم»

فى إشـارة إلى أنّ الرحيـل من الـدنيا ليس بـالهزل ولاـ السـهل اليسـير، بـل أمر جـدى بـالغ الصـعوبة فلسان حال كافـة أعضائنا الباطنية والظاهرية هو الرحيل، ويعاضد ذلك

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۵

إستزاف القوى الجسمانية، إلى جانب الآفات والأحداث والبلاءات وأنواع الأمراض التى تدفع بالإنسان إلى الرحيل.

ثم أمر الإمام عليه السلام واستناد لما مر بالتجهز والتأهب فقال:

«واستعدّوا للموت فقد أظلّكم»

وبالطبع ليس المراد بالتأهب والاستعداد للموت أن يكف الإنسان عن السعى والعمل ويقاطع الدنيا ويقبع فى زاوية من داره ينتظر الموت، بل المراد الاكثار من الأعمال الصالحة وتهذيب النفس وتزكيتها والتحلى بالفضائل ومكارم الأخلاق والمسارعة فى

«الباقيات الصالحات»

، وبعبارة اخرى التزود للدار الآخرة والقدوم عليها بما ينجى الإنسان من عقباتها. أمّا العبارة

«فقد أظلّكم»

فهى تفيد قرب الموت؛ لأنّ الأشياء القريبة فقط هى التى تظل الإنسان. والواقع ليست هنالك من مسافة بين الإنسان والموت، فقد يستسلم للموت أقوى الأقوياء إثر حادثة بسيطة تحيل كيانه عظاماً ولحماً خاوياً، كما قد يموت رغم عنفوان شبابه بفعل سكتة قلبية، بل قد تخنقه اللقمة الصغيرة فتميته، وزبدة القول لولا الغفلة التى طغت على الناس بتناسى الموت لما استطاع البشر ممارسة الحياة بهدوء وسكينة ولو للحظات. ثم قال عليه السلام:

«و كونوا قوماً صيح بهم فانتبهوا، وعلموا أنّ الدّنيا ليست لهم بدارٍ فاستبدلوا».[۳۰]

ولعل المراد بمن يصيح فى الناس ويوقظهم من نوم الغفلة، هو ذلك الملك الذى أشار إليه الإمام الباقر عليه السلام مروياً عن أميرالمؤمنين عليه السلام:

«له ملكٌ ينادى كلّ يومٍ!لدوا للموت وابنوا للخراب!»[۳۱]

أو المراد به العناصر الداخلية فى جسم الإنسان والتى تؤدى بالتدريج إلى ضعف الجسم وكأنّها تهتف به إلى الرحيل. وقد وردت عدة أشعار فى الديوان المنسوب للإمام عليه السلام بهذا

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۶

الشأن، نرى من الجفاء عدم التعرض لها، فقد قال:

إلى م تجّر أذيال التّصابىو شيبك قد نضا برد الشّباب

بلَال الشّيب فى فَودَيكَ نَادَىبأَعلَى الصّوت حَىَّ عَلَى الذّهَاب

خلقت من التّراب وعن قريبٍتغيب تحت أطباق التّراب

طمعت إقامةً فى دار ظعنٍفلَا تَطمَع فَرجلكَ فى الرّكَاب

و أرخيت الحجاب فسوف يأتىرسولٌ ليس يحجب بالحجاب

أعامر قصرك المرفوع؟ أقصر!فإنّك ساكن القبر الخراب![۳۲]

وأخيرا إختتم كلامه الذى أشار فيه إلى الدنيا وتقلب أحوالها وضرورة الاستعداد فيها إلى سفر الآخرة بعبارة أوردها بمنزلة الدليل والبرهان على ما قال:

«فإنّ اللّه سبحانه لم يخلقكم عبثاً، ولم يترككم سدًى»[۳۳]

والعبارة فى الواقع إشارة إلى برهان المعاد المعروف (برهان الحكمة) الذى يصرح بأنّ هدف خلق الإنسان إذا إقتصر على هذه الحياة

القصيرة وما يكتنفها من أيام المطعم والملبس والنوم فانما هو العبث بعينه، فلا يمكن أن يكون هذا هو الهدف من هذا الخلق العظيم وهذه السموات والأرضيين وما يكتنفهما من العجائب والغرائب وهذه البنية العجيبة لخلقة الإنسان بهذا التعقيد والدقة والنظام، فجميع القرائن الموجودة فى عالم خلقة الإنسان والأكوان تشير إلى عظم الهدف الذى قام من أجله الخلق، وهو الهدف العظيم الذى خلق الحكيم من أجله الإنسان والعالم، والذى يكمن فى تكامل الإنسان وقربه من اللّه ونيله سعادة الدارين.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۷

القسم الثانى: التزود قدر المستطاع

«وَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ، وَإِنَّ غايَةً تَنْقُصُها اللَّحْظَةُ، وَتَهْدِمُها السَّاعَةُ، لَجَدِيرَةٌ بِقِصَرِ الْمُدَّةِ، وَإِنَّ غائِباً يَحْدُوهُ الْجَدِيدانِ: اللَّيْلُ وَالنَّهارُ، لَحَرِيٌّ بِسُرْعَةِ الْأَوْبَةِ، وَإِنَّ قادِماً يَقْدُمُ بِالْفَوْزِ أَوِ الشِّقْوَةِ لَمُسْتَحِقٌّ لِأَفْضَلِ الْعُدَّةِ، فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيا مِنَ الدُّنْيا ما تَحْرُزُونَ تحرزون بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَداً».

الشرح والتفسير

واصل الإمام عليه السلام خطبته بالإشارة إلى ثلاثة امور مهمّة: الأول

«و ما بين أحدكم وبين‌الجنّة أو النّار إلّاالموت أن ينزل به»

أى إن كنت حذرتكم من الدنيا ودعوتكم إلى التزود للآخرة بالتقوى والعمل الصالح ومبادرة الأجل، فذلك لقصر المسافة بينكم وبين الجنّة أو النار، فما أسرع أن تروا أنفسكم فى الجنّة أو النار إذا حلّ الموت بناديكم. فالمؤمن الفطن ليقف على مدى قصر هذه المسافة ويراها على ضوء الآية القرآنية: «إِقْتَرَبَتِ السّاعَةُ وَانْشَقَّ القَمَرُ»،[۳۴] خاطفة من حيث الزمان، كما يراها كذلك على مستوى المكان على ضوء الآية الشريفة: «إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً* وَنَراهُ قَرِيباً»[۳۵] وبالطبع فالآية إشارة إلى القيامة الصغرى لا الكبرى وتفسير ذلك أنّ للإنسان قيامتان: ۱- القيامة الكبرى التى يحشر فيها جميع الأولين والآخرين ليحاسبوا على أعمالهم. فالمحسنون إلى الجنّة والآثمون إلى النار. ۲- القيامة الصغرى

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۸

التى تحل بالفرد عند موته فتنقطع علاقته بالدنيا وتغلق صحيفة أعماله فتكون حفرة قبره روضة من رياض الجنّة أو حفرة من حفر النار. فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال

«إنّ للقبر كلاماً فى كلّ يوم يقول: أنا بيت الغربة ... أنا روضةٌ من رياض الجنّة أو حفرةٌ من حفر النّار»[۳۶]

. طبعاً يراد بهذه الجنّة والنار الجنة والنار البرزخية لا جنّة القيامة ونارها. على كل حال فانّ الإمام عليه السلام تحدث عن قرب القيامة وسرعة ثوابها وعقابها وإن رآها عبيد الدنيا بعيدة ثم قال عليه السلام:

«و إنّ غايةً تنقصها اللّحظة، وتهدمها السّاعة، لجديرةٌ بقصر المدّة»

والمراد بالغاية هنا عمر الإنسان أو إختتام هذا العمر حيث يأخذ بالتناقص كل يوم، ويتحطم ركن منه بمرور كل ساعة ولحظة، فالعمر ليس سوى هذه الساعات واللحظات وهى الحقيقة التى أشار إليها القرآن الكريم بقوله: «وَالعَصْرِ* إِنَّ الإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ»، كما أشار إليها الإمام عليه السلام بقوله: «إنّ الْإِنْسان لفى خسْرٍ»[۳۷]. ومن العجب العجاب أن تسأل أحدهم عن قيمة عمره فلا تراه مستعداً لاستبداله بأى شى بينما يقضى أغلب أوقاته لاهياً عابثاً دون أن يحترم الوقت، والحال ليس العمر سوى هذه الأوقات. ولا بأس هنا بذكر هذه الطريفة التى أوردها المحقق النراقى أحد كبار الفقهاء فى كتابه الفكاهى الواعظ طاقديس الذى ذكر فيه تلك المواعظ على هيئة الشعر. فقال أن طراراً ذهب إلى بقال وسأله ما ثمن الجوز؟ قال: كل ألف جوزة بعشرة دراهم. سأل: فما ثمن المئة؟ قال: درهم واحد. سأل: ما ثمن العشرة؟ قال: عشر الدرهم. حتى سأله عن ثمن الجوزة الواحدة. فقال: لا قيمة لها. قال الطرار: فان كان

كـذلك فاعطنى واحـدة. فأعطاه. ثم عاد وطلب واحـدة. فاعطاه ثم عاد ثالثة وسأله واحدة. وهنا إلتفت إليه البقال وسأله: من أين أنت؟ أجاب: من بلـدة فلان. فقال: أيها الماكر، إذهب واخدع غيرى (أتريد أن تقتنى متاعى بالمكر والخداع) وهكذا يقوم بعض الجهال من أهل الغفلـة بهـدم ساعات عمرهم ولحظاته بالمكر والخـداع وبالطبع فهم لايخدعون سوى أنفسـهم فيضـيعون هذا العمر الذى لا تعدله قيمة. ثم قال عليه السلام:

«و إنّ غائباً يحدوهالجديدان: اللّيل والنّهار،

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۹

لحرىٌّ بسرعة الْأَوْبة»[۳۸]

والمراد بالغـائب هنا الأجل، وكأنّه الناقـة السـريعة الجادة فى الحركـة حيث يجـدبها الجديـدان الليل والنهار وهما بمثابـة الراعى الـذى يحـدوها إلى الحركـة، ومن الطبيعى أن هـذه الناقـة- الأجل- سـتصل بسـرعة إلى هـذا الإنسان، أمّا التعبير بالجديدين عن الليل والنهار وذلك لتجددهما على الدوام واسـتبدال أحدهما بألآخر، والتعبير بالاوبة التى تعنى الرجوع، واستنادا إلى القرآن الكريم والأدلة الحسية واليقينية فى أن الإنسان كان فى البداية مادة خالية من الحياة، ثم دبت فيه هذه الحياة، وأخيراً سيعود إلى ما كان حين الموت، ثم يبعث وتدب فيه الحياة من جديد باذن اللّه: «كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَكُنْتُمْ أمْواتاً فَأَحْياكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ»[۳۹] وقد ورد هذا المعنى فى قصار حكم نهج‌البلاغة

«إذا كنت فى إدبارٍ والموت فى إقبالٍ فما أسرع الملتقى»[۴۰]

. هذا وقد فسر بعض شرّاح نهج‌البلاغة الغائب فى العبارة بالإنسان لأنّه غاب عن وطنه ومنزله الأصلى الآخرة والتى يجب عليه الرجوع إليها، والليل والنهار يسوقانه سـريعاً إلى ذلك المنزل. ويبدو أنّ هذا التفسير ينسجم والقول: «إِنّا لِلّهِ وَإِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ»[۴۱] وما ورد فى وصية أميرالمؤمنين عليه السلام لولده الحسن:

«و اعلم يا بنىّ أنّ من كانت مطيّته اللّيل والنّهار، فإنّه يساربه وإن كان واقفاً، ويقطع المسافة وإن كان مقيماً وادعاً»[۴۲]

. الّا أنّ الـذى يبعـد هـذا التفسير هو عدم خلوه من التكلف فى تفسير الغائب بالإنسان، أمّا تفسيره بالأجل يبدوا أقرب وأنسب ثم قال عليه السلام:

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۰

«و إنّ قادماً يقدم بالفوز أو الشّقوة لمستحقٌّ لِأفضلِ العدّةِ»

ومن الواضـح أنّ المراد بالقادم هنا الإنسان الذى ينطلق فى حركته من الدنيا إلى الآخرة ولا يحمل سوى السـعادة أو الشـقاء، فما أحراه أن يتزود بخير العـدة وأفضل الزاد ليفوز بسـعادة تلك الدار. وذهب بعض الشـرّاح إلى أنّ المراد بالقادم هنا الموت وأجل الإنسان وانّه يرد بالسـعادة أو الشقاء، فعليه أن يتأهب كأفضل ما ينبغى له ليفوز بالسعادة. ويرجح هذا التفسير على سابقه لأنّه ينسجم ومفهوم العبارة السابقة

«و إنّ غائباً ...»

والمراد بأفضل العدّة التقوى، التى أشار إليها القرآن بفضـلها خير الزاد «وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزّادِ التَّقْوى [۴۳]. ومن هنا خلص الإمام عليه السلام إلى هذه النتيجة

«فتزوّدوا فى الدّنيا من الدّنيا ما تحرزون به أنفسكم غداً»

فى إشارة إلى أنّ ما فى الـدنيا يمكنه أن يكون تلك المعنويـة فى الآخرة، وهل المعنويات هناك سوى الاعمال الصالحـة هنا والتقوى والورع الـتى عـدت خير الزاد، فكمـا أنّ الزاد الـدنيوى يقى المسـافر من خطرات الموت والجوع وآفـات السـفر، فكـذلك زاد التقوى بالنسبة للاخرة وهذا ما ورد التأكيد عليه فى الروايات، فقد جاء فى الحديث أنّ علياً عليه السلام قال:

«التّقوى حرزٌ لمن عمل بها»[۴۴]

وقال فی موضع آخر:

«التّقوى حصنٌ حصينٌ لمن لجأ إليها»[۴۵]

وقال:

«إلجأوا إلى التّقوى فإنّه جنّةٌ منيعةٌ»[۴۶].

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۱

القسم الثالث: الإنسان والغفلة

اشارة

«فاتَّقَى عَبْدٌ رَبَّهُ، نَصَحَ نَفْسَهُ، وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ، وَغَلَبَ شَهْوَتَهُ، فَإِنَّ أَجَلَهُ مَسْتُورٌ عَنْهُ، وَأَمَلَهُ خَادِعٌ لَهُ، وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ، يُزَيِّنُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِيَرْكَبَها، وَيُمَنِّيهِ التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَها، إذا هَجَمَتْ مَنِيَّتُهُ عَلَيْهِ أَغْفَلَ ما يَكُونُ عَنْها؛ فَيا لَها حَسْرَةً عَلَى كُلِّ ذِى غَفْلَةٍ أَنْ يَكُونَ عُمُرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً وَأَنْ تُؤَدِّيَهُ أَيَّامُهُ إِلَى الشِّقْوَةِ! نَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحانَهُ أَنْ يَجْعَلَنا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ لا تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ وَلا تُقَصِّرُ تقتصروا بِهِ عَنْ طاعَةِ رَبِّهِ غايَةٌ وَلا تَحُلُّ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ نَدامَةٌ وَلا كَآبَةٌ».

الشرح والتفسير

قال الإمام علیه السلام مستهلا قوله بفاء التفريع كنتيجة لما سبق:

«فاتّقى عبدٌ ربّه، نصح نفسه، وقدّم توبته، وغلب شهوته»[۴۷]

فقد أوصى علیه السلام بالتقوى كتوضيح لقوله علیه السلام:

«فتزوّدوا فى الدّنيا»؛

لأنّها خير الزاد إلى المعاد، ثم خاض فى التفاصيل بثلاث عبارات: الاولى نصح النفس ومن ثم التوبة وأخيرا غلبة الشهوة والتى تمثل بمجموعها وصفة كاملة لسعادة البشرية؛ البشرية التى قد تغفل عن نصح نفسها ولا تفكر فى التوبة وتدارك ما فرط منها؛ الأمر الذى يجعلها أسيرة أهوائها وشهواتها. ثم تطرق علیه السلام إلى موضوع يمثل الدليل على ما ورد سابقاً

«فإنّ أجله مستورٌ عنه، وأمله خادعٌ له، والشّيطان موكّلٌ به، يزيّن له المعصية ليركبها، يمنّيه

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۲

التّوبة ليسوّفها[۴۸] إذا هجمت منيّته عليه أغفل ما يكون عنها»

واستناد إلى أنّ جملة

«أغفل ما يكون عنها»

حالية فمفهوم العبارة هو أنّ مثل هذا الإنسان الأسير للشهوات والوساوس الشيطانية يكون فى أشد مراحل الغفلة إذا هجم عليه الموت، فان فتح عينه وأفاق إلى نفسه لايرى أمامه إلّاالأجل وقد سبق السيف العذل. كما يحتمل إلّاتكون إذا شرطية فى العبارة وتفيد المفاجئة والمباغتة، فيكون مفهوم العبارة

«يباغته الموت، وهو فى أشد حالات الغفلة»

وبالطبع فانّ نتيجة كلا التعبيرين واحدة وهى حلول الموت دون الاستعداد له. ثم واصل الإمام علیه السلام كلامه قائلًا:

«فيالها حسرةً على كلّ ذى غفلةٍ أن يكون عمره عليه حجّةً، وأن تؤدّيه أيّامه إلى الشّقوة!»

. أجل ليس هناك رأس مال أعظم من ساعات عمر الإنسان وأيامه، فلعل ساعة من الساعات تقود الإنسان إلى ذروة الكمال والعظمة والمجد فيخرج الإنسان فيها على غرار الحربن يزيد الرياحى من زمرة الأشقياء ليلتحق بصفوف الصالحين والشهداء. أو يغتنم لحظة فيسدد ضربة موجعة لجسد الكفر بحيث يكون ثوابها أفضل من عبادة الثقلين، (كما صرح بذلك رسولاللَّه صلى الله عليه و آله بشأن ضربة على عليه السلام يوم الخندق)، أو يبيت ليلة على فراش ليكسب تجارة عظيمة الربح والفائدة، كالليلة التى بات فيها أميرالمؤمنين على عليه السلام على فراش رسولاللَّه صلى الله عليه و آله ليلة الهجرة. فلو غفل الإنسان عن قيمة هذه الساعات وا للحظات فى حياته ولم يستثمرها بما يعادلها، أفلا يدعو ذلك إلى الاسى والحزن، ومن هنا أعرب الإمام عليه السلام عن أسفه وعمق حسرته على مثل هذا الإنسان وأخيراً يختتم الإمام عليه السلام خطبته بهذا الدعاء العظيم:

«نسأل اللّه سبحانه أن يجعلنا وإيّاكم ممّن لَاتبطره ۴۹] نعمَةٌ وَلَا تقَصّر به عن طاعة ربّه غايةٌ، ولَاتَحلّ به بَعدَ المَوت نَدَامَةٌ وَلَا كَآبَةٌ[۵۰]».

فالإمام عليه السلام يعلم الجميع ثلاثة دروس بهذه العبارت التى أوردها بصيغة الدعاء: الأول

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۳

الحذر من الغرور والسكر عند النعمة، الثانى الحذر من الأهداف المادية التى تصد عن طاعة اللَّه والثالث التحذير من عدم التزود للآخرة والشعور بالندم والخيبة والخسران حين حلول الأجل.

تأمّلات

۱- فلسفة خفاء الموت

لقد أشارت الخطبة إلى أحد الأسرار المهمّة للخلق والذى يكمن فى خفاء الموت

«فإنّ أجله مستورٌ عنه»؛

فلا أحد يعلم هل سيبقى حياً إلى ساعة أخرى أم سيموت؟ فهو اليوم مخبر وغدا يخبر عنه، وهو اليوم فى مجلس عزاء صاحبه، وغدا صحبه فى مجلس العزاء الذى يقام على روحه. وممّا لاشك فيه أنّ عمر الإنسان إذا إتضح لصاحبه جرماً لايخفى من المفاسد؛ الأمر الذى أشار إليه الإمام الصادق عليه السلام فى توحيد مفضل المعروف: تأمل الان يا مفضل ماسترى الإنسان علمه عن مدة حياته فانّه لو عرف مقدار عمره وكان قصير العمر لم يتهنأ بالعيش مع ترقب الموت وتوقعه لوقت قد عرفه، بل كان يكون بمنزلة من قد فنى ماله أو قارب الفناء فقد استشعر الفقر والوجل من فناء ماله وخوف الفقر، على أنّ الذى يدخل على الإنسان من فناء العمر أعظم مما يدخل عليه من فناء المال لأنّ من يقل ماله يأمل أن يستخلف منه فيسكن إلى ذلك، ومن أيقن بفناء العمر إستحكم عليه اليأس وإن كان طويل العمر ثم عرف ذلك وثق بالبقاء وانهمك فى اللذات والمعاصى وعل على أنّه يبلغ من ذلك شهوته ثم يتوب فى آخر عمره، وهذا مذهب لا يرضاه اللَّه من عباده ولا يقبله (ومن هنا حجب الإنسان عن معرفة العمر ليعيش دائما بين الخوف والرجاء).[۵۱]

۲- الاغترار بالامانى

أشار الإمام عليه السلام فى الخطبة إلى الآمال والاغترار بها فقال عليه السلام:

«و أمله خادعٌ له».

والسؤال

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۴

الذى يطرح نفسه هنا: لماذا وكيف تخدع المال الإنسان فيعيش أفضل ساعات عمره فى الوهم والخيال الفارغ؟ ونقول فى الجواب أنّ

دائرة الآمال ليست محدودة قط، فالكثير يعتقد أنّه سينام مطمئن البال من ناحية السكن على الدوام إذا ما حصل على دار متواضعة، فلا تمر عليه مدّة حتى يراها صغيرة ضيقة، فاذا إنتقل إلى دار أوسع رآها هى الاخرى لا تتناسب وشأنه، بل هنالك الكثير من الأفراد الذين يمتلكون القصور ولم تظمأ جذوة عطشهم المتقدة دائما فما زالوا يطمحون إلى قصر أفخم وأعظم. وزبدة الكلام فلو اعطى الإنسان جبلين من ذهب لابتغى لهما ثالثاً. وبالطبع لا تقتصر هذه الامال على مجال دون آخر، بل هى عامة وشاملة لا تدع صاحبها يستريح ولو لبرهة فتهدر جميع طاقاته وتبدد قواه وتشدها إليه، والحال ليست هذه الآمال سوى خيالات موهومة كاذبة والتى وصفها الإمام عليه السلام بالخادعة.

۳- تزيين الشيطان

من النقاط المهمّة التى أشارت إليها الخطبة تزيين الشيطان للذنوب والمعاصى، وهذا ما نوه إليه القرآن الكريم فى الآية الثالثة والاربعين من سورة الانعام بشأن الامم السابقة: «وَلكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ ما كانُوا يَعْمَلُونَ»[۵۲]. كما ورد فى سورة الحجر على لسان الشيطان حين لعنه اللّه وطرده من رحمته وتصدى لمعاداة بنى آدم وإغوائهم: «لَأُزَيِّنَنَّ لَهُم فِي الأَرضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ* إِلّا عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ»[۵۳]. ويحصل هذا التزيين الشيطانى الباطل والوسوسة لمقارفة اللذات واضفاء طابع الحلاوة على بعض الخطايا وهنا يبدأ إمتحان الإنسان فى كيفية التعامل مع هذه الملذات العابرة التى تنتهى لذتها وتبقى تبعتها.

وهنا يبرز هذا السؤال وهو أنّ بعض الآيات القرآنية نسبت إلى اللّه تزيين هذه الأعمال، فكيف التوفيق بين هذه الآيات وتلك التى ذكرت سابقا؟ يتضح الجواب على هذا السؤال من الآية الرابعة من سورة النمل التى قالت: «إنّ الّذين لايؤمنون بالآخرة زيّنّا لهم أعمالهم فهميع مهون». فالآية تشير إلى أنّ هذا التزيين الإلهى يمثل نوعاً من العقاب لُاولئك الأفراد

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۵

المنحرفين المجانبين للإيمان، وبعبارة أخرى فان أعمالهم كانت مدعاة لأن يتركهم اللّه ليقعوا فى مخالب الشيطان فلايوليهم دعمه وإسناده. وبناءاً على ذلك فانّ الطائفتين من الآيات تشيران إلى حقيقة واحدة، ولعل هذا هو المعنى الذى أشار إليه الإمام عليه السلام بقوله:

«و الشّيطان موكّلٌ به، يزيّن له المعصية ليركبها».

۴- عمر الإنسان حجّة عليه

حجّية العمر واحدة من الامور التى أشارت إليها خطبة الإمام عليه السلام. فكيف يكون عمر الإنسان حجّة عليه؟ يبدو أنّ اللّه سبحانه وتعالى يلقن الإنسان طيلة عمره مجموعة كافية من العبر والدروس والحوادث التى تثير لديه حس الوعى واليقظة، إلى جانب الوصايا والتعاليم التى يحملها إليه أنبياء اللّه وأوصيائهم. ومن هنا صرح القرآن الكريم بأنّ أصحاب النار حين يصطرخون إلى اللّه بأخراجهم من النار ليعملوا صالحاً:

«وهم يصطرخون فيها ربّنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذى كنّا نعمل»

يخاطبون: «أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ ما يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجاءَكُمُ النَّذِيرُ».[۵۴]

۵- سكر النعم

المسألة الأخيرة التى تعرضت لها الخطبة، هى تلك الظاهرة التى تعترى بعض الأفراد الضحلين من جراء وفور النعمة والتى عبرت عنها

الخطبة بالبطر؛ الأمر الذى أشار إليه القرآن فى الآية السابعة والأربعين من سورة الانفال: «وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بَطَراً وَرِئاءَ النّاسِ» وكما ذكرنا آنفا فان المراد بالبطر هنا طغيان الإنسان إثر وفور النعم بما يجعله يهتك حجاب الورع والتقوى وطاعة الحق سبحانه، وهى الحالة التى غالباً ما يعيشها الأفراد من أصحاب النعمة البعيدين عن معانى الإيمان والاتزان فى الشخصية؛ فيعيش حالة من الغرور والسكر بما يجعل من المتعذر عليه السيطرة على نفسه والحد من طغيانها وجماحها،

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۶

وهذا ما يؤدى به فى خاتمة المطاف إلى الذلة والهوان، ومن هنا جاء فى الحديث عن الإمام على عليه السلام انّه قال:

«ينبغى للعاقل أن يحترز من سكر المال وسكر القدرة وسكر العلم وسكر المدح وسكر الشّباب»

ثم يختتم هذا الحديث بقوله:

«فإنّ لكلّ ذلك رياحاً خبيثةً تسلب العقل وتستخّف الوقار»[۵۵]

. نعم سكر هذه الامور أثقل من سكر الخمرة وأصعب إفاقة منه، فسكر الخمرة قد لايستغرق أكثر من ليلة، بينما قد يمتد سكر الامور الآنفة الذكر طيلة عمر الإنسان.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۷

الخطبة[۵۶] الخامسة و الستون

اشارة

ومن خطبة له عليه السلام

وفيها مباحث لطيفة من العلم الإلهى

نظرة إلى الخطبة

لما كان ذكر اللَّه والتوجه إلى اللَّه بأسمائه وصفاته يلهم الإنسان القوة والصمود ويدعوه إلى ممارسة مسؤوليته فى جهاد العدو، فأنّ الإمام عليه السلام لاينفك قبل القتال وخلاله من توجيه الامّة نحو اللَّه وصفاته الجلالية والجمالية، ومن ذلك هذه الخطبة التى خطبها الإمام عليه السلام على أعتاب قتاله لمعاوية ورهطه من أهل الشام، والتى يذكر فيها صفات اللَّه عامة ولا سيما بشأن العلم والقدرة بهدف تفعيل قوة الامّة وتعبئة طاقاتها فى ظل الالتفات إلى هذه الصفات.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۹

القسم الأول: الحمد والثناء

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَمْ تَسْبِقْ لَهُ حالٌ حالًا، فَيَكُونَ أَوَّلًا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ آخِراً، يَكُونَ ظاهِراً قَبْلَ أَنْ يَكُونَ باطِناً، كُلُّ مُسَمًّى بِالْوَحْدَةِ غَيْرُهُ قَلِيلٌ، وَكُلُّ عَزِيزٍ غَيْرَهُ ذَلِيلٌ، وَكُلُّ قَوِىٍّ غَيْرَهُ ضَعِيفٌ، وَكُلُّ مالِكٍ غَيْرَهُ مَمْلُوكٌ، وَكُلُّ عالِمٍ غَيْرَهُ مُتَعَلِّمٌ، وَكُلُّ قادِرٍ غَيْرَهُ يَقْدِرُ وَيَعْجَزُ، وَكُلُّ سَمِيعٍ غَيْرَهُ يَصَمُّ عَنْ لَطِيفِ الْأَصْواتِ، وَيُصِمُّهُ كَبِيرُها، وَيَذْهَبُ عَنْهُ ما بَعُدَ مِنْها، وَكُلُّ بَصِيرٍ غَيْرَهُ يَعْمَى عَنْ خَفِيِّ الْأَلْوانِ وَلَطِيفِ الْأَجْسامِ، وَكُلُّ ظاهِرٍ غَيْرَهُ باطِنٌ، وَكُلُّ باطِنٍ غَيْرَهُ غَيْرُ ظاهِرٍ».

الشرح والتفسير

لابدّ من الالتفات إلى مسألة فى بحث الصفات حيث تقود الغفلة عنها إلى الغواية والضلال وهى أنّ صفات جمال اللَّه وجلاله ليست

لها أى شبه بصفات المخلوقات. فمن صفاته العلم والقدرة إلّاأنها ليست من قبيل علمنا وقدرتنا، إنّه سميع وبصير ولكن ليس كسمعنا وبصرنا، وذلك لأنّ ذاته لامتناهية من جميع الجهات وهى تفوق الجسم والعوارض الجسمانية، ومن هنا تطالعنا الاعاجيب حين نرد بحث الصفات الربوبية، ومن ذلك على سبيل المثال أنّ الصفات المتضادة فى عالم المخلوقات، تكون إلى جانب بعضها البعض الاخر فى العالم الربوبى. فالأول فى عالم المخلوقات مثلًا ليس آخر، والآخر ليس أول، والظاهر ليس باطن، والباطن ليس ظاهر، بينما تتصف الذات الإلهية المقدسة بأنّها ظاهرة وباطنة وأولى وآخرة. أضف إلى ذلك فالصفات فى عالم المخلوقات تظهر الواحدة بعد الاخرى بالتدريج ثم تتبلور وتتكامل، أمّا الصفات

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۴۰

الإلهية فلا تعرف المسيرة التدريجية ولا التقدم والتأخر. فقد إستهل عليه السلام الخطبة بالإشارة إلى هذا الأمر

«الحمدللّه الّذى لم تسبق له حالٌ حالًا، فيكون أوّلًا قبل أن يكون آخراً، ويكون ظاهراً قبل أن يكون باطناً»

ومن هنا فليس هنا لك من وجود قبله ولا بعده، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم: «هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظّاهِرُ وَالباطِنُ»،[۵۷] كما قال: «لا إِلهَ إِلّا هُوَ كُلُّ شَىءٍ هالِكٌ إِلّا وَجْهَهُ»[۵۸]. فالحق أنّ الوجود الأزلى والأبدى ليس له من أول ولا آخر، ولا يعنى نعته بالأول والآخر سوى أنّ جميع المخلوقات متوقفة فى وجودها عليه سواء فى بداية ظهورها أو فى إستمرار حياتها. أمّا وصفه بالظاهر والباطن فيعنى أنّ أصل وجوده وصفاته أظهر من كل شيئ، وذلك لأنّ الأدلة على وجوده وصفاته تصل إلى عدد النجوم والكواكب والكائنات الحية وأوراق الأشجار وحصى الصحارى، بل بعدد ذرات العالم التى يعجز عن علمها وتصورها أحد غيره؛ ولكن لما كانت الذات الإلهية لامتناهية ولا يسع أحد تصورها كما هى:

«لاستحالة احاطة المحدود باللامحدود»

فانّ هذه الذات خفية على جميع الناس بما فيهم الأنبياء والأوصياء والأولياء، وحيث إنّ الناس يتعرفون بادئ ذى بدء على آثاره فى دائرة الوجود ثم يلتفتون إلى ذاته المقدسة فانّه يمكن القول: إنّه ظاهر قبل أن يكون باطن، وحسب تعبير بعض الفلاسفة المسلمين:

«خفاؤه لشدّة ظهوره»

. أوليست الشمس التى تمثل إحدى مخلوقاته خفية لشدّة ظهورها؟ وهل من السهل على الإنسان النظر إلى قرص الشمس. ثم إنتقل الإمام عليه السلام إلى المقارنة بين عشر من صفات الكمال والجمال مع شبيهاتها لدى المخلوقات ليثبت عمق الفارق بينها وأنّ حقيقة الكمال مقتصرة على ذاته، وكل ما سواه رصيده العيب والنقص فقال عليه السلام:

«كل مسمى بالوحدة غير قليل»

فالعبارة اشارة إلى نقطة مهمّة وظريفة فى باب توحيد الصفات والذات، لأنّ وحدته تفيد كون ذاته وصفاته لامتناهية، وتعنى عدم وجود الند والشبيه، أمّا الوحدة فى المخلوقات فهى وحدة عددية وتطلق فى مقابل الكثرة، وبالطبع فانّ هذه الوحدة تفيد القلة، بينما تشير وحدته إلى عظم وجوده الذى يتجاوز حدود الزمان والمكان وفى تفس الوقت هو فى كل زمان ومكان، وهذا ما

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۴۱

أشارت إليه الخطبة من أنّ أوصافه غير أوصاف مخلوقاته، فاذا كانت الوحدة بالنسبة للمخلوقات تفيد القلة، فهى تفيد الكثرة والعظمة بالنسبة للّه. فقد جاء فى توحيد الصدوق:

إنّ إعرابياً قام يوم الجمل إلى أميرالمؤمنين عليه السلام فقال: يا أميرالمؤمنين أتقول إنّ اللّه واحد؟ قال فحمل الناس عليه وقالوا: يا أعرابى أما ترى ما فيه أميرالمؤمنين من تقسم القلب؟ فقال أميرالمؤمنين عليه السلام دعوه فانّ الذى يريده الأعرابى هو الذى نريده من القوم، ثم قال:

يا أعرابى إن القول فى أنّ اللّه واحد على أربعة أقسام، فوجهان منها لا يجوزان على اللّه عزوجل، ووجهان يثبتان فيه، فأمّا اللذان

لايجوزان عليه فقول القائل: واحد يقصد به باب الاعداد فهذا ما لايجوز، لأنّ مالا ثانى له لايدخل فى باب الأعدد أمّا ترى أنّه كفر من قال ثالث ثلاثـة، وقول القائل هو واحد من الناس يريد به النوع من الجنس فهذا ما لا يجوز لأنّه تشبيه وجلّ ربّنا وتعالى عن ذلك وأما الوجهان اللذان يثبتان فيه فقول القائل: هو واحد ليس له فى الأشياء شبه كذلك ربّنا،[٥٩]

وقول القائـل: إنّه عزّوجلّ أحـدى المعنى يعنى به أنّه لاينقسم فى وجود ولا عقل ولاوهم كـذلك ربّنا عزّوجلّ ثم قال عليه السـلام فى بيان الصفة الثانية:

«وكل عزيز غيره ذليل»

فالعزّة سواء كانت بمعنى القـدرة القاهرة أو الحرمـة والعظمـة فهى لا تليق سوى بذاته المقدسة، ولأنّ غيره من الملوك وإن كان عزيزاً فهو ذليل فى قبضـة قوانين عالم الخلقـة والقضاء والقـدر، أضف إلى ذلك فالجميع محتاج إلى الذات الإلهية، كما أنّ عزته ذاتية وعزة من سواه عرضـية متوقفـة على تلك الـذات، ومن هنا فليس لأحـد من الموجودات إمكانية الوقوف أمام هذه العزة، ولكل عزته بمقدار قربه من تلـك العزة المطلقـة؛ الأمر الـذى أشـار إليه القرآن الكريم بـالقول: «أَيَبْتَغُـونَ عِنْـدَهُمُ العِزَّةَ فَـإِنَّ العِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعـاً»[٦٠]، والآية العاشرة من سورة فاطر: «مَنْ كانَ يُرِيدُ العِزَّةَ فَلِلَّهِ العِزَّةُ جَمِيعاً». ثم قال فى الصفة الثالثة:

«وكل قوى غيره ضعيف»

لأنّ القوة فى عالم المخلوقات نسبيـة؛ فكل كائن قوى إذا ما قورن بمن دونه وضـعيف بالنسـبة لمن فوقه، وهكذا الأمر حتى ننتهى إلى الذات المقدسة، فهناك القوة اللامتناهية التى

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٤٢

لايتصور قوة أعظم منهـا لتقـارن بهـا. ومن هنا فان أقوى الأفراد قـد يهزم أمام أضـعف ا لمخلوقات من قبيل الذبابـة أو النملـة أو حتى المكروب الـذى تصـعب مشاهـدته بـالعين المجردة بحيث يمرض الإنسان بمرض يعيى الأطباء عن علاجه، وعليه فوصف ما سوى اللّه بالقوة إنّما هو وصف مجازى والقوى بالمعنى الحقيقى هو اللّه. وهذا ما أكدته الآية ١٦٥ من سورة البقرة:

«أَنَّ القُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً» وقال فى الصفة الرابعة:

«وكل مالك غيره مملوك»

لأنّ الملكيـة الحقيقـة تنبع من الخلقـة؛ فالمالك الحقيقى من خلق كافة الكائنات التى لا تحتاج إليه فى بداية خلقها فحسب، بل تحتاج إليه فى بقائها واسـتمرار حياتها. ومن هنا فان ملكيـة غير اللّه اعتباريـة ومجازية، وبعبارة اخرى: إذا ملكنا شـيئاً فأنّ اللّه هو الذى ملكناه، وإلّا فلا يملك أحد حتى النبى الأكرم صـلى الله عليه و آله شيئاً، ومن هنا قال: «لا أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرّاً وَلا نَفْعاً إِلّا ما شاءَ اللَّهُ»[٦١]، كما صرحت الآية ٢٦، من سورة آل‌عمران: «قُلِ اللَّهُمَّ مالِكَ المُلْكِ تُؤْتِى المُلْكَ مَنْ تَشاءُ وَتَنْزِعُ المُلْكَ مِمَّنْ تَشاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشاءُ بِيَدِكَ الخَيْرُ إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَىءٍ قَدِيرٌ».

وقال فى الصفة الخامسة

«وكل عالم غيره متعلم»

لأنّ علمه سبحانه ذاتى وهو الـذى يفيض العلوم على النفوس، وعليه فلم يسبق بجهل ليعلم وليس لعمله من حدود، بل علمه عين ذاته لامتنـاهى؛ بينما لكل ما سواه علم مبسوق بجهل. فلم يكن للإنسان علم حين لم يكن موجودا، فلم وجـد أودع اللّه فطرته بعض العلوم، كما حصل على بعض العلوم أيضاً عن طريق الحس والتجربة، كما تعلم على يد الآخرين، والأنواع الثلاثة تشكل نوعا من أنواع التعلم، وعليه فجميع العلماء- سوى اللّه- متعلمون، والذات الإلهية فقط الموصوفة بالعلم الازلى اللامتناهى. القرآن الكريم من جنبه قال: «وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ»[٦٢] وقال فى الصفة السادسة:

«وكل قادر غيره يقدر ويعجز»

ودليل ذلك عدم تناهى ذاته ومحدودية ماسواه، فلما كانت قدرته عين ذاته فهى مطلقة لامتناهية، أمّا غيره فقدرته محدودة مهما كان، وعليه فهو يقدر على بعض الأشياء ويعجز من غيرها، بل قد يقوى على القيام بأمر فى ظروف ويعجز عن

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۴۳

القيام به فى اخرى ومن هنا نقف على زيف المغالطة التى تتساءل إذا كانت قدرة اللّه مطلقة إلى هذا الحد فهل يسعه أن يحصر هذا العالم فى بيضة دون أن يصغر شئ من العالم أو تكبر البيضة، فالسؤال خاطئ، لأنّ مفهومه هل يستطيع اللّه أن يكبر الدنيا وتكون البيضة بهذا الحجم ويكبرها لتسع الدنيا، بعبارة اخرى كأن السؤال هل أنّ اللّه قادر على أن يصغر الدنيا ولا يصغرها فى نفس الوقت ويجعل البيضة بقدر الدنيا وفى نفس الوقت لايجعلها كذلك؟ ومن الطبيعى ألا يكون هناك جواباً للسؤال الخاطئ. ويبدو أنّ مثل هذا السؤال قد طرح على أميرالمؤمنين عليه السلام:

«هل يقدر ربّك أن يدخل الدّنيا فى بيضةٍ من غير أن تصغر الدّنيا أو تكبر البيضة؟ فقال عليه السلام: إنّ اللّه تبارك وتعالى لا ينسب إلى العجز والّذى ذكرت لايكون»[۶۳]

وزبدة الكلام فانّ قدرة اللّه ذاتية وغير محدودة وأزلية وأبدية، وكل مالغيره منه، وليس له من قدرة سوى ما يفيضها عليه.

وقال فى الصفة السابعة:

«و كلّ سميعٍ غيره، يصّمّ عن لطيف الْأَصْوات ويصمّه كبيرها، ويذهب عنه ما بعد منها»

فالسمع لدى الإنسان إنّما يحصل عن طريق إنتقال الأمواج والذبذبات بواسطة الاذن الخارجية والداخلية والصيوان وطبلة الاذان وسائر أعضائها، ولما كانت هذه الأعضاء محدودة، فانّ سمعه هو الآخر محدود لايسعه إلتقاط كافة الأصوات، وكما صرح بعض العلماء من ذوى الاختصاص بان الاذن لايسعها سماع سوى الاصوات التى تتراوح أطوالها الموجية بى ستة عشر إلى عشرين ألف ذبذبة فى الثانية، أى لايسع الإنسان إدراك ما قلّ عن ست عشرة ذبذبة فى الثانية، كما لا يسعه إدراك ما تجاوز العشرين الف ذبذبة فى الثانية. طبعاً هذه الذبذبات ليست واحدة لدى جميع الكائنات، فهناك بعض الحيوانات التى لها سمع يفوق نيره لدى الإنسان، فهى تسمع حتى الأصوات ذات الأطوال الموجية الأقصر، مع ذلك لايسعها سماع جميع الأصوات. أضف إلى ما تقدم فانّ الأطوال الموجبة إذا بلغت حدا فانّها قد تشق غشاء الاذان وتقضى على حس السمع لديه،

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۴۴

ومن هنا نرى بعض العسكريين يضعون أصابعهم فى آذنهم ويبتعدون عن الأماكن التى يفجرون فيها الأسلحة حذراً على سمعهم. وأخيراً فانّ سمع الإنسان يضعف كلما إبتعد عن مصدر الصوت مهما كان عظيماً، ومن هنا يوصف السمع بالعجز، فالواقع هنالك ما لايحصى من الاصوات التى تحيط بنا إلّاأنا نعجز عن سماعها. أمّا سمع الحق سبحانه فلايحتاج إلى واسطة ووسيلة، وسمعه جزء من علمه، أى أنّه عليم بجميع الأصوات، فلا يحجزه سمع صوت عن آخر، ولا يؤذيه صوت ولايبتعد عنه آخر، وكلها لديه على السواء: «قالَ رَبِّی یَعْلَمُ القَوْلَ فِی السَّماءِ وَالأَرضِ وَهُوَ السَّمِیعُ العَلِیمُ»[۶۴]. وقال فى الصفة الثامنة:

«و كلّ بصيرٍ غيره يعمى عن خفّى الالوان ولطيف الاجسام»

فالباصرة لدى الإنسان وسائر الكائنات تحصل بواسطة العين التى تتشكل من عدّة طبقات لكل منها وظيفة خاصة من قبيل الشبكية والقزحية والبؤبوء التى تتعاضد جميعاً لرؤية الصور فى الخارج، مع ذلك فهناك أنواع من الاشعة التى يتعذر على العين رؤيتها، ناهيك عن إنعدام الرؤية لديها فى الظلام، فى حين لايخفى على اللّه شئ وهو محيط بجميع الأشياء «لَیسَ کَمِثْلِهِ شَیءٌ وَهُوَ السَّمِیعُ البَصِیرُ»[۶۵] فالسمع والبصر الحقيقى إنّما يختص بالذات الإلهية المقدسة وقال فى الصفتين الأخيرتين:

«و كلّ ظاهرٍ غيره باطنٌ، وكلّ باطنٍ غيره غير ظاهرٍ»

وهذه الصفات تستند فى الواقع إلى ذاته اللامتناهية ومحدودية ذوات ما سواه، فلما كانت ذاته القدسية لامتناهية فان آثاره شملت

جميع عالم الوجود وساد ظهوره المطلق كل زمان ومكان، أمّا سائر الكائنات فمهما كان لها من ظهور فهو محدود، ومن هنا يمكن القول بأنّها توصف بالظهور والخفاء، فهناك الكواكب والمجرات التى تفوق بحجمها الشمس وتفوقها نوراً وضوءاً، إلا أنا لانرى لها أى أثر، والعكس صحيح فاذا تجاوزنا قليلًا دائرة المنظومة الشمسية لبدت لنا الشمس باهتة حتى تنعدم بالمرة إضافة إلى ذلك، فانّ كل هناك من ظهور لشىء- مهما كان نسبياً ومحدوداً- فان ذلك ببركة وجود اللّه، وإلّا فجميع الممكنات مظلمة وقاتمة فى ذاتها، ونور اللّه هو الذى يمنحها هذا الظهور، هو بالضبط كذرات الغبار المعلقة فى الهواء المعدومة الرؤية إلّاأنّها تبدو للعيان وتظهر إذا ما

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۴۵

إخترقت أشعة الشمس ادنى ثقب فى الغرفة. أمّا ما قاله الإمام عليه السلام:

«وكل باطن غيره غير ظاهر»

إشارة إلى هذه الحقيقة وهى أنّ الذات الإلهية الخافية على جميع الكائنات بما فيها الأنبياء والأولياء والخارجة حتى عن حدود العقل، إلّاأنّ آثارها قد سادت جميع الوجود بما جعلها ظاهرة، بينما تفتقر سائر الوجودات للظهور إذا كانت خافية باطنة، ولو كانت ظاهرة لما كانت باطنة، فالإنسان مثلًا ليس عارياً إذا كان مستوراً، كما أنّ العارى ليس مستوراً، والذات الإلهية فقط المستورة فى عريها والعارية فى سترها.[۶۶] وقد قال القرآن الكريم فى الآية الثالثة من سورة الحديد «هُوَ الْأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظّاهِرُ وَالباطِنُ».

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۴۷

القسم الثانى: تجليات جلال اللّه وجماله

اشارة

«لَمْ يَخْلُقْ ما خَلَقَهُ لِتَشْدِيدِ سُلْطانٍ، وَلا تَخَوُّفٍ مِنْ عَواقِبِ زَمانٍ، وَلا اسْتِعانَةٍ عَلَى نِدٍّ مُثاوِرٍ، وَلا شَرِيكٍ مُكاثِرٍ، وَلا ضِدٍّ مُنافِرٍ، وَلَكِنْ خَلائِقُ مَرْبُوبُونَ، وَعِبادٌ داخِرُونَ، لَمْ يَحْلُلْ فِى الْأَشْياءِ فَيُقالَ: هُوَ كائِنٌ، وَلَمْ يَنْأَ عَنْها فَيُقالَ: هُوَ مِنْها بائِنٌ، لَمْ يَؤُدْهُ خَلْقُ ما ابْتَدَأَ، وَلا تَدْبِيرُ مَا ذَرَأَ وَلا وَقَفَ بِهِ عَجْزٌ عَمَّا خَلَقَ، وَلا وَلَجَتْ عَلَيْهِ شُبْهَةٌ فِيما قَضَى وَقَدَّرَ، بَلْ قَضاءٌ مُتْقَنٌ، عِلْمٌ مُحْكَمٌ، وَأَمْرٌ مُبْرَمٌ، الْمَأْمُولُ مَعَ النِّقَمِ الْمَرْهُوبُ مَعَ النِّعَمِ».

الشرح والتفسير

يواصل الإمام عليه السلام حديثه عن الصفات الإلهية ذات الأثر التربوى فى حياة الإنسان فقال عليه السلام

«لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطانٍ، ولا تخوّفٍ من عواقب زمانٍ، ولا استعانةٍ على ندٍّ[۶۷] مثاورٍ،[۶۸] ولا شريكٍ مكاثرٍ،[۶۹] ولا ضدٍّ منافرٍ[۷۰]»

، إننا غالباً ما نرتكب بعض الاخطاء بحق صفات الجلال والكمال من جراء مقارنتنا للأشياء بوجودنا وصفاتنا وأفعالنا، فنعتقد مثلًا بأنّ أفعال اللّه على غرار أفعالنا تهدف النفع وقضاء الحاجة، والحال أنّ وجوده مطلق

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۴۸

غنى من جميع الجهات ومن هنا كان جامعاً لجميع الكمالات وليس للنقص والحاجة من سبيل إلى ذاته المقدسة. وبناءاً على ما تقدم فانّ أفعاله ليست من قبيل أفعالنا، ولما كان اللّه فاعلًا حكيماً، فانّ أفعاله منزهة من العبث ولابدّ من تحرى أهداف أفعاله خارج وجوده وبالنظر إلى عباده. والوصف الذى تضمنته العبارة قد أشار إلى هذا الأمر، حيث ينفى عن أفعال الحق سبحانه كافة الأهداف التى تستبطن رفع الحاجة وا لنقص. فهدفنا من أغلب أفعالنا هو مضاعفة قدراتنا واستزادة قوتنا، وأحيانا هدفنا التحسب لبعض المساوئ والعقبات التى قد تلوح فى آفاق مستقبلنا، وقد يكون للهم بالغلبة على من ينشدون ضعفناً أو يهبون لمواجهتنا من نظرائنا، وقد يكن

الوقوف بوجه من ينافسنا من الأفراد الذين يعيشون من حولنا، وأخيراً فقد نهدف إلى ازالة بعض العقبات التى تعترض طريقنا، ومن هنا فان كافة أفعالنا إنّما تفرزها طبيعة مثل هذه الأهداف. أما الوصف الذى أورده الإمام عليه السلام بشأن اللَّه سبحانه إنّما يشير إلى أنّ أفعاله لا تستند لأىمن هذه الأهداف. فليس هنالك من ضعف فى قدرة اللَّه ولا يخشى من أحداث المستقبل، وليس له من شبيه أو نظير يسعه منافسته، وليس له من يطمع فيه من شريك وأخيراً ليس هنالك من موانع أو عقبات تعترض طريقه، وليس لهذه الامور من سبيل إلى ذاته، بل وجودنا الناقص بالذات إنّما يصاب بهذه الامور. وهنا يبرز هذا السؤال وهو إذا كانت جميع هذه الامور منتفية على اللَّه سبحانه، فماهدفه من الخلقة؟ ورد الرد على هذا السؤال فى العبارة اللاحقة من الخطبة

«و لكن خلائق مربوبون، وعبادٌ داخرون»[۷۱]

نعم فليس هدف اللَّه من الخلق تحقيق نفع، بل هدفه الجود على العباد؛ الأمر الذى أكده التعبير

«مربوبون»

فى العبارة الذى يعطى معنى التربية والتكامل، كما أشير إلى المعنى المذكور أيضاً بقوله

«عباد داخرون»

، وذلك لأنّ تكامل الإنسان إنّما يمر عبر عبوديته. وبناءا على هذا فان العباد والمخلوقات ليست شبيهة ومضادة للَّه فقط، بل هى تستفيض من رحمة اللَّه ولطفه وفضله. ثم قال عليه السلام:

«لم يحلل فى الأشياء فيقال: هو كائنٌ،[۷۲] ولمْ ينأ[۷۳] عنها فيقال: هو منها

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۴۹

بائنٌ»،

وبالنظر إلى أنّ الذات اللهية منزهة عن المكان والزمان فان هذين الوصفين يعدان من النتائج الحتمية. فليس هنالك من موضع يحتاج إليه ويحل فيه من تنزهت ذاته وفاقت الزمان والمكان، ومن هنا يتعذر تصور البعد والقرب عليه سبحانه، فكل هذه الامور إنما تصدق على الأشياء المحدودة، فاذا حلت فى مكان قربت من شئ وبعدت عن آخر، أما الذات الإلهية المقدسة فهى مطلقة لامتناهية حاضرة فى كل مكان وهى قريبة من كل شئ ولا يحويها مكان؛ الأمر الذى ورد فى القرآن: «وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ»[۷۴] وجاء فيه أيضاً (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ»[۷۵] وكذلك «وَلِلَّهِ المَشْرِقُ وَالمَغْرِبُ فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ واسِعٌ عَلِيمٌ»[۷۶]. ومن الواضح أن لهذه الصفات الكمالية أثرها البالغ فى تربية الإنسان، حيث يرى اللَّه سبحانه معه أينما كان فيتحرج من مقارفة الذنب والمجاهرة بالمعصية. ثم قال عليه السلام:

«لم يؤده خلق ما ابتدأ، ولا تدبير ماذرأ، ولا وقف به عجزٌ عمّا خلق»

فقد أشارت العبارة إلى بعض الامور المهمة التى تعود جميعاً الى قدرته الازلية. الأول أنّ الخلق الأول الذى يتطلب قدرة أكثر لم يشق عليه سبحانه (لم يؤده من مادة أود على وزن عود بالفتح يعنى الثقل)، والاخر أن ربوبية الخلق وتدبير شؤونه لم يخلق له أية صعوبة أو مشكلة، وأخيرا أن قدرته لم تنفد من جراء خلقه لكل هذا الخلق، بل له أن يخلق مالا نهاية من العوالم بقوله:

«كن» «إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»[۷۷]. ويمكن أن يكون للعبارة الأخيرة معنى آخر وهو أن خلق هذه المخلوقات لم يعجزه عن إدارتها؛ وتكون العبارة فى هذه الحالة تأكيد لما ورد فى العبارة السابقة. وهذه الصفات هى الاخرى نابعة من ذاته اللامتناهية؛ لأنّ العجز والتعب والثقل إنّما يصدق على الذات المحدودة القدرة التى تسعى للقيام بما يفوق

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۵۰

قدرتها؛ وليس هنالك من مفهوم للصغير والكبير والثقيل والخفيف والسهل والصعب على الذات اللامتناهية القدرة- ثم قال عليه السلام:

«ولا ولجت عليه شبهة فيما قضى وقدر، بل قضاء متقن، وعلم محكم، وأمر مبرم»

فالإنسان وبعلمه المحدود قد يتخذ قرارا مهما وحاسما إلّاأنّ تكشف بعض الحقائق قد تثنيه عن ذلك القرار، كما يقف أحياناً على عمق خطأه فلا يواصل الطريق الذى إبتدأه. أمّا من كان علمه أزلى ولا يخفى عليه شئ فى عالم الوجود ولا تتكشف له حقائق جديدة، وله إحاطة تامة وكل زمان ومكان حاضر عنده، فليس من سبيل للشبهة والشك إلى تدبيره وعزمه وتقديره. ونقول مرة أخرى أنّ هذه الصفة تستند إلى كون الذات والصفات الإلهية لامتناهية. ثم يختتم الإمام عليه السلام الخطبة بالقول:

«المأمول مع النّقم، المرهوب مع النّعم»

وهذا ما أشار إليه القرآن مرارا وكرارا ومن ذلك قوله: «فَإِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً* إِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً»[۷۸] وقوله «أَفَأَمِنَ أَهْلُ القُرى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنا بَياتاً وَهُمْ نائِمُونَ* أَوَ أَمِنَ أَهْلُ القُرى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنا ضُحىً وَهُمْ يَلْعَبُونَ»[۷۹]. نعم فان المشاكل مهما بدت معقدة أمكن حلها بلطف اللّه وفضله، والنعم مهما كانت واسعة شاملة فان قبضها ليس صعب على الإرادة الإلهية. وعليه فلا يمكن اليأس عند البلاء والشدة، ولا الغفلة عند الرفاه والنعمة ومن هنا فان المؤمن يعيش الخوف والرجاء على الدوام فى حياته. والصفتان الأخيرتان تستندان أيضاً إلى الذات والصفات اللامتناهية، فلما كانت قدرته لامتناهية فانّ حل الصعاب سهل يسير عليه سبحانه كما يسهل عليه سلب النعم ممن يكفرها. فأدنى زلزال يمكنه أن يقضى على منطقة برمتها، كما أن مرضاً خطيراً يمكنه أن يودى بحياة الالاف بل الملايين من الأفراد، أو أنّ برودة أو حرارة يمكنها أن تميت الاف الأشخاص.

نقطة مهمة: الآثار التربوية لمعرفة الله

مما لا ريب فيه ان معرفة الله سبحانه وتعالى، والاحاطة باسمائه وصفاته، لها أهمية كبيرة،

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۵۱

وكل أحد يجب أن يستفيد أتم الفائدة من هذه المعرفة، وبتعبير آخر «إن نفس المعرفة تمثل الطريق إلى التكامل والقرب من الله سبحانه وتعالى»، ولكن، وفى هذه الحالة يجب أن لا ننسى بأن الاهتمام بصفات الجمال والكمال لها تأثير مهم فى تربية النفوس الانسانية والاتجاه إلى الكمال المطلق، وتسوق الانسان إلى مرحلة الوصول إلى المِثل، ولو كان بدرجات متدنية جداً.

وبعبارة أوضح: عندما نقول بان الله عالم وقادر ومهيمن ونحده لقدرته ونثنى عليه لهيمنة وملكوته، فكيف نرتضى لانفسنا ان نعيش فى جهل مطلق وضعف وعدم مقدرة كاملة؟

ان حمدنا وتقديرنا لله من شأنه أن يزيد فى عزتنا وكمالنا واقتدارنا، ويدعونا إلى الرفعة والمنزلة العالية، وهذا كله فى باب «صفات الذات».

أما عن «صفات الافعال»، فعندما نحمد الله لرحمانيته ورحيميته، ونقول «رَحْمَتُهُ وسِعَت كل شيءٍ»، بل لقول: ان رحمته الخاصة بالرغم من كونها تختص بعباده من أهل التقوى والايمان، الا أن رحمته العامه، تشمل العدو والصديق وان مائدة رحمته ونعمته اللامتناهية وسعت كل شيء.

فكيف يمكننا ان نستفيد من هذه الصفة الرفيعة والسامية، لكننا لا نرحم صديقنا ولا عدونا، بل ان قلوبنا فى بعض الاحيان خالية من أى نوع من الرحمة؟

ومن هنا فان الاهتمام بكافة الصفات الكمالية، سواءً صفات الذات أو صفات الافعال، وهى «الجود والسخاء والمغفرة والعزة والعفو والاحسان، وامثالها» والتى بامكانها ان تكون شعاعاً ينعكس فى وجودنا فيجذبنا اليه.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۵۳

الخطبة[۸۰] السادسة و الستون

اشارة

ومن كلام له عليه السلام

فى تعليم الحرب والمقاتلة

والمشهور أنه قاله لأصحابه ليلة الهرير،[۸۱] أو أول اللقاء بصفين

نظرة إلى الخطبة

بين الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة أساليب الحرب وفنون القتال بعبارات جزلة واضحة إلى جانب التأكيد على القيم الروحية والمثل المعنوية التى تشكل الدافع للقتال وتسوق المقاتل إلى التضحية فى سبيل اللَّه، كما أشار ضمنياً إلى أحداث معركة صفين والوظائف التى ينبغى أن يمارسها المؤمنون فى تلك الواقعة وقد إختلفت أقوال الشراح بشأن زمان الخطبة، فذهب ابن أبى الحديد إلى أنّ الإمام عليه السلام خطبها- حسب أغلب الروايات- ليلة الهرير، بينما ذكر نصربن مزاحم أنّه خطبها أول صفين فى شهر صفر عام ۳۷ ه وروى مؤلف كتاب مصادر نهج‌البلاغة عن الطبرى صاحب كتاب بشارة المصطفى- من علماء القرن السادس للهجرة- أنّ ابن عباس قال: عقم النساء أن يأتين بمثل أميرالمؤمنين على بن أبى‌طالب عليه السلام، ما كشفت النساء ذيولهن

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۵۴

عن مثله، لا واللَّه ما رأيت فارساً يوزن به لرأيته يوما ونحن معه بصفين، وعلى رأسه عمامة سوداء، وكأن عينيه سراجا سليط. تتوقدان من تحتها، يقف على شرذمة شرذمة يخطبهم، حتى إنتهى إلى نفرأنا فيهم، وطلعت خيل لمعاوية تدعى بالكتيبة الشهباء، عشرة الاف دارع على عشرة آلاف أشهب، فاقشعر لها الناس لما رأوها، وانحاز بعضهم إلى بعض، فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: فيما الخنع والنخع- يا أهل العراق- هل هى إلّاأشخاص ماثلة فيها قلوب طائرة لو مستها سيوف أهل الحق لرأيتموها كجراد بقيعة سفته الريح فى يوم عاصف، ألا فاستعشروا الخشية، وتجلببوا السكينة، ادرعوا الصبر، وغضوا الأصوات، وقلقلوا الأسياف فى الأغماد قبل السلة ....[۸۲]

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۵۵

القسم الأول: طائفة من الفنون القتالية

اشارة

«مَعاشِرَ الْمُسْلِمِينَ اسْتَشْعِرُوا الْخَشْيَةَ، وَتَجَلْبَبُوا السَّكِينَةَ، وَعَضُّوا عَلَى النَّواجِذِ، فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ. وَأَكْمِلُوا اللَّأْمَةَ، وَقَلْقِلُوا السُّيُوفَ فِى أَغْمادِها قَبْلَ سَلِّها، وَالْحَظُوا الْخَزْرَ، وَاطْعُنُوا الشَّزْرَ، وَنافِحُوا بِالظُّبَى، وَصِلُوا السُّيُوفَ بِالْخُطا».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة إلى تسعة من أساليب وفنون القتال العملية فى ساحة المعركة فقال عليه السلام:

«معاشر المسلمين استشعروا الخشية، وتجلببوا السّكينة»

إستشعروا من مادة شعار من الثياب ما يكون دون الدثار وهو يلى الجلد، أى اجعلوا الخوف من اللَّه تعالى شعاركم، وتجلببا من مادة جلباب الثوب المشتمل على البدن وعادة ما يطلق على الثوب الذى تستر به المرأة رأسها وعنقها وبعض صدرها وظهرها، وهو أطول من الخمار وأقصر من الرداء. فالأمر الأول الذى يؤكد الإمام عليه السلام وجوب اختلاطه بروح المقاتل وقلبه هو خوف اللَّه وخشيته

والشعور بالمسؤولية تجاه أوامر اللّه فى طاعتها وإمتثالها، ولعل هذا أهم الدوافع التى ينبغى أن يتحلى به المقاتل المؤمن فيمنحه الثبات والصمود تجاه العدو. الأمر الثانى الذى أكده الإمام عليه السلام هو أن يتحلى المقاتل بالسكينة والحلم والوقار، وذلك لأنّ أدنى إضطراب فى ميدان القتال أمام العدو إنّما يكشف عن الضعف والعجز، وهذا ما يجعل العدو فى مطمع من إقتحام الميدان واللجوء إلى الهجوم. والواقع أنّ الأفراد الأقوياء والشجعان يتصفون دائما بالتماسك وضبط النفس، بينما يعيش الضعفاء والجبناء حالة من الاضطراب والقلق على الدوام. وقد قال

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۵۶

القرآن الكريم بشأن السكينة وأهميتها: «هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدادُوا إِيْماناً مَعَ إِيمانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمواتِ وَالأَرْضِ وَكانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً»[۸۳] وهذه السكينة كانت هى العامل الذى وقف وراء إنتصار المسلمين فى كافة الغزوات التى خاضوها ضد معسكر الكفر والشرك، وهى التى شدت أزر النبى صلى الله عليه و آله أثناء تلك الشدائد كدخوله صلى الله عليه و آله إلى غار جبل ثور وكان العدو يقف على باب الغار بحثاً عنه. ثم قال عليه السلام:

«وعضّوا على النّواجذ، فإنّه أنبى ۸۴] للسّيوف عن الهام ۸۵]»

قوله عليه السلام

«عضوا على التواجذ»

جمع ناجذ وهو أقصى الاضراس، وللإنسان أربعة نواجذ فى كل شق، ويسمى الناجذ ضرس الحلم، لأنّه ينبت بعد لبلوغ وكمال العقل، ويقال إنّ العاض على نواجذه ينبو السيف عن هامته نبواماً، وهذا ممّا يساعد التعليل الطبيعى عليه، وذلك أنّه إذا عض على ناجذه تصلبت الأعصاب والعضلات المتصلة بدماغه، وزال عنها الاسترخاء، فكانت على مقاومة السيف أقدر، وكان تأثير السيف فيها أقل وصرح بعض شرّاح البلاغة قائلًا: هذا كلام ليس على حقيقته، بل هو كناية عن الأمر بتسكين القلب وترك اضطرابه واستيلاء الرعدة عليه. ثم قال عليه السلام:

«و أكملوا اللَّأمة»[۸۶]

، اللأمة بالهمزة الدرع، وإكمالها أن يزاد عليها البيضة والسواعد ونحوها، ويجوز أن يعبر باللأمة عن جميع أداة الحرب، كالدرع والرمح والسيف، وأراد الإمام عليه السلام بهذه العبارة:

أكمل السلاح الذى تحاربون العدو به. ثم قال عليه السلام:

«وقلقلوا[۸۷] السّيوف فى أغمادها[۸۸] قبل سلّها»

فالعبارة تنطوى على أهمية قصوى وان بدت صغيرة للوهلة الاولى وذلك لئلا يدوم

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۵۷

مكثها فى الا جفان فيصعب سلها وقت الحاجة إليها، الأمر الذى قد يؤدى إلى بعض الأخطار التى لا يمكن معالجتها فى ساحة الحرب. ثم قال عليه السلام:

«و الحظوا الخزر، واطعنوا الشّزر»

الخزر أن ينظر الإنسان بعينه، وكأنّه ينظر بمؤخرها وهى أمارة الغضب، كما تستعمل أحياناً حين عدم الإكتراث، وقائدة مثل هذا الاسلوب فى ميدان القتال أولًا: إشعال وتأجيج نيران الغضب فى الباطن بحيث تشحذ كافة القوى الداخلية وتتضاعف طاقة الإنسان وقدرته، والآخر أن النظر بكامل العين يدل على الخوف والوهن والعجز، الأمر الذى يجعل العدو أكثر جرأة وجسارة. وشزر على وزن نذر بمعنى الشتت وأكثر ما تستعمل لفظة الشزر فى الطعن عن اليمين والشمال، ولعل الإمام عليه السلام أراد سلب إحساس العدو بالأمن فيما إذا تركزت ضربات المجاهدين على جانب واحد، كما يتأهبوا لتسديد الضربات الاجهاضية. فالواقع إنّ مثل هذه العبارات

تكشف مدى خبرة الإمام عليه السلام بفنون القتال وخطط الحرب. ثم إختتم وصاياه بالقول:

«ونافحوا بالظّبا، وصلوا السّيوف بالخطا»

نافحوا من النفح على وزن الفتح بمعنى النفخ كناية عن شدة الاقتراب من العدو، والظبا طرف السيف وحده، والمراد كافحوا وضاربوا.

والمراد بقوله عليه السلام:

«صلوا السّيوف بالخطا»

أنّ اليد قد لاتكفى أحياناً لضرب العدو بالسيف ولابدّ من التقدم بضع خطوات والضرب بالسيف.

تأمّل: الفنون القتالية فى الماضى والحاضر

تمثل الفنون القتالية فى الوقت الراهن علماً من العلوم المهمّة التى ينبغى تدريسها فى الكليات العسكرية وتعلمها على مدى سنوات وممارستها فى ساحات التدريب، فالواقع أنّ تجاهل مثل هذه الفنون لا يجعل أعظم الجيوش أن تتقدم فى ميادين القتال وإن جهز بأحدث الاسلحة المتطورة. ومن هنا كان أتباع المدرسة الإسلامية مطالبين بتعلم كافة هذه الفنون من أجل الدفاع عن مبادئ الدين ومصالح البلاد، ولعل ذلك يمثل واجباً كفائياً، بل واجباً عينياً.

فمما لاشك فيه أن الأسلحة لم تكن بهذا التعقيد كما لم تكن الفنون والخطط الحربية بهذه الدقة

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۵۸

التى هى عليها اليوم، مع ذلك فقد كانت لتلك الحروب أساليبها وقوانينها التى عرض الإمام عليه السلام بالشرح إليها، والتى تكشف عن مدى خبرة الإمام عليه السلام ومراسه للحرب. ولعل هنالك من يقول أن تعلم فنون القتال إنّما يؤدى إلى سفك المزيد من الدماء، الأمر الذى أكد عكسه فى الوصايا والتعاليم الإسلامية ولا سيما الاوامر الحربية، حيث تحرص هذه التعاليم على الدماء وتدعو إلى الحد قدر المستطاع من سفك الدماء. والجواب إنّ ماورد فى هذه الخطبة أمّا يمثل الامتداد الطبيعى لتلك التعاليم، لأنّ المقاتل إذا ألم باساليب القتال وفنونه أمكنه تحقيق النصر الخاطف السريع على العدو بأقل التضحيات. أضف إلى ذلك فان العدو إذا وقف على قدرة الخصم ومهارته فى فنون القتال واستماتته من أجل الأهداف الإسلامية قد يركع ويستسلم فيرجح السلام على الحرب، الأمر الذى يحسم المعركة ويقلل من سفك الدماء.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۵۹

القسم الثانى: الثبات والمقاومة

وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ بِعَيْنِ اللَّهِ، وَمَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه و آله فَعاوِدُوا الْكَرَّ، واسْتَحْيُوا مِنَ الْفَرِّ، فَإِنَّهُ عَارٌ فِي الْأَعْقَابِ، وَنارٌ يَوْمَ الْحِسابِ وَطِيبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ نَفْساً، وَامْشُوا إِلَى الْمَوْتِ مَشْياً سُجُحاً، وَعَلَيْكُمْ بِهَذا السَّوادِ الْأَعْظَمِ، وَالرِّواقِ الْمُطَنَّبِ، فاضْرِبُوا ثَبَجَهُ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كِسْرِهِ، قَدْ قَدَّمَ لِلْوَثْبَةِ يَداً، وَأَخَّرَ لِلنُّكُوصِ رِجْلًا. فَصَمْداً صَمْداً! حَتَّى يَنْجَلِيَ لَكُمْ عَمُودُ الْحَقِّ «وَ أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمالَكُمْ».

الشرح والتفسير

خاض الإمام عليه السلام فى هذا القسم من الخطبة برفع معنويات جنده وأوصاهم بالثبات فى القتال بغية إستئصال شأفة العدو فقال لهم:

«و اعلموا أنّكم بعين اللّه»

فاذا علم الإنسان أنّه بعين سيده القادر على كل شئ والمحيط به فانه يستلهم منه العزم والقوة وعدم الشعور بالوحدة من جانب، ومن

جانب آخر يلفت نظره إلى عظم المسؤولية والوظيفة التى ينبغى أن ينهض بعبئها. وقد ورد هذا المعنى فى قصة نوح عليه السلام حين أمر بصنع السفينة «وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنا وَوَحْيِنا»[۸۹] فى إشارة إلى أنّ العدو قد يحاول أن يعيقك عن القيام بهذا العمل من خلال السخرية والاستهزاء، أو من خلال ممارسة الحرب الدعائية والضغوط النفسية، فلا تكترث لهذه الامور ولا تخف فانّك تعمل وفق المشيئة الإلهية الغالبة. وهو ذات المعنى الذى ألمحت إليه

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۶۰

الآية الشريفة: «وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنا»[۹۰] فى إطار رباطة جأش النبى الأكرام صلى الله عليه و آله حيال تكالب الأعداء. ثم قال عليه السلام:

«و مع ابن عمّ رسول اللّه»

ابن عمه الموصوف باخوته ووصيه ومن كان يتبعه اتباع الفصيل إثر امه. وعليه فلا ينبغى أن تشعروا بأدنى شك وترديد فى مسيرتكم فاندفعوا بكل ما أوتيتم من قوة لقتال عدوكم، هذا فى الوقت الذى يمثل فيه عدوكم سلالة أعداء رسولاللّه صلى الله عليه و آله، فوالد معاوية هو أبو سفيان الذى كان أعدى أعداء رسولاللّه صلى الله عليه و آله وعليه فهو غاصب للخلافة لابدّ من مقاتلته وإعادته إلى الحق. أمّا تأكيد الإمام عليه السلام على قرابته من النبى صلى الله عليه و آله ورغم كونه أمراً متعارفاً لدى العقلاء- الذين يرون قرابة الشخص أعلمهم بما جاء مالم يقم الدليل على خلافه- إلّا أنّه يمكن أن يكون إشارة إلى حديث الثقلين الذى جعل فيه رسولاللّه صلى الله عليه و آله أهل بيته فى مصاف القرآن ودعا الامّة إلى وصيتين هما فى الواقع بمثابة اللازم والملزوم، فقال:

«فعاودوا الكرّ، واستحيوا من الفرّ، فإنّه عارٌ فى الْأَعْقاب، ونارٌ يوم الحساب»

فالعدو قد لاينهار من كرة واحدة ولابدّ من الكرة تلو الكرة لاضعاف العدو والقضاء عليه من جانب، من جانب آخر لا تحدثوا أنفسكم أبداً بالفرار من جبهات القتال، فانّ ذلك عار يوصم به جبينكم كما تجروه على أعقابكم من بعدكم فان الابناء يعيرون بفرار آبائهم ۹۱]، وبغض النظر عن ذلك فان هذا الفرار سيكون وبالًا عليكم يوم الحساب فتردون النار، لأنّ الفرار من الزحف يعد من الكبائر، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الأمر بقوله: «يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبارَ* وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلّا مُتَحَرِّفاً لِقِتالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلى فِئَةٍ فَقَدْ باءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْواهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ»[۹۲]. ثم يؤكد عليه السلام الجهاد بأمرين من قبيل اللازم والملزوم أيضاً فيقول:

«و طيبوا عن أنفسكم نفساً[۹۳] وامشوا إلى الموت مشياً سجحاً»

سجح على وزن صحف

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۶۱

تعنى المستقيم وهى تستعمل بشأن الطرق المستوية والمستقيمة، ولما كان المشى سهلًا فى مثل هذه الطرق فانّها تطلق على السهل أيضاً. ومن هنا ورد فى المثل العربى المعروف

«ملكت فاسجح».

فالإمام عليه السلام يرى أنّ الشهادة فى سبيل اللّه ضالة أهل الإيمان، فيؤكد عليهم عدم الاكتفاء برفض الخشية والخوف من الشهادة، بل لابدّ من إستقبالها بكل رحابة صدر، فطريقها سهل يسير ولابدّ من ركوبه لمعانقتها. وقد كان الإمام عليه السلام نموذجاً بارزاً لهذا الكلام حتى أقسم قائلًا:

«واللّه لابن ابى‌طالب آنس بالموت من الطفل بثدى أمه»[۹۴]

وهو الذى صرح عند ما ضربه ابن ملجم:

«فزت وربّ الكعبة».

ثم قال عليه السلام فى إشارة إلى مركز تجمع جيش الشام والخيمة التى تربع داخلها معاوية:

«وعليكم بهذا السّواد الْأَعْظم، والرّواق الْمطنّب، فاضْربوا ثبجه»

فقد يطمع العدو وتشتد شوكته لو حمل عليه من هنا هناك مع مراعاة الحذر والاحتياط، وعلى العكس من ذلك لو كانت الحملة مصوبة إلى قلب عسكر العدو لانهارت روحية العدو وتحطمت معنوياته، فانّ الهجوم على المركز يكشف عن مدى القوة والاقتدار، ومن هنا إستفاد الإمام عليه السلام هذه القضية النفية ليأمر جيشه بالهجوم على قلب العدو ومركز قيادته. والسواد الأعظم كناية عن التجمع الكبير الذى يبدو أسوداً من بعيد، والمراد به هنا عسكر الشام. الرواق على وزن كتاب غراب الفسطاط، وهو هنا إشارة إلى الخيمة الكبيرة المضروبة لمعاوية، المطنب المشدود بالأطناب جمع طنب بضمتين وهو حبل يشد به سرادق البيت والثبج بالتحريك الوسط وقوله عليه السلام:

«فاضربوا ثبجه»

تعنى الهجوم على قلب جيش الشام وخيمة معاوية. ثم أورد الإمام عليه السلام الدليل على ما قال:

«فإنّ الشّيطان كامنٌ فى كسره ۹۵] وقد قدّم للوثبة[۹۶] يداً، وأخّر للنّكوص ۹۷] رجلًا»

، والمراد بالشيطان هنا معاوية حيث جمع الأفكار والأعمال الشيطانية بينما ذهب بعض شرّاح نهج‌البلاغة إلى أنّه أراد بالشيطان عمروبن العاص، كما قيل قد يراد به الشيطان الحقيقى

«ابليس»

الذى كان يتلاعب بمعاوية وعسكره آنذاك. وقد صور الإمام عليه السلام بهذه العبارة روحية معاوية الذى كان يعد نفسه للهجوم من جهة وهو يهم بالنكوص والفرار من جهة

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۶۲

اخرى؛ ولا غرو فهذه هو الاسلوب المتبع لدى الساسة الماديين، فليس لهم من هدف مقدس يقاتلون من أجله، ومن هنا يهربون هروب الشاة من الذئب إذا ما جابهتهم ثلة من المؤمنين.

فقد صرح القرآن الكريم بشأن أعوان الشيطان فى مجابهتهم للمؤمنين وكيفية تخلى الشيطان عنهم قائلًا: «وَإِذ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ وَقالَ لا غالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النّاسِ وَإِنِّى جارٌ لَكُمْ فَلَمّا تَراءَتِ الفِئَتانِ نَكَصَ عَلى عَقِبَيْهِ وَقالَ إِنِّى بَرِىءٌ مِنْكُمْ إِنِّى أرى ما لا تَرَوْنَ إِنِّى أَخافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ العِقابِ»[۹۸] ولا يقتصر هذا الأمر على الشيطان- ابليس- فهذا هو ديدن شياطين الانس الذين يزجون باتباعهم فى الأحداث الساخنة ثم يخذلونهم فى الظروف الحرجة. ثم إختتم الإمام عليه السلام خطبته قائلًا:

«فصمداً صمداً![۹۹] حتّى ينجلى لكم عمود الحقّ «وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمالَكُمْ»»

فالواقع إنّ هذه العبارة تمثل نتيجة لما أورده الإمام عليه السلام ودعا إليه صحبه؛ أى أنكم قد وقفتم الآن على التعليمات الكافية والفنون القتالية وكيفية الهجوم على مركز تجمع العدو، فما عليكم إلّاالثبات والصمود والمقاومة لاندحار الباطل وانتصار الحق. ثم يعدهم بالنصر استنادا إلى البشارة التى تضمنتها الآية ۳۵ من سورة محمد صلى الله عليه و آله: «وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمالَكُمْ». وعليه فالخطبة تمثل دروساً عظيمة فى التعرف على أساليب القتال وعناصر النصر دون أن تقتصر على زمان الإمام عليه السلام. ويشير التأريخ إلى مدى التأثير الذى لعبته كلمات الإمام عليه السلام حتى ورد فى كتاب صفين لنصربن مزاحم أنّ الإمام عليه السلام حين أورد هذه الكلمات ودعا صحبه أثناء صفين للهجوم على أهل الشام انطلق أكثر من عشرة الاف خلف الإمام عليه السلام ووثبوا إلى رماحهم وسيوفهم ونبالهم فانقضوا على جند معاوية حتى إقتربوا من خيمته فكاد يقضى عليه لو لاتلك الخدعة التى عمد إليها ابن العاص فى رفع المصاحف على أسنة الرماح.[۱۰۰]

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۶۳

الخطبة[۱۰۱] السابعه و الستون

اشارة

ومن كلام له عليه السلام

قالوا: لما إنتهت إلى أميرالمؤمنين عليه السلام أنباء السقيفة بعد وفاة رسولاللَّه صلى الله عليه و آله قال عليه السلام: ما قالت الانصار؟ قالوا: قالت: منا أمير، ومنكم أمير؛ قال عليه السلام:

نظرة إلى الخطبة

الخطبة تمثل رداً حاسماً على زعمين بشأن خلافة رسولاللَّه صلى الله عليه و آله. الأول وهو اجتماع طائفة من الناس فى سقيفة بنى ساعدة لتعيين الخلافة دون الالتفات إلى وصية النبى صلى الله عليه و آله بهذا الشأن فطالبت الأنصار بالشورى وأن ينتخب منهم أمير وأخر من المهاجرين. ففند الإمام عليه السلام هذا الزعم بحديث عن رسولاللَّه صلى الله عليه و آله. والثانى إستدلال المهاجرين على الأنصار بأحقيتهم بالخلافة. فاستدل عليهم الإمام عليه السلام بنفس إستدلالهم فى أحقية أهل البيت عليه السلام بالخلافة إن كان إستدلالهم صحيحاً.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۶۵

«فَهَلَّا احْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى اللَّه عليه وآله وسلم وَصَّى بِأَنْ يُحْسَنَ إِلَى مُحْسِنِهِمْ وَيُتَجاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ؟ قالُوا: وَما فِي هَذا مِنَ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ؟ فَقالَ عليه السلام: لَوْ كانَ الْإِمامَةُ الامارة فِيهِمْ لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّةُ بِهِمْ، ثُمَّ قالَ عليه السلام: فَماذا قالَتْ قُرَيْشٌ قالُوا احْتَجَّتْ بِأَنَّها شَجَرَةُ الرَّسُولِ صلى الله عليه و آله:

فَقالَ عليه السلام: احْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ وَأَضاعُوا الثَّمَرَةَ».

الشرح والتفسير

الاستدلال المنطقى على الخلافة

أوردنا سابقا أنّ الإمام خطب بهذه الخطبة لما إنتهت إليه أنباء السقيفة وأنّ الأنصار قالت للمهاجرين منا أمير ومنكم أمير، فقال عليه السلام:

«فهلّا احتججتم عليهم بأنَّ رسول اللّه صلَّى اللّه عليه وآله وسلّم وصّى بأن يحسن إلى محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم؟»[۱۰۲]

فاستفسره الحاضرون

«قالوا: وما فى هذا من الحجّة عليهم؟»

فردّ عليهم الإمام عليه السلام:

«فقال:

لوكانت الإمامة فيهم لم تكن الوصيّة بهم»

فمن الواضح أنّ وصية أحد بآخر تفيد أنّ تصريف الامور بيد الموصى إليه، لابيد ذلك الذى أوصى به. بالضبط كالأب الذى يسافر فيوصى ولده الأكبر قائلًا: اوصيك باخوانك خيراً. فمفهوم ذلك أنى فوضتك القيام بالأعمال وأودعتك إخواتك. وعليه فالذى يستفاد من حديث النبى صلى الله عليه و آله أنّ الحكومة ليست للأنصار، إلّا أن أصحاب السقيفة لم يلتفتوا لهذا الأمر وانحوا الأنصار بالقوة عن الخلافة. وقد استدل

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۶۶

المتأخرون بمثل هذا الکلام علی إثبات صحة دعواهم، ومن ذلک ما رواه ابن أبی الحدید قائلًا:

حین توفی سعید بن العاص، دخل إبنه عمرو بن سعید علی معاویة، فسأله معاویة: إلی من أوصی بک أبوک؟ فقال عمرو. لقد أوصی إلیّ ولم یوص بی. فتعجب معاویة من جوابه وقال:

«إنّ هذا الغلام لاشدق»

فعرف منذ ذلک الحین بین الناس بالاشدق أی الخطیب البلیغ. ثم طرح الإمام علیه السلام سؤالًا آخر بهذا الشأن:

«ثمّ قال: فماذا قالت قریشٌ؟»

فردوا علیه:

«قالوا:

احتجّت بأنّها شجرة الرسول صلّی اللّه علیه وآله وسلّم»

فذهب الإمام علیه السلام إلی أنّ ذلک حجة علیهم

«فقال: احتجّوا بالشّجرة، وأضاعوا الثّمرة».

فاذا کانت الشجرة ذات أثر کان ثمرها أعظم أثراً. والعجیب ما أورده الشارح البحرانی الذی أورد احتمالین بشأن المراد بالثمرة فی هذه العبارة: أحدهما علی وأولاده، والاخر السنة النبویة التی توجب استحقاق علی علیه السلام للخلافة والولایة. فمن الواضح أنّ الاحتمال الثانی مستبعد رغم موافقته للاحتمال الأول، فاذا کانت الشجرة ترمز للقرب فان ثمرها یکون أکثر قربا، وعلیه فلیس المراد بهذه الثمرة سوی أهل البیت علیه السلام.

تأمّل: الخلافة وقصة سقیفة بنی‌ساعدة

روی أنّ النبی صلی الله علیه و آله لما قُبِض، اجتمعت الأنصار فی سَقِیفة بنی ساعدة، فقالوا: إنّ رسول‌الله صلی الله علیه و آله قد قبِض، فقال سعد بن عبادة لابنه قیس- أو لبعض بنیه: إنّی لا أستطیعُ أن أُسمِعَ الناسَ کلامی لمرضِی؛ ولکن تلقّ منی قولِی فأسْمِعهم. فکان سعد یتکلّم، ویستمع ابنه ویرفع به صوته لیُسمِع قومَه.

قال الطبری ثم خاطب سعد الانصار وذکرهم بسبقهم إلی الاسلام حین عادته العرب وقد لبث رسول الله صلی الله علیه و آله ثلاث عشرة سنة فی مکة فلم یجبه إلا القلیل، حتی انبریتم للدفاع عن الاسلام ونصرة النبی صلی الله علیه و آله ووقفتم إلی جانب الحق، إلی أن قبض النبی صلی الله علیه و آله وهو راض عنکم فانتم أولی بالخلافة من غیرکم.

فحدثه الحدیث، ففزِع أبو بکر أشدَّ الفزع، وخرجا مسرعیْن إلی سقیفة بنی ساعدة؛ وفیها

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۶۷

رجالٌ من أشراف الأنصار؛ ومعهم سعد بن عبادة فقام أبو بکر فقال: إنّ رسول الله صلی الله علیه و آله لما بُعث عظم علی العرب أن یترکُوا دینَ آبائهم، فخالفوه وشاقّوه، وخصّ الله المهاجرین الأولین من قومِه بتصدیقه‌الإیمان به والمواساة له، والصَّبْر معه علی شِدّة أذی قومه، ولم یستوحشوا لکثرةَ عَدوّهم؛ فهمْ أول مَنْ عَبَد الله فی الأرض، وهم أوّلُ مَنْ آمن برسول الله، وهم أولیاؤهعِتْرته، وأحقّ الناس بالأمر بعده، لا ینازعهم فیه إلّاظالم؛ ولیس أحدٌ بعد المهاجرین فضلًا وقَدَماً فی الإسلام مثلکم؛ فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، لا نمتاز دونَکم بمشورة، ولا نقضی دونکم الامور.

فقامَ الحُباب، وقال:

یا معشر الأنصار، لا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه، فیذهبوا بنصیبکم من الأمر، فإن أبوْا علیکم ما أعطیتموهم فأجلُوهم عن بلادکم،

وتولَّوْا هذا الأمر عليهم، فأنتم أوْلَى الناس بهذا الأمر، إنّه دانَ لهذا الأمر بأسيافكم مَنْ لم يكن يدين له. أنا جُذَيْلُها المحكّك، وعُذَيْقُها المرجَّب، إن شئتم لنعيدنَّها جَذعة، والله لا يرّد أحدٌ عليّ ما أقول إلّاحطّمتُ أنفه بالسَّيف.

فقال عمر: هيهات! لا يجتمع سَيْفان فى غِمْد؛ إنّ العرب لا ترضى أن تؤمِّرَكم ونبيُّها من غيركم.

قال: فلما رأى بشير بن سعد الخزرجيّ ما اجتمعت عليه الأنصار من تأمِير سعد بن عبادة- وكان حاسداً له وكان من سادة الخْزرج- قام فقال:

أيّها الأنصار، إنّا وإنْ كُنّا ذوِى سابقة، فإنّا لم نُرِدْ بجهادنا واسلامنا إلّارضاً رَبِّنا وطاعة نبينا، ولا ينبغى لنا أن نستطِيل بذلك على الناس، ولا نبتغِى به عِوَضاً من الـدّنيا، إن محمداً صـلى الله عليه و آله رجلٌ من قريش؛ وقومه أحقُّ بميراثِ أمره، وايمُ الله لا يرانى الله أنازعهم هذا الأمر؛ فاتّقوا اللهَ ولا تنازعوهم ولا تخالفوهم.

فقام أبو بكر، وقال: هذا عمر وأبو عُبيدة، بايعوا أيَّهما شئتم؛ فقالا: والله لا نتولّى هذا الأمر عليك.

و لما رأت الأوس أنّ رئيساً من رؤساء الخزرج قد بايع، قام اسَـيد بن حُضَـير- وهو رئيس الأوس- فبايَع حسداً لسـعد أيضاً، ومنافَسةً له أن يلىَ الأمرَ، فبايعت الأوس كلّها لمّا بايع

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۶۸

اسيَد، وأراد عمر ان يقتل سعدا إن لم يبايع، إلا أنه خشى من تهديد سعد بعد أن نصحه ابوبكر بالكف عنه.

و فسـد الأمر فتركوه، فكانَ لا يصلِّى بصـلاتِهم، ولا يجمع بجماعتهم، ولا يقضِـى بقضائهم؛[۱۰۳] ولو وجـد أعوانا لضارَبهم، فلم يزلْ كذلك حَتى مات أبوبكر، ثم لِقَى عمرَ فى خلافته؛ وهو على فرس، وعمر على بعير، فقال له عمر: هيهات يا سـعد! فقال سـعد: هيهات يـا عمر! فقـال: أنت صـاحب مَنْ أنت صـاحبه؟ قال: نعم أنا ذاك؛ ثم قال لعمر: والله ما جاوَرنى أحـدٌ هو أبغضُ إلىّ جواراً منك، قال عمر: فـإنه مَنْ كَرِه جوار رجـل انتقـل عنه؛ فقـال سـعد: إنّى لأرجو أن أخلِّيها لك عاجلًا إلى جوار مَنْ هو أحبُّ إلىّ جواراً منك ومن أصـحابك؛ فلم يلبث سـعدٌ بعـد ذلـك إلّا قليلًا حـتى خرج إلى الشـام، فمـات بحُوران ولم يبـايع لأحـدٍ؛ لا- لأبـى بكر ولا- لعمر ولا لغيرهما.[۱۰۴] والمعروف ان سـعد قـد قتل بيـد خالد بن الوليد بأمر عمر حيث كمن له فى الليل ورماه بسـهمين ثم القى جسده فى بئر وشـاع بين النـاس ان الجن قتلت سـعد بن عبـادة. والطريف ما نقل عن مؤمن الطاق (محمـد بن النعمان الاحول) المعروف بـدفاعه عن أهل البيت حيث سئل لم لم ينازع على ابابكر على الخلافة قال: خشى ان تقتله الجن.[۱۰۵]

وقال المرحوم العلامة الامينى بهذا الخصوص «وكان من حشدهم اللهام رجال من الجن رموا سعد بن عبادة أمير الخزرج».[۱۰۶]

وحين حـج عمر سـمع من يقول «إن مات عمر بايع فلانا»[۱۰۷] فغضب عمر وصـعد المنبر ثم قال: لا يقول أحـد ذلك انما كانت بيعة أبى بكر فتنة وتمت ... ولكن الله وقى شرها.

أضواء على السقيفة

۱- يتبيّن مما مر معنا سابقا أن الشورى التى عقدت فى السقيفة لم تكن شرعية منتخبة من

نفحات الولاية ؛ ج۳ ؛ ص۶۸

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۶۹

قبـل الامّـة كمـا أراد أن يصورهـا البعض، بـل حضـرها بعض الأنصـار على أمـل تحقيـق أهـدافهم، ثـم التحـق بهـم بعض المهـاجرين لينافسونهم على الخلافة، حتى آلت الامور إلى تنصيب أبى بكر.

۲- تفتقر السـقيفة إلى الشـرعية من الناحيـة الدينيـة، كمـا تفتقر إليهـا من الناحيـة السياسـية على ضوء الاـعراف والقوانين الحاكمـة فى

الأنظمة السياسية، وذلك لأنّها لو كانت ممثلة لجميع الامّة لوجب أن يحضر ممثلًا عن الأنصار وآخر عن المهاجرين، بينما نعلم أنّ قرابة رسولاللَّه صلى الله عليه و آله المتمثلة بأهل بيته لم تحضر ذلك الاجتماع.

۳- تفيد أحداث السقيفة أنّ انتخاب الأصلح لم يكن هو المعيار المعمول به فى الخلافة، وكأنّهم اعتمدوا الميراث أسلوباً فى التعامل معها بحيث كان كل يدعى سهم معيناً فيها، ومن الواضح أنّ من لديه هكذا نظرة إلى الخلافة، لا يسعه أن ينتخب الأصلح لابناء الامّة.

۴- لم تتطرق السقيفة من قريب أو بعيد إلى وصايا النبى صلى الله عليه و آله بالخلافة، رغم علم الجميع بأنّ النبى صلى الله عليه و آله أوصى الامّة قائلًا:

«إنّى تارك فيكم الثقلين: كتاب اللّه وعترتى؛ ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى أبداً».

أفلم يكن يدعو هذا الحديث الشريف الذى روته أغلب مصادر الفريقين حتى عدّ متواتراً والذى صرح به الرسول صلى الله عليه و آله فى عدة مناسبات، من حضر السقيفة إلى الرجوع إلى القرآن وأهل البيت عليه السلام قبل أن يفرضوا أهدافهم على الامّة ويتحكموا فى مصيرها؟[۱۰۸] أولم يكن حديث الغدير المتواتر عن النبى صلى الله عليه و آله مانعاً لأهل السقيفة مما أقدموا عليه بشأن الخلافة؟ أو لم يسمعوا بحديث يوم الدار حين نص رسولاللَّه صلى الله عليه و آله منذ أوائل دعوته على خلافة على عليه السلام ووصايته، أو ما أورده آخر ساعات عمره الشريف وقوله إتونى بقلم ودواة؟!

طبعا قد يبدو ذلك عجيبا منذ الوهلة الاولى إلّاأنّه سرعان ما يزول، حيث النبى صلى الله عليه و آله على فراش الموت ودعى بقلم ودواة فمنعوا من ذلك وتفوهوا باشنع الكلمات ضد أطهر الكائنات من بنىآدم رسولاللَّه صلى الله عليه و آله؛ الأمر الذى يكشف عن وجود خطة مسبقة بشأن الخلافة، بحيث لم يكن ليحول دونها حتى أحاديث رسولاللَّه صلى الله عليه و آله ووصاياه. وما ذلك إلّاالطمع فى الخلافة

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۷۰

وحب الجاه والمنصب التى تجعل الإنسان يتجاهل كل القيم والحقائق التى لا يشوبها أدنى شك أو ريب.[۱۰۹] وهنا يتضح عمق كلام أميرالمؤمنين عليه السلام

«احتجّوا بالشّجرة، وأضاعوا الثّمرة».

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۷۱

الخطبة الثامنة و الستون

اشارة

ومن كلام له عليه السلام

لما قلد محمد بن أبىبكر مصر، فملكت عليه وقتل

نظرة إلى الخطبة

كان عليه السلام قد ولى محمدبن أبى بكر مصر، فلما إضطرب الأمر عليه بعد صفين وقوى أمر معاوية طمع فى مصر. وقد كان عمروبن العاص بايعه على أن يكون معه فى قتال على، وتكون مصر له طعمة، فبعثه إليها بعد صفين فى ستة آلاف فارس، وقد كان فيها جماعة عظيمة ممن يطلب بدم عثمان وكانوا يزعمون أن محمداً قتله فانضافوا إلى عمرو، وكان معاوية كتب إلى وجوه مصر، أما إلى شيعته فبالترغيب، وأمّا إلى أعدائه فبالترهيب، وكتب محمدبن أبىبكر إلى على عليه السلام بالقصة يستمده بالمال والرجال،

فكتب إليه يثبته ويعده بذلك بأسرع ما يمكن، فجعل محمد يدعو أهل مصر إلى قتال عمرو، فانتدب معه أربعة آلاف رجل، فوجه ألفين مع كنانة ابن بشر لاستقبال عمرو، وبقى هو فى ألفين، فابلى كنانة فى ذلك اليوم بلاءاً حسناً وقتل من عسكر عمرو خلقاً كثيراً، ولم يزل يقاتل حتى قتل، فلما قتل تفرق الناس عن محمد. وأقبل عمرو يطلب محمداً فهرب منه مختفياً، فدخل عمرو فسطاطه. وخرج معاوية بن خديج الكندى، وكان من امراء جيش عمرو، فى طلب محمد فظفر به، وقد كاد يموت عطشاً، فقدمه فضرب عنقه، ثم أخذ جثته فحشاها فى جوف حمار ميت وأحرقه. وقد كان على عليه السلام وجه لنصرته مع مالك بن كعب إلى مصر نحو ألفى رجل، فسار بهم خمس ليال، ورود الخبر إلى

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۷۲

على عليه السلام بقتله وأخذ مصر فجزع عليه السلام جزعاً ظهر أثره فى وجهه ثم قال: رحم اللّه محمدا كان غلاما حدثاً وقد أردت ...[۱۱۰].

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۷۳

«وَ قَدْ أَرَدْتُ تَوْلِيَةَ مِصْرَ هاشِمَ بْنَ عُتْبَةَ، وَلَوْ وَلَّيْتُهُ إِيَّاها لَمَّا خَلَّى لَهُمُ الْعَرْصَةَ، وَلا أَنْهَزَهُمُ الْفُرْصَةَ، بِلا ذَمٍّ لِمُحَمَّدِ بْنِ أَبِى بَكْرٍ، فَلَقَدْ كانَ إِلَىَّ حَبِيباً، وَكانَ لِى رَبِيباً».

الشرح والتفسير

محمد بن أبى بكر وحكومة مصر

كما ورد فى شأن الخطبة فانّها ناظرة إلى حملة جيش معاوية على مصر وقتل عامل أميرالمؤمنين على عليه السلام محمد بن أبى بكر. فقد استهل الإمام عليه السلام ببعض الكلمات التى تشم منها رائحة الذم لبعض أصحابه فقال:

«و قد أردت تولية مصر هاشم بن عتبة، ولو ولّيته إيّاها لمّا خلّى لهم العرصة،[۱۱۱] ولا أنهزهم ۱۱۲] الفرصة»

فالعبارة تفيد أنّ الإمام عليه السلام ورغم محبته لمحمد بن أبى بكر وثقته به وما يتصف به من إيمان وصدق، إلّاأنه كان يرجح توليه هاشم بن عتبة المعروف بالمرقال الذى كان أشجع من محمد وأقوى وأعظم تجربة، ويبدو أن طائفة من أصحاب الإمام عليه السلام كانت ترى ضرورة ولاية مصر من قبل محمد كونه ابن أبى بكر وأكثر معرفة بمصر وأهلها، ومن هنا كان له نحو هيمنة على الرأى العام المصرى وقبولًا لديه. أمّا الإمام عليه السلام فلم يكن يرى فيه مقومات الصمود المتوفرة فى هاشم بفعل صغر سنه وقلّة تجربته، رغم إتصافه بما لا يخفى من الصفات بيد أنّ تلك الطائفة مارست ضغوطها كتلك التى مارستها بشأن التحكيم فلم يكن من الإمام عليه السلام سوى الاستجابة. فالإمام عليه السلام وبخ بهذه الكلمات تلك

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۷۴

الطائفة، ولو فسحوا المجال ليتصرف كما أراد لما ضاعت مصر بهذه السهولة. ولكن وبغية الحيلولة لما قد يقتدح إلى الأذهان من أنّ كلامه عليه السلام يستبطن ذم محمد بن أبى‌بكر، فقد أردف كلامه بالقول:

«بلا ذمٍّ لمحمّد بن أبى بكرٍ، فلقد كان إلىّ حبيباً، وكان لى ربيباً»

فالواقع أنّ محمداً لم يقصر فى وظيفته وقد بذل كل ما بوسعه ولكن كان هذا أقصى طاقته. جدير بالذكر أنّ الإمام عليه السلام لما أخبر بقتل محمد بن أبى بكر قال

«رحم اللّه محمدا! كان غلاماً حدثاً، لقد كنت أردت أن اولى المرقال هاشم بن عتبة مصر، فانّه لو ولاها لما خلا لابن العاص وأعانه العرصة، ولا قتل الا وسيفه فى يده بلاذم لمحمد، فلقد أجهد نفسه فقضى ما عليه»[۱۱۳]

. أمّا قوله:

«فقد كان لى حبيباً، وكان لى ربيباً»

فلأنّ الإمام عليه السلام تزوج من أسماء ام محد بن أبىبكر بعد وفاة أبيه فتربى محمد فى أحضان الإمام عليه السلام فسار على هديه حتى أنّه كان يرى الإمام عليه السلام أبيه، وهكذا كان يرى الإمام عليه السلام فيه إبنه الحبيب.

تأمّلان

۱- من هو هاشم المرقال؟

«هاشم» ابن «عتبة ابن أبى وقاص»، وكان أبوه عتبة من ألد أعداء الرسول الاكرم صلى الله عليه و آله ولكن ابنه هاشم كان من المسلمين الغيارى ومن أصحاب النبى صلى الله عليه و آله وأصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام وله حديث مشهور يخاطب به أميرالمؤمنين عليه السلام فيقول: والله، لو أعطونى كل ما على الارض وتحت السماء على أن أحب أحداً من اعدائك، أو أبعض أحداً من مجيك لما فعلتُ.

كان فى حرب «صفين» مع على عليه السلام وكان يرجو أن ينال وسام الشهادة فى طريق الله ومع على بن أبى طالب عليه السلام فحارب بشجاعة منقطعة النظير، وكان يدعى «المرقال»، بمعنى سريع الحركة، واخيراً، نال ما يريد، فبعد حرب طاحنه خاضها فى ميدان صفين تقلد وسام الشهادة، وقد حَزّن لشهادته الإمام على عليه السلام وجيشه باجمعهم.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۷۵

وبعد ذلك حمل الراية ابنه وهاجم جيش معاوية، وحارب بشجاعة منقطعة النظير، وبعدها وقع فى الأسر، وعندما أخذوه أسيراً إلى معاوية، فكان له حديث مع معاوية وعمرو بن العاص، دافع فيه بعنف عن على بن أبى طالب عليه السلام مما حدى بمعاوية إلى أن يسجنه فى احدى سجونه.[۱۱۴]

ورد عن أحوال هاشم عندما كان يحارب فى صفين، حيث قاتل قتالًا شديداً فبينا هو فى أصحابه اذ خرج عليهم فتىً شاب وشد يضرب بسيفه ويلعن ويشتم، فقال له هاشم: ان هذا الكلام بعده الخصام، وان هذا القتال بعده الحساب، فاتق الله فانك راجع إلى ربك فسائلك عن هذا الموقف وما أردت به، قال: فانى اقاتلكم لان صاحبكم لا يصلى كما ذكر لى وأنكم لا تصلون، وأقاتلكم لان صاحبكم قتل خليفتنا وانتم وازرتموه على قتله، فقال له هاشم: وما أنت وابن عفان؟ إنما قتله أصحاب النبى صلى الله عليه و آله وقُراء الناس حين أحدث إحداثاً وخالف حكم الكتاب، وأصحاب محمد صلى الله عليه و آله هم أصحاب الدين و أولى بالنظر فى أمور المسلمين، وأما قولك صاحبنا لا يصلى فهو أول من صلى لله مع رسول الله وأفقه فى دين الله، وأما من ترى معه فكلهم قارىء الكتاب لا ينام الليل تهجداً، فلا يغروك عن دينك الاشقياء المغرورون، قال الفتى يا عبدالله أنى لا ظنك أمرءاً صالحاً أخبرنى هل تجد لى من توبة؟

قال: نعم، تُب إلى الله يتب عليك.

قال الراوى: فذهب الفتى راجعاً.

فقال رجل من أهل الشام: خدعك العراقى.

قال: لا ولكن نصحنى.

أجل، كان أصحاب على عليه السلام مثل الإمام على عليه السلام فى ميدان الوغى يحاربون ويتصحون ويهدون اهل الضلالة من اعدائهم، ولم يكن همهم قتال الاعداء بل كان سعيهم هدايتهم وارشادهم. و على أى حال فان «هاشم» و «عمار» قاتلا فى صفين بشجاعة وبسالة منقطعة النظير و نالا وسام الشهادة وقد حزن لشهادتهما الإمام على عليه السلام واصحابه.[۱۱۵]

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۷۶

۲- محمد بن أبی‌بکر

أم محمد بن أبی‌بکر أسماء بنت عمیس، کانت تحت جعفر بن أبی‌طالب، وهاجرت معه إلی الحبشة، فولدت له هناک عبداللّه بن جعفر الجواد، ثم قتل عنها یوم مؤتة، فخلف علیها أبوبکر الصدیق، فأولدها محمدا، ثم مات عنها، فخلف علیها علی بن أبی‌طالب، وکان محمد ربیبه وخریجه، وجاریا عنده مجری أولاده، رضع الولاء والتشیع منذ الصبا، فنشأ علیه، فلم یکن یعرف له أبا غیر علی، ولا یعتقد لأحد فضیلة غیره، حتی قال علیه السلام: محمد إبنی من صلب أبی‌بکر. ومن الامور المهمة فی حیاة محمد بن أبی‌بکر أنّه کتب إلی الإمام علیه السلام حین ولاه مصر أنّه لاعلم لی بالسنة، فکتب إلیه کتاباً، کان ینظر فیه ویتأدب بأدبه، فلما ظهر علیه عمرو بن العاص وقتله، أخذ کتبه أجمع، فبعث بها إلی معاویة، فکان معاویة ینظر فی هذا الکتاب ویتعجب منه، فقال الولید بن عقبة وهو عند معاویة وقد رأی إعجابه به: مر بهذه الأحادیث أن تحرق، فقال معاویة: مه، لا رأی لک! فقال الولید: أفمن الرأی أن یعلم الناس أن أحادیث أبی تراب عندک تتعلم منها! قال معاویة: ویحک! أتأمرنی أن أحرق علماً مثل هذا! واللّه ما سمعت بعلم هو أجمع منه ولا أحکم. فقال الولید: إن کنت تعجب من علمه وقضائه فعلام تقاتله؟ فقال: لو لا أن أبا تراب قتل عثمان ثم أفتانا لأخذنا عنه. ثم سکت هنیهة، ثم نظر إلی جلسائه فقال: إنا لانقول إنّ هذه من کتب علی بن أبی‌طالب، ولکن نقول: هذه من کتب أبی بکر کانت عند إبنه محمد، فنحن ننظر فیها، ونأخذ منها.[۱۱۶]

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۷۷

الخطبة[۱۱۷] التاسعة و الستون

اشارة

ومن کلام له علیه السلام

فی توبیخ بعض أصحابه

نظرة إلی الخطبة

تعتبر هذه الخطبة من الخطب التی تعبر عن لوعة الإمام علیه السلام بعد الغارات والحملات التی کان یشنها أهل الشام علی البلاد الإسلامیة وتجابه بکل برود من قبل أتباعه. فقد تضمنت أشد الذم لتلک الجماعة من الکوفة الموسومة بالضعف والهوان والتی جعلت الإمام علیه السلام یشعر بیأسها من عدوها، ویبدو أن الإمام علیه السلام لجأ إلی هذه العبارات أملًا فی إثارتهم وتعبئتهم ضد أهل الشام.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۷۹

«کَمْ أُداریکُمْ کَما تُدارَی الْبِکارُ الْعَمِدَةُ، وَالثِّیابُ الْمُتَداعِیَةُ، کُلَّما حِیصَتْ مِنْ جانِبٍ تَهَتَّکَتْ مِنْ آخَرَ، کُلَّما أَطَلَّ عَلَیْکُمْ مَنْسِرٌ مِنْ مَناسِرِ أَهْلِ الشَّامِ أَغْلَقَ کُلُّ رَجُلٍ مِنْکُمْ بابَهُ، وَانْجَحَرَ انْجِحارَ الضَّبَّةِ فِی جُحْرِها وَالضَّبُعِ فِی وِجارِها، الذَّلِیلُ وَاللَّهِ مَنْ نَصَرْتُمُوهُ وَمَنْ رُمِیَ بِکُمْ فَقَدْ رُمِیَ بِأَفْوَقَ ناصِلٍ، إِنَّکُمْ وَاللَّهِ لَکَثِیرٌ فِی الْباحاتِ، قَلِیلٌ تَحْتَ الرَّایاتِ. وَإِنِّی لَعالِمٌ بِما یُصْلِحُکُمْ، وَ یُقِیمُ أَوَدَکُمْ وَلَکِنِّی لا أَرَی إِصْلاحَکُمْ بِإِفْسادِ نَفْسِی أَضْرَعَ اللَّهُ خُدُودَکُمْ، أَتْعَسَ جُدُودَکُمْ! لا تَعْرِفُونَ الْحَقَّ کَمَعْرِفَتِکُمُ الْباطِلَ وَلا تُبْطِلُونَ الْباطِلَ، کَإِبْطالِکُمُ الْحَقَّ».

الشرح والتفسير

عظم الشكوى من الاصحاب الضعفاء

يفهم من مضمون الخطبة مدى معاناة الإمام عليه السلام بصفته قائداً لتلك العصابة التى طبعت على العصيان والتمرد والتى مهدت السبيل أمام العدو لتسديد ضرباته الماحقة إليهم، فيعرض لها بالتوبيخ والذم، علها تعود إلى رشدها وتفيق إلى نفسها فتوحد صفوفها وتهب للوقوف بوجه عدوها. وتكشف عبارات الخطبة- وخلافاً لما يظنه بعض الجهال- مدى مداراة الإمام عليه السلام لهذه الجماعة الضعيفة المشتتة حتى سئم من مداراتهم وشعر بالتعب فقال عليه السلام:

«كم أداريكم كما

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۸۰

تدارى البكار[۱۱۸] العمدة،[۱۱۹] والثّياب المتداعية،[۱۲۰] كلّما حيصت ۱۲۱] من جانبٍ تهتّكت من آخر»

فالتشبيهات التى أوردها من قبيل التشبيهات الغاية فى الروعة والدقة التى تكشف النقاب عن طبيعة أهل الكوفة، فالتأريخ يشير إلى مدى الضعف والوهن الذى ساد عسكر الإمام عليه السلام بعيد موقعة صفين بفعل ما كانوا عليه من جهل وذل وهوان. فقد كان جلهم من الأفراد الذين خلدوا إلى الدعة والرحة وعدم التمتع بالآفاق والأفكار التى تجعلهم يتعرفون على ما حولهم من الأحداث. فلم تكن تهتز لهم قصبة رغم الحملات والغارات المباغتة التى كان يشنها أهل الشام على هذه المنطقة أو تلك من مناطق البلاد الإسلامية، وهم يرتكبون أفضع الجنايات وأبشع الجرائم إلى جانب سلبهم الأموال واخرابهم للدور. فقد شبههم الإمام عليه السلام بادئ ذى بدء بالنوق الفتية التى اعدت حديثاً للركوب وقد يجرح أحياناً سنامها. ومن الواضح أنّ هذا هو حال النوق فى بداية عهدها وأنّ عليها أن تتحمل حتى يشد ظهرها ويستحكم سنامها. أمّا تلك الجماعة فلم تتعرض إلى ذلك الحمل الخفيف فى موقعة صفين حتى جثت على ركبتيها، مع ذلك فانّ الإمام عليه السلام عاملها بمنتهى المدارة علها تنهض وتستعيد قوتها وشجاعتها. وفى التشبيه الثانى شبههم بالاسمال الخلقة البالية التى تشق بأدنى حركة، فاذا خيطت من جانب شقت وتمزقت من آخر. نعم فهؤلاء قد فقدوا كل عناصر الصمود والثبات إثر ضعفهم وخلودهم إلى الراحة والنكوص عن القتال، فكانوا كلما جمعوا من جانب تفرقوا من آخر، فما أعظمها من مشكلة أن يبتلى قائد شجاع وحكيم بمثل هذا الجيش المهزوم. حقا كان الإمام عليه السلام يعيش حالة

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۸۱

مذهلة من الألم والمعاناة والاحباط، وهذه قمة المظلومية التى شهدها الإمام عليه السلام. ثم أشار عليه السلام إلى مدى ضعفهم وذلتهم علهم يصلحون أنفسهم:

«كلّما أطلّ ۱۲۲] عليكم منسرٌ[۱۲۳] من مناسر أهل‌الشّام أغلق كلّ رجلٍ منكم بابه، وانجحر[۱۲۴] انجحار الضّبّة[۱۲۵] فى جحرها، والضّبع ۱۲۶] فى وجارها[۱۲۷]»

والتشبيه بالضبة ينطوى على عدة أمور منها أنّ الضبة تعرف بالحماقة إلى درجة أنها قد تضل حتى جحرها فتعمد إلى جعل جحرها قرب صخرة بغية الاهتداء إليه، أضف إلى ذلك فهى تتصف بانعدام العاطفة بحيث تأكل أحياناً صغارها، وأخيراً شبههم بانثى الضباب الضبة مبالغة فى وصفهم بالجبن والفرار، لأن الانثى أجبن وأذل من الذكر. كما شبههم بالضبع لحماقتهم وسائر الصفات التى أوردناها فى الخطبة السادسة ومنها أنّها تنام رغم تهديدها من العدو الذى يمكن فى كهفها فيجعلها تخلد إلى النوم حتى يمسك بها دون أن تبدى أدنى مقاومة والواقع أنّ أحداث صفين تعد شاهداً حياً على ما اورده الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة بشأن أهل الكوفة وكيف كانت حماقته تجعله يفقد الفرصة وزمام المبادرة بماجر الويلات عليهم وعلى إمامهم عليه السلام وعلى كافة المسلمين. ثم أماط الإمام عليه السلام اللثام عن مدى ضعفهم فقال:

«الذّليل واللّه من نصرتموه! ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصلٍ ۱۲۸]»

والسهم الافوق الناصل المكسور الفوق، المنزوع الفصل، والفوق موضع الوتر من السهم، وهذا مثل يضرب لمن استنجد بمن لاينجده.

ثم قال عليه السلام:

«إنّكم واللّه لكثيرٌ فى الباحات ۱۲۹] قليلٌ تحت الرّايات»

فقد

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۸۲

إعتادوا على الراحة والرفاه ولذة العيش، وهذا هو سبب ذلهم وهوانهم وجرأة العدو عليهم. ثم قال عليه السلام

«وإنّى لعالمٌ بما يصلحكم، ويقيم أودكم،[۱۳۰] ولكنّى لا أرى إصلاحكم بإفساد نفسى»

. فقد ذكر الشرّاح تفسيرين لهذه العبارة لايتنافيان مع بعضهما، ولعل كلاهما صادق:

الأول أنّه أستطيع أن أفعل مايفعله معاوية ويستيمل زعماء القبائل والناس بأموال بيت مال المسلمين، الا أنى لا أفعل ما يسخط اللّه، ولا اقيم دعائم حكومتى على حساب الفقراء والضعفاء وهضمهم حقوقهم، والثانى يمكننى أن أفعل ما يفعله الآخرون من حملكم بالقوة على قتال العدو. فقد جاء فى كتاب الغارات أن الإمام عليه السلام خاطب أهل الكوفة قائلًا:

«و اللّه لقد ضربتكم بالدّرة الّتى أعظ بها السّفهاء فما أراكم تنتهون، ولقد ضربتكم بالسّياط الّتى أقيم بها الحدود فما أراكم ترعوون، فما بقى إلّا سيفى! وإنّى لاعلم الّذى يقوّمكم بإذن اللّه و لكنّى لا أحبّ أن آتى تلك منكم»[۱۳۱]

. ونموذج ذلك قد تمثل بالحجاج حين هجم جيش المهلب (أحد زعماء الخوارج) وسدد ضرباته القاصمة لحكومة بنى أمية، فبعث الحجاج من نادى بالكوفة من تخلف عن قتال جيش المهلب اخربت داره على رأسه وضربت عنقه بالسيف، ولم يستثن من ذلك حتى الكهول والمرضى. وبالطبع فقد عمل بذلك عدد من المستبدين من قبل الحجاج وبعده. فالإمام عليه السلام يشير إلى سهولة اللجوء إلى هذا الاسلوب، إلّاأنّه لايليق بشأنه وعلو منزلته، وانّه لايفعل ذلك لأنّه يفسد دينه. وهنا يطرح هذا السؤال: أو ليس الدفاع عن الحكومة الإسلامية وقتال أعدائها واجباً؟ فلم لايحمل الناس قهراً على القتال؟ والجواب على هذا السؤال يتضح من خلال ذكر هذه المسألة، وهى أنّ أصل هذا العمل صحيح، وللحكومة الإسلامية أن تلجا إلى القوة فى مثل هذه الحالة، إلّاأنّ هذا الأمر يستلزم عدّة تبعات قد تكون فى نهاية الأمر مخالفة لأحكام الشرع، ونموذج ذلك واضح فى قضية الحجاج الذى كان يضرب بالسيف البرى والمذنب على حد سواء. أضف إلى ذلك فانّ هذا العمل قد يستبطن بعض ردود الفعل السلبية من البعض واساءتها لفهم القوانين الإسلامية، وذلك لعدم قبول هذا العمل من قبل الجميع، ولعل بعض الضغوط تدعو البعض إلى الردة والتمرد على أحكام الدين والقرآن.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۸۳

ومن هنا لم يلجأ النبى صلى الله عليه و آله قط إلى مثل هذا الاسلوب، بل لم يعمل به أى من الخلفاء بعد النبى صلى الله عليه و آله. وعليه فقد درج الإمام عليه السلام وعلى غرار ما كان يفعله رسولاللّه صلى الله عليه و آله من اعتماد الترغيب والترهيب فى تعبئة الامّة لخوض غمار الجهاد. ثم إختتم الإمام عليه السلام خطبته بالدعاء عليهم جزاءاً لأعمالهم:

«أضرع ۱۳۲] اللّه خدودكم، وأتعس ۱۳۳] جدودكم![۱۳۴] لا تعرفون الحقّ كمعرفتكم الباطل، ولا تبطلون الباطل كإبطالكم الحقّ!»

فالواقع أنّ دعاء الإمام عليه السلام لم يكن سوى نتيجة أعمالهم، فمن ترك الجهاد لايذيق سوى الذل والهوان، وما ذلك إلّالجهلهم بالحق وعدم نهوضهم به واقبالهم على الباطل. وهذا هو البؤس والشقاء الذى يحتاج اليوم مجتمعاتنا الإسلامية. فهذه المجتمعات تعرف الباطل، مع ذلك تقلده وتقتفى آثاره، بينما تجهل الحق واتباعه، والأنكى من ذلك هناك من هم للوقوف بوجه الحق رافعا راية الباطل والضلال.

والحال إنّ هذه الطاقات والإمكانات لابدّ أن تجند فی سبیل اللّه وإحقاق الحق وإبطال الباطل.

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۸۵

الخطبة[۱۳۵] السبعون

اشارة

وقال علیه‌السلام

فی سحرة الیوم الذی ضرب فیه

«مَلَكَتْنِی عَيْنِی وأَنا جالِسٌ فَسَنَحَ لِی رَسُولُ اللَّهِ صلی الله علیه و آله فَقُلْتُ یا رَسُولَ اللَّهِ ما ذا لَقِیتُ مِنْ أُمَّتِكَ مِنَ الْأَوَدِ واللَّدَدِ فَقالَ ادْعُ عَلَيْهِمْ فَقُلْتُ أَبْدَلَنِی اللَّهُ بِهِمْ خَيْراً مِنْهُمْ وأَبْدَلَهُمْ بِی شَرّاً لَهُمْ مِنِّی».

الشرح والتفسیر

رؤیة رسول‌اللّه صلی الله علیه و آله

روی محمد بن حبیب البغدادی فی کتاب المغتالین عن أبی عبدالرحمن السلمی أنّه قال:

عدت أمیرالمؤمنین علی علیه السلام فقال: ادن منی (کأنه لم یرد إسماع الآخرین)، بینما کانت النسوة تبکی. فقال علیه السلام:

«ملکتنی عینی وأنا جالسٌ فسنح ۱۳۶] لی رسول اللّه صلی الله علیه و آله ...».

علی کل حال

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۸۶

فانّ هذا الکلام یعبر عن مدی الاذی الذی تعرض له علیه السلام من تلک الجماعة. وبالطبع فهذه لیست المرة الاولی التی یشکو فیها الإمام علیه السلام بل ورد ذلک فی أکثر من خطبة من خطب نهج‌البلاغة والتی تفید بأجمعها عدم معرفة مقامه علیه السلام ورعایة حرمته إلی جانب الآذی والألم الذی جرعوه إیّاه. فقد إستهل کلامه علیه السلام بالقول:

«ملکتنی عینی وأنا جالسٌ»

فالعبارة «ملکتنی عینی» من فصیح الکلام الذی أراد به علیه السلام غلبنی النوم، لأنّ العین هی العضو الأول الذی تظهر علیه آثار النوم، ومن هنا استعملت کنایة عن مفهوم النوم. ثم قال علیه السلام:

«فسنح لی رسول اللّه صلّی اللّه علیه وآله وسلّم، فقلت: یا رسول اللّه! ماذا لقیت من أمّتک من الاود واللّدد؟».

لعلنا لا نری نظیراً للإمام علیه السلام من أولیاء اللّه طیلة التأریخ ممن جوبهوا بمثل هذا العداء والتمرد العصیان والاذی ولم یقتصر ذلک علی تلک المدة التی حکم فیها، بل إمتد لیشمل حتی تلک الفترة التی أصبح فیها جلیس الدار مدة خمس وعشرین سنة، فقد تعرض لمثل ذلک الاذی طیلة الخلافة الراشدة ولا سیما إبان خلافة عثمان حین ضاق ذرعاً بالممارسات الخطیرة التی طالت بیت مال المسلمین فحاول الإصلاح لإعادة الامور إلی مجاریها، فجوبه بسخط واسع ونقمة عامة، الأمر الذی بلغ ذروته حین آلت إلیه الخلافة. وعلیه فلایبدو من العجیب أن یشکو الإمام علیه السلام الامّة إلی النبی صلی الله علیه و آله رغم ما وصف به من الصبر والتحمل، فهو الذی صبر وفی العین قذی وفی الحلق شجی. ولنری جواب النبی صلی الله علیه و آله لعلی علیه السلام:

«فقال: «ادع علیهم»

، فقال الإمام علیه السلام:

«فقلت: أبدلنى اللّه بهم خيراً منهم، وأبدلهم بى شرّاً لهم منّى»

. والسؤال الذى يقتدح إلى الذهن: لم أمر الرسول صلى الله عليه و آله بالدعاء عليهم وهو الموصوف بأنّه

«رحمة للعالمين»؟

ونقول فى الجواب أنّ طغيان طائفة من الناس وتمردها قد يصل درجة تغلق معها كافة منافذ الرحمة بوجهها فلا تبقى لنفسها سوى العذاب وسلب النعمة، وهكذا نرى الأنبياء الذين يمثلون ذروة الصبر والتحمل والحكمة واللطف والرحمة يرون هذه المفردات إنّما تتجسد فى الدعاء على أقوامهم بعد وصولهم إلى مرحلة لايرجى بعدها هدايتهم. فهذا نبى اللّه نوح عليه السلام قد جهد تسعمائة وخمسين سنة فى تبليغ رسالة ربه وتحمل ذلك الاذى فى سبيل هداية قومه، ولما لم ير

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۸۷

من سبيل سوى الدعاء عليهم تضرع إلى اللّه سبحانه قائلًا: «وَقالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلى الأَرْضِ مِنَ الكافِرِينَ دَيّاراً»[۱۳۷] فاغرقوا جميعاً بالطوفان. على كل حال فان سيرة الإمام عليه السلام تجسدت فى مداراة الأعداء فضلًا عن الأصدقاء، حتى أوصى مالكاً حين ولاه مصر باستشعار قلبه الرحمة لكافة الناس بغض النظر عن أديانهم ومعتقداتهم:

«فالناس صنفان اما أخ لك فى الدين أو نظير لك فى الخلق»

ومن هنا كان لابدّ من تصور مدى الاذى والتمرد الذى واجهه الإمام عليه السلام حتى إضطر إلى الدعاء عليهم. جدير بالذكر الادب الذى تحلى به الإمام عليه السلام حيال رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله حيث لم يقدم على الدعاء عليهم إلا بعد أن أذن له النبى صلى الله عليه و آله. مضمون الدعاء هو الآخر جدير بالتأمل حيث سأله أولًا النجاة من هؤلاء المردة ثم سأل اللّه أن يسلبهم نعمة وجوده ويسلط عليهم حاكماً ظالماً ليجرعهم مرارة أعمالهم. امّا العبارة

«أبدلهم بى شرّاً لهم منّى»

لاتعنى أنّ الإمام عليه السلام كان والعياذ باللّه سيئاً وقد سأل اللّه أن يسلط عليهم أسوأ منه، لأنّ مفردتى الخير والشر فى الاداب العربية لا تقتضى جزماً معانى صيغة التفضيل، وهكذا العبارة

«ابدلنى اللّه بهم خيراً منهم»

فاولئك كانوا نفاقاً وشراً ولم يكونوا من الاخيار. والشاهد على ذلك عدة آيات قرآنية كالآية الخامسة عشرة من سورة الفرقان: «قُلْ أَذلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الخُلْدِ» والآية السادسة والعشرون من سورة الصافات: «أَذلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ».

على كل حال استجيب دعاء الإمام عليه السلام ليستشهد الإمام عليه السلام بعد أن ضرب فى محرابه ففاز بلقاء اللّه وجوار رسوله صلى الله عليه و آله، بينما تسلط من بعده معاوية ويزيد والحجاج على أهل العراق ليجرعوهم الموت غصة بعد غصة.

وقال السيد الرضى (ره) آخر الخطبة

«يعنى بالْأود: الْإعْوجاج، وباللّدد: الْخصام. وهذا من أفصح الكلام».

تأمّلان

۱- أصحاب على عليه السلام

لاشبهة ولاريب أنّ أتباع الإمام على عليه السلام على ثلاث طوائف: الطائفة الاولى الخلص

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۸۸

الأوفياء الذين كانوا يدورون حول الإمام عليه السلام كيفما دار ويضحون من أجله بالغالى والنفيس من قبيل مالك الأشتر وعمار بن

ياسر ورشيد الهجرى وميثم التمار وكميل بن زياد وأمثالهم.

الطائفة الثانية الجهال الذين لم يعرفوا مقام الإمام عليه السلام ولم يدركوا شرائط الزمان والمكان، ولم يقفوا على أخطار معاوية وحكومته فى الشام، كما لم يكونوا يحضرون فى ميدان القتال، وهم أفراد سذج متلونون لا يعتمد عليهم فى أى عمل من الأعمال والطائفة الثالثة هى الزمرة الحاقدة التى إعتادت العبث بأموال المسلمين على عهد عثمان، الأمر الذى طالبوا به علياً عليه السلام ولم يكونوا يفكرون سوى فى الأموال والمناصب- بغض النظر عن الطرق المؤدية إليها- إلى جانب كون أكثر يشكلون جواسيس معاوية عيونه فى الكوفة. مع ذلك كان الإمام عليه السلام يعامل الجميع بالرفق والمداراة حفظاً على مصالح المجتمع الإسلامى، بينما يضطر أحياناً لذمهم وتوبيخهم علهم يفيقون إلى أنفسهم أما شكاواه وأنينه منهم فيمكن الوقوف عليه فى هذه الخطب:

١- قال فى الخطبة الخامسة والعشرين:

«و إنّى واللّه لَأَظنّ أنّ هؤلَاء القَومَ سَيدَالونَ منكم باجتماعهم على باطلهم وتفرّقكم عن حقّكم ... اللّهمّ إنّى قد مللتهم وملّونى وسئمتهم وسئمونى».

٢- قال فى الخطبة السابعة والعشرين:

«فيا عجباً عجباً!- واللّه- يميت القلب ويجلب الهمّ من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرّقكم عن حقّكم! فقبحاً لكم وترحاً ... يا أشباه الرّجال ولا رجال! حلوم الْأَطْفال وعقول ربّات الْحجال، لوددت أنّى لم أركم ولم أعرفكم».

٣- قال فى الخطبة التاسعة والعشرين:

«أيّها النّاس! المجتمعة أبدانهم، المختلفة أهواؤهم، كلامكم يوهى الصّمّ الصّلاب، وفعلكم يطمع فيكم الْأعداء! تقولون فى المجالس: كيت وكيت، فإذا جاء القتال قلتم: حيدى حياد».

۴- قال فى الخطبة التاسعة والستون:

«كم أداريكم كما تدارى البكار العمدة، والثّياب الم تداعية! كلّما حيصت من جانبٍ تهتّكت من آخر».

۵- قال فى الخطبة السابعة والتسعين:

«أيّها القوم الشّاهدة أبدانهم، الغائبة عنهم عقولهم، المختلفة أهواؤهم المبتلى بهم أمراؤهم ... يا أهل الكوفة! منيت منكم بثلاثٍ واثنتين: صمٌّ ذوو أسماعٍ وبكمٌ ذوو كلامٍ وعميٌ ذوو أبصارٍ، لا أحرار صدقٍ عند اللّقاء، ولا إخوان ثقةٍ عند البلاء».

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۸۹

۶- قال فى الخطبة المئة وتسعة عشر:

«ما بالكم أمخرسون أنتم؟! ... ما بالكم لا سدّدتم لرشدٍ ولا هديتم لقصدٍ».

۷- قال فى الخطبة المئة والحادية والعشرين:

«أريد أن أداوىَ بكم وَأَنتم دَائى كناقش‌الشّوكة بالشّوكة وهو يعلم أنّ ضلعها معها! اللّهمّ قد ملّت أطبّاء هذا الدّاء الدّوىِّ».

۸- قال فى الخطبة المئة والثالثة والعشرين:

«و كأنّى أنظر إليكم تكشّون كشيش‌الضّب لا تأخذون حقّاً ولا تمنعون ضيماً».

۹- قال فى الخطبة المئة والخامسة والعشرين

«أفٍّ لكم! لقد لقيت منكم برحاً، يوماً أناديكم ويوماً أناجيكم، فلا أحرار صدقٍ عند النّداء ولا إخوان ثقةٍ عند النّجاء».

۱۰- قال فى الخطبة المئة والحادية والثلاثين:

«أيّتها النّفوس المختلفة والقلوب المتشتّتة، الشّاهدة أبدانهم، والغائبة عنهم عقولهم، أظأركم على الحقّ وأنتم تنفرون عنه نفور المعزى من وعوعة الْأسد».

۲- الأفراد الملعونون

كما مر معنا فی شرح الخطبة فانّ الأنبياء والأوصياء قد إجتهدوا فی إصلاح أقوامهم ودعوتهم إلی الحق بالحكمة والمواعظة الحسنة وتحملوا كافة المشاق والصعاب بكل صبر وجلد، إلّاأنّهم كانوا يرون أحياناً كافة أبواب الأمل قد أغلقتها تلك الأقوام بوجهها بحيث لم يعد هنالك من أمل فی هدايتها، فلم يكن أمامهم من سبيل سوی الدعاء عليها؛ أملًا فی إجتثاث أولئك الفسدة واستبدالهم بآخرين. وإننا لنلمس نماذج من ذلك الدعاء فی السيرة المفعمة بالعفو والرحمة لرسول اللَّه صلی الله عليه و آله ومنها:

۱- جاء فی الأخبار أن الحكم بن العاص عم عثمان كان كثيراً ما يسخر من رسول‌اللَّه صلی الله عليه و آله ويؤذيه من خلال مشيه خلفه وإتيانه ببعض الحركات حيث كان يحرك كتفيه ويكسر يديه خلف رسول‌اللَّه صلی الله عليه و آله إستهزاءاً منه بمشيته النبی صلی الله عليه و آله حتی إلتفت إليه النبی صلی الله عليه و آله وقال له: هكذا كن

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۹۰

فبقی الحكم علی تلك الحال من تحريك أكتافه وتكسر يديه، ثم نفاه رسول‌اللَّه صلی الله عليه و آله من المدينة ولعنه.[۱۳۸]

۲- روی أنّ ابن مسعود قال: كنّا مع النبی صلی الله عليه و آله فصلی فی ظل الكعبة وناس من قريش وأبوجهل نحروا جزوراً فی ناحية مكة فبعثوا وجاؤوا بسلاها فطرحه بين كتفيه، فجاءت فاطمه عليها السلام فطرحته عنه، فلما انصرف قال:

«أللّهمّ اشدد وطأتك علی مضرٍ واجعلها عليهم كسنی يوسف»

قال: عبداللَّه: ولقد رأيتهم قتلی فی قليب بدر.[۱۳۹]

۳- ومن ذلك أنّه دعا علی مضر فقال: اللّهم اشدد وطأتك علی مضر، واجعلها عليهم كسنی يوسف، فاصابهم سنون، فاتاه رجل فقال: فو اللَّه ما أتيتك حتی لا يخطر لنا فحل ولا يتردد رائح ۱۴۰]، فقال رسول‌اللَّه صلی الله عليه و آله:

«اللّهمّ العنهما واركسهما فی الفتنة ركساً ودعّهما فی النّار دعّاً»

فما قام حتی ملأ كل شئ، ودام عليهم جمعة، فأتوه فقالوا: يا رسول‌اللَّه صلی الله عليه و آله إنقطعت سبلنا وأسواقنا، فقال النبی صلی الله عليه و آله: حوالينا ولاعلينا، فانجابت السحابة عن المدينة وصار فيما حولها وأمطروا أشهراً.[۱۴۱]

۴- وورد فی الحديث أنّ رسول‌اللَّه صلی الله عليه و آله لما مر بعمرو بن العاص والوليد بن عقبة بن أبی معيط وهما فی حائط يشربان ويغنيان بهذا البيت فی حمزة بن عبدالمطلب حين قتل:

كم من حواری تلوح عظامه‌ورآء الحرب عندنا يجر فيقبرا

فقال النبی صلی الله عليه و آله: أللّهمّ العنهما واركسهما فی الفتنة ركساً ودعهما فی النار دعاً.[۱۴۲]

۵- وجاء فی الخبر أنّ رسول‌اللَّه صلی الله عليه و آله أخذ يوم بدر كفاً من حصی فرمی به فی وجوه قريش وقال:

«شاهت الوجوه»

فبعث اللَّه رياحاً تضرب وجوه قريش فكانت الهزيمة، فقال رسول‌اللَّه صلی الله عليه و آله: اللهم لايفلتن فرعون هذه الأمة أبوجهل بن هشام. فقتل منهم سبعون، وأسر

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۹۱

منهم سبعون ۱۴۳]. وبالطبع فان دعاء النبی صلی الله عليه و آله ولعنه لم يقتصر علی هؤلاء؛ الأمر الذی يشير إلی أنّ أولياء اللَّه ورغم تحملهم كل عناء المواجهة مع الاعداء، الا أنهم كانوا لايرون من أمل فی المقابل فيضطرون للدعاء عليه، وهذا ما ورد فی خطبة الإمام عليه السلام اقتداءاً برسول اللَّه صلی الله عليه و آله.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۹۳

الخطبة[۱۴۴] الحادية و السبعون

اشارة

ومن خطبة له عليه السلام

فى ذم أهل العراق

وفيها يوبخهم على ترك القتال والنصر يكاد يتم، ثم تكذيبهم له

نظرة إلى الخطبة

ورد فى بعض الروايات خطب على عليه السلام فقال:

«لو كُسِرتْ لى الوِسادة لحكمتُ بين أهل التوراة بتوراتِهم، وبين أهلِ الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهْلِ الفرقان بفرقانهم، وما مِنْ آية فى كتاب الله أنزلتْ فى سهلٍ أو جبل إلا وأنا عالم مَتَى أنزلت، وفيمن أنزلت».

فقال رجل من القُعود تحت مِنْبره: يالله وللدّعوى الكاذبة! وقال آخر إلى جانبه: أشهد أنّك أنت الله ربّ العالمين! (فقد كان احدهما مفرطا والاخر مفرّطا).

و روى المدائنى أيضاً قال: خطب على عليه السلام، فذكر الملاحم، فقال:

«سلونى قبل أن تفقِدونى، أما والله لَتَشْغَرَنَّ الفتنة الصّماء برجِلها، وتطأ فى خِطامها».

يا لها من فِتنة شُبّت نارها بالحطب الجزْل، مقبلة من شرق الأرض رافعة ذيلها، داعية

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۹۴

ويلَها، بدجلة أو حولها. ذاك إذا استدارَ الفَلك، وقلتم: مات أو هلك، بأىّ واد سلك!

فقال قوم تحت منبره: لله أبوه! ما أفصحه كاذباً!

على كل حال فانّ الخطبة قد وردت بعد واقعة صفين حيث يعرض بالذم لجيشه الذى أوشك على تحقيق النصر النهائى والقضاء على فتنة بنى أمية. ومن هنا شبههم الإمام عليه السلام بالمرأة الحامل التى أوشكت على وضع ا لحمل أسقطت جنينها، فمات قيمها وطال تأيمها وورثها أبعدها، فأصبحت بائسة شقية. ثم إختتم الخطبة بالرد على من كذب حديثه وتجاهل ما أخبر به الإمام عليه السلام من حقائق بسبب الجهل والحمق. فالخطبة هى الاخرى تكشف عن مدى مظلومية الإمام عليه السلام.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۹۵

«أَمَّا بَعْدُ يا أَهْلَ الْعِراقِ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ الْحَامِلِ، حَمَلَتْ فَلَمَّا أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ وَماتَ قَيِّمُها، وَطالَ تَأَيُّمُهَا، وَوَرِثَهَا أَبْعَدُهَا. أَمَا وَاللَّهِ! مَا أَتَيْتُكُمُ اخْتِياراً، وَلَكِنْ جِئْتُ إِلَيْكُمْ (اتيتكم) سَوْقاً. وَلَقَدْ بَلَغَنِى أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: عَلِيٌّ يَكْذِبُ، قاتَلَكُمُ اللَّهُ تَعالَى فَعَلَى مَنْ أَكْذِبُ؟ أَ عَلَى اللَّهِ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ، أَمْ عَلَى نَبِيِّهِ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ! كَلَّا وَاللَّهِ. لَكِنَّهَا لَهْجَةٌ غِبْتُمْ عَنْهَا، وَلَمْ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِها. وَيْلُ أُمِّهِ كَيْلًا بِغَيْرِ ثَمَنٍ! لَوْ كانَ لَهُ وِعاءٌ «وَ لَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ»».

الشرح والتفسير

الشكوى من الاتباع الجهلاء

كما أشرنا سابقا فانّ الإمام عليه السلام خطب هذه الخطبة بعد موقعة صفين، حيث بات النصر الحاسم وشيكاً، بينما إنشقت طائفة من جيش الإمام عليه السلام إثر حيلة معاوية وعمرو بن العاص ففقدت فرصة النصر، وأنكى من ذلك أحدثت شقاقاً وخلافاً فى جيش

الإمام عليه السلام، الخلاف الذى بلغ ذروته حتى أدى إلى وقوع تلك الحرب الأهلية. فالإمام عليه السلام وبفعل هذه الحادثة المروعة الأليمة يذم أهل العراق ويقول:

«أمّا بعد يا أهل العراق، فإنّما أنتم كالمرأة الحامل، حملت فلمّا أتمّت أملصت ۱۴۵] ومات قيّمها، وطال تأيّمها،[۱۴۶] وورثها أبعدها»

فالعبارة تتضمن عدّة تشبيهات: الاولى شبه أهل العراق بالمرأة حيث لم يدافعوا برجولة عن عزتهم وشرفهم، ثم لم يكتف بهذا التشبيه ليضيف إليه الحمل حيث كان باستطاعتهم وبطاعتهم للإمام عليه السلام أن

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۹۶

يلدوا ذلك النصر المبارك الذى يضع حدا لغارت أهل الشام وتطاولهم على حرمة الإسلام والمسلمين، إلّاأنّهم أسقطوا ذلك النصر فى آخر اللحظات بفعل جهلهم. فقد خدع القوم بحيلة عمرو بن العاص حين رفع المصاحف على أسنة الرماح، فتعالت الأصوات بالرجوع إلى القرآن، حتى هدد الإمام عليه السلام بالقتل إذا لم يرجع مالك الأشتر ويكف عن القتال ولم يكن سوى بضع خطوات بينه وبين معاوية. فمثل هذه المرأة إذا فقدت زوجها ولم تحظ بزوج مناسب وماتت غصة فى هذه الدنيا، فمن الطبيعى أن يرثها الأبعد، فليس لها من ولد يكون لها إمتداداً، وليس لها زوج يبكيها (على فرض أنّ ليس لها أب وأم). وذهب البعض إلّاأن هذا الكلام إشارة إلى نبوءات على ما سيصيب أهل العراق من جراء سوء تدبيرهم فى صفين، حيث سيفقدون إمامهم لجهلهم وتمردهم فيسلط عليهم البعداء فيسومونهم سوء العذاب، وهذا ما وقع بالفعل، ثم يتطرق الإمام عليه السلام إلى هجرته من المدينة إلى الكوفة التى إستندت إلى الاضطرار وليس فيهم ما يجعل الإمام عليه السلام يهاجر إليهم، على العكس من أهل المدينة الذين إندفع إليهم رسولاللّه صلى الله عليه و آله، وقد كانوا أهلًا لحب رسولاللّه صلى الله عليه و آله وإقباله عليهم. فقال:

«أما واللّه ما أتيتكم اختياراً؛ ولكن جئت إليكم سوقاً».

والتأريخ يشير إلى هذه الحقيقة وهى لولا موقعة الجمل لما إنطلق الإمام عليه السلام إلى البصرة، ولو كان لأهل الحجاز أن يقضوا على فتنة الناكثين لما إستنجد بأهل الكوفة، ولولا خطر معاوية الذى كان يهدد البلاد الإسلامية لما إستقر الإمام عليه السلام فى الكوفة وهجر المدينة وغادر قبر رسولاللّه صلى الله عليه و آله وسيدة النساء. والواقع أنّ العبارة رداً على إشكال فى علة قدوم الإمام عليه السلام إلى الكوفة وهى بهذه الصفات الذميمة، فقد أجيب عن هذا الإشكال بأنّ الإمام عليه السلام أتى مجبراً لا مختاراً. ثم قال عليه السلام

«و لقد بلغنى أنّكم تقولون: علىٌّ يكذب، قاتلكم اللّه تعالى! فعلى من أكذب؟ أعلى اللّه؟ فأنا أوّل من آمن به! أم على نبيّه؟ فأنا أوّل من صدّقه»

فالحقيقة التى لاغبار عليها هى أنّ الإمام عليه السلام أول من آمن من الرجال باللّه، كما تشير حياته إلى أنّه لم يسجد لصنم ولم يعبد سوى اللّه وأنّه أول من صدق برسول اللّه صلى الله عليه و آله ووقف إلى جانبه طيلة الدعوة. ولعل الكلام يشير إلى بعض إخباره بالمغيبات والحوا دث التى كانت خافية على أولئك الناس، وقد انطلق ذلك التكذيب من قبل تلك الفرقة المنافقة التى كانت متغلغلة فى صفوف أهل الكوفة والتى كانت تنسب الإمام عليه السلام إلى الكذب كلما أخبر عن

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۹۷

وقوع بعض الحوادث بصفته

«تعلّم من ذى علم».

كما يمكن أن تكون العبارة إشارة إلى الأحكام والمعارف الإسلامية التى تعلمها الإمام عليه السلام من القرآن الكريم أو من النبى صلى الله عليه و آله وعجزت أفكار المنافقين عن إدراكها وفهمها. وقد صرح ابن أبى الحديد قائلًا: وإذا تأملت أحواله فى خلافته كلها وجدتها هى مختصرة من أحوال رسولاللّه صلى الله عليه و آله فى حياته، كأنّها نسخة منتسخة منها فى حربه وسلمه وسيرته وأخلاقه

وكثرة شكايته من المنافقين من أصحابه والمخالفين لأمره، وإذا أردت أن تعلم ذلك علماً واضحاً فاقرأ سورة

«براءة»

ففيها الجم الغفير من المعنى الذى أشرنا إليه ۱۴۷]. ومن الواضح أنّ أول موحد ومؤمن باللَّه ومصدق بالنبى صلى الله عليه و آله لايكذب قط ولايتكم بما لايعلم إنما يفترى الكذب من لا يؤمن باللَّه ولايعرف للورع والتقوى من معنى. بعبارة أخرى: فان كافة معارف الإمام عليه السلام حتى الأخبار الغيبية التى كان يحدث عنها إنّما كانت دروساً تعلمها من النبى صلى الله عليه و آله، فهل من سبيل إلى الكذب لهذه الأخبار من قبل تلميذ النبى صلى الله عليه و آله وربيبه الوفى على عليه السلام؟ إلّاأنّ المنافقين عمى الابصار والبصائر لايرون سوى منافعهم، من هنا كانوا حريصين على تشويه سمعة الإمام عليه السلام. ثم يختتم الإمام عليه السلام خطبته قائلًا:

«كلَّا واللَّه! لكنَّها لهجةٌ[۱۴۸] غبتم عنها، ولم تكونوا من أهلها ويل امّه ۱۴۹] كيلًا بغير ثمنٍ! لو كان له وعاءٌ، ولتعلمنّ نبأه بعد حينٍ»

والمراد بالعبارة

«لكنّها لهجةٌ غبت م عنها»

- وبالالتفات إلى أنّ اللهجة هنا تعنى الحقائق الغائبة عنهم- أنّ تكذبيكم وإنكاركم إنّما يستند إلى جهلكم وضحالة أفكاركم وعدم علمكم بالأسرار التى تعلمتها من رسولاللَّه صلى الله عليه و آله والقرآن، ولاعجب ف

«النّاس أعداء ما جهلوا».

أمّا العبارة

«ويل امه»

- التى تفيد الترحم والتعجب كما ترد أحياناً للدعاء بالشر- فلها

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۹۸

معنيان لدى الشرّاح؛ المعنى الأول: تأسفه عليه السلام من الجهود التى بذلها بحق اولئك المردة، والثانى:

لعن المنافقين الذين دأبوا على الفساد والانحراف أبان حكومته عليه السلام، ويبدو المعنى الثانى أنسب.

تأمّلان

۱- على عليه السلام أول من أسلم

لقد صرحت هذه الخطبة وعلى غرار سائر خطب نهجالبلاغة أنّ علياً عليه السلام هو أول من آمن بالنبى صلى الله عليه و آله من الرجال (لأنّ خديجة هى الصديقة الاولى بالنبى صلى الله عليه و آله من النساء). وبالطبع فقد سعى بعض المتعصبين من أبناء العامة كصاحب البداية والنهاية للمساس بهذه الحقيقة المسلمة تأريخيا وروائيا من خلال بعض الذرائع الواهية، ولكن كما أشرنا آنفا فانّ هذه الحقيقة ثابتة على متوى التأريخ والروايات. فقد نقل العلّامة الامينى فى المجلد الثالث من غديره حدود مئة حديث بهذا الشأن عن مصادر العامة، والتى ورود بعضها عن رسولاللَّه صلى الله عليه و آله والبعض الاخر عن الصحابة والتابعين، ومنها:

۱- عن النبى صلى الله عليه و آله أنّه قال

«أوّلكم وارداً علىّ الحوض أوّلكم إسلاماً علىُّ بن أبى طالبٍ».[۱۵۰]

۲- وقال على عليه السلام:

«أنا عبد اللّه وأخو رسول اللّه وأنا الصّدّيق الْاكْبر، لا يقولها بعْدى إلّا كاذبٌ مفترٍ، ولقد صلّيت مع رسولاللّه صلى الله عليه و آله قبل النّاس بسبع سنين، وأنا أوّل من صلّى معه».[۱۵۱]

۳- وروى ابن عباس عن رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله:

«إنّ أوّل من صلّى معى علىٌّ».[۱۵۲]

۴- كان من بين الاسئلة التى طرحها الحسن المجتبى عليه السلام فى مجلس معاوية:

«أنشدكم باللّه هل تعلمون أنّه أوّل النّاس إيماناً».[۱۵۳]

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۹۹

۵- روت أغلب المصادر المعتبرة عن خادم النبى صلى الله عليه و آله أنس بن مالك قال

«نبّىء النّبىّ يوم الإثنين وأسلم علىٌّ يوم الثّلاثاء»[۱۵۴]

. ۶- قال ابن عباس كنت عند عمر فجرى الكلام عن السبق فى الإسلام، فقال عمر: ثلاث لعلى بن أبى‌طالب عليه السلام لو كانت لى واحدة منها لكانت خيراً لى ممّا طلعت عليه الشمس: فقد ربت رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله على كتف على عليه السلام وقال:

«يا علىّ! أنت أوّل المسلمين إسلاماً وَأنت أوّل المؤمنين إيماناً، وأنت منّى بمنزلة هارون من موسى».[۱۵۵]

۷- روى أحمد بن حبل- أحد الائمة الأربعة- فى مسنده أنّ علياً عليه السلام قال:

«لقد صلّيت قبل أن يصلّى أحدٌ، سبعاً»[۱۵۶]

فالأحاديث الواردة بهذا الشأن كثيرة لايسع المقام ذكرها. وقد صنف المرحوم العلّامة الامينى هذه الأحاديث (أحاديث رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله، أحاديث على عليه السلام، أحاديث الإمام الحسين عليه السلام وأحاديث الصحابة والتابعين والاشعار التى انشدت بهذا الخصوص) إلى جنب شهادة المؤرخين كالطبرى فى التأريخ وابن الأثير فى الكامل ونصر بن مزاحم فى صفين (ومن أراد المزيد فليراجع المجلد من كتاب الغدير ص ۲۱۸ فصاعدا). كما نقل ابن أبى الحديد طائفة من هذه الأحاديث عن مصادر العامة فى شرحه لنهج البلاغة.[۱۵۷]

۲- إجابة عن سؤال

الجدير بالذكر أنّ بعض المتعصبين الذين لم يسعهم التنكر لهذه الفضيلة من وجهة النظر التأريخية والروائية، تشبثوا ببعض الذرائع للحد من قيمتها، وأهم تلك الذرائع:

يزعمون أنّ علياً عليه السلام لما أسلم كان له من العمر عشر سنوات والإسلام لايقر إسلام الصبيان؛ وقد إتسعت حدة هذه الذريعة الجوفاء فى الاوساط المعادية للإمام عليه السلام لتظن بتعذر الاجابة على هذا الأشكال، والحال:

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۰۰

أولًا: من المناسب أن نذكر الحوار الذى دار بين المأمون الخليفة العباسى مع فقيه العامة اسحق. قال المأمون: يا إسحاق أى الأعمال كان أفضل يوم بعث رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله؟ قلت:

الاخلاص بالشهادة. قال: أليس السبق إلى الإسلام؟ قلت: نعم. قال: فهل علمت أحداً أسبق علياً عليه السلام إلى الإسلام؟ قلت: يا أميرَالمؤمنين، إن علياً أسلم وهو حديث السن لايجوز عليه الحكم. قال: فأخبرنى عن إسلام على حين أسلم؟ لايخلو من أن يكون رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله دعاه إلى الإسلام، أو يكون إلهاما من اللّه. فاطرق اسحاق ولم يجب.[۱۵۸]

وأضاف المرحوم العلّامة الأمينى بعد نقله لهذه المحاورة: وقال أبوجعفر الاسكافى المعتزلى المتوفى ۲۴۰ فى رسالته: قد روى الناس كافة إفتخار على عليه السلام بالسبق إلى الإسلام، وإن النبى صلى الله عليه و آله استنبئ يوم الاثنين وأسلم على عليه السلام يوم الثلاثاء. وإنّه كان يقول: صليت قبل الناس سبع سنين وإنه مازال يقول: أنا أول من أسلم. ويفتخر بذلك ويفتخر له به أولياؤه وما دحوه وشيعته فى عصره وبعد وفاته، والأمر فى ذلك أشهر من كل شهير، وقد قدمنا منه طرفاً وما علمنا أحداً من الناس فيما خلا إستخف

بإسلام على عليه السلام ولا تهاون به، ولا زعم أنّه أسلم إسلام حدث نحرير وطفل صغير، ومن العجب أن يكون مثل العباس وحمزة ينتظران أباطالب وفعله ليصدوا عن رأيه، ثم يخالفه على إبنه لغير رغبة ولا رهبة يؤثر القلة على الكثرة، والذل على العزة من غير علم ولا معرفة بالعاقبة[۱۵۹]. وروى فى الخبر الصحيح أنّه لكفه فى مبدأ الدعوة قبل ظهور كلمة الإسلام وانتشارها بمكة أن يصنع له طعاما وأن يدعو له بنى عبدالمطلب، فصنع له الطعام ودعاهم ثلاثا، ثم كلمهم صلى الله عليه و آله فدعاهم إلى الدين ثم ضمن لم يوازره منهم وينصره على قوله أن يجعله أخاه فى الدين ووصيه بعد موته وخليفته من بعده فامسكوا كلهم وأجابه هو وحده وقال: أنا أنصرك على ما جئت به واوازرك وأبايعك، فنصبه وصيه وخليفته، فضحك القوم وقالوا لأبى طالب: أطع إبنك فقد أمره عليك.

وزبدة القول فانّ رسولاللّه صلى الله عليه و آله قبل إسلام على عليه السلام، فمن قال بعدم إعتبار إسلامه بسبب عمره، فى الواقع يشكل على النبى صلى الله عليه و آله.

ثانياً: جاء فى الروايات المشهورة لقصة يوم الدار إن النبى صلى الله عليه و آله أعدّ طعاما ودعا إليه قرابته

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۰۱

من قريش فدعاهم إلى الإسلام وأنّ من يجب دعوته ويقف إلى جانبه فى الدفاع عن الإسلام سيكون وحيه وخليفته، فلم يجبه إلّاعلى بن أبىطالب عليه السلام الذى قال: أنا يا رسولاللّه صلى الله عليه و آله، فقال النبى صلى الله عليه و آله: أنت أخى ووصيى وخليفتى.[۱۶۰] فهل هناك من يعقل أن النبى صلى الله عليه و آله جعل علياً عليه السلام أخيه ووصيه وخليفته ودعا الآخرين إلى طاعته بحيث يسخر منه زعماء الكفر والشكر ويقولون لأبىطالب عليك أن تسمع لولدك وتطيع، ولم يكن إسلامه مقبولًا؟! لا شك أنّ سن البلوغ ليس شرطاً لقبول الإسلام، فكل فتى له عقل وتمييز كاف ويعتنق الإسلام وعلى فرض أنّ أباه ليس مسلماً فانه يصبح فى زمرة المسلمين إذا إنفصل عنه.

ثالثاً: يستفاد من القرآن أنّ البلوغ ليس شرطاً حتى فى النبوة، حيث بلغ النبوة حتى من كان صبياً، فقد صرح القرآن بشأن نبى اللّه يحيى عليه السلام بقوله:

«وَآتَيْناهُ الحُكْمَ صَبِيّاً»[۱۶۱]

. كما ورد بشأن عيسى عليه السلام أنّه قال

«إنّى عبداللّه آتانى الكتاب وجعلنى نبيّاً»[۱۶۲]

. وإلّا بعد من كل هذا فان النبى صلى الله عليه و آله قد قبل الإمام على عليه السلام، كما ذكرنا ذلك وأنّ النبى صلى الله عليه و آله صرح يوم الدار بانه أخوه ووصيه وخليفته.

على كل حال فان الروايات التى صرحت بانّ علياً عليه السلام هو أول من لبى دعوة النبى صلى الله عليه و آله وأسلم، إنّما تنطوى على فضيلة لاتضاهيها فضيلة لعلى عليه السلام، فلا يرقى أحد لأن يكون فى مصافه عليه السلام، ومن هنا كان عليه السلام أنسب فرد من هذه الامة بخلافة رسولاللّه صلى الله عليه و آله.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۰۳

الخطبة[۱۶۳] الثانية و السبعون

اشارة

ومن خطبة له عليه السلام

علم فيها الناس الصلاة على النبى صلى الله عليه و آله وفيها بيان صفات اللّه سبحانه

وصفة النبى والدعاء له

نظرة إلى الخطبة

تتالف هذه الخطبة فى الواقع من ثلاثة أقسام:

القسم الأول: قصير جداً يتحدث عن صفات اللّه سبحانه كمقدمة لاستنزال الرحمة والصلوات على النبى صلى الله عليه و آله.

القسم الثانى: تعليم كيفية الصلاة على النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، كما تطرق إلى ذكر العديد من صفاته وخدماته الجليلة إلى البشرية ومبادئ الحق، والتى تستلزم أشرف الصلوات.

القسم الثالث: يتضمن مجموعة من الأدعية العظيمة بشأن النبى صلى الله عليه و آله، كما ورد فيه سؤال البارئ سبحانه تعزيز رابطة الأفراد بالنبى صلى الله عليه و آله ومرافقته فى الجنّة.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۰۵

القسم الأول: ربّ السموات

«اللَّهُمَّ داحِيَ الْمَدْحُوَّاتِ، وَداعِمَ الْمَسْمُوكاتِ، وَجابِلَ الْقُلُوبِ عَلَى فِطْرَتِها: شَقِيِّها وَسَعِيدِها».

الشرح والتفسير

يثنى الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة على اللّه سبحانه بثلاث من صفاته:

«اللّهمّ داحى ۱۶۴] المدحوّات، وداعم ۱۶۵] المسموكات،[۱۶۶] وجابل ۱۶۷] القلوب على فطرتها: شقيّها وسعيدها»

فالعبارة الاولى إشارة إلى بداية خلق السموات والأرض، حيث تشير النظريات إلى أنّ الكون والكرات والأجرام السماوية كانت كتلة واحدة ثم انفصلت عن بعضها لعدّة عوامل حتى إتسعت إلى ما هى عليه اليوم. كما كانت الأرض مطمورة تحت الماء، ثم ظهرت اليابسة شيئا فشيئا بعد أن نفذت المياه إلى المناطق العميقة والشقوق الأرضية، ثم إتسعت بمرور الزمان، حتى تكونت المناطق اليابسة والبحار، وأخيراً أصبحت الأرض أكثر إتساعاً بفعل جاذبية الأحجار السماوية، فقد صرح القرآن بهذا لاشأن قائلًا: «وَالسَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْدٍ وَإِنّا لَمُوسِعُونَ* وَالأَرْضَ فَرَشْناها فَنِعْمَ الماهِدُونَ»[۱۶۸]. والعبارة

«داعم المسموكات»

تعنى

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۰۶

حافظ السموات بما فيها السيارات والثوابت والمجرات بواسطة القوى الجاذبية اللامرئية؛ وهى القوى التى تحفظها بحيث لا تتغير المسافة بين كرات المنظومة الشمسية رغم مرور ملايين السنين؛ الأمر الذى أشار إليه القرآن الكريم: «وَإِنْ مِنْ شَيءٍ إِلّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كانَ حَلِيماً غَفُوراً»[۱۶۹]. أما العبارة

«و جابل القلوب»

فهى إشارة إلى العلوم الفطرية والإلهية والغرائز والرغبات النافعة التى أودعها اللّه باطن الإنسان؛ العلوم والغرائز والرغبات التى تمثل الوسائل التى يوظفها الإنسان فى مسيرته نحو السمو والتكامل والسير إلى اللّه إلى جانب الرقى المادى والمعنوى. ولعل هنالك من يعتقد أن اللّه أودع الشقاء والسعادة ذات الإنسان، بحيث هناك السعداء ذاتاً والأشقياء ذاتاً، والحال لاتفيد العبارة الواردة فى الخطبة مثل هذا المعنى، بل تصرح العبارة بأنّ اللّه أودع هذه العلوم كافة أفراد البشر من آل أمره إلى السعادة أو الشقاء، وان إعتمدها البعض ووظفها من أجل السعادة وتجاهلها البعض الآخر ليزج بنفسه فى وادى البؤس والشقاء؛ ولعل الحديث المعروف

«كلّ مولودٍ يولد على الفطرة ...»[۱۷۰]

يشير إلى هذا المعنى. فمن الواضح أنّ السعادة والشقاء لو كانا ذاتيين وكل فرد مجبر على سلوك السبيل الذى عين له سبقاً، أن يكون من العبث بعث الأنبياء وانزال الكتب السماوية والتكاليف والمسؤوليات والأحكام الشرعية والثواب والعقاب، وبكلمة واحدة كافة المسائل المرتبطة بالتربية والتعليم وآثارها ومعطياتها؛ الأمر الذى لايقره العقل ولا الشرع. قال القرآن: «إِنّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ إِمّا شاكِراً وَإِمّا كَفُوراً»[۱۷۱]. كما قال فى موضع آخر: «وَنَفْسٍ وَما سَوّاها* فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها»[۱۷۲]. فالواقع هو أن الحق سبحانه أرشد الإنسان إلى طرق السعادة والشقاء دون أنّ يجبره على شئ، فهو مختار فى أى سبيل سلك، ومن هنا كان مسؤولا أمام اللّه وضميره.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۰۷

القسم الثانى: آلاف التحية و السلام على النبى صل الله عليه و آله

«اجْعَلْ شَرائِفَ صَلَواتِكَ، وَنَوامِيَ بَرَكاتِكَ، عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ الْخاتِمِ لِما سَبَقَ، وَالْفاتِحِ لِما انْغَلَقَ، وَالْمُعْلِنِ الْحَقَّ بِالْحَقِّ، وَالدَّافِعِ جَيْشاتِ الْأَباطِيلِ، وَالدّامِغِ صَوْلاتِ الْأَضالِيلِ، كَما حُمِّلَ فاضْطَلَعَ، قائِماً بِأَمْرِكَ، مُسْتَوْفِزاً فِي مَرْضاتِكَ، غَيْرَ ناكِلٍ عَنْ قُدُمٍ، وَلا واهٍ فِي عَزْمٍ، واعِياً لِوَحْيِكَ، حافِظاً لِعَهْدِكَ، ماضِياً عَلَى نَفاذِ أَمْرِكَ؛ حَتَّى أَوْرَى قَبَسَ الْقابِسِ، أَضاءَ الطَّرِيقَ لِلْخابِطِ، وَهُدِيَتْ بِهِ الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضاتِ الْفِتَنِ الْآثامِ، وَأَقامَ بِمُوضِحاتِ الْأَعْلامِ، وَنَيِّراتِ الْأَحْكامِ، فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ، وَخازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ، وَبَعِيثُكَ بِالْحَقِّ، ورَسُولُكَ إِلَى الْخَلْقِ».

الشرح والتفسير

يصلى الإمام عليه السلام أفضل الصلوات وأزكاها على النبى صلى الله عليه و آله ذاكراً أكثر من عشرين صفة من صفاته البارزة صلى الله عليه و آله التى تستلزم أطهرا الصلوات عليه

«اجعل شرائف ۱۷۳] صلواتك ونوامى ۱۷۴] بركاتك على محمّدٍ عبدك ورسولك»

فالصلوات هى رحمة اللّه، والبركات نعمه سبحانه كما تطرق الإمام عليه السلام إلى صفتين بارزتين مهمتين من صفاته صلى الله عليه و آله: الاولى العبودية، والثانية الرسالة.

فالعبودية تشكل إحدى إفتخارات الإنسان المسلم للّه سبحانه، فيرى كل شئ للّه حتى امواله

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۰۸

التى يملكها بالظاهر فهى، فقد ورد عن أميرالمؤمنين على عليه السلام أنّه قال

«إلهى كفى بى عزّاً أن أكون لك عبداً وكفى بى فخراً أن تكون لى ربّاً»[۱۷۵]

ثم أشار إلى ختمه للأنبياء فى الصفة الثالثة فقال:

«الخاتم لما سبق»

فان كانت ما تعود إلى العاقل فالعبارة تفيد الأنبياء السابقين وخاتمهم رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله. وان كانت لغير العاقل عنت اختتام الشرائع السابقة بشريعة نبى الإسلام صلى الله عليه و آله. ثم قال عليه السلام

«والفاتح لما انغلق، والمعلن الحقّ بالحقّ»

والمراد بالعبارة

«الفاتح لما انغلق»

أبواب العلوم والمعارف والمسائل الإنسانية الإخلاقية والاجتماعية المعقدة التى فتحها رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله بوجه البشرية بدينه ونوره وهدايته، والعبارة

«المعلن الحق بالحق»

يمكن أن تكون إشارة إلى المعجزات التى تبيّن أحقية النبى صلى الله عليه و آله، كما يمكن أن يراد بها منطقه الذى يكشف النقاب عن الحقائق، أو المعارك والغزوات التى أقصت خصوم الدعوة لترى الامّة الحقائق، أو توضيح الحقائق بقرائن بعضها البعض الآخر من قبيل تفسير بعض الآيات القرآنية ببعضها الآخر، وأخيراً يمكن أن تكون جميع هذه المعانى مرادة بالعبارة.

ثم قال عليه السلام

«والدّافع جيشات ۱۷۶] الاباطيل، والدّامغ ۱۷۷] صوْلات ۱۷۸] الاضاليل»

والجدير بالذكر فى العبارة التعبير عن الباطل بالجيشات وعن عوامل الضلال بالصولات حيث تصور كل منهما عمق ما تختزنه هذه المفردات فالباطل ملىء بالصخب والضجيج، كما أنّ عناصر الضلال غالباً ماتهجم على العزل من الناس. ثم قال عليه السلام فى مقام بيان علة الدعوة لهذه الصلوات الوافرة

«كما حمّل فاضطلع»[۱۷۹]

فكما هنا بمنزلة التعليل وتفيد معنى لأنّه، والواقع أنّ قبول هذه المسؤولية العظمى وتحمل كافة تبعاتها بعد من أهم خصائص النبى صلى الله عليه و آله التى تجعله يستحق

الشكر والثناء. وقال عليه السلام

«قائماً بأمرك، مستوفزاً[۱۸۰] فى مرضاتك»

فالقيام بالأمر إشارة إلى جدية الأوامر الإلهية لأنّ الإنسان ينهض من أجل القيام بالأعمال الجادة. فالتعبيران لايشيران إلى مدى إمتثال النبى صلى الله عليه و آله لأحكام السماء فحسب، بل كان يسارع إلى الاتيان بكل ما يرضى اللّه سبحانه وان لم تصدر إليه الأوامر. ثم قال عليه السلام:

«غير ناكلٍ ۱۸۱] عن قدم،[۱۸۲] ولاواهٍ فى عزم»

فكثير هم الجديون فى قرارتهم والانطلاق فى أعمالهم، إلّاأنّهم يضعفون فى الاستمرار والمواصلة، والمهم أن يواصل الإنسان نشاطه وعمله. ويفيد التأريخ أنّ النبى صلى الله عليه و آله لم ينكل أو يضعف أمام الوساس والضغوط، كما لم يكن يلين تجاه أى مبادرة منحرفة، ومن ذلك قوله

«واللّه لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على ان اترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره اللّه او أهلك دونه»[۱۸۳]

. ثم قال عليه السلام:

«واعياً[۱۸۴] لوحيك، حافظاً لعهدك، ماضياً على نفاذ أمرك».

ثم اشار الإمام عليه السلام إلى النتيجة التى تمخضت عنها جهود النبى صلى الله عليه و آله وتضحيته

«حتّى أورى ۱۸۵] قبس ۱۸۶] القابس، وأضاء الطّريق للخابط،[۱۸۷] وهديت به القلوب بعد خوضات ۱۸۸] الفتن والْآثام».

والعبارة تلمح إلى سرعة إنتشار الإسلام واشراقة شبه الجزيرة العربية التى كانت مهد الكفر والشرك ومركز الجهل والجريمة، ولا يشك فى هذه الحقيقة من كان له أدنى إلمام بالتأريخ الإسلامى؛ الأمر الذى إعترف به حتى خصوم الدعوة. ثم قال عليه السلام:

«و أقام بموضحاتالأعلام، و نيّرات الأحكام».

فالواقع وبغية الحيلولة دون تلكؤ أصحاب الحق فى

مسيرتهم، لابدّ من نصب العلامات الدالة على الطريق واضاءت كافة ظلماته، وهذا ما فعله رسولاللّه صلى الله عليه و آله حين أضاء

كل معالم الطريق ونصب الأدلاء عليه. ومن ذلك الأحكام المتعلقة بالصلوات اليومية وصلاة الجمعة- وبمراسها الخاصة- وحج بيتاللّه الحرام التى من شأنها هداية أتباع الحق وصدهم عن الحيرة والضلال، إلى جانب بيانه للأحكام ذات الصلة بالقضايا الاجتماعية والتربوية والسياسية والاقتصادية. ثم يختتم عليه السلام هذا الفصل من الخطبة بخمس صفات أخرى للنبى الأكرم صلى الله عليه و آله فقال:

«فهو أمينك المأمون، وخازن علمك المخزون، وشهيدك يوم الدّين، بعيثك بالحقّ، ورسولك إلى الخلق»

فبعض هذه الصفات مقدمة وبعضها الآخر نتيجة. فكونه أمين اللّه وخازن علمه إنّما هى مقدمة من أجل الرسالة إلى الخلق والبعث بالحق، كما أنّ شهادته يوم القيامة إنّما تمثل نتيجة هذه الرسالة. أمّا قوله عليه السلام:

«أمين مأمون»

هو تأكيد لمدى أمانته صلى الله عليه و آله واشارة إلى العصمة المشروطة فى النبوة. وأمّا قوله عليه السلام:

«خازن علمك المخزون»

، فالمراد به علمه صلى الله عليه و آله باسرار الغيب، وقد أشرنا إلى ذلك فى حينه إلى تعذر قيام الأنبياء والأئمة بوظيفتهم بصورة تامة دون العلم بتلك الاسرار والخفايا، وقد أشار القرآن بهذا الشأن:

«عالِمُ الغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً* إِلّا مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً* لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسالاتِ رَبِّهِمْ»[۱۸۹]

والعبارة

«شهيدك يوم الدين»

مستوحاة من الآية ۱۴۳ من سورة البقرة: «وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلى النّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً» والآية ۸۹ من سورة النحل: «وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنا بِكَ شَهِيداً عَلى هؤُلاءِ ...» التى تشير إلى شهادة النبى صلى الله عليه و آله على أعمال الامّة وشهادته على شهداء سائر الامم.

ولما كانت الشهادة من فروع العلم، فان هذه التعبيرات تشكل دليلًا آخر على علمه صلى الله عليه و آله بأسرار الغيب.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۱۱

القسم الثالث: الحشر مع النبى صلى الله عليه و آله

اشارة

«اللَّهُمَّ افْسَحْ لَهُ مَفْسَحاً فِى ظِلِّكَ؛ واجْزِهِ مُضاعَفاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ، اللَّهُمَّ وأَعْلِ عَلَى بِناءِ الْبانِينَ بِناءَهُ، وأَكْرِمْ لَدَيْكَ مَنْزِلَتَهُ، وأَتْمِمْ لَهُ نُورَهُ، واجْزِهِ مِنِ ابْتِعاثِكَ لَهُ مَقْبُولَ الشَّهادَةِ، مَرْضِيَّ الْمَقالَةِ، ذا مَنْطِقٍ عَدْلٍ، خُطْبَةٍ فَصْلٍ. اللَّهُمَّ اجْمَعْ بَيْنَنا وبَيْنَهُ فِى بَرْدِ الْعَيْشِ وقَرارِ النِّعْمَةِ، ومُنَى الشَّهَواتِ، وأَهْواءِ اللَّذّاتِ، ورَخاءِ الدَّعَةِ، ومُنْتَهَى الطُّمَأْنِينَةِ، وتُحَفِ الْكَرامَةِ».

الشرح والتفسير

يتضرع الإمام عليه السلام بدعاء جامع بحق النبى صلى الله عليه و آله، ليعلمنا فى الواقع كيفية الدعاء للنبى صلى الله عليه و آله، فقد سأل اللّه للنبى صلى الله عليه و آله ستة أشياء:

«اللّهمّ افسح ۱۹۰] له مفسحاً فى ظلّك»

فالظل هنا قد يراد به المعنى الكنائى، كما يمكن أن يراد به ظل لطف اللّه وكرمه وجوده، أو أن يقصد به المعنى الحقيقى ليعنى ظلال

الجنان فى المحشر، فقد ورد فى الحديث:

«أنّ فى الجنّة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة لا يقطعها»[۱۹۱]

. ثم قال عليه السلام:

«واجزه مضاعفات الخير من فضلك»

ومن الواضح أنّ الثواب الإلهى هو الضعف على الدوام، ولاغرو فذلك نابع من فضله وجوده وكرمه التى لاترى مكافئة الأعمال بمثلها دون زيادة، مع ذلك فقد سأل اللّه المزيد لنبيه صلى الله عليه و آله. ثم قال عليه السلام:

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۱۲

«اللّهمّ وأعل على بناء البانين بناءه، وأكرم لديك منزلته»

والمراد بالبناء هنا إمّا دين النبى صلى الله عليه و آله الذى سأل اللّه إظهاره وعلوه على سائر الأديان، وإمّا مقامه صلى الله عليه و آله وعلوه على من سواه.

وتضرع عليه السلام قائلًا:

«و أتمم له نوره، واجزه من ابتعاثك له مقبول الشّهادة، ومرضى المقالة، ذا منطقٍ عدلٍ، وخطبةٍ فصلٍ»

والجدير بالذكر فى هذا الدعاء أنّه عدّ شفاعة النبى صلى الله عليه و آله لُلامّة جزاء تبليغه الرسالة؛ الأمر الذى تعود بركته على الامّة وهذا ما يمثل قمة لطفه وكرمه عليه السلام.

كما أشارت العبارة إلى أنّ شهادته وشفاعته صلى الله عليه و آله ليست إعتباطية فمنطقه العدل وحديثه الفرقان بين الحق والباطل، فاذا شفع لشخص أو جماعة فقد توسم فيهم الشفاعة، وهذا ما أوردناه فى بحث الشفاعة، فى أنّها خاضعة لقانون وليست عبثية، بل للشفاعة مقدماتها التى تكمن فى الأهلية والاستحقاق، وبعبارة اخرى لابدّ أن تكون هنالك رابطة معنوية قائمة بين الشفيع والمشفع فيه، وإلّا فمن قطع هذه الرابطة فهو لايستحق الشفاعة، ولعل هذه الشفاعة هى المقام الذى أشارت إليه الآية القرآنية: «وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لَكَ عَسى أنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً».[۱۹۲]

ثم يختتم الإمام عليه السلام خطبته بالدعاء له وصحبه:

«اللّهمّ اجمع بيننا وبينه فى برد العيش‌قرار النّعمة، ومنى الشّهوات، وأهواء اللّذّات، ورخاء الدّعة،[۱۹۳] ومنتهى الطّمأنينة، وتحف الكرامة»

ويبدو أن هذه هى خصائص الجنّة من قبيل السكينة والكرامة الإلهية والنعم الطيبة والمعنوية والمادية إلى جانب البقاء والخلود.

تأمّل: معطيات الصلاة على النبى صلى الله عليه و آله

اشارة

لقد تضمنت الخطبة أزكى الصلوات والتحيات على النبى الأكرم صلى الله عليه و آله؛ الأمر الذى ينبهنا إلى عظم هذه المسألة التى صرحت بها التعاليم الإسلامية. فالواقع هو أن الروايات الإسلامية

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۱۳

أكدت الصلوات على النبى صلى الله عليه و آله ومدى الأجر والثواب الذى أشارت إليه مصادر الفريقين إزاء هذا العمل بما يفوق التصور ويدعو إلى الدهشة والذهول، ومن هنا فقد إقتطفنا بعض الروايات الواردة بهذا الشأن والتى نلفت إليها إهتمام القراء الأعزاء ثم نسلط الضوء على ما ورد فيها:

۱- فقد جاء فی الحدیث أنّ أمیرالمؤمنین علی علیه السلام قال:

«ألصّلاة علی النّبیّ وآله أمحق للخطایا من الماء إلی النّار والسّلام علی النّبیّ أفضل من عتق رقابٍ».[۱۹۴]

۲- وفی الخبر عن الإمام الصادق علیه السلام قال:

«إذا ذکر النّبیّ فأکثروا الصّلاة علیه فإنّه من صلّی علی النّبیّ صلاةً واحدةً صلّی اللّه علیه ألف صلَاةٍ فی أَلف صَفٍّ منَ المَلائکَة ولم یبق شیءٌ ممّا خلقه اللّه إلّاصلّی علی ذلک العبد لصلاة اللّه علیه وصلَاة مَلائکَته فمن لم یرغب فی هذا فهو جاهلٌ مغرورٌ قد برئ اللّه منه ورسوله وأهل بیته».[۱۹۵]

۳- عن رسولاللّه صلی الله علیه و آله قال:

«کلّ دعاءٍ محجوبٌ حتّی یصلّی علی النّبیّ».[۱۹۶]

۴- وعن رسولاللّه صلی الله علیه و آله أیضاً قال:

«الصّلَاة عَلَیّ نورٌ عَلَی الصّرَاط».[۱۹۷]

۵- وروی عن الإمام الباقر أو الصادق علیهما السلام انه قال:

«ما فی المیزان شیءٌ أثقل من الصّلاة علی محمّدٍ وآل محمّدٍ وإنّ الرّجل لتوضع أعماله فی المیزان فتمیل به فیخرج الصّلاة علیه فیضعها فی میزانه فترجّح».[۱۹۸]

۶- کما روی عنه صلی الله علیه و آله قال:

«إذا کان یوم الخمیس بعث اللّه ملائکةً معهم صحفٌ من فضّةٍ و أقلامٌ من ذهبٍ یکتبون یوم الخمیس ولیلة الجمعة أکثر النّاس علیَّ صلاةً».[۱۹۹]

۷- وعنه صلی الله علیه و آله قال:

«صلّوا علیّ فإنّ الصّلاة علیَّ زکاةٌ لکم».[۲۰۰]

۸- عن الإمام الصادق علیه السلام أنّ رسولاللّه صلی الله علیه و آله قال لعلی علیه السلام:

«ألَا أبشّرک؟ قال: بلی بأبی

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۱۱۴

أنت وأمّی فإنّک لم تزل مبشّراً بکلّ خیرٍ. فقال: أخبرنی جبرئیل آنفاً بالعجب. فقال أمیرالمؤمنین: وما الّذی أخبرک یا رسول اللّه؟ قال: أخبرنی أنّ الرّجل من أمّتی إذا صلّی علیَّ فأتبع بالصّلاة علی أهل بیتی فتحت لَه أبواب السماء وصلّت علیه الملائکة سبعین صلاةً وأنّه إن کان من المذنبین تحاتّ عنه الذّنوب کما تحاتّ الورق من الشّجر».[۲۰۱]

۹- وروی عنه صلی الله علیه و آله قال:

«أکثروا الصّلاة علیّ فإنّ اللّه وکّل بی ملکاً عند قبری فإذا صلّی علیّ رجلٌ من أمّتی قال ذلک الملک یا محمّد: إنّ فلان بن فلانٍ صلّی علیک السّاعة».[۲۰۲]

۱۰- وروی الإمام الباقر علیه السلام أنّ رسولاللّه صلی الله علیه و آله قال:

«من صلّی علیَّ إیماناً واحتساباً إستأنف العمل».[۲۰۳]

۱۱- ولم یقتصر وجوب الصلاة علی النبی صلی الله علیه و آله عند ذکر إسمه فحسب، بل تأکد ذلک حتی حین الکتابة، فقد روی عن رسولاللّه صلی الله علیه و آله أنّه قال:

«من صلّی علیَّ فی کتابٍ لم تزل الملائکة تستغفر له مادام اسمی فی ذلک الکتاب».[۲۰۴]

۱۲- روت عائشة عن النبی صلی الله علیه و آله أنّه قال:

«من سرّه أن يلقى اللّه غداً راضياً فليكثر الصّلاة، عليّ».[۲۰۵]

وزبدة الكلام قد تظافرت الروايات بهذا الشأن والتى تفيد مدى أهمية الصلوات والسلام على النبى وآله، بحيث تضمنت مثل هذا الأجر والثواب لهذا العمل، وما أوردناه فى السابق هو غيض من فيض تلك الروايات.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۱۵

الاجابة على بعض الأسئلة

۱- ما سرّ هذه الاهمية للصلوات على النبى

قبل كل شى يبرز هنا هذا السؤال وهو ما سر كل هذه الأهمية للصلوات؟ وما الأمر الذى تختزنه الصلوات على النبى صلى الله عليه و آله؟ ويمكن القول فى الاجابة على هذا السؤال هو عدم نسيان مكانة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله ومقامه الجليل، ويستلزم ذلك عدم هجر الإسلام وتعاليم الحقة، ومن هنا كانت الصلوات على النبى رمزاً لبقاء الإسلام وديمومة مسيرته. أضف إلى ذلك فانّ الصلوات تدعونا للتعرف بصورة أعمق على مقامه صلى الله عليه و آله والاقتداء باخلاقه وصفاته، ومن هنا وردت بعض التعبيرات التى تفيد أنّ الصلوات على النبى صلى الله عليه و آله تؤدى إلى طهارة الأخلاق ونقاء الاعمال وتساقط الذنوب، ومن ذلك ما جاء فى الزيارة الجامعة:

«و جعل صلاتنا عليكم وما خصّنا به من ولايتكم طيباً لخلقنا وطهارةً لأنفسنا وتزكيةً لنا وكفّارةً لذنوبنا».[۲۰۶]

كما أشير فى عدة روايات إلى تحات الذنوب حين الصلوات على النبى صلى الله عليه و آله. من جانب آخر فان الصلوات على النبى صلى الله عليه و آله وآله إنّما تمطر أرواحهم الطاهرة بوابل من رحمة اللّه، ولما كانوا عليه السلام وسائط الفيض فانّ تلك الرحمة وبركاتها إنّما تنحدر منهم إلى الامّة. وعليه فالصلوات والرحمة عليهم فى الواقع هى صلوات علينا ورحمة لنا. أضف إلى ذلك فانّ الصلوات على النبى صلى الله عليه و آله إنّما يمثل نوعا من الشكر والتقدير للجهود التى بذلها من أجل هدآيه الامّة، وممّا لاشك فيه أن هنالك أجر وثواب لهذا الشكر ومعرفة الجميل.

۲- آثار الصلاة على النبى صلى الله عليه و آله

السؤال الذى يطرح نفسه هنا هو أنّ الصلاة على النبى صلى الله عليه و آله هل لها من دور على منزلته ومقامه صلى الله عليه و آله وآله؟ لعل هنالك من يقول بعدم وجود أى دور لهذه الصلاة فالنبى وآله قد بلغوا المقام الذى يريدون؟ إلّاأنّ خواء هذا الكلام يتضح من خلال الالتفات إلى أنّ المسيرة التكاملية للإنسان إنّما تنطلق من المتناهى إلى اللامتناهى، وعليه فهى مسيرة مفتوحة ليست

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۱۶

محددة باطر وحدود، ومن هنا ورد فى بعض الأدعية وبضمنها التشهد القول بحق النبى صلى الله عليه و آله

«وارفع درجته»[۲۰۷]

وإلى ذلك أشار القرآن: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلى النَّبِيِّ يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً»[۲۰۸] والفعل المضارع (يصلون) يفيد استمرار هذه الرحمة، ومن الواضح أنّ كل مسلم ينطق بالتوحيد والإسلام إنّما يمثل رحمة متجددة لمشيد دعائم هذا الدين، وذلك لأنّه صلى الله عليه و آله صاحب الفضل فى سن هذه السنة الحسنة.

۳- الفاظ الصلوات على النبى صلى الله عليه و آله

السؤال الآخر الـذى يطرح نفسه بهذا الشأن يكمن فى الصـيغة التى ترد بها الصـلاة على النبى صـلى الله عليه و آله. فقد وردت روايات عن طريق الفريقين التى أكدت إقتران آل النبى صلى الله عليه و آله به حين الصلاة. ونكتفى هنا بالإشارة إلى بعض هذه الروايات:

روى فى الـدر المنثور عن صـحيح البخارى ومسـلم وأبوداود والترمـذى والنسائى وابن ماجة وابن مردويه عن كعب بن عجره انّ رجلًا قال للنبى صلى الله عليه و آله:

«أمّا السلام عليك فقد علمناه فكيف الصلاة عليك؟»

قال رسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله:

«قل اللّهم صل على محمـد وعلى آل محمـد كما صـليت على آل ابراهيم إنّك حميد مجيد. اللّهم بارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم إنّك حميد مجيد»

. وإضافة إلى الحديث المذكور فقد نقل صاحب تفسـير الدر المنثور ثمانية عشـر حديثاً صرحت جميعها بوجوب ذكر آل محمد حين الصـلاة عليه، وقد نقلت هذه الأحاديث فى المصادر المشـهورة والمعروفة لدى العامة عن طريق الصـحابة ومنهم: ابن عباس وأبو سعيد الخـدرى وأبو هريرة وطلحـة وأبومسـعود الأنصارى وبريـدة وابن مسـعود وكعب بن عجرة وأميرالمؤمنين على عليه السـلام.[۲۰۹] وقد روى صحيح البخارى ۲۱۰]، عدة روايات بهذا الخصوص، كما

جاءت روايتان فى صحيح مسلم ۲۱۱]، والغريب هو أنّ العنوان الذى ورد فى صحيح مسلم باب الصلاة على النبى صلى اللَّه عليه وسلم (دون ذكر آله) رغم إقتران الآـل بـالنبى صـلى الله عليه و آله فى الأحـاديث المـذكورة. والجـدير بالـذكر هنـا أن بعض روايات العامة وأغلب روايات الشيعة لم تفصل بين محمد وآل محمد بحرف على، والصيغة الواردة هى

«اللّهمّ صلّ على محمّدٍ وآل محمّدٍ».

ونختتم البحث بهذا الحديث الذى ورد فى صواعق ابن حجر[۲۱۲] ان النبى صلى الله عليه و آله قال:

«لا تصـلوا على الصـلاة البتراء! فقالوا: وما الصّلاة البتراء؟ قال: يقولون: أللّهمّ صلّ على محمّـد، وتمسـكون؛ بل قولوا: اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد»

أضف إلى ذلك فقد وردت عدة أحاديث بهذا المجال فى المجلد الأول من كنز العمال.

۴- الصلاة على النبى واجبة أم مستحبة؟

هنا يبرز هـذا السؤال: هل الصـلاة على النبى واجبـة أم مسـتحبة؟ ظاهر الآيـة السادسة والخمسون من سورة الأحزاب: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلى النَّبِيِّ ...» هو الوجوب؛ لأ ننا نعلم أن صيغة الأمر تفيد الوجوب، إلّاأن تكون هناك قرينة على خلافه، وقد أمر اللَّه فى هذه الآية بالصـلاة على النبى، فأقلّ ما يلزم الصـلاة عليه ولو لمرة واحدة. أضف إلى ذلك فانّ مشـهور فقهاء الشـيعة وجمع من فقهاء العامة يعتقد بوجوب الصلاة على النبى صلى الله عليه و آله فى التشهد.

فقد صرح فقيه العامة ابن قدامة فى كتاب المغنى بوجوب الصلاة على النبى فى التشهد الأول وقال:

«أللّهمّ صلّ على محمّدٍ وعلى آل محمّدٍ كما صلّيت على إبراهيم ... وهى واجبةٌ فى صحيح المذهب وهو قول الشّافعى واسحاق ...»

ثم نقل عن ابن راهويه (أحد فقهاء العامة)

«لو أنّ رجلًا ترک الصّلاة علی النّبی صلی الله علیه و آله فی التشهّد بطلت صلاته».

وأضاف: (وظاهر مذهب أحمد أحد الائمة الأربعة لدی العامة) هو الوجوب أیضاً.[۲۱۳]

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۱۱۸

وصرح الشیخ منصور علی ناصف صاحب کتاب الجامع للاصول ذیل الآیة السادسة والخمسین من سورة الأحزاب: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِکَتَهُ یُصَلُّونَ عَلَی النَّبِیِّ ...» أنّ ظاهر الآیة هو وجوب الصلاة علی النبی وعلیه إتفاق العلماء.[۲۱۴]

۵- المفهوم الحقیقی للصلاة علی النبی صلی الله علیه و آله

السؤال الأخیر الذی یطرح نفسه هنا: ما مفهوم هذه الصلوات؟ یتفق العلماء علی أنّ صلاة اللَّه علی العبد تعنی الرحمة، وصلاة الملائکة والناس تعنی طلب العفو والرحمة، أو حسب الروایة الواردة عن الإمام الکاظم علیه السلام حین سئل عن معنی صلوات اللَّه والملائکة والمؤمنین فی الآیة الشریفة: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِکَتَهُ یُصَلُّونَ عَلَی النَّبِیِّ» قال: صلاة اللَّه رحمته وصلاة المؤمنین تقدیسهم للنبی صلی الله علیه و آله وصلاة المؤمنین طلبهم الرحمة للنبی صلی الله علیه و آله.[۲۱۵] ویری البعض أن جمعی هذه ارسال الرحمة أو التقدیس وطلب المغفرة بحیث یردها کل أحد علی ضوء مقتضی حاله.[۲۱۶] ولما کان الأصل اللغوی لهذه المفردة صلی علی وزن سعی بمعنی القذف فی النار أو الاشتغال بهما، فانّ البعض یری أن الصلوات تعنی إبعاد نار العذاب الاخروی، ونتیجته الرحمة أو طلبها؛ إلّا أنّ البعض فرق بین الصلو الناقص الواوی والصلی الناقص الیائی، علی أنّ المعنی الأخیر یتعلق بصلی بینما ترتبط المعانی السابقة بالصلو (لابدّ من التأمل).

علی کل حال فان ما ورد یشیر إلی أنّ کل صلاة وسلام علی النبی صلی الله علیه و آله یمثل رحمة متجددة علی روحه الطاهرة، ولا یستبعد أن تطول تلک الرحة التی تستند لتلک العین الإلهیة الفیاضة الامّة وترفرف علیها، ومن هنا کانت الصلوات والسلام علی النبی صلی الله علیه و آله مصدر رحمة للإنسان وغفران ذنوبه. أما بشأن المراد بآل محمد صلی الله علیه و آله هل هم أهل البیت من ولده، فهذا ما سنعرض إلیه فی الخطبة ۲۳۹. وقد أشرنا فی الخطبة الثانیة من المجلد الأول لهذا الأمر.

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۱۱۹

الخطبة[۲۱۷] الثالثة و السبعون

اشارة

ومن کلام له علیه السلام

قاله لمروان بن الحکم بالبصرة

قالُوا: أُخِذَ مَرْوانُ بْنُ الْحَکَمِ أَسِیراً یَوْمَ الْجَمَلِ، فاسْتَشْفَعَ الْحَسَنَ والْحُسَیْنَ علیه السلام إِلَی أَمِیرِ الْمُؤْمِنِینَ علیه السلام فَکَلَّماهُ فِیهِ، فَخَلَّی سَبِیلَهُ فَقالا لَهُ: یُبایِعُکَ یا أَمِیرَ الْمُؤْمِنِینَ؟ فقالَ علیه السلام:

نظرة إلی الخطبة

یشیر کلامه علیه السلام فی هذه الخطبة إلی عذر مروان وبنی مروان من جانب ویشبه خیانته بخیانة الیهود الذین وقفوا بوجه الدعوة منذ انبثاقها إلی یومنا هذا. کما یخبر علیه السلام عن حکومة بنی‌مروان وهذه الشجرة الخبیثة ومدی المصائب والویلات التی طالت

المسلمين من تلك الحكومة.

وتكشف هذه النبوءة عن إحاطته عليه السلام بالحوادث المستقبلية.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۲۱

«أوَ لَمْ يُبايِعْنِي بَعْدَ قَتْلِ عُثْمانَ؟ لا حاجَةَ لِي فِي بَيْعَتِهِ إِنَّها كَفٌّ يَهُودِيَّةٌ، لَوْ بايَعَنِي بِكَفِّهِ لَغَدَرَ بِسَبَّتِهِ. أَما إِنَّ لَهُ إِمْرَةً كَلَعْقَةِ الْكَلْبِ أَنْفَهُ، هُوَ أَبُو الْأَكْبُشِ الْأَرْبَعَةِ، وسَتَلْقَى الْأُمَّةُ مِنْهُ ومِنْ وَلَدِهِ يَوْماً موتا أَحْمَرَ».

الشرح والتفسير

الغنى عن بيعة مروان

كما أوردنا سابقاً أنّ الإمام عليه السلام قال هذا الكلام لما استشفع إليه الحسن والحسين عليه السلام فى العفو عن مروان بن الحكم لما أسر يوم الجمل، ثم إقترحا على الإمام عليه السلام بيعته، فقال

«أو لم يبايعنى بعد قتل عثمان؟ لَاحَاجَةَ لى فى بَيعَته! إنّهَا كَفٌّ يَهوديّةٌ، لَو بَايَعَنى بكَفّه لَغَدَرَ بسبّته».[۲۱۸]

وتشبيه يده باليد اليهودية تعد إشارة واضحة إلى خيانة مروان وغدره الذى ورثه فى الواقع من أبيه الحكم، عم عثمان بن عفان الذى كان يتجسس على رسولاللَّه صلى الله عليه و آله لصالح الكفار والمشركين والمنافقين إلى جانب سخريته واستهزائه بالنبى صلى الله عليه و آله فنفاه صلى الله عليه و آله إلى الطائف، ولم يشفع رسولاللَّه صلى الله عليه و آله عثمان فى رده إلى المدينة فلما ولى عثمان الخلافة كان أحد أسوأ أعماله التى دعت الناس للقيام عليه إعادة الحكم بن أبىالعاص إلى المدينة. ومن الطبيعى ألا يكون هناك من اعتبار لبيعة هذا الرجل الذى بايع علياً عليه السلام ثم نقض بيعته ولم يقم لها وزناً، رغم أنّ البيعة كانت محترمة حتى فى الجاهلية. فقد نقض بيعته وأجج نار الجمل، فلو بايع ثانية لنقض هذه البيعة

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۲۲

متى تسنح له الفرصة، فقد كان تبعا لهواه، ولم يك للعزة والشرف والالتزام الأخلاقى والشرعى من أهمية لديه. ثم أخبر الإمام عليه السلام عن ثلاثة أمور غيبية بشأن مروان، يكمن الأول فيها فى إستيلائه على الخلافة لمدة قصيرة:

نفحات الولاية ؛ ج۳ ؛ ص۱۲۲

«أما إنّ له إمرةً كلعقة[۲۱۹] الكلب أنفه»

فالكلب حين يزج برأسه فى جيفة ليتناول ممّا فيها، يعلق مقدارا من بقايا تلك الجيفة على أنفه فيمد لها لسانه بغية تناوله وتنظيف ما علق بأنفه. ويمثل هذا التعبير بشأن قصر حكومة مروان منتهى البلاغة والفصاحة، وهو من قبيل:

«المقال المطابق لمقتضى الحال».

نعم فهو كالكلب الذى إنقض على جيفة الحكومة اللامشروعة لآل أمية، ولمدة قصيرة رآها بعض المؤرخين أربعة أشهر وعشرة أيام وقيل ستة أشهر، وأكثر مدة صرح بها المؤرخون هى تسعة أشهر، وهكذا تحققت نبوءة الإمام عليه السلام بشأنه حتى قتل على يد زوجته كما سنعرض لذلك فى البحث القادم. الأمر الثانى الذى تنبأ به الإمام عليه السلام:

«و هو أبوالأكبش ۲۲۰] الأربعة»

والأكبش جمع كبش الحيوان الهائج المعروف حيث يشترك معه ولد مروان بهذه. وذهب بعض شرّاح نهجالبلاغة إلى أنّ المراد بالأكبش الأربعة من ولد مروان هم: عبدالملك الذى ولى الخلافة بعده وعبدالعزيز الذى ولى مصر وبشر فى العراق وأمّا محمد فولى الجزيرة، وقد ورث كل منهم الشر عن أبيه.

وبالطبع فانّ أولاد مروان كثيرون، إلّاأنّ هؤلاء الأربعة قد ولوا الحكومة واليهم أشار الإمام عليه السلام بكلامه. بينما ذهب البعض الآخر من الشرّاح إلى أنّ المراد بالأكبش الأربعة حفدة مروان من ولد عبدالملك وهم: الوليد وسليمان ويزيد وهشام، ولم يل الخلافة من بنى‌أمية ولا- من غيرهم أربعة إخوة إلّاهؤلاء. ومن هنا فقد رجح البعض القول الثانى لانسجامه والنبوءة الثالثة التى وردت فى كلام الإمام عليه السلام:

«وستلقى الأمّة منه ومن ولده يوماً أحمر»

وهذه النبوءة هى الاخرى تحققت، وقد ولى هؤلاء الأكبش الخلافة الواحد بعد الآخر فاراقوا الدماء وقتلوا طائفة عظيمة من الأبرياء، لتحقق نبوءة الإمام عليه السلام بقوله:

«يوماً احمر»

من خلال تلك الفضائع والجرائم التى ارتكبوها، وافضل شاهد على ذلك الجنايات التى اقترفها والى الكوفة على عهد عبدالملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفى.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۲۳

تأمّل: قصة غريبة من حياة مروان بن الحكم

كان مروان بن الحكم من أعدى أعداء أميرَالمؤمنين على عليه السلام، وقصته تمثل محور الخطبة والتى من شأنها توضيح أغلب الحقائق ذات الصلة بتأريخ صدر الإسلام. أبوه الحكم الذى نفاه رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله، إلى الطائف وخاطبه صلى الله عليه و آله قائلًا:

«لعنك اللّه ولعن ما فى صلبك»

وكان ذلك قبل ولادة مروان. وقيل نفى مع أبيه إلى الطائف وكان طفلًا لايعقل، وإنّه لم ير رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله، ولم يزل فى الطائف ولم يجرأ الخليفة الأول ولا الثانى على الشفاعة لدى رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله لردّه إلى المدينة، حتى ولى عثمان فردّه إلى المدينة، وكان ذلك من الأعمال التى نقمها عليه الناس، والأعجب من ذلك قربه إليه وأغدق عليه أموالًا طائلة من بيت‌المال؛ ومن هنا إمتنع بعض صحابة رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله من الصلاة خلف عثمان. بايع مروان علياً عليه السلام بعد قتل عثمان، ثم نقض بيعته وقدم البصرة وأجج نار الجمل، ثم أسر بعد أن قتل طلحة والزبير وهزم عسكر الجمل، وكما ورد فى الخطبة فقد إستشفع الحسن والحسين عليه السلام إلى أميرالمؤمنين على عليه السلام وقيل ابن عباس فخلى عليه السلام سبيله. الا أنه بايع معاوية والتحق بصفين. وجاء فى الخبر أنّ معاوية كان يخشى على حكومة يزيد من أربع من بينهم مروان، فعهد إلى ابنه بأن يصلى عليه، فاذا أتم الصلاة قتله، فلما اطلع مروان الخبر لم يكد يتمّ الصلاة حتى هرب.

و أمّا وفاة مروان، والسبب فيها أنّه كان قد استقرّ الأمر بعده لخالد بن يزيد بن معاوية على ما قَدّمنا ذكره، فلما استوثق له الأمرُ، أحبَّ أن يبايع لعبدالملك عبدالعزيز ابنَيه، فاستشار فى ذلك، فأشير عليه أن يتزوج أم خالد بن يزيد، وهى ابنة أبى‌هاشم بن عتبة بن ربيعة ليصغَر شأنه فلا يرشّح للخلافة، فتزوجها. ثم قال لخالد يوماً فى كلام دار بينهما والمجلس غاص بأهله:

اسكت يا ابن الرطبة، فقال خالد: أنت لعمرى مؤتمن وخبير.

ثم قام باكياً من مجلسه- وكان غلاماً حينئذ- فدخل على أمه، فأخبرها، فقالت له: لا يعرفنّ ذلك فيك، واسكت فأنا أكفيك أمرَه.

فلما دخل عليها مروان، قال لها: ما قال لك خالد؟

قالت وما عساه يقول؟ قال: ألم يشكُنِى إليك؟ قالت: إنّ خالداً أشدّ إعظاماً لك من أن يشتَكيك، فصدّقها. ثم مكثت أياماً، فنام عندها وقد واعدت جواريَها، وقُمْنَ إليه، فجعلن الوسائد

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۱۲۴

والبراذع علیه، وجلسنَ علیه حتی خنَقهُ، وذلک بدمشق فی شهر رمضان. وهو ابن ثلاث وستین سنهٔ، فی قول الواقدیّ.

وممّا قیل فی مروان أنّ أمه کانت من أصحاب الرایات فی الجاهلیهٔ قبل أن تتزوج من الحکم، حیث نصبت الرایهٔ علناً علی باب بیتها وکانت تدعوا الرجال إلیها. وکما أشرنا سابقاً فانّ حکومهٔ مروان لم تدم أکثر من بضعهٔ شهور، وقدم جاء فی الخبر أنّه رأی فی المنام قد بال أربع مرات فی محراب رسولاللّه صلی الله علیه و آله فلما سأل ابن سیرین عن رؤیاه، أخبره بأنّ أربعهٔ من بنیه یلون الحکومهٔ فیعملون علی هدم الإسلام وهذا ما وقع (طبعا أربعهٔ من أحفاده من ولد عبدالملک) فقد حکم الولید بن عبدالملک (۸۶- ۹۶) وسلیمان بن عبدالملک (۹۶- ۹۹) ویزید بن عبدالملک (۱۰۱- ۱۰۵) وهشام بن عبدالملک (۱۰۵- ۱۲۵)، وقد تخلل المدهٔ القصیرهٔ بین حکومهٔ الأولین والآخرین حکومهٔ عمر بن عبدالعزیز (۹۹- ۱۰۱) وهو من أحفاد مروان. ثم انتهت حکومهٔ آلمروان أسوأ خلفاء بنیأمیهٔ.[۲۲۱]

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۱۲۵

الخطبهٔ[۲۲۲] الرابعهٔ و السبعون

اشارهٔ

ومن خطبهٔ له علیه السلام

لما عزموا علی بیعهٔ عثمان

نظرهٔ إلی الخطبهٔ

و نحن نذکر فی هذا الموضع ما استفاض فی الروایات من مناشدتِه أصحاب الشوری، وتعدیده فضائله وخصائصه التی بأنّ بها منهم ومن غیرهم قد رَوَی الناس ذلک فأکثروا؛ والذی صحَّ عندنا أنّه لم یکن الأمرُ کما رُوی من تلک التعدیدات الطویلهٔ؛ ولکنه قال لهم بعد أن بایع عبدُالرحمن والحاضرون عثمانَ، وتلکّأ هو علیهالسلام عن البیعهٔ: إنّ لنا حقًّا إن نعطَه نأخذه، وإن نمَنعه نرکب أعجاز الإبل وإن طال السُّری؛ فی کلام قد ذکره أهل السیرهٔ؛ وقد أوردنا بعضه فیما تقدم، ثم قال لهم: أنشدکم الله! أفیکم أحَدٌ آخَی رسولَ الله صلی الله علیه و آله بینه وبین نفسه؛ حیث آخی بینَ بعض المسلمین وبعضٍ غیری؟ فقالوا: لا؛ فقال أفیکم أحدٌ؟ قال له رسول الله صلی الله علیه و آله:

«مَنْ کنت مولاه فهذا مولاه»

غیری؟ فقالوا: لا، فقال: أفیکم أحد؟ قال له رسول الله صلی الله علیه و آله:

«أنتَ منی بمنزلهٔ هارون من موسی إلا أنه لا نبی بعدی»

غیری؟ قالوا: لا، قال: أفیکُم من اؤتمن علی سورهٔ براءهٔ، وقال له رسول الله صلی الله علیه و آله إنّه لا یؤدی عَنّی إلا أنا أو رجل

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۱۲۶

مِنی غیری؟ قالوا: لا، قال: ألا تعلمون أنّ أصحابَ رسول الله صلی الله علیه و آله فَرُّوا عنه فی مأقِط الحرب فی غیر موطن، وما فررت قَطّ؟ قالوا: بلی، قال: ألا تعلمون أنی أوّل الناس إسلاماً؟ قالوا: بلی.

قال: فأیُّنا أقرب إلی رسول الله صلی الله علیه و آله نسباً؟ قالوا: أنت. فقطع علیه عبدُالرحمن بن عوف کلامه، وقال: یا علی؛ قد أبَی الناس إلّاعلی عُثمان، فلا تجعَلنّ علی نفسک سبیلًا، ثم قال: یا أبا طلحهٔ، ما الذی أمرک به عمر؟ قال: أن أقْتُل مَنْ شقّ عصا الجماعهٔ،

فقال عبد الرحمن لعلىّ: بايع إذن؛ وإلّا كنت متَّبعاً غير سبيل المؤمنين، أنفذْنا فيك ما أمِرْنا به. فقال: «لقد علمتم أنى أحقُّ بها من غيرى، والله لأسْلِمن ...» الفصل إلى آخره، ثم مدّ يده فبايع.[۲۲۳]

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۲۷

«لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّى أَحَقُّ النَّاسِ بِها مِنْ غَيْرِى ووَ اللَّهِ لَأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ ولَمْ يَكُنْ فِيها جَوْرٌ إِلَّا عَلَىَّ خاصَّةً الْتِماساً لِأَجْرِ ذَلِكَفَضْلِهِ وَزُهْداً فِيما تَنافَسْتُمُوهُ ۲۲۴] مِنْ زُخْرُفِهِ وزِبْرِجِهِ».

الشرح والتفسير

علم الجميع باحقيتى من غيرى

أورد الإمام عليه السلام هذا الكلام حين أمر عمر بتشكيل الشورى من أجل إنتخاب عثمان، والشورى هم: على عليه السلام وعثمان وعبدالرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص.

وقد أمر جماعة بامهالهم ثلاثة أيام لينتخبوا من بينهم خليفة، فاختاروا عثمان خليفة بعد أن رفض على عليه السلام ما اشترط عليه لقبول الخلافة، فرأى الإمام عليه السلام نفسه أمام عمل قد وقع، فاورد هذه الكلمات

«لقد علمتم أنّى أحقّ النّاس بها من غيرى»

فى إشارة إلى أنّ سكوته عليه السلام لايعنى أدنى شك وريب فى جدارته بالخلافة، فتطرق عليه السلام إلى الدافع الذى يكمن وراء ذلك السكوت فقال:

«و اللَّه لأسلمنّ ما سلمت أمور المسلمين؛ ولم يكن فيها جورٌ إلّاعلىّ خاصّةً».

نعم مصالح المسلمين هى الدافع لذلك السكوت، حذرا من شق صفوف المسلمين؛ الأمر الذى كان ينتظره أعداء الإسلام فى الداخل والخارج بفارغ الصبر بغية تنفيذ مؤامراتهم التى تهدف إطفاء نور الإسلام، أو حرصاً على دماء المسلمين والحيلولة دون إراقتها، ثم يصرح بأنّه مستعد للتنازل عن حقه إذا إقتصر الظلم عليه ولم تمارسه هذه الخلافة بحق الإسلام والمسلمين. ثم أتبعه عليه السلام بالدافع الثانى

«التماساً لأجر ذلك وفضله»

وإلى جانب ذلك

«وزهداً

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۲۸

فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه»[۲۲۵].

فقد أشار الإمام عليه السلام فى هذه العبارة القصيرة إلى ثلاث حقائق مهمة هى:

أولًا: أنّه أحق من كافة الأفراد بخلافة رسولاللَّه صلى الله عليه و آله وأنّ اولئك الذين صدوه عن حقه بدافع من مصالحهم الشخصية أو حسداً وبغضاً إنّما ظلموه كما ظلموا الأمّة لأنّهم حرموها من هذا الزعيم الكفوء.

ثانياً: أنّ سكوت الإمام عليه السلام لم يكن إعتباطياً خالياً من القيود والشروط، بل قيده عليه السلام بانتظام أعمال المسلمين دون أن يتعرضوا لأىظلم وجور.

ثالثاً: إنّ الإمام عليه السلام طلب أجر اللَّه وثوابه بهذا السكوت المرير والملى بالمعاناة، كما أراد أنّ يثبت عدم قيمة ما يتنافس عليه الآخرون من زبرج الدنيا وزخرفها ويحرقون من أجلها الأخضر واليابس، ولايقيم له الإمام عليه السلام من وزن.

الإجابة عن بعض الأسئلة

هنالك عدة أسئلة تطرح نفسها، الأول: ألايفهم من كلام الإمام عليه السلام أنّ سكوته فى عهد الخليفة الأول والثانى دليل على عدم خروجهما عن مسار الحق والعدل؟ وإلّا لقام الإمام عليه السلام واعترض عليهما.

والجواب على هذا السؤال هو أنّ الإمام عليه السلام لم يكن راضياً بذلك الوضع قطعاً؛ الأمر الذى نلمسه بوضوح بما ورد فى الخطبة الشقشقية وغيرها من الخطب التى صرح فيها برفضه لذلك الوضع ليعلمه الجميع، فقد قال كل ما كان يجب قوله من خلال إمتناعه عن بيعة الخليفة الأول واعتراضه على ما ورد فى السقيفة (كما مر علينا فى شرح الخطبة ۶۷) ولما استتبت لهم الامور وترسخت دعائم حكومتهم ولم يعد الاعتراض مجد يا سكت الإمام عليه السلام حذراً من خلخلة الأوضاع ونشوب النزاع داخل الحكومة الإسلامية ممّا يؤدى إلى إضعافها وإنهيارها. ومن

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۲۹

هنا تتضح الإجابة على هذا السؤال: لماذا لم يعترض الإمام عليه السلام على عثمان، والحال أن أخطائه فى التطاول على بيت مال المسلمين واغداقه أمواله على قرابته وبطانته وتسليطه لُاولئك الأفراد على رقاب المسلمين ليست بخافية على أحد، فهل يعنى ذلك السكوت رضاه عليه السلام بأعمال عثمان عليه السلام؟ فمما لاشك فيه أنّ الإمام عليه السلام لم يسكت على عثمان ولم يرض بأعماله، فاعتراضه على نفى أبىذر إلى الربذة وسائر أفعال عثمان تدل على أنّ الإمام عليه السلام كان شاجباً لأعمال عثمان، ومن الشواهد على ذلك ما روى عن الإمام عليه السلام أواخر عمر عثمان حيث نزل القوم يريدون قتل عثمان إن لم ينزع عما يكرهون، وعلم عثمان ذلك، جاء إلى منزل على عليه السلام فدخل وقال: يابن عم:

إنّ لك عند الناس قدر وهم يسمعون منك، وأحب أن تركب إليهم فتردهم عنى، فان فى دخولهم على وهنا لأمرى وجرأة على. فقال عليه السلام: على أى شئ أردهم؟ قال: على أن أصير إلى ما أشرت به، ورأيته لى. فقال عليه السلام: إنّى قد كلمتك مرة بعد أخرى، فكل ذلك تخرج وتقول وتعد ثم ترجع، وهذا من فعل مروان ومعاوية وابن عامر وعبداللّه بن سعد، فانّك أطعتهم وعصيتنى. قال عثمان: فانّى أعصيهم وأطيعك. فأمر على عليه السلام الناس أن يركبوا معه، فركب ثلاثون رجلًا من المهاجرين والأنصار، فأتوا المصريين فكلموهم، فسمعوا منهم ورجعوا بأصحابهم يطلبون مصر[۲۲۶].

ثم قام عثمان بعدة أعمال شائنة مرت علينا فى شرحنا للخطبة الشقشقية تحت عنوان

«دوافع القيام ضد عثمان»

بحيث أدت تلك الأعمال إلى إحباط سعى الإمام عليه السلام من أجل إطفاء الفتنة. فالكلام يفيد بما لايقبل الشك مدى إعتراض الإمام عليه السلام على أعمال عثمان مرات وكرات وقد أخذ عهده على إصلاح وضعه، إلّاأنّه عجز عن ذلك الإصلاح حتى على مستوى الظاهر بفعل ضغوط مروان ومعاوية.

كما ورد فى الخطبة ۱۶۴ من نهجالبلاغة شرح مفصل بهذا الشأن.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۳۱

الخطبة[۲۲۷] الخامسة و السبعون

اشارة

ومن كلام له عليه السلام

لما بلغه اتهام بنىأمية له بالمشاركة فى دم عثمان

نظرة إلى الخطبة

يعرض الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة بالذم لخصومه البعيدين عن المنطق فى توجيه بعض التهم إليه التى لايمكنها أن تطال ساحته المقدسة بفعل سوابقه المشرقة وأهدافه العظيمة التى لاتخفى على أحد.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۳۳

«أ ولَمْ يَنْهَ بَنِى أُمَيَّةَ عِلْمُهـا بِى عَنْ قَرْفِى أ ومـا وَزَعَ الْجُهَّالَ سـابِقَتِى عَنْ تُهَمَتِى ولَما وَعَظَهُمُ اللَّهُ بِهِ أَبْلَغُ مِنْ لِسانِى أَنا حَجِيجُ الْمارِقِينَ خَصِيمُ النَّاكِثِينَ الْمُرْتابِينَ وعَلَى كِتابِ اللَّهِ تُعْرَضُ الْأَمْثالُ وبِما فِى الصُّدُورِ تُجازَى الْعِبادُ».

الشرح والتفسير

العدو اللدود للمنحرفين

يعتبر قتل عثمان- إثر البذخ والتطاول على بيت مال المسلمين والظلم والجور الذى تعرضت له الامّة منه ومن بطانته والذى أثار نقمة أغلب أفراد الامّة للقيام عليه- بؤرة أفضت إلى حوادث مريرة فى التأريخ الإسلامى، إلّاأنّ هنالك جماعة من الناس كانت ترى عثمان مقصراً ولكن ليس إلى الحد الذى يجعله مستحقاً للموت، ومن هنا لم يرق لبعضهم قتله ولم يكونوا راضين بذلك، الأمر الذى مهد السبيل أما بعض الفئات المنحرفة لتستغل قتله لتحقيق أهدافها السياسية والقضاء على خصومها، وهكذا أصبح قتل عثمان وسيلة لتصفية الحسابات السياسية. فبنى‌أمية وفى مقدمتهم معاوية كان ساكتاً لما هجم القوم على دار عثمان، بينما كان يتمثل موقف على عليه السلام بتوبيخ عثمان على أعماله إلى جانب الحيلولة دون قتله، فقد ذب عنه حتى بعث بالحسن وبالحسين عليه السلام ليصدوا الناس عن الهجوم على داره. مع ذلك ما أن قتل عثمان حتى هب بنى‌أمية للطلب بثأره ليكون هذا الأمر مقدمة للوصول إلى الخلافة، ولا سيما معاوية الذى إستغل هذا الأمر إستغلالًا بشعاً فى الشام البعيدة عن المدينة لتحقيق أطماعه، حتى تمكن من خداع أهل الشام واقناعهم بانّه المدافع عن عثمان والطالب بدمه من على عليه السلام.

وقصة قميص عثمان معروفة، فقد علق معاوية قميص عثمان (أو قميصاً يشبهه) على بوابة الشام

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۳۴

ليعبئ الامّة ضد على عليه السلام، كما وظف طائفة من كهول الشام التى كانت تقيم مراسم العزاء وتبكى عثمان فى المسجد بما يثير مشاعر الناس. فقد قال الإمام عليه السلام فى إطار ردّه لمزاعم بنى‌امية:

«أولم ينه بنى أميّة علمها بى عن قرفى؟[۲۲۸] أو ما وزع ۲۲۹] الجهّال سابقتى عن تهمتى![۲۳۰]»

فبنى أمية وإن جانبوا الحق والانصاف، إلّاأنّهم كانوا ينبغى أن يعلموا صفات الإمام عليه السلام وأنّه لايظلم أحداً ولايلطخ يده بدماء الآخرين عبثاً، كما يعلمون جيداً سوابقه وفضائله ومنها أنّ النبى صلى الله عليه و آله خاطبه بأخيه وناداه أنت منّى بمنزلة هارون من موسى وفيه وفى أهل بيته نزلت آية التطهير وقد فوض إليه النبى صلى الله عليه و آله أغلب أعماله سرية، فهذه التهم رخيصة، فالإمام عليه السلام لم يشترك فى قتله ولا قتل غيره، كما بالغ فى الدفاع عنه وإن كان يراه مقصراً، لكن دون حد القتل. فقد وعظه الإمام عليه السلام وحذره من مغبة أفعاله، كما دعى تلك الجماعة التى قامت ضده إلى التحلى بالصبر والحلم واعتماد الأساليب السلمية فى حل النزاع، بينما بقيت بنى‌أمية ساكتة دون ان تحرك ساكناً. ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه قائلًا:

«و لما وعظهم اللّه به أبلغ من لسانى»

أولم يقرأوا قوله سبحانه فى كتابه العزيز: «يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ»[۲۳۱] أو لم يسمعوا قوله سبحانه: «وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً

فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتاناً وَإِثْما مُبِيناً»[۲۳۲]. ثم أشار عليه السلام إلى فضيلة اخرى من فضائله فقال:

«أنا حجيج ۲۳۳]

المارقين، وخصيمالنّاكثين المرتابين»،

وقد إختلفت أقوال المفسّرين فى محاجته عليه السلام للمارقين فى الدنيا أم الآخرة. أشار ابن أبى الحديد[۲۳۴] أنّه أراد يوم القيامة حيث روى عنه عليه السلام أنّه

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۳۵

قال:

«أنا أوّل من يجثو للحكومة بين يدى اللّه تعالى»

، والحال لاينسجم ظاهر الخطبة وهذا المعنى أو لايقتصر عليه، بل الظاهر أنّ الإمام عليه السلام أراد أن يقول بانّى كنت وما أزال أقف بوجه الناكثين الذى ينقضون العهد ولا يقيمون وزناً لتعاليم الدين، والشاهد على ذلك قتاله عليه السلام للناكثين (أصحاب الجمل) والمارقين (الخوارج) والقاسطين (أهل الشام)، وبعبارة اخرى فانّ الإمام عليه السلام يقول بمخالفته لمن يخالف حقه، فان رأوا ذلك عيبا، فليعيبوه به. ثم إختتم كلامه عليه السلام بقوله

«و على كتاب اللّه تعرض الأمثال،[۲۳۵] وبما فى الصّدور تجازى العباد»،

فقد ذهب أغلب شرّاح نهجالبلاغة إلى أنّ العبارة إشارة إلى الآية ۱۹ من سورة الحج «هذانِ خَصْمانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ» حيث روى النبى صلى الله عليه و آله إنها فى على عليه السلام وحمزة وعبيدة، وعتبة وشيبة والوليد، وكانت حادثتهم أول حادثة وقعت فيها مبارزة أهل الإيمان لأهل الشرك وكان المقتول الأول بالمبارزة الوليد قتله على عليه السلام، فتجذرت ضغينة بنىاميةوكانت تستغل الفرص لدرك ثأرها، فنزلت الآية لتكشف عن مصير الفريقين، فليس لمشركى بنىأمية سوى الجحيم والعذاب الأليم. وأمّا المسلمون ففى جنات النعيم. والحق أنّ العبارة لايمكن أن تقتصر على الإشارة لهذه الآية، بل ترشد إلى عرض المسائل المبهمة على شبيهاتها فى القرآن ليميز الحق من الباطل ولا سيما هنا فى قضية قتل عثمان وسعى الآخرين لتوجيه أصابع الاتهام إلى هذا وذاك بهدف تحقيق الأغراض السياسية، ولا سيما من قبل اولئك الذين سكتوا لتقع تلك الحادثة، فاذا ما عرض هذا الأمر على القرآن، رأينا آياته تخالف ما قلتم، فهى تفند البهتان والتهمة وسوء الظن واشاعة الفاحشة.

والعبارة الأخيرة إشارة إلى هذه الحقيقة وهى أنّ اللّه عالم بنياتكم وأنّ هدفكم ليس الدفاع عن عثمان ولا إصلاح ذات بين المسلمين، بل تريدون إستغلال الصغيرة والكبيرة من أجل تحقيق أهدافكم وبكل وسيلة رخيصة من أجل الاستيلاء على الحكومة وممارسة الظلم والجور بحق المسلمين، فاللّه عالم وسيجاز يكم بذلك.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۳۷

الخطبة[۲۳۶] السادسة و السبعون

اشارة

ومن خطبة له عليه السلام

فى الحث على العمل الصالح

نظرة إلى الخطبة

قال الكراجكى صاحب كنز الفوائد وهو من معاصرى السيد الرضى (ره) عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«تلكم أميرالمؤمنين صلوات اللّه عليه باربع وعشرين كلمة قيمة كل كلمة منها وزن السموات والأرض».

ثم روى هذه الخطبة[۲۳۷].

تشتمل هذه الخطبة حسب ما ورد فى نهج‌البلاغة على عشرين صفة من صفات المؤمنين المخلصين، والجملات الأربع التى وردت فى نقل المرحوم‌الكراجكى فى هذه الخطبة هى

«حذر أملًا» «ورتب عملًا» «يظهر دون ما يكتم» «ويكتفى بأقل ممّا يعلم»[۲۳۸]

وبالطبع هناك بعض الاختلاف الطفيف فى عبارات الخطبة. على كل حال فانّ هذه الخطبة ورغم قصرها إلّاانها عميقة المعانى ورصينة المضمون، والإمام عليه السلام يسأل اللّه الرحمة للمؤمن الذى يتحلى بهذه الصفات العشرين، ليحث الناس ويرغبهم فى هذه الصفات، وزبدة الكلام فانّ هذه الخطبة خلاصة للفضائل الأخلاقية ومجمعة كاملة للسير والسلوك إلى اللّه.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۳۹

«رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً عبدا سَمِعَ حُكْماً فَوَعَى، ودُعِيَ إِلَى رَشَادٍ فَدَنَا، وأَخَذَ بِحُجْزَةِ هادٍ فَنَجا. راقَبَ رَبَّهُ، وخافَ ذَنْبَهُ، قَدَّمَ خالِصاً، وعَمِلَ صالِحاً.

اكْتَسَبَ مَذْخُوراً، واجْتَنَبَ مَحْذُوراً، ورَمَى غَرَضاً، وأَحْرَزَ عِوَضاً. كابَرَ هَواهُ، وكَذَّبَ مُناهُ. جَعَلَ الصَّبْرَ مَطِيَّةَ نَجاتِهِ، والتَّقْوَى عُدَّةَ وَفاتِهِ. رَكِبَ الطَّرِيقَةَ الْغَرَّاءَ، ولَزِمَ الْمَحَجَّةَ الْبَيْضاءَ. اغْتَنَمَ الْمَهَلَ، وبادَرَ الْأَجَلَ، تَزَوَّدَ مِنَ الْعَمَلِ».

الشرح والتفسير

عشرون كلمة قيمة

إستهل الإمام عليه السلام الخطبة بقوله:

«رحم اللّه امرأً عبداً سمع حكماً[۲۳۹] فوعى ۲۴۰] ودعى إلى رشادٍ فدنا، وأخذ بحجزة[۲۴۱] هادٍ فنجا. راقب ربّه، وخاف ذنبه».

لقد بين الإمام عليه السلام فى هذه العبارة بهذه الصفات الخمس مقدمة طريقة رواد القرب إلى اللّه وسالكى مسيرة التقوى وتهذيب‌النفس، فأول الطريق ضرورة توفر الاذن السامعة التى تصغى إلى الحقائق وتستوعبها ومن ثم الاتجاه نحو الداعى الإلهى لمزيد من الفهم والإدراك، آنذاك اللجوء إلى الهادى وانتخاب القائد والدليل، وأخيراً الشعور بالحضور الدائم للّه سبحانه وشهوده للأعمال بغية الورع والتقوى من الذنب. فمن تحلى بهذه الفضائل الخمس يكون قد أعد زاده للسفر إلى اللّه والحركة نحوه. طبعاً صحيح أنّ اللّه قد خلق الإنسان على الفطرة وزوده بالعقل كمصباح يضيئ له الطريق، إلّاأنّ المفروغ منه هو أنّ إجتياز هذا الطريق

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۴۰

يتعذر بالاقتصار على العقل والفطرة، ولايتوج ذلك إلّابتوفر الداعى الإلهى والمرشد والدليل.

ومن الواضح أنّ المراد بالدليل والمنقذ الذين اشير إليهما فى العبارة هم النبى وأئمة العصمة عليهم السلام ومن يتحدث عنهم ويهدى إليهم؛ لا الأفراد المبتدعين ممن تسموا بشيوخ التصوف الذين يغطون فى هالة من الظلمة الدامسة ويزعمون أنّهم يهدون إلى النور ولا يخفى على أحد مدى الدور الذى يلعبه الشعور بالمراقبة الإلهية والورع عن الذنب فى كبح جماع النفس وصمودها أمام الأهواء والشهوات. فاذا ما توفرت هذه المقدمة اللازمة لذلك السفر، آنذاك يأتى دور البرامج العلمية فقال عليه السلام:

«قدّم خالصاً، وعمل صالحاً. اكتسب مذخوراً، واجتنب محذوراً، ورمى غرضاً[۲۴۲] وأحرز عوضاً. كابر[۲۴۳] هواه، وكذّب مناه».

فقد أكد الإمام عليه السلام بادئ ذى بدء على العمل الخالص والصالح، كما ورد تعريفه عن الإمام الصادق عليه السلام:

«العمل الخالص الّذى لاتريد أن يمدحك عليه أحدٌ إلّااللّه»[۲۴۴]

وإليه أشارت الآية الكريمة: «وَما أُمِرُوا إِلّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ»[۲۴۵].

وهنالك تفاسير اخرى للاخلاص تبدو من قبيل اللازم والملزوم، فقالوا: الاخلاص إخفاء العمل عن الخلائق وتطهيره من العلائق، وقيل: حقيقة الاخلاص ألا ينتظر الإنسان أجراً دنيوياً أو أخروياً على عمله، بل يقوم به حبّاً للّه. وقيل: الاخلاص إخراج الخلق من معاملة الخالق. ولعلنا نلمس قمة الاخلاص فى الحديث الوارد عن أميرالمؤمنين على عليه السلام حين قال:

«إلهى ما عبدتك طمعاً فى جنّتك ولاخوفاً من نارك ولكن وجدتك أهلًا للعبادة فعبدتك»[۲۴۶]

. ثم اتبع الاخلاص والعمل الصالح بالحديث عن المذخور والذخيرة ليوم القيامة والواقع هو أنّ أعظم ذخيرة إنما تتمثل بالأعمال الخالصة والصالحة.

ولما كانت الأعمال الصالحة والخالصة للإنسان عرضة للاحباط بفعل الذنوب والمعاصى،

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۴۱

فقد ورد الحض على إجتناب هذه الذنوب والتورع عن ارتكابها ليقدم الفرد على ربّه يوم القيامة بتلك الأعمال. وطالماً كان الاقبال على الدنيا يصد الإنسان عن ذخيرة الأعمال الصالحة، واتباع هوى النفس الذى يعد من أهم موانع الطريق وعقبته الكؤود طول الأمل، فقد ورد الحديث عن ترك زخارف الدنيا وعدم الاغترار بها ومقاومة هوى النفس وتكذيب طول الأمل وإجتنابه؛ الآفات المهلكة التى ورد الحديث عنها عن رسولاللّه صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«يقول اللّه تعالى: وعزّتى وجلالى ... لايؤثر عبدٌ هواه على هواى إلّااستحفظته ملائكتى و كفّلت السّموات والأرضين رزقه»[۲۴۷]

. ثم إختتم الإمام عليه السلام خطبته بسبع صفات للمؤمن الصالح فقال:

«جعل الصّبر مطيّة[۲۴۸] نجاته، والتّقوى عدّة وفاته ۲۴۹] ركب الطّريقة الغرّاء، لزم المحجّة[۲۵۰] البيضاء. اغتنم المهل،[۲۵۱] وبادر الأجل، وتزوّد من العمل».

فقد أشار الإمام عليه السلام بهذه الصفات السبع- والتى تبدأ بالصفة الرابعة عشرة وانتهت بالعشرين- إلى شرائط والوسائل المتعلقة بالسالكين إلى اللّه الذين يحثون الخطى لنيل القرب من اللّه. ويحتاج هؤلاء السالكون قبل كل شىء إلى مركب يوصلهم إلى شاطئ النجاة وشق عباب هذا الطريق المحفوف بالمخاطر والعقبات، وما أعظم الصبر بصفته المنقذ فى كل موضع ومهما كانت الظروف.

من جانب آخر فان كل مسافر لابدّ أن يحمل معه بعض الوسائل والأدوات التى تلبى حاجاته طيلة هذا الطريق، ويشير الإمام عليه السلام إلى أنّ هذه الوسائل تتمثل بالورع والتقوى بصفتها الزاد إلى الوفاة. ثم تأتى المرحلة الضرورية الاخرى المتمثلة بمعرفة الطريق ومواصلة السير عليه فقال عليه السلام

«ركب الطّريقة الغرّاء ولزم المحجّة البيضاء»

فالعبارة الاولى تشير إلى انتخاب

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۴۲

الطريق والثانية إلى السير عليه ومواصلته دون الانحراف عنه طيلة المسيرة. من جانب آخر ليس هنالك من منازل يمكن السالك التزود فيها لسفره الطويل، ومن هنا لفت الإمام عليه السلام إنتباه السالكين إلى إغتنام الفرص واحترام الوقت الذى قد يكون وبالاعلى صاحبه إذا لم يستفد منه:

«اغتنم المهل وبادر الأجل».

واخيرا اختتم كلامه بالحديث عن التزود للاخرة ومبادرة العمل الصالح خلال مدة العمر القصيرة.

تأمّل: الصبر واغتنام الفرصة

الصبر حالة نفسانية يعتمده الإنسان لمواجهة ما يعترض مسيرته من صعاب ومشاكل، وتارة يكون هذا الصبر صبر الطاعة إذا تضمن الوقوف بوجه الصعاب من أجل إمتثال الأوامر الشرعية، وتارة اخرى يكون الصبر على المعصية إذا تضمن كبح جماح النفس والحد من طغيانها وكسر شهوتها، وأخيراً هناك الصبر على النوائب إثر مجابهة المصائب والويلات والأمراض ومطبات الحياة وعقباتها الكؤود. والواقع أنّ هذه الصفة تأخذ بيد الإنسان إلى التقوى حتى ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال:

«فان الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد»[۲۵۲]

وجاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه و آله أنه قال

«سيأتى على النّاس زمانٌ لاينال الملك فيه إلّابالقتل و التجبّر ولا الغنى إلّابالغصب والبخل، ولا المحبّة إلّاباستخراج الدّين واتّباع الهوى؛ فمن أدرك ذلك الزّمان وصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى، وصبر على البغضة وهو يقدر على المحبّة، وصبر على الذّلّ وهو يقدر على العزّ، آتاه اللّه ثواب خمسين صدّيقاً ممّن صدّق بى»[۲۵۳]

. وأخيرا فقد أكد الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة على إغتنام الفرصة والتأهب للأجل، وذلك لأنّ الفرص تمرّ مر السحاب، وهناك عدة أخطار تتهدد أعمال الخير، حيث

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۴۳

روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«إذا هممت بخيرٍ فبادر فإنّه ما تدرى ما يحدث»[۲۵۴]

وقال عليه السلام أيضاً:

«إذا همّ أحدكم بخيرٍ أو صلةٍ فإنّ عن يمينه وشماله شيطانين فليبادر

لايكفّاه عن ذلك».[۲۵۵]

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۴۵

الخطبة[۲۵۶] السابعة و السبعون

اشارة

ومن كلام له عليه السلام

وذلك حين منعه سعيد بن العاص حقه

نظرة إلى الخطبة

ورد هذا الكلام عن الإمام عليه السلام حين ولى عثمان الخلافة واستولت بطانته على بيت مال المسلمين فعاثت به فسادا لتمارس أبشع أنواع الأسرار إلى جانب تسليطه لبنى أمية على رقاب الناس من خلال إغداق المناصب الحكومية الحساسة. ومن ذلك أنّه ولى سعيد بن العاص الكوفة فبعث مع ابن أبى عائشة مولاه إلى على بن أبى طالب عليه السلام بصلة وأوصى مولاه (الحارث بن جيش) يبلغ عليا عليه السلام أنّه لم يبعث لأحد أكثر من هذه الصلة سوى لعثمان، وكأنّه أراد أن يمتن على الإمام عليه السلام، فقال عليه السلام: واللّه لا- يزال غلام من غلمان بنى‌أمية يبعث إلينا مما أفاء اللّه على رسوله بمثل قوت الأرملة؛ واللّه لئن بقيت لأنفضنها نفض اللحام الوذام التربة.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۴۷

«إِنَّ بَنِی أُمَيَّةَ لَيُفَوِّقُونَنِی تُراثَ مُحَمَّدٍ صلی اللَّه علیه وآله تَفْوِيقاً، اللَّهِ لَئِنْ بَقِيتُ لَهُمْ لأَنْفُضَنَّهُمْ نَفْضَ اللَّحَّامِ الْوِذَامَ التَّرِبَةَ!»

الشرح والتفسير

غيض من فيض جنايات بنی‌أمية

اشارة

لقد تسالم ساسة العالم ومنذ القديم على ممارسة الضغوط الاقتصادية على معارضيهم لينشغلوا بأوضاعهم دون الانتباه إلى ما يجرى من حولهم، بل لايتخلون عن هذا الاسلوب حتى فى حالة جنوحهم إلى التعايش السلمى معهم فلا يزودونهم إلّابادى العطاء. فقد أشار الإمام عليه السلام إلى هذا الأمر بقوله:

«إنّ بنى أميّة ليفوّقوننى ۲۵۷] تراث محمّدٍ صلى الله عليه و آله تفويقاً»

. تتضمن المفردة ليفوقوننى- من مادة فواق الناقة يعنى حلبها لمرة واحدة- إشارة لطيفة رائعة إلى زهد العطاء، وكأن الخلافة بمثابة الناقة الحلوب التى تكالبت عليها بنى‌أمية ولا تفيض منها على الإمام عليه السلام سوى بهذا الفواق الزهيد. أمّا قوله:

«تراث محمد»

فقد يكون المراد به فدك وما شابه ذلك، كما يمكن أن يكون المراد به الإسلام بكامله الذى يشمل التراث بمعناه الواسع؛ لأنّ إزدهار الاقتصاد الإسلامى إنّما حصل ببركة دين النبى الأكرم صلى الله عليه و آله والجهود المضنية التى بذلها صلى الله عليه و آله من أجل نشره، وعليه فكل ما فى أيديهم من تراث محمد صلى الله عليه و آله، ولعلى عليه السلام السهم الأوفى فى هذا التراث، ليس لقرابته من النبى صلى الله عليه و آله فحسب، بل لتضحياته من أجل الإسلام. صحيح أنّ الإمام عليه السلام كان أسوة الزهد فى حياته؛ إلّاأنّه كان يحصل على عطائه من الغنائم على عهد

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۴۸

رسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله ويصل بها الفقراء والمحتاجين. ثم واصل عليه السلام كلامه قائلًا

«و اللّه لئن بقيت لهملأن فضنّهم ۲۵۸] نفض اللّحّام الوذام التّربة!»

تشبيهه عليه السلام لبنى‌أمية بالوذام التربة التى تعنى الحزة من الكرش أو الكبد والمعدة وسائر ما فى بطن الحيوان التى تقع فى التراب إشارة إلى ذروة تلوث بنى‌أمية وضعتهم فهؤلاء- وبشهادة أعمالهم على عهد عثمان- بلغوا مرحلة من الدنس بما جعل عامة المسلمين تنقم عليهم وتفكر فى إجتثات جذور هذه الشجرة الخبيثة من أصولها وطرد هذه العناصر الفاسدة من المجتمع الإسلامى وانقاذ بيت المال من أيديهم الآثمة.

قال المرحوم السيد الرضى (ره) آخر هذه الخطبة: ويروى التراب الوذمة وهو على القلب.

قال الشريف: وقوله عليه السلام:

«ليفوّقوننى»

أى يعطوننى من المال قليلًا كفواق الناقة. وهو الحلبة الواحدة من لبنها. والواذم: جمع وذمة، وهى الحزة من الكرش، أو الكبد تقع فى التراب فتنفض. وجاء فى بعض الروايات

«التّراب الوذمة»

بدلًا من

«الوذام التّربة»،

والمفهوم واحد وكلاهما بمعنى الأشياء الزهيدة التى قد تتلوث أحياناً ويجب تطهيرها.

تأمّلان

۱- من هو سعيد بن العاص؟

كما أوردنا سابقاً فانّ الخطبة وردت بشأن سعيد بن العاص لما بعث بغلامه وهو يومئذ أمير الكوفة من قبل عثمان وقد بعث بهدايا إلى المدينة، ثم بعدث بعدية إلى على عليه السلام وكتب إليه إنّى لم أبعث إلى أحد أكثر مما بعثت به إليك إلّاعثمان، وكأنّه قد إمتن على الإمام عليه السلام بذلك المقدار فأجابه الإمام عليه السلام بهذا الكلام. سعيد من طائفة بنى أمية من قبيلة قريش، أدرك النبى صلى الله عليه و آله وكان من أمراء جيش المسلمين، وقد تربى فى حضن عمر بن الخطاب، وقد ولاه عثمان الكوفة، فلما قدم الكوفة خطب أهلها واتهمهم بالتمرد والعصيان. فشكاه أهل الكوفة إلى عثمان، فاعاده إلى المدينة فمكث فيها حتى خرج الناس على عثمان فجعل يدافع عنه ويواجه الثوار حتى قتل عثمان، فاضطر للذهاب إلى مكة وبقى فيها. فلما ولى معاوية الخلافة، جعله معاوية أميراً على

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۴۹

المدينة حتى توفى فيها. لم يلتحق بالجمل ولا صفين، ويتصف بالكبر والعنف والفضاضة، كما كان خطيباً متكلماً. بنى له قصراً كبيراً فى المدينة، وتوفى سنة ۵۳ أو ۵۹ ه فى المدينة.[۲۵۹]

۲- بنى‌أمية

اشارة

بنى‌أمية من قبيلة قريش وينسبون إلى أمية بن عبد شمس بن عبدمناف وقد بدأت حكومتهم منذ تولى معاوية بن أبى سفيان الخلافة عام ۴۱ ه حتى عصر مروان الحمار أو مروان الثانى الخليفة الرابع عشر الذى توفى سنة ۱۳۲ ه والحكومة الأموية وإن إنقرضت عام ۱۳۲ ه إلّاأنّ أحد أفرادها حكم فيما بعد الأندلس، حيث فتحت الأندلس من قبل المسلمين عام ۹۱ حتى ۹۳ ه ومنذ ذلك الوقت وحتى عام ۱۳۸ ه كانت تحكم كسائر الممالك الإسلامية من قبل الخلفاء المسلمين. وفى عام ۱۳۸ ه حكمها عبدالرحمن الأول من أحفاد هشام بن عبدالملك الحاكم الأموى العاشر الذى نجى من العباسيين، وقد حكمها ونسله لمدة قرنين، حتى قام الناس فى القرن الخامس لتسقط هذه الحكومة.[۲۶۰]

الف) بنى‌أمية فى القرآن الكريم

«وَإِذ قُلْنا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحاطَ بِالنّاسِ وَما جَعَلْنا الرُّؤْيا الَّتِى أَرَيْناكَ إِلّا فِتْنَةً لِلنّاسِ وَالشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِى القُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَما يَزِيدُهُمْ إِلّا طُغْياناً كَبِيراً».[۲۶۱]

. أجمع مفسرو الفريقين أنّ هذه الرؤيا حتى رأى النبى الاكرم صلى الله عليه و آله بنى‌أمية ينزوون على منبره إنزواء القردة فنزل عليه جبرئيل بالآية ليطلعه على حكومتهم، فلم ير رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله بعد ذلك ضاحكاً.

وقد نقل المفسر ا لمعروف الفخر الرازى فى تفسيره رواية بهذا المضمون عن ابن عباس. كما روى عن عائشة أنّها قالت لمروان: «لعن اللّه أباك وأنت فى صلبه فأنت بعض من لعنة اللّه»[۲۶۲]

. إضافة إلى الآية المذكورة فقد فسرت الشجرة الخبيثة فى الآية ۲۶ من سورة إبراهيم على ضوء بعض الروايات ببنى‌أمية.[۲۶۳]

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۵۰

ب) بنى‌أمية فى أحاديث العامة

جاء فى كتاب كنزالعمال من مصادر العامة عن سعيد بن عامر قال: أغلظ أبوبكر يوماً لأبى‌سفيان فقال له: يا أبابكر لأبى‌سفيان تقول هذه المقاله. قال يا أبت إنّ اللّه رفع بالإسلام بيوتاً ووضع فكان بيتى فيما رفع وبيت أبى‌سفيان فيما وضع.[۲۶۴]

وعن رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله أنّه قال: إنّ أول من يبدل سنّتى رجل من بنى‌أمية.[۲۶۵] وقال صلى الله عليه و آله: إنّ أهل‌بيتى سيلقون من بعدى من أمتى قتلًا وتشريداً، وإنّ أشد قومنا لنا بغضاً بنوأمية وبنو المغيرة وبنو مخزوم.[۲۶۶]

وعن على عليه السلام قال: لكل أُمّة آفة وآفة هذه الامّة بنوأمية.[۲۶۷]

ج) بنى‌أمية فى نهج‌البلاغة

تعرض أميرالمؤمنين على عليه السلام فى عدّة خطب من نهج‌البلاغة لبنى‌أمية والمفاسد التى كبدوها الإسلام والمسلمين، ومن ذلك ما أورده فى الخطبة ۷۷ و ۹۳ و ۹۸. فقد وصف عليه السلام حكومة بنى‌أمية باكبر وأبشع الفتن على الامّة الإسلامية فقال عليه السلام: «ألا وإنّ أخوف الفتن عندى عليكم فتنة بنى أميّة فإنّها فتنةٌ عمياء مظلمةٌ ...».

د) مفاسد حكومة بنى‌أمية

اشارة

كثيرة هى المفاسد والجنايات التى إرتكبتها حكومة بنى‌أمية فى التأريخ الإسلامى، بحيث لايسع المقام الخوض فى تفاصيلها، وعليه نكتفى بالإشارة هنا إلى بعضها:

۱- انحراف الخلافة عن مسارها الصحيح واستبدالها بالسلطة

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۵۱

فقد صرح معاوية بأنّه استولى على الخلافة بالسيف لامن خلال محبّة الناس أو رضاهم عن حكومته.[۲۶۸] وقال الجاحظ أنّ معاوية أسمى العام الذى ولى فيه الخلافة بعام الجماعة والحال كان ذلك العام، عام الفرقة والقهر والغلبة، العام الذى أصبحت الخلافة فيه وراثة على غرار حكومة كسرى وقيصر[۲۶۹]. وقد دفعت حياة الترف والبذخ لمعاوية ونهجه فى الخلافة لئن يخاطبه سعد بن أبى‌وقاص بالملك حين كان يرد عليه.[۲۷۰] وقد عد المؤرخون معاوية أول ملك.[۲۷۱]

۲- مسخ وتحريف الحقائق والمعارف الإسلامية

مثل:

۱- سب أميرالمؤمنين على عليه السلام ووضع الأحاديث فى ذمه ومدح معاوية. وروى أنّ قوماً من بنى‌أمية قالوا لمعاوية: إنّك قد بلغت ما أملت، فلو كففت عن لعن هذا الرجل فقال: لا واللّه حتى يربو عليه الصغير، ويهرم عليه الكبير، ولا يذكر له ذاكراً فضلًا.[۲۷۲] ولما سئل مروان عن ذلك أجاب: لايستقيم لنا الأمر إلّابذلك.[۲۷۳] وذكر ابن أبى‌الحديد أنّ معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة فى على عليه السلام تقتضى الطعن فيه والبراءة منه؛ وجعل لهم على ذلك جعلًا يرغب فى مثله، فاختلقوا ما أرضاه، منهم أبوهريرة وعمرو و بن العاص والمغيرة بن شعبة ومن التابعين عروة بن الزبير[۲۷۴].

۲- إشاعة مذهب الجبر بين المسلمين، فقد صرح معاوية أن لافائدة من السعى والعمل فكافة الأمور بيداللّه ۲۷۵]، ولايقصد معاوية من هذا الكلام المسائل العقائدية، بل يهدف إلى فرض خلافته على الناس، حيث قال:

«هذه الخلافة أمرٌ من أمر اللّه وقضاءٌ من قضاء اللّه»[۲۷۶]

؛ الأمر الذى جعل زياد بن أبيه والى معاوية على البصرة والكوفة يخاطب الناس بأنّه

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۵۲

يدافع عنهم من خلال السلطنه التى منحهم اللّه إياها.[۲۷۷]

۳- قتل كبار الشخصيات الإسلامية وأئمة الدين كالإمام الحسن عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام وزيد بن على بن الحسين عليه السلام وحجر بن عدى.

۴- قصف الكعبة والمسجدالحرام بالمنجنيق على عهد يزيد.

۵- سلب الامّة أمنها واستقرارها. فقد شاع على عهد زياد بن أبيه الد عبداللّه فى العراق المثل المعروف:

«أنج سعد فقد هلك سعيدٌ»

الذى يرمز إلى سفك دماء الأبرياء بدون حق.[۲۷۸]

۶- تعذيب أبناء الامّة الإسلامية وممارسة ألوان الاهانة من قبيل كوى وجه وعنق بعض الشيعة، وهذا ما فعله الحجاج بن يوسف بأنس بن مالك وسهل بن سعد وجابر بن عبداللّه الانصارى لحبّهم لعلى عليه السلام.[۲۷۹] وخلاصة القول فانّ جنايات ومفاسد بنى‌أمية أكثر من أن تحصى، وما مر معنا غيض من فيض جرائم بنى‌أمية، ولانرانا نبالغ إذا قلنا أنّها تتطلب عدّة كتب ومجلدات. والعجيب أن بعض المغفلين والجهال يرون هذه الحكومة من قبيل الحكومات الإسلامية؛ الأمر الذى يكشف عن ضحالة أفكارهم وعدم إطلاعهم على السلوكية المنحرفة لبنى‌أمية.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۵۳

الخطبة[۲۸۰] الثامنة و السبعون

اشارة

ومن دعاء له عليه السلام

من كلمات كان عليه السلام يدعو بها

نظرة إلى الخطبة

يشتمل كلامه عليه السلام على أربعة أدعية عظيمة، تفيد بعض القرائن أنّ الإمام عليه السلام كان يتلوا كراراً هذه الأدعية ويتضرع بها إلى اللّه سبحانه وتعالى. طبعاً صحيح أن الإمام عليه السلام معصوم ولايصدر عنه أى ذنب أو معصية علانية أو خفية، فى الباطن أو

الظاهر باللسان أو بالعين، إلّا أنّ مقامه لـدى الحق سـبحانه يجعله يخشـى الغفلة عن أدنى مصداق لترك الاولى فيسأل اللّه الرحمة على الـدوام. أضف إلى ذلك فانّ كلماته تعليميـة لعموم الأُمّة لتتعرف على كيفية الاسـلوب الذى تناجى به خالقها، كما تفيض عليها بعض المعارف والعلوم والمضامين الإسلامية.

نفحات الولاية، ج٣، ص: ١٥٥

«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِى ما أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّى فَإِنْ عُـدْتُ فَعُـدْ عَلَىَّ بِالْمَغْفِرَةِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِى ما وَأَيْتُ مِنْ نَفْسِـى ولَمْ تَجِدْ لَهُ وَفَاءً عِنْدِى اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِى ما تَقَرَّبْتُ بِهِ إِلَيْكَ بِلِسانِى ثُمَّ خالَفَهُ قَلْبِى اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِى رَمَزاتِ الْأَلْحاظِ وَسَقَطاتِ الْأَلْفاظِ وشَهَواتِ الْجَنانِ وهَفَواتِ اللِّسانِ».

الشرح والتفسير

من الأدعية التربوية للإمام على عليه السلام

أوردنا سابقا أنّ الإمام عليه السـلام يسأل اللّه سـبحانه العفو والمغفرة من أربعة أشـياء والتى يشكل كل واحد منها فى الواقع مشكلة من المشالك الأخلاقيـة المهمـة والعقبات المعنوية التى تعترض سبيل الإنسان ومما لاشك فيه أنّ الإنسان إذا تغلب على هذه العقبات فانه سيبلغ شاطئ الأمان وينال الفلاح والسعادة. فقد استهل دعائه عليه السلام بالقول:

«اللّهمّ اغفرلى ما أنت أعلم به منّى، فإن عدت فعد علىّ بالمغفرة»

فرصيد الإنسان هو النسيان فيقارف الكثير من الذنوب والمعاصى إلى درجة نسيانها وعدم الاعتذار إلى اللّه منها وطلب العفو والمغفرة، أو الاصرار عليها وعدم الكف عنها دون الالتفات إليها حتى تثقل كاهله. وهنا ينبغى التضرع إلى اللّه سبحانه:

«اللّهم اغفر لى ما انت أعلم به منى، فان عدت فعد على بالمغفرة»

كما ينبغى اسـتحضار الذنوب والمعاصـى وسؤال اللّه العفو والصـفح. وممّا لاشك فيه أنّ هذا النسيان آفة سعادة الإنسان، بحيث يؤدى إلى بعض المشاكل التى يتعذر على الإنسان حلها، ومن هنا يتوجب على الإنسان الاسـتعاذة باللّه من هذا النسيان، وسؤال اللّه العافية من الذنوب المنسية، وقد أبلغ القرآن فى التعبير عن مثل هذه الذنوب فقال:

«يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً

نفحات الولاية، ج٣، ص: ١٥٦

فَيُنَبِّئُهُمْ بِمـا عَمِلُوا أَحْصاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلى كُلِّ شَـىءٍ شَـهِيدٌ»[٢٨١]. أمّا بعض شـرّاح نهج‌البلاغـة فقـد ذهبوا إلى أنّ المراد بالعبارة الـذنوب التى يجهل الإنسان كونها ذنوباً، أو إذا علم بها فان علمه باهت لايكترث له بهـذا الشأن. ويرد على أصـحاب هـذا التفسـير أنّ الـذنوب التى يقارفهـا الإنسـان جهلا مغفورة فلا حاجـة لسؤال اللّه المغفرة عليها، إلّاأنّهم أجابوا عن ذلك بقولهم إن كان هـذا الجهل نابعاً من القصو وكان الجاهل قاصـر فالأمر كذلك، أما إذا كان ذلك الجهل يسـتند إلى التقصـير وكان الجاهل مقصراً ولم يجد نفسه فى الالمام بالعلم فانّ العقاب واللوم والتوبيـخ يطال مثل هـذا الجاهل، ومن هنا عليه أن يسأل اللّه الفعو والصـفح عن ذنوبه أو أن يكون المراد الذنوب التى ينسى الإنسان كونها ذنوباً أو يخطئ فى تشخيصها بحيث يجب عليه طلب المغفرة إن كان ذلك النسيان هذا الخطأ وليد التقصير؛ الأمر الذى أشار إليه القرآن الكريم بقوله: «رَبَّنا لا تُؤاخِذنا إِنْ نَسِينا أَوْ أَخْطَأْنا»[٢٨٢] والواقع هو أنّ التفسير الذى أوردناه فى البداية يعود إلى نسـيان. موضوع الذنب، بينما يعود التفسير الثانى إلى حكمه. إلّاأنّ التفسير الأول أنسب من التفسير الثانى، وإن قال جمع من الشـرّاح بالتفسـير الثانى. وأخيراً يبقى احتمال الجمع قائماً وقـد سأل الإمام عليه السـلام اللّه العفو عنها جميعا. أمّا الدعاء الثانى فقد تضمن الاشارة إلى موضوع مهم آخر والذى يكمن فى عدم وفاء الإنسان بالعهود والمواثيق التى يقطعها على نفسه أو مع ربّه فقال عليه السلام:

«اللّهمّ اغفرلى ما وأيت من نفسى، ولم تجد له وفاءً عندى»[٢٨٣]

قد تتكون العبارة

«ما وأيت من نفسى»

اشارة إلى العهود والمواثيق التى يتمثل طرفيها بنفس الإنسان، كأن يعاهد نفسه، ومما لاشك فيه أن الالتزام بهذه العهود والعمل بمضامينها يكشف عن شخصية الإنسان عزمه على ممارسة الانشطة والفعاليات، بينما يفيد

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۵۷

نقضها ضعف إرادته فيتوجب عليه الاستعاذة باللّه منه. أو يمكن أن يكون طرفها الأول الإنسان والطرف الآخر اللّه سبحانه تعالى بحيث يكون هذا المعنى مقدرا فى العبارة السابقة[۲۸۴]، وعلى وهذا الضوء فهى إشارة إلى جميع العهود والمواثيق الشرعية التى يعاهد الإنسان فيها اللّه سبحانه ولايلتزم بها. وذلك لأنّ الكثير من الأفراد يعاهدون اللّه فى الشدائد والنوائب فاذا ما كشفت عنهم نسوا تلك العهود؛ الأمر الذى صرح به القرآن الكريم قائلًا: «وَمِنْهُمْ مَنْ عاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصّالِحِينَ* فَلَمّا آتاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ»[۲۸۵]. أمّا فى الدعاء الثالث فالإمام عليه السلام يستعيذ باللّه من الرياء والنفاق ويسأل اللّه العفو والمغفرة فيقول:

«اللّهمّ اغفر لى ما تقرّبت به إليك بلسانى، ثمّ خالفه قلبى»

فالتظاهر بالأعمال الحسنة- من خلال اللسان أو الرياء فى العبادات وسائر الطاعات- يعد من أخطر شعب الشرك، الأمر الذى أكد التحذير منه فى الآيات القرآنية والروايات الإسلامية، غير أنّ الذى يؤسف له هو أنّ الرياء والنفاق من الأعمال الشائعة التى تكبد الإنسان أضرارا تفوق التصور، حيث يفيد هذا الأمر أنّ مثل هذا الإنسان لايؤمن فى الواقع بتوحيد اللّه على مستوى الأفعال، ولا غرو فهو يرى العزة والذلة بيد الناس ويؤثر ولاية الناس ومحبتهم على ولاية اللّه ومحبته. بينما إذا علم هذا الإنسان بأنّ العزة والذلة بيداللّه، يعز من يشاء ويذل من يشاء وأنّ القلوب بين إصبعين من أصابع اللّه يقلبها كيف يشاء، فانّه لايسأل سوى اللّه ولا يعمل إلّاله سبحانه. ولا يقتصر التناقض بين القول والنية بالنسبة للرياء، بل إنّ كل تناقض إنّما يشمل الظاهر والباطن، فكل ما ينطق به الإنسان ولايلتزم به حين العمل، أو أن يعزم على خلافه إنما يشير إلى تناقض الظاهر مع الباطن، وإن لم يكن قد قصد الرياء. فقد صرح القرآن الكريم بهذا الخصوص قائلًا: «يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ* كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ»[۲۸۶] أننا لنناجى الحق سبحانه وتعالى فى صلواتنا اليومية «إِيّاكَ نَعبُدُ وَإِيّاكَ نَستَعِين» والحال قد تعيش قلوبنا عباة اخرى وإستعاذة ثانية، كما نتشهد فى صلواتنا بالوحدانية للّه «أشهد أن لا إله إلّااللّه وحده لا شريك له»

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۵۸

بينما نعيش الشرك فى إيماننا ومن ذلك الشيطان المتمثل بهوى النفس الذى يلقى بظلاله على جميع زوايا الحياة البشرية، والدعاء الوارد فى الخطبة من الدروس القيمة التى تحذر من هذا الخطر العظيم. وأخيراً يستغفر اللّه سبحانه من أربعة أشياء ويستعيذ باللّه منها

«اللّهمّ اغفر لى رمزات ۲۸۷] الألحاظ،[۲۸۸] وسقطات ۲۸۹] الألفاظ، وشهوات الجنان، وهفوات ۲۹۰] اللّسان»

فالعبارة إشارة إلى ذنوب العين والقلب واللسان التى قد تكون من أخطر الذنوب والمعاصى. فنظرات الازدراء للمؤمنين والإشارات المشوبة بالغرور والاستخفاف، وارسال الكلام على عواهنه دون إجالة الفكر والذى قد يقود إلى الاضغان والاحقاد وإثارة الخلافات والتوترات واراقة ماء وجه الآخرين إلى جانب النزوع نحو الشهوات والرغبات التى تقذف بالإنسان فى أودية الخطيئة والاثم ومقارفة بعض المعاصى التى تفرزها حالة العبثية فى الحديث والتى تؤدى إلى عدّة مفاسد، كل هذه الامور من أعدى أعداء سعادة الإنسان وفلاحه، والإمام عليه السلام حين يسأل اللّه العفو عن هذه الامور إنّما يهدف التحذير العملى من مغبة هذه الامور الأربعة وعدم الاستخفاف بمدى خطورة ذنوبها. وأما الفارق بين رمزات الالحاظ وشهوات الجنان فهو واضح، غير أنّ هنالك خلاف بين شرّاح نهج‌البلاغة بشأن الفارق بين

«سقطات الالفاظ» و «هنوات اللسان»

. فقد ذهب المرحوم مغنية إلى أنّ المراد واحد، بينما ذهب المرحوم الشارح الخوئى إلى أنّ المراد بسقطات الالفاظ هو الالفاظ التى لاتترتب عليها فائدة فى الآخرة سواء كانت محرمة أم لم تكن كذلك، أمّا هفوات اللسان فهى الكلام الحرام من قبيل الغيبة والنميمة والبهتان والاستهزاء والسب والشتم والتهمة. ولكن إستناداً إلى أنّ سقطات جمع سقط بمعنى الشئ التافه الذى لا قيمة له، يبدو أن العبارة

«سقطات الالفاظ»

إشارة إلى الكلام العبثى واللغو والركيك أحياناً الذى يصدر من الأفراد اللا ابالیین الجهال؛ أمّا هفوات اللسان وبالاستناد إلى مفهوم الهفوة الذى يعنى الزله، فان العبارة تشير إلى ما يجرى

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۵۹

على لسان الإنسان من كلمات دون التأمل والتفكير، ولعلها تختزن بعض الذنوب الخطيرة كالغيبة والتهمة والاستهزاء بالمؤمن ۲۹۱].

فصل فى الدعاء ودوره فى حياة الإنسان

يلعب الدعاء دورا هاما فى تربية النفس البشرية وسوقها نحو مدارج السمو والرفعة والكمال، وهى الحقائق التى قد يغفلها أغلب الداعين. والدعاء كمطر الربيع الذى يسقى بغيثه أرض القلوب فتتفتح أوراق الإيمان والاخلاص والعشق والعبودية والدعاء هو النسيم القدسى الذى يطبع الروح بمعانى الطهر والعفة إلى جانب القوة والقدرة التى تهب ا لعظام الرميم الحياة كدعاء السيد المسيح عليه السلام، ناهيك عما تشتمل عليه بعض الأدعية من فضائل أخلاقية ومعارف ربانية تسبغ بها النفس فتمنحها الهدوء والسكينة فالنفس حية بالدعاء نابضة بالورع والتقوى ومن هنا فانّ الدعاء هو الأكسير العظمى وكيمياء السعادة وماء الحياة وروح العبادة، حتى ورد فى الحديث أن

«الدعاء مخ العبادة»[۲۹۲]

والجدير بالذكر أنّ القرآن يرى قيمة الإنسان تكمن فى دعائه وتضرعه إلى اللّه: «قُلْ ما يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّى لَوْلا دُعاؤُكُمْ»[۲۹۳]. وكيف لايكون الدعاء بهذه الأهمية وهو يدعو الإنسان إلى معرفة اللّه وعشق والمعبود بغية نيل رحمته والظفر بعفوه ومغفرته من خلال التوسل باسمائه الحسنى، من جانب آخر فانّه يحث الداعى على التحلى بشرائط الاستجابة وفى مقدمتها التوبة من الذنوب والمعاصى والتعفف عن مقارفتها. أضف إلى ذلك فانّ الدعاء يدفع بصاحبه إلى إزالة موانع الاستجابة ويتمثل أبسطها فى المواظبة على الحلال فى المأكل وا لملبس وإجتناب المال الحرام والسعى لأداء حقوق الآخرين وترك الذنوب والمعاصى من قبيل الغيبة والنميمة وشرب الخمر وقطيعة الرحم التى تعدّ من موانع إستجابة الدعاء. ولذلك يمكن القول إنّ ما يترتب على ذات الدعاء بالنسبة للإنسان يفوق يكثير ما يعود عليه من إستجابته. وناهيك عن كل ماسبق فانّ

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۶۰

المضامين العميقة التى تضمنتها أدعية أئمة الدين تعدّ دروساً قيمة والمتاع العظيم الذى يتزود به السالكين إلى اللّه سبحانه على سبيل المثال إذا ألقينا نظرة إلى دعاء يوم الأحد من أدعية أيام الاسبوع تطالعنا العبارة

«و اجعل غدى وما بعده أفضل من ساعتى ويومى»

التى ترشدنا إلى أهمية العمر وضرورة إغتنام كل لحظاته بحيث تكون اللحظة الحاضرة أفضل من الماضية والقادمة أعظم من الحاضرة وهكذا، وبخلافه فمن العبث أن يرى الإنسان لعمره معنى دون أنّ يستثمر أوقاته. أو تطالعنا هذه العبارة فى دعاء كميل

«اللّهمّ اغفرلى الذّنوب الّتى تحبس الدّعاء»

فنقف على حجاب النفس الـذى يحول دون إسـتجابة الـدعاء؛ الأمر الذى يجعلنا نفتش عن مواضع الضـعف فى ذاتنا. كما نرى أنفسـنا مطالبين باستئناف نهارنا على أساس نور الهداية ونختتمه بالغلبة على العدو؛ الأمر الذى ورد فى دعاء عرفة

«واجعل غناى فى نفسى»

أن غنى النفس ليس بالشـئ الـذى يتحقق فى الخارج بواسـطة جمع الثروات الطائلة وسـكن القصور الفخمة ونيل المناصب الرفيعة، بل لابدّ من البحث عن الغنى فى الذات التى ألا تشـبع وتعيش الغنى من ذاتها فانّها تبقى عطشـى وان صبت عليها الدنيا بما فيها، فلا تكون سوى كالمصاب بمرض الاستسـقاء فيطلب الماء دائماً بينما تسـتقر روح الإنسان ويكفيها أدنى ما فى هـذه الـدنيا إذا تنورت بالمعارف الإلهية. كما نقرأ فى دعاء الندبة:

«واجعل صلاتنا به مقبولة وذنوبنا به مغفورة ودعائنا به مستجاباً واجعل ارزقنا به مبسوطة وهمومنا به مكفية وحوائجنا به مقضية»

فنفهم أن كافة الابواب مغلقة بوجوهنا دون إدراك حقيقة الولاية، فقبول صـلاتنا وغفران ذنوبنا واجابة دعائنا وسعة رزقنا وتفريج همنا مرهون بالولاية، يالها من حقيقة عظيمة؟!

وإذا عدنا قليلًا إلى الدعاء الذى نحن بصدره نرى أنّ علياً عليه السلام قد قدم شرحاً وافياً واضحاً للدروس الأخلاقية والفضائل الانسانية من خلال هـذه العبارات الأربع العميقـة المعنى إلى جانب التحـذير من الرذائل الأخلاقيـة التى تقود الإنسان إلى السـقوط. نعم فادعية المعصومين عليه السلام على الدوام دروس فى التربية والتهذيب وزاد ومتاع السالكين إلى اللّه.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۶۱

الخطبة[۲۹۴] التاسعة و السبعون

اشارة

ومن كلام له عليه السلام

قاله لبعض أصـحابه لما عزم على المسير إلى الخوارج وقد قال له: إن سـرت يا أميرالمؤمنين فى هذا الوقت خشيت ألا تظفر بمرادك، من طريق علم النجوم. فقال عليه السلام:

نظرة إلى الخطبة

يتضـح مما مر معنا أنّ ما ورد فى هـذه الخطبة ينفى على نحو الاجمال صـحة تكهنات المنجمين ويراها تتناقض وتوحيد اللّه، أو بعبارة اخرى فانّ مزاعم المنجمين فى تنجيمهم هى من قبيل المسائل الخرافيـة المضادة القرآن وعلى الامـة الحذر من التعامل مع هذه الأفكار وأنّ أساس النصر والغلبة يكمن فى التوكل على اللّه وتشتمل الخطبة على قسمين، يخاطب الإمام فى القسم الأول المنجمين وفى الثانى الناس.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۶۳

القسم الأول: خطأ المنجمين

«أ تَزْعُمُ أَنَّكَ تَهْدِى إِلَى السَّاعَةِ الَّتِى مَنْ سارَ فِيها صُرِفَ عَنْهُ السُّوءُ؟

وَتُخَوِّفُ مِنَ السَّاعَـةِ الَّتِى مَنْ سـارَ فِيهـا حـاقَ بِهِ الضُّرُّ؟ فَمَنْ صَـدَّقَكَ بِهَـذا فَقَـدْ كَـذَّبَ الْقُرْآنَ، واسْـتَغْنَى عَنِ الاسْـتِعانَةِ بِـاللَّهِ فِى نَيْلِ الْمَحْبُوبِ ودَفْعِ الْمَكْرُوهِ؛ وتَبْتَغِى فِى قَوْلِكَ لِلْعامِلِ بِأَمْرِكَ أَنْ يُولِيَكَ الْحَمْـدَ دُونَ رَبِّهِ، لِأَنَّكَ- بِزَعْمِكَ- أَنْتَ هَدَيْتَهُ إِلَى السَّاعَةِ الَّتِى

نالَ فِيها النَّفْعَ وأَمِنَ الضُّرَّ!!»

الشرح والتفسير

ذكرنا سابقاً أنّ الإمام عليه السلام ردّ بهذا الكلام على من قال له حين عزم على المسير إلى الخوارج: خشيت أن لاتظفر بمرادك من طريق على النجوم إذا خرجت فى هذه الساعة.

فرفض الإمام عليه السلام ذلك رفضاً قاطعاً، ثم تطرق إلى العواقب الفكرية الوخيمة التى تترتب على مثل هذا التفكير والاعتقاد بالتأثير الذى تلعبه النجوم على مصير الإنسان، فيحذر ذلك المنجم إلى جانب الناس من مغبة هذا الأمر. فقد إستهل كلامه عليه السلام بالقول:

«أتزعم أنّك تهدى إلى السّاعة الّتى من سار فيها صرف عنه السّوء؟ وتخوّف من السّاعة الّتى من سار فيها حاق ۲۹۵] به الضّرّ؟»

من الواضح أنّ هذا الاستفهام إستنكارى؛ أى لن يحصل قط مثل هذه المعارف عن طريق علم النجوم. ثم أشار الإمام عليه السلام إلى نتيجتين تترتبان على هذا الاعتقاد

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۶۴

السيئ

«فمن صدّقك بهذا فقد كذّب القرآن، واستغنى عن الاستعانة باللَّه فى نيل المحبوب و دفع المكروه»

ولا يقتصر الأمر على ذلك بل

«و تبتغى فى قولك للعامل بأمرك أن يوليك الحمد دون ربّه، لِأنّك- بزعمك- أنت هديته إلى السّاعة الّتى نال فيها النّفع، وأمن الضّرّ!!»

هاتان النتيجتان الخطيرتان المترتبتان على زعم المنجم امّا فغرزهما طبيعة الفارق الكامن- حسب إعتقاد المنجمين الماضين- بين أحوال النجوم وأحكامها. وتوضيح ذلك أنّ علم النجوم كان سائداً بين أفراد البشر منذ قديم الزمان، ولعل أولئك الأفراد الذين عاشوا قبل التأريخ قد كان لهم علم ومعرفة بالنجوم، إلّاأنّ علم النجوم قد تطور تطوراً ملحوظاً كسائر العلوم الاخرى بعد إكتشاف الكتابة، فحصلت الاكتشافات وتمّ التعرف على الأنظمة الخاصة التى تحكم الكواكب السيارة والمنظومة الشمسية والمجرات والثوابت حتى ظهر التقويم الذى يستند إلى حركة النجوم والقمر والشمس. أمّا إقتران بعض حركات النجوم ببعض الحوادث جعل طائفة من المنجمين تعتقد بالتدريج بأنّ هنالك تأثير لحركة النجوم فى مصير الإنسان، ثم إتسع نطاق هذا الاعتقاد حتى قيل بأنّ لكل إنسان كوكب فى السماء وأنّ مصيره يعتمد إلى حد بعيد على حركات هذا الكوكب، حتى ظهر علم جديد يصطلح عليه باحكام النجوم إلى جانب أحوال النجوم. وأحوال النجوم قائمة على أساس المشاهدات والمحاسبات المتعلقة بحركة الكواكب وشروقها وافولها؛ أمّا أحكام النجوم فيراد بها العقائد التى تنسب حوادث الأرض ومصير من يعيش عليها إلى النجوم. ولم تمض مدة وانطلاقا من هذا الاعتقاد إلى عبادة النجوم والاستعانة بها من أجل حل المشاكل، وقد ظلت مثل هذه الافكار والعقائد سائدة فى أذهان البعض حتى إبان ظهور الدعوة الإسلامية وشروق شمس التوحيد التى أضاءت ظلمات الشرك، فكان بعض المنجمين يخبرون عن بعض الأحداث الآتية من خلال إستعانتهم بحركات النجوم، ونموذج ذلك ما قاله هذا المنجم لأميرالمؤمنين عليه السلام استناداً لحركة النجوم فى أنّه لايظفر بمراده إذا تحرك فى تلك الساعة لقتال الخوارج فى النهروان، ففند الإمام عليه السلام ما قاله المنجم ثم خالفه عملياً بأن سار فى تلك الساعة إلى قتال الخوارج فهزمهم هزيمة منكرة وانتصر عليهم ذلك النصر الحاسم. نكتفى بهذا المقدار على أن نعرض له بتفصيل أكثر آخر الخطبة فى بحث التأملات.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۶۵

القسم الثانى: اجتناب نبوءات المنجمين

اشارة

«أَيُّها النَّاسُ، إِيَّاكُمْ وتَعَلُّمَ النُّجُومِ، إِلَّا ما يُهْتَدَى بِهِ فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ، فَإِنَّهَا تَدْعُو إِلَى الْكَهانَةِ، والْمُنَجِّمُ كالْكاهِنِ والْكاهِنُ كالسَّاحِرِ، والسَّاحِرُ كالْكافِرِ، والْكافِرُ فِي النَّارِ، سِيرُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ».

الشرح والتفسير

يحذر الإمام عليه السلام أفراد الامّة من تعلم النجوم، والواقع هو أنّ الإمام عليه السلام يفرق أحوال النجوم عن أحكامها، إلى جانب بيان ما تقود إليه من مساوئ

«أيّها النّاس، إيّاكم وتعلّم النّجوم، إلّا ما يهتدى به فى برٍّ أو بحرٍ»

فعلم النجوم والتعرف عليه والاستفادة من أوضاع النجوم فى السماء بغية الاهتداء فى البحار والصحارى وسائر الامور المشابهة القائمة على أساس وضع الكواكب ليست ممنوعة فحسب، بل هى جزء من العلوم الضرورية، وذلك لصلتها الوثيقة بنظام المجتمع البشرى. القرآن من جانبه أشار إلى هذا الأمر بصفته نعمة إلهية وآية من آيات التوحيد فقال: «وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ»[۲۹۶]. كما قال فى موضع آخر: «وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُم النُّجومَ لِتَهْتَدُوا بِها فِى ظُلُماتِ الْبَرِّ وَالبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنا الآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ»[۲۹۷] فمثل هذه التعبيرات تفيد حث القرآن للإنسان على الانفتاح على هذا النوع من علم النجوم، أمّا المحظور فما عرف بأحكام النجوم؛ أى كشف بعض الأشياء من أوضاع الكواكب وكيفية إرتباطها مع بعضها (قربها وبعدها من بعضها البعض الآخر) والأخبار عن بعض الأحوادث بالنسبة

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۶۶

للأفراد والمجتمعات البشرية، وبالطبع فان بعضها كلى يتوصل إليه دون النظر إلى أوضاع الكواكب، أو جزئى يبين من خلال الحدس والظن، وغالباً ما يثبت خلافها كما وقفنا على ذلك فى هذه الخطبة. ومن هنا إختتم الإمام عليه السلام كلامه بالقول:

«فانها تدعو إلى والكافر فى النار، سيروا على اسم اللّه».

والمراد بالكهانة الأخبار عن الامور الخفية وكشف الحوادث المستقبلية وزعم العلم بالأسرار ويقال لمن يزعم هذه الامور «الكاهن»

. وقد كان هناك الأفراد الذين يزعمون هذه الامور فى العصر الجاهلى كشق وسطيع، وكان متعارف بين الكهنة أن يؤدوا كلماتهم الباطلة بنوع من السجع والقافية والألفاظ الطنانة الرنانة لتفعل فعلها فى قلوب الناس، ومن هنا نعت المشركون رسولاللّه صلى الله عليه و آله بالكاهن وذلك لاـ خباره عن الامور بواسطة الوحى، إضافة إلى أنّه كان يتلوا عليهم الآيات القرآنية التى تمثل ذروة الفصاحة والبلاغة فيتعللون بهذه الترهات إستكباراً عن قبول الحقيقة. وبناءاً على ما تقدم فانّ علم النجوم (يعنى علم أحكام النجوم) يختزن الكهانة، وعمل الكاهن يشبه إلى حد بعيد عمل الساحر، لأنّ الاثنين يعتمدان الحيلة والخدعة لاستغفال السذج من الناس، والساحر كالكافر، لأنّه لايعرف للتوكل على اللّه من معنى بينما يستند إلى امور اخرى ولا يرى للّه من تأثير عملى على مصيره، ويعلق هذا التأثير على امور اخرى يتطلبها السحر، ومن هنا فان مصير هؤلاء المنحرفين هو النار وبئس المصير.

تأمّلات

۱- ما هو علم النجوم؟ وما المحظور منه؟

السؤال الأول الذى يطرح نفسه هنا: ما المراد بعلم النجوم الذى عرض أميرالمؤمنين على عليه السلام بذمه بشدّة فى هذه الخطبة حتى عدّه بمصاف الكفر؟ قطعاً ليس المراد العلم بأحوال النجوم وحركاتها وابتعادها وإقترابها من بعضها؛ لأنّه وكما أشرنا سابقاً فان

حركات النجوم وأوضاعها فى السموات من الآيات الإلهية، وقد دعى الناس للاهتداء بها فى ظلمات البحار والصحارى، كما أشير إلى ذلك فى ذيل هذه الخطبة أيضاً. فالوقوف على أسرار عالم الخلقة والتفكر فى خلق السموات والأرض لايستحق الذم فحسب، بل يعد من الامور التى دعى

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۶۷

أولى الألباب إلى تأملها «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمواتِ وَالأَرضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ لَآياتٍ لِأُولِي الأَلْبابِ»[۲۹۸]. وعليه فما شدد على ذمه شئ آخر هو العلم بأحكام النجوم، ويراد بها العقائد التى تنسب حياة الإنسان ومصيره فى الكرة الأرضية إلى أوضاع النجوم وأحوالها، والإخبار عن بعض الحوادث استنادا إلى حركة الأفلاك، ولا يقتصر هذا الإخبار على المسائل العامة والاجتماعية، بل يتجاوزها إلى الامور الشخصية والجزئية؛ ومن هنا نرى إستعانة الملوك والسلاطين بالمنجمين الذين يسعون لقراءة أوضاع الكواكب على ضوء رغبات أولئك الملوك، فاذا ما نظروا إلى الكواكب أخبروا بأنّها تشير إلى سلامة صاحب السعادة والسمو وتنامى قوته وشوكته، فاذا ما فرغوا من الأخبار الكلية عمدوا إلى بعض الجزئيات التى يمكن إطلاقها حتى من قبل عوام الناس دون تأمل أوضاع الكواكب من قبيل فقدان بعض الشخصيّات وبروز الاختلاف فى بعض أصقاع العالم وغلاء أسعار بعض الأشياء وإصابة بعض الزرع بالافات وبرودة الجو فى الشتاء وحرارته فى الصيف وما إلى ذلك. وهذه هى ا لتكهنات والأخبارات التى قد تصيب وقد تخطئ وقد ورد ا لذم عليها فى الروايات الإسلامية ولا سيما فى هذه الخطبة.

۲- الكهانة والكفر

السؤال الآخر الذى يرد بهذا الشأن وهو فساد الاعتقاد بوجود الإرتباط بين حياتنا والنجوم، بل ليس هنالك من منطق يقر بذلك؛ ولكن ما سبب كل هذا التشدد فى الذم وجعل هذه المسألة فى مصاف الكفر؟ ولا تصناح الاجابة على هذا السؤال لابدّ من الالتفات إلى هذه النقطة وهى أنّ أصحاب نظرية الإرتباط (بين الحوادث وحركة الافلاك والنجوم) على عدة أقسام:

۱- من يعتقد بأزلية وألوهية الكواكب وأنّها ذات تأثير على عالم الوجود وحياة الإنسان والحوادث التى تقع فى الأرض.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۶۸

۲- من يعتقد بتدبير الكواكب وإدارتها لعالم الوجود، وان سلبها الاستقلال وأسند فعلها إلى إذن اللَّه.

۳- من يعتقد بأنّ لها تأثير طبيعى على الأرض، وكما أنّ حرارة الشمس تؤدى إلى نمو الأشجار وحملها للثمار والفاكهة، فانّ لاوضاع الكواكب تأثير فى شؤون حياة الإنسان وقد إنكشف لنا بعضه بينما ظل البعض الآخر خافياً علينا.

۴- من لايعتقد بتأثيرها فى شؤون حياة الإنسان، إلّاأنّها تستطيع أن تخبر عن الحوادث الحاضرة والماضية وبعبارة أخرى فهى إمارات وعلامات على الحوادث لا- أنّها علل وأسباب. فمما لاشك فيه أنّ الطائفة الاولى فى زمرة الكفار وإن اعتقدت باللَّه سبحانه، لأنّها مشركة قد جعلت لها إلها آخر تعبده.

أمّا الطائفة الثانية فهى خاطئة من جهتين وان لم تكن كافرة: الاولى: أن زعمها لتأثير الكواكب على حياة الإنسان هو زعم فارغ يفتقر إلى المنطق والدليل والبرهان، الثانية: أنّ هذا الكلام يخالف ظاهر الايات القرآنية والروايات الإسلامية القطعية التى تنفى عن هذه الكواكب أى شعور وحياة وتدبير للخلق، بل تنسب تدبير الخلق والحياة والموت والرزق إلى الحكيم المتعال، ولا تتطرق إلى النجوم والكواكب والأجرام السماوية والشمس والقمر الا بصفتها آيات من آيات الحق، ولو كان لها حقا بعض العلم والحياة والقدرة والتدبير والتصرف فى العالم لإشارت الروايات والآيات إلى هذا الأمر. نعم أنّها مسخرات بأمر اللَّه ولكل وظيفته، فالشمس تشع بضيائها، والقمر يضيئ فى الليالى الظلماء و ...

وأمّا الطائفة الثالثة التى تعتقد بالتأثير الطبيعى لهذه الكواكب على أوضاع الأرض، فهو كلام لايخالف الواقع، إلّاأنّ السؤال المطروح

هو ما مدى هذا التأثير واين؟ والحق أنّ ذلك ليس واضحا لدينا. نعم نعلم أن لضوء الشمس تأثير على كل شئ، كما القمر أثره فى ظاهرة المد والجزر، وأنّ للنجوم تأثير، ولكن هل لهذه الكواكب تأثير فى حوادث حياتنا أم لا؟ هل للانفجارات الشمسية تأثير على الهيجان الفكرى للإنسان على وجه الكرة الأرضية، وهل لها من تأثير فى نشوب الحروب والنزاعات أم لا؟ وهكذا سائر المسائل من هذا القبيل التى لانعرف كنهها وليس لدينا رؤية واضحة عنها، وكل ما نقوله فيها إنّما هو قول بغير علم، وكلام

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۶۹

دون دليل، وعليه فانّ مثل هذا الكلام لايجوز شرعاً، إلّاأن تثبت هذه التأثيرات وما شابهها بالأدلة العلمية والقطعية. بعبارة أخرى لامانع من الأخبار عن التأثيرات الطبيعية للاوضاع الفلكية الثابتة فى الأرض وحياة الناس، وما لم يثبت يجوز التحدث عنه على مستوى الاحتمال، لا- على سبيل الحكم القطعى، عل كل حال فانّ الاعتقاد بمثل هذا التأثير ليس كفراً ولا مخالفاً لاحكام الشرع، والروايات التى صرحت بالنهى عن تعلم علم النجوم ليست ناظرة لهذا الأمر البتة، كما لم يكن المنجمون السابقون يعنون بهذا الأمر فى أحكامهم. والذى يستفاد من كلمات المنجمين السابقين أنّهم كانوا يقولون بالطبائع التى تشتمل عليها هذه الكواكب على أن لبعضها طبع حار وأخرى بارد وما شابه ذلك. ومما لا شك فيه ان القول بهذه الطبائع للنجوم إنّما نشئ من بعض الاستحسانات والعقائد، فكانوا يصدرون على ضوئها بعض الأحكام ويصرحون بأنّ الكواكب الفلانى سيقترب هذا الشهر من الكوكب الفلانى ولما كانت طبيعتيهما كذا وكذا فستشهد الأرض الحادثة الفلانية. وحيث يفتقر هذا الاعتقاد إلى الدليل والحكم القطعى لأنّه يقوم على أساساً الحدس والاستحسان فانّ المنجمين المسلمين إنما يذكرون هذه الامور على سبيل الاحتمال ويصرحون قائلين: يحتمل ظهور مثل هذه الحوادث.

وأخيرا الطائفة الرابعة التى ذهبت إلى أنّ أحوال الكواكب والنجوم علامات على الحوادث التى تقع فى المستقبل، أو تقول جرت السنة الإلهية على وقوع الحادثة الفلانية فى الكرة الأرضية إذا حدثت بعض التغييرات فى الأفلاك والكواكب، دون أن تعتقد بالالوهية والربوبية لهذه الكواكب، وعليه فعقيدته لاتوجب الكفر، إلّاأنّ فعلهم حرام، لأنّ كلامهم يفتقر إلى الدليل وهو قول بغير علم ولا يستند سوى إلى الظن والوهم والخيال، وذلك لأننا نعلم أنّ الشرع يحرم كل قول يصدر من الإنسان دون أن يستند إلى علم ويقين وحجة شرعية «وَلا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ»[۲۹۹] كما صرح القرآن قائلًا: «أَتَقُولُونَ عَلى اللَّهِ مالاتَعْلَمُونَ»[۳۰۰] وقال بشأن الكفار «وَما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِى مِنَ الحَقِّ شَيْئاً»[۳۰۱]. ومن جانب آخر فاننا نعلم أنّ الغيب للّه ووحده العالم بحركة الإنسان وما يواجهه

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۷۰

من أحداث وكيف تكون عاقبته ومتى يفارق الدنيا وفى أى أرض يموت. وبالطبع فأنّ لأولياء اللّه نصيب من العلم ولاسيما بهذه الامور من خلال تعليم اللّه لهم، ولكن ليس لديهم مثل هذا العلم ببعض الحوادث من قبيل قيام القيامة أو ظهور المصلح العالمى، وليس لأىأحد من غير المعصومين عليه السلام إدعاء علم الغيب سواء استند هذا الادعاء إلى علم النجوم أو الارتباط بعالم الأرواح أو إخبار الجن وما شاكل ذلك.

ويتضح مما مر معنا لم إعتبر الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة علم النجوم على أنّه مصدر الكهانة، وأنّ المنجم بمنزلة الكاهن والكاهن كالساحر والساحر كالكافر، كما اتضحت كيفية كون تصديق المنجمين نعنى تكذيب القرآن، وكيف أن الاعتماد على أقوال هؤلاء تجعل الإنسان غنياً عن التوكل على اللّه والاستعانة بذاته المقدسة. والواقع هو أنّ الإمام عليه السلام أورد الكلام بشأن عدّة طوائف من المنجمين التى تعتقد بالتأثير ا لمستقل للنجوم أو تربط الحوادث بأوضاع النجوم وأحوالها وما إلى ذلك من عقائد موهومة. والإسلام من جانبه لايرى من إعتبار لمثل هذا النوع من علم النجوم الذى لايستند سوى إلى الوهم والظن، فرفضه وصرح ببطلانه، بينما حث المسلمين ودعاهم إلى تعلم علوم النجوم الذى يهدف إلى الاطلاع والتعرف على أسرار النجوم وسبر أغوارها.

۳- كيفية ظهور التكهنات النجومية

ليس هناك من وضوح فى الدافع الذى يقف وراء ظهور علم النجوم بمعناه الانحرافى لا العلمى؛ إلّاأنّه يمكن اعتبار بعض الامور المؤثرة فى هذا الأمر على نحو الاحتمال، من قبيل:

۱- تصادف إقتران بعض الحوادث على الأرض مع بعض الاوضاع الفلكية.

۲- الاستحسانات والخيالات التى استندت إليها التحليلات فى أغلب القضايا الاجتماعية.

۳- إصرار البشر- ولا سيما السلاطين وأصحاب السطوة- على الالمام بالحوادث المستقبلية وما يرتبط بها.

۴- استغلال هذا الأمر لتبرير الاعتقاد بالجبر فيصرحون مثلًا بانّ ما نواجهه من حوادث

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۷۱

إنما هى معلولة لأوضاع الأفلاك، فهذه الحوادث واقعة شئنا أم أبينا.

۵- تبرير القضايا السياسة وتوظيفها فى محاربة أفكار الخصوم على أنّ ذلك من مقتضيات أوضاع الأفلاك ولا يسع أحد الوقوف بوجهها. وهنا يبرز هذا السؤال: لقد وردت عدّة روايات صرحت بتجنب عقد الزواج والقمر فى العقرب، أو ليس هذا دليلًا على الأثر الذى تلعبه أوضاع الأفلاك على حياة الإنسان؟ ولا تبدو الإجابة على هذا السؤال صعبة. فنحن لاننكر التأثير الطبيعى لأوضاع الأفلاك على حياة الناس، لأنّ كافة أجزاء العالم وحدة واحدة يؤثر كل منها على الآخر. وكل ما قلناه هو أنّ إثبات التأثير الطبيعى لاوضاع الافلاك على حياة الناس فى كل حال ودون إستثناء إنّما يتطلب الدليل والبرهان، ولا يمكن للوهم والخيال أن يثبت شيئاً، وعليه فاذا ثبت شئ عن طريق المعصوم عليه السلام فلا مناص من قبوله بتلك الحدود. ونخلص من هذا إلى أنّ روايات

«القمر فى العقرب»

لاتتناقض وما ورد فى هذا البحث.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۷۳

الخطبة[۳۰۲]: الثمانون

اشارة

ومن خطبة له عليه السلام

بعد فراغه من حرب الجمل، فى ذم النساء ببيان نقصهن

نظرة إلى الخطبة

وردت هذه الخطبة بعد الجمل وهزيمة جيش عائشة فى الجمل، حيث عرض فيها بالذم للنساء؛ قطعاً النساء اللاتى أججن نار موقعة الجمل ومن تبعهن واحتذى بأقوالهن، فالإمام عليه السلام يذم هؤلاء بفعل بعض النقائص التى تدعو إلى إرتكاب بعض الأعمال الطائشة ويحذر المؤمنين من التأثر بما يصدر عنهم من سوء.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۷۵

«مَعاشِرَ النَّاسِ، إِنَّ النِّساءَ نَواقِصُ الْإِيمانِ، نَواقِصُ الْحُظُوظِ، نَواقِصُ الْعُقُولِ: فَأَمَّا نُقْصَانُ إِيمَانِهِنَّ فَقُعُودُهُنَّ عَنِ الصَّلاةِ والصِّيامِ فِى أَيَّامِ حَيْضَتِهِنَّ، وأَمَّا نُقْصانُ عُقُولِهِنَّ فَشَهادَةُ امْرَأَتَيْنِ كَشَهَادَةِ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ، وأَمَّا نُقْصَانُ حُظُوظِهِنَّ فَمَوَارِيثُهُنَّ عَلَى الْأَنْصافِ مِنْ مَوارِيثِ

الرِّجالِ.

فاتَّقُوا شِرارَ النِّساءِ، وكُونُوا مِنْ خِيارِهِنَّ عَلَى حَذَرٍ، ولا تُطِيعُوهُنَّ فِي الْمَعْرُوفِ حَتَّى لا يَطْمَعْنَ فِي الْمُنْكَرِ».

الشرح والتفسير

مكانة المرأة فى المجتمعات البشرية

اشارة

هنالك خلاف بين شرّاح نهج‌البلاغة ولا سيما المعاصرين منهم بشأن تفسير هذه الخطبة، ومن هنا نرى ضرورة التمهيد قبل الخوض فى تفاصيل هذه الخطبة. فقد حفل التأريخ بكثرة الكلام والإفراط والتفريط بشأن موقعها وشخصيتها، فقد نزلوا مقامها أحياناً دون مقام الإنسان، بل ترددوا فى إنسانيتها بينما ذهب إلى البعض الآخر إلى أنّها الجنس الراقى الذى يفوق الواقع حتى إقترح سيادتها للجماعة البشرية، ويمكن اعتبار هذين الرأيين من قبيل الإفراط ورد فعله التفريط. أمّا اليوم فقد كثر الكلام أيضاً فى المجتمعات الغربية ومن يناغمها فى إرساء التجربة الديمقراطية بشأن المرأة. فالساسة يرون أنفسهم بحاجة إلى رأى النساء اللاتى يشاركن فى الانتخابات ويدلين بأصواتهن، كما يحتاجها الرأسماليون لاستخدامها فى المعامل والمصانع ولا سيما أنّهم يتوقعون مطالبتهن باجور أقل من الرجال إلى جانب تحليهن ببعض الصفات التى لاتتوفر فى الرجال، وأخيراً هناك الجهاز الأعلامى الذى يعد الشريان الرئيسى للميدان السياسى والاقتصادى هو الأخر يرى نفسه بحاجة ماسة إلى المرأة. كل هذه الامور

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۷۶

أدت إلى الدفاع المستميت عن حقوق المرأة والسعى الحثيث لرفع شخصيتها إلى أقصى ما يمكن على مستوى الكلام، أمّا على مستوى العمل فالقضية معكوسة تماما. فما زالت المرأة تعيش اليوم شتى أنواع الحرمان؛ الأمر الذى كان له أثره على تفسير بعض النصوص الدينية الواردة بشأن المرأة وتأويلها بالشكل الذى يتناسب وطباع أغلب النساء ويشبع رغباتهن وتطلعاتهن وإن كانت فارغة تفوق الخيال. ولم تسلم هذه الخطبة وسائر شبيهاتها من الخطب فى نهج‌البلاغة من ذلك التقصير، بل هنالك من يتردد فى سند هذه الخطبة، وآخر يتحرج فى تفسيرها حذراً من المساس بمقام المرأة والاساءة لها، وإلى جانب هؤلاء فهناك من سلك سبيل التفريط بحق المرأة ليصورها على أنّها مجموعة من العيوب والنقص. وهنا نقول لاينبغى التنكر لأمرين: الأول: أنّ هذه الخطبة وردت بعد الجمل، ونعلم أنّ القطب الرئيسى فيها كان زوج النبى صلى الله عليه و آله عائشة التى وردت الميدان إثر التحريض العجيب الذى قام به طلحة والزبير وقد سالت فيها دماء غزيرة ذهب البعض إلى أنها خلفت ما يربو على سبعة عشر ألف قتيل، طبعاً صحيح أنّ تلك المرأة أعربت عن ندمها بعد هزيمة عسكر الجمل، وانّ أميرالمؤمنين على عليه السلام واحتراماً لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله أمر بردها معززة مكرمة إلى المدينة، إلّاأنّ الآثار السيئة لتلك المعركة ظلت باقية فى صفحات التأريخ الإسلامى والثانى إننا نرى أغلب الآيات القرآنية التى عرضت بالذم للجنس البشرى فقد صرح القرآن قائلًا: «إِنَّ الإِنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً* إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً* وَإِذا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعاً»[۳۰۳] وقال: «إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولًا»[۳۰۴] وقال:

«إِنَّ الإِنْسانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ»[۳۰۵] «كَلّا إِنَّ الإِنْسانَ لَيَطْغى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنى [۳۰۶] وما شابه ذلك من الآيات. فمما لاشك فيه أنّ الإنسان فى طبيعته ليس

«كفور مبين»

ولا

«ظلوم جهول»

ولا

«طاغى»

، ويبدو أن هذه الامور تتعلق باولئك الأفراد الذين لم يترعرعوا فى ظل التربية الدينية، فهم غارقون فى أهوائهم وذواتهم وليس لهم من مرشد أو دليل. ومن هنا نرى القرآن يكيل المدح والثناء للإنسان الذى يتحلى بالطاعة والورع والتقوى بل أشار القرآن إلى

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۷۷

بنى‌آدم على أنّهم أكرم من فى عالم الوجود «وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِى آدَمَ وَحَمَلْناهُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ وَفَضَّلْناهُمْ عَلى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلًا»[۳۰۷]. وبصدق ما أوردناه سابقا على جنس المرأة، فهناك المتميزات من بين النساء بما يقل العثور على نظيرهن فى الرجال، وبالعكس هناك النساء المنحرفات اللائى يشكلن بؤرة فساد المجتمعات البشرية.

والان نخوض بعد هذه المقدمة فى شرح الخطبة، وسنثير آخر الخطبة إلى بعض الامور ذات الصلة بهذا الخصوص. كما ذكر سابقاً فانّ الإمام عليه السلام خطب هذه الخطبة فى الجمل كتحذير لجميع المسلمين من مغبة التعرض لمثل هذه الحوادث فى المستقبل، فقال عليه السلام:

«معاشر الناس إن النساء نواقص الإيمان، نواقص الحظوظ، نواقص العقول»

ثم قدم عليه السلام الدليل على ما ذهب إليه فقال:

«وأما نقصان إيمانهن فقعودهن عن الصلاة والصيام فى أيام حيضهن، وأمّا نقصان عقولهن فشهادة امرأتين كشهادة الرجل الواحد، وأمّا نقصان عقولهن فشهادة امرأتين كشهادة الرجل الواحد، وأمّا نقصان حظوظهن فمواريثهن على الأنصاف من مواريث الرجال»

ومما لاشك فيه أنّ لكل نقص دليله فقعود النساء عن الصلاة والصوم حين العادة الشهرية لسببين أحدهما أنّ المرأة قد تعيش حالة شبه مرضية زمان العادة فهى بحاجة إلى الراحة، والآخر أنّ وضعها لايتناسب وحالة العبادة والدعاء. وأمّا كون شهادة إمرأتين بشهادة رجل واحد فذلك لغلبة الجانب العاطفى عند النساء، وهى تتأثر وتنفعل بهذه العواطف، الأمر الذى قد يدفعها للشهادة لصالح أحد والاضرار بآخر. وأمّا كون ميراثهن نصف ميراث الرجال فأولًا: إنّما يختص هذا الأمر بالبنات والزيجات، بينما الميراث واحد بالنسبة للآباء والامهات وأولادهما، وهكذا الحال بالنسبة للاخوة والاخوات وأولادهما. بعبارة أخرى فانّ المرأة كأم أو أخت تتقاضى سهماً مساوياً لسهم الرجل فى الميراث. وثانيا: تختص النفقة بالرجال، والمرأة ليست فقط لا تتحمل نفقات الأولاد فحسب، بل يتوجب على الرجل تغطية نفقاتها وإن حصلت على أموال طائلة عن طريق الارث أو غيره. ونخلص من هذا إلى أنّ هذه الفوارق قد حسبت بمنتهى الدقة فى الإسلام، مع ذلك هنالك

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۷۸

مسألة لاينبغى إنكارها وهى أنّ المرأة ليست مساوية للرجل فى كل الامور، وأمّا أولئك الذين يرفعون شعار المساواة وأحياناً أفضلية المرأة على الرجل فانّما يتبنون ذلك قولًا وينا قضونه عملًا. فهل هناك من رئيس جمهورية- رفع شعار المساواة بين الجنسين- ووزع الحقائب الوزارية بالتساوى على الرجال والنساء، أم هناك مدير وزع الوظائف الإدارية بهذا التساوى، بل يتعذر ذلك حتى فى البلدان الغربية وتلك العلمانية والوطنية. أمّا الرؤية الحق التى تستند إلى الواقع وتجانب الشعار والرياء فهى تلك التى تدعو إلى العدل فى التعامل مع الجنسين على أساس الاستعدادات والكفاءات التى أودعت كل منهما، ليتمكن كل طرف من توظيفها بالشكل الصحيح بما يخدم شخصه ومجتمعه؛ الأمر الذى سنخوض فى تفاصيله فى مباحث التأملات لاحقاً.

ثم يخلص الإمام عليه السلام إلى نتيجة فيقول:

«فاتقوا شرار النساء، وكونوا من خيارهن على حذر، ولا تطيعوهن فى المعروف حتى لايطمعن فى المنكر»

ومن الطبيعى أنّ عدم طاعتهن فى المعروف لايعنى مخالفتهن إذا دعين إلى الامور المعروفة كالصوم والصلاة والعدل والاحسان، بل

المراد عدم الاستسلام لمقترحاتهن دون الإكتراث لأى قيد أو شرط، وبعبارة اخرى لابدّ من القيام بالمعروف لذاته لامن خلال الاستجابة المطلقة للازواج، حذراً من تمددهن والمطالبة بالخضوع لكل رغباتهن وطلباتهن. فالعبارة الواردة فى نهج البلاغة وان لم تختص بالزيجات وأنّها تقصد عامة النساء، إلّا أنّ المفروغ منه هو أنّ هذه الامور إنّما تحدث عادة بين الازواج والزيجات. وبناءا على هذا فان ما جاء فى هذه الخطبة لايتنافى والآيات التى توجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الذى يشمل الرجل والمرأة؛ لأنّ لاخطبة لاتقصد ترك المعروف، بل المراد أن العمل لاينبغى أن يحمل صفة الطاعة العمياء بصيدا عن كل قيد وشرط. كأن يرد الزواج على الزوجة حين إقتراحها المعروف، أجل كنت قد فكرت بالقيام بهذا العمل (فى حالة إذا كانت لديه حقانية القيام به)، أو أن يؤخر العمل لمدة قصيرة إن أمكن تأخيره كى لاتشعر الزوجة بانّه منقاد لها دون حدود وشروط. نعم أنّ النساء المؤمنات الملتزمات الفاضلات مستثناة من هذا الحكم؛ فهناك النساء اللاتى سخطهن سخط اللّه ورضاهن رضا اللّه كالزهراء عليها السلام. وهذه النقطة واضحة أيضاً حين قال:

«كونوا من خيارهن

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۷۹

على حذر»

أنّ المراد الخير النسبى لا الخير المطلق، فالأخيار المطلقين ليس فقط لاينبغى الحذر منهم، بل لابدّ من إغتنام الفرصة للتحدث إليهم وسماع وصاياهم. ومن هنا صرحت بعض الآيات القرآنية بضرورة إستشارة النساء، ومن ذلك فطم الطفل عن الرضاعة: «فَإِنْ أَرادا فِصالًا عَنْ تَراضٍ مِنْهُما وَتَشاوُرٍ فَلا جُناحَ عَلَيْهِما».[۳۰۸]

تأمّلان

۱- الفوارق والمساواة بين الجنسين

هناك عدة أبحاث فى أوساط العلماء بشأن هذا الموضوع: هل يتساوى الرجل والمرأة حقاً من وجهة النظر الحقوقية والخلقية أم يتفاوتان. أمّا الاعتقاد السائد فهو القول بالفارق بين الرجل والمرأة على صعيد البنية البدنية والجوانب العاطفية والعقلائية، دون أن يكون هذا الفارق مدعاة للحد من شخصية المرأة أو الارتقاء بشخصية الرجل؛ إلّاأنّ هذا الفارق يمكن أن يكون سبباً لاختلاف المسؤوليات والوظائف التى ينهض بها كل منهما فى المجتمع.

أمّا على المستوى الاجتماعى فقد ذهبت جماعة إلى ضرورة سيادة الرجل، فكان لهذا الاسلوب الافراطى فى التفكير رد فعله التفريطى الذى رأى ضرورة سيادة المرأة. بينما انتهجت جماعة ثالثة أسلوباً منطقياً يفند الاسلوبين المذكورين ويتمثل بسيادة الإنسان.

والذى يفهم من المصادر الإسلامية والمنطق والعقل بهذا الخصوص هو أنّ شخصية الإنسان تنطوى على ثلاثة أبعاد:

۱- البعد الإنسانى والمعنوى

۲- البعد العلمى والثقافى

۳- البعد الاقتصادى

أمّا البعد الأول الذى يتضمن أسمى المثل والقيم الإنسانية فليس هنالك من فارق بين المرأة والرجل، وهما متساويان فيهما عنداللّه ولكل منهما أن يواصل مسيرة التقرب من اللّه، وبعبارة

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۸۰

أخرى فان طريق التكامل واحد أمامهما. ولذلك خاطبهما القرآن معا: «مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً

وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ».[۳۰۹]

وصرحت الآية القرآنية قائلة: «إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِماتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمناتِ وَالقانِتِينَ وَالقانِتاتِ وَالصّادِقِينَ وَالصّادِقاتِ ... أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً»[۳۱۰].

من جانب نوع الجنس «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ»[۳۱۱] وهكذا سائر الآيات التى لايسع المقام ذكرها. ولم يتقصر بيان هذه الحقيقة على الآيات القرآنية، بل تطرقت لها الروايات الإسلامية أيضاً، فقد جاء فى الخبر:

إنّه اجتمعت عصابة الشيعة بنيسابور و اختاروا محمد بن على النيسابورى فدفعوا إليه ثلاثين ألف دينار وخمسين ألف درهم وشقة من الثياب، وأتت شطيطة بدرهم صحيح وشقة خام من غزل يدها تساوى أربعة دراهم فقالت: إنّ اللَّه لايستحى من الحق. فلم يقبل الإمام عليه السلام سوى الأموال المتعلقة بشطيطة ورد ما سوى ذلك.[۳۱۲]

ويتضح من هذه الرواية أن ليس هنالك من تفاوت فى القيمة الإنسانية بين الرجل والمرأة.

ومن هنا فان المرأة قد تسبق الرجل أحيانا فى هذا المضمار.

الطريف فى الأمر أنّ صحابة النبى صلى الله عليه و آله كانوا يرون الامتياز للرجل، أمّا النبى صلى الله عليه و آله ليس فقط لم ير له من إمتياز فحسب، بل قدم على شخص أخته فى الفضل انطلاقاً من المبادئ والقيم الإنسانية الحقة. ولما سئل عن ذلك، أجاب صلى الله عليه و آله: لأنّها كانت أبر بوالديها منه.[۳۱۳]

أمّا قصة نسيبة بنت كعب الأنصارية وشجاعتها فى ميدان القتال- أحد- وجلبها الماء وتضميد جراح المقاتلين وصمودها بوجه الأعداء حتى أصيبت بثلاثة عشر جرحاً، ثم التحاقها بصفوف المقاتلين المسلمين فى اليمامة فى قتال مسيلمة حتى نالت الشهادة لهى قصة

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۸۱

معروفة. وقد جاء فى الخبر أنّ رسولاللَّه صلى الله عليه و آله قال يوم أحد:

«لمقام نسيبة بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان».[۳۱۴]

وأمّا بالنسبة للبعد العلمى والثقافى فهنا أيضاً لايوجد فارق بين المرأة والرجل، أى أنّ أبواب العلم مفتحة لهما على السواء والدليل على ذلك ما ورد فى الحديث المعروف:

«طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»[۳۱۵]

حتى وإن لم ترد مفردة المسلمة فى الحديث، لأنّ المراد بالمسلم هنا النوع الإنسانى، كما ورد شبيه ذلك فى أغلب الروايات والأحاديث. وعليه فليس هنالك من محدودية من وجهة النظر الإسلامية بالنسبة لانفتاح المرأة على العلوم، ولها أن تطوى مسيرتها نحو الكمال أسوة مع أخيها الرجل. وبغض النظر عن كل ما سبق فانّ التاريخ الإسلامى حافل بكبار الشخصيّات النسوية بصفتهن محدثات وراويات للأحاديث والأخبار.

وأخيراً ليس هنالك من فارق بين الجنسين فى البعد الاقتصادى فلكل منهما ملكيته المحترمة ولا سيما بالنسبة للأعمال، بل للمرأة استقلال اقتصادى خاص، على الخلاف مما تعارف بين المجتمعات الغربية التى حظرت عليها التصرف فى أموالها دون إذن الزوج فجردتها من هذا الاستقلال، بينما ليس هنالك من ضرورة لاذن الزوج من أجل تصرف الزوجة بأموالها فى الإسلام، ولها أن تتصرف فى أموالها حسبما يحلو لها فى المصارف المشروعة.

ولاننسى هنا إذا أردنا أن ننحى الشعارات جانباً أنّ القدرة الانتاجية للرجل إنّما تفوق نظيرتها لدى المرأة، ويستند ذلك إلى سببين: الأول: أنّ للرجال طاقة أعظم للأتيان بالأعمال الثقيلة؛ الأمر الذى يمنحهم بعض التفوق الاقتصادى على النساء. الثانى: ما تفقده المرأة من طاقاتها البدنية بفعل مشاكل الحمل والوضع والرضاع وتربية الأطفال التى تستغرق مدة مديدة من عمرها، ولو إفترضنا أنّ للمرأة على الأقل ثلاثة أولاد وأنّها ترصد مدة أربعة

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۸۲

سنوات لكل منهم منذ زمان الحمل ومرورا بتلك المراحل حتى يستوى كصبى فانّها ستصرف إثنتى عشرة سنة من شبابها فى هذا الأمر. ولعل هذا هو السبب الذى دفع بكافة المجتمعات حتى تلك التى تتبنى مساواة المرأة بالرجل والتى لاتستند حكوماتها إلى المبادئ الدينية لأنّ تسند الأعمال الشاقة ذات المسؤولية الجسيمة إلى الرجال، وأن تختار الرجل أيضاً لمزاولة المهام السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وبناءاً على ما تقدم فان وجود بعض الفوارق فى المسؤوليات بين الرجل والمرأة من قبيل التصدى لمنصب القضاء أو الاختلاف فى عدد الشهود بينهما أو الاختلاف فى الميراث الذى أوردنا دليله آنفا، لايمكنه قط أن ينقض الاصول الكلية للمساواة بين الجنسين فى البعد المعنوى والإنسانى والبعد العلمى والثقانى وبالتالى البعد الاقتصادى. وعلى كل حال فلابدّ من الإذعان لوجود التفاوت الطبيعى بين الجنسين وعدم خداع النفس والآخرين بالشعارات البراقة الكاذبة.

۲- أخبار عائشة

عائشة بنت أبى بكر من قبيلة تيم طائفة قريش. أمها «أم الرومان» بنت عامر بن عويمر.

ولدت فى العام الرابع من البعثة النبوية، تزوج منها رسول الله صلى الله عليه و آله بعد خديجة. وقفت الى جانب خلافة أبى بكر وعمر وشطرا من خلافة عثمان حتى أصبحت من الناقمين عليه- فلما قتل عثمان ظنت أن ابن عمها «طلحة» سيلى الخلافة ولما انتهى أمر الخلافة إلى على عليه السلام سارعت للمطالبة بدم عثمان، فكان من ذلك معركة الجمل فى البصرة. فلما قتل طلحة والزبير وهزم أصحاب الجمل أعادها عليه السلام إلى المدينة. ذكر ابن سعد فى طبقاته ان عمرا جعل عشرة الاف دينار لازواج النبى لكن عائشة كانت تأخذ اثنى عشر الف دينارا ثم قطعها عنها عثمان.

وقد اشتد الخلاف بين عائشة وعثمان بشأن الوليد بن عقبة المعروف بفسقه وشربه للخمر وتعرضه لبعض صحابة النبى صلى الله عليه و آله مثل عبدالله بن مسعود وقد شهد عليه الناس بذلك فما كان من عثمان الا أن أقام الحد عليهم حسبما صرح البلاذرى فى أنساب الاشراف. فلما سمعت

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۸۳

عائشة بذلك أخذت بنعلى رسول الله صلى الله عليه و آله وهى تنادى هذا ثوب رسول الله صلى الله عليه و آله لم يبل وقد أبلى عثمان سنته. فلما قتل عثمان سرت عائشة ولم يدم سرورها بعد أن آلت الخلافة لعلى عليه السلام.

قال الطبرى فى تاريخ الالم والملوك وابن سعد فى الطبقات وابن اثير فى الكامل لما سمعت عائشة بقتل على سجدت وانشدت.

فالقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالأياب المسافر

وابعد من ذلك ثناءها على ابن ملجم، فلما سمعت زينب بنت ام سلمة منها ذلك انكرته عليها فقالت بلغنى الكبر فنسيت ولا أعود لذلك.

ومن عجائب سيرة عائشة موقفها تجاه عثمان حيث قال كل من صنف فى السير والاخبار بما فيهم «ابن أبى الحديد» ان عائشة كانت من أشد الناس على عثمان وهى أول من سمى عثمان نعثلا- وقالت «اقتلوا نعثلا قتل الله نعثلا» والنعثل الكثير شعر اللحية كما تعنى العجوز الاحمق وكذلك قيل نعثل فرد يهودى كثيف اللحية ولا يعلم أى المعانى أرادت عائشة. فلما قتل عثمان وآل الأمر لعلى عليه السلام قالت: «قتلوا ابن عفان مظلوما». واضاف ابن أبى الحديد قائلا: جاءت عائشة إلى أم سلمة تخادعها على الخروج للطلب بدم عثمان. فقالت لها أم سلمة: إنك كنت بالأمس تحرضين على عثمان، وما كان اسمه عندك إلا نعثلا، وانك لتعرفين منزلة على عليه السلام عند رسول اللّه صلى الله عليه و آله أفأذكرك؟ قالت: نعم. فروت لها عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله ما يؤكد أحقيته بالخلافة فوافقتها عائشة. فسألتها: فأى خروج تخرجين بعد هذا؟ فقالت: انما أخرج للاسلاح بين الناس.[۳۱۶]

وروى الطبرى قيل لعائشة لما نادت قتل عثمان مظلوماً إنّك أول من نقمت عليه وقلت اقتلوا نعثلا فقد كفر. فقالت عائشة: نعم لكن قتلوه بعد أن تاب فقتل مظلوماً.[۳۱۷] وأورد ابن اثير هذا الكلام فى الكامل.[۳۱۸]

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۸۴

وقد ذكر البخارى فى صحيحه حسد عائشة لخديجة.[۳۱۹]

ومعروفة هى قصة كلاب الحوئب التى بلغتها عائشة فنبحتها فقررت الرجوع بعد أن ذكرت الخبر، فلفقوا لها خميين اعرابيا ان هذا ليس بماء الحوأب.[۳۲۰]

توفيت عائشة فى المدينة فى ۱۰ شوال عام ۵۷ أو ۵۹ فصلى عليها أبوهريرة ودفنت فى البقيع.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۸۵

الخطبة[۳۲۱] الحادية والثمانون

اشارة

ومن كلام له عليه السلام

فى الزهد

نظرة إلى الخطبة

يخوض الإمام عليه السلام بادئ ذى بدء فى هذه الخطبة فى الزهد ليقدم بشأنه تعريفاً جامعاً رائعاً بثلاث عبارات قصيرة، ثم يوصى من يرى نفسه عاجزا عن بلوغ هذه الحقيقة بالورع عن المحرمات وشكر النعم، فقد أتم اللّه حجته بالدلائل والبراهين الساطعة.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۸۷

«أَيُّها النَّاسُ الزَّهادَةُ قِصَرُ الْأَمَلِ والشُّكْرُ عِنْدَ النِّعَمِ والتَّوَرُّعُ عِنْدَ الْمَحارِمِ فَإِنْ عَزَبَ ذَلِكَ عَنْكُمْ فَلا يَغْلِبِ الْحَرَامُ صَبْرَكُمْ ولا تَنْسَوْا عِنْدَ النِّعَمِ شُكْرَكُمْ فَقَدْ أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ بِحُجَجٍ مُسْفِرَةٍ ظاهِرَةٍ وكُتُبٍ بارِزَةِ الْعُذْرِ واضِحَةٍ».

الشرح والتفسير

حقيقة الزهد

أشار الإمام عليه السلام إلى حقيقة الزهد فقال:

«أيّها الناس، الزهادة[۳۲۲] قصر الأمل والشكر عند النعم، والتورع عند المحارم».

فعباراته عليه السلام ا لثلاث بشأن الزهد تشكل الرد على التفاسير الخاطئة الواردة بهذا الخصوص، وما أكثر الأفراد الذين عجزوا عن الوقوف على معنى الزهد ويرون أنفسهم من الزاهدين. فهم يعتقدون بانّ الزهد يقتصر علياً رتداء الثياب البسيطة أو عدم ممارسة الوظائف الاجتماعية واعتزال الناس التقوقع فى زاوية ومجانبة الفعاليات والأنشطة الاقتصادية، والحال ليست هذه الامور من الزهد فى شئ. فحقيقة الزهد التى تقف بوجه الرغبة إنّما تكمن فى عدم الاكتراث إلى ماديات الدنيا وزخارفها، أو بعبارة اخرى عدم التعلق بالدنيا والاغترار بمظاهرها وإن زود بكافة الإمكانات. فمن لم يغتر بالامور المادية فقد جنب طول الأمل (فطول الأمل من مميزات أهل الدنيا) وشكر النعمة وهجر الذنب والمعصية، لأنّ النعم لاتشغله بنفسه وتنسيه ربه. وهناك تفسير آخر للزهد أورده الإمام عليه السلام فى قصار كلماته، قد يبدو مختلفاً مع هذا التفسير إلّاأنّه يتفق معه فى المعنى، حيث قال عليه السلام:

«الزهد كله بين

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۸۸

كلمتين من القرآن: قال اللّه سبحانه «لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ» ومن لم يأس على الماضى ولم يفرح بالآتى فقد أخذ الزهد بطرفيه»[۳۲۳]. فالعبارة تفيد أنّ حقيقة الزهد تعنى ترك التبعية وقطع أغلال الأسر المرتبطة بالماضى والآتى. الركن الثانى من الأركان الثلاث الزهد قوله عليه السلام:

«والشكر عند النعم»

على أنّ النعم من اللّه لامن العبد ليتعلق بالخالق ويهجر ذاته. أمّا قوله عليه السلام:

«التورع عند المحارم»

فيشير إلى أنّ حب الدنيا والتعلق بها هو أساس مقارفة الذنب؛ الأمر الذى عبر عنه الحديث الشريف:

«حب الدنيا رأس كل خطيئة»[۳۲۴]

. وبناءاً على ما سبق فمن قصر أمله وشكر نعم ربّه وأمسك نفسه عن الذنب فهو الزاهد الحقيقى؛ سواء كان غنياً أم فقيراً، لأنّ الفقر ليس مقياس الزهد قط. ثم قال عليه السلام:

«فان عزب ۳۲۵] ذلك عنكم، فلايغلب الحرام صبركم، ولا تنسوا عند النعم شكركم، فقد أعذر اللّه اليكم بحجج مسفرة[۳۲۶] ظاهرة، وكتب بارزة العذر واضحة»

. فالإمام عليه السلام وإن أكد على ركنين من أركان الزهد فى إختتام الخطبة (ترك الذنب وشكر النعمة) إلّاأنّ عباراته تفيد أن مراده هو أنكم إن لم تؤدوا حق النعمة فى شكرها، فلا تنسوا على الأقل قضية الشكر، وإن تبلغوا مرتبة من الورع فى هجر الذنوب بحيث تشمل الوقوف عند الشبهات، فلا تجعلوا الحرام يجاوز صبركم فعليكم كحد أدنى التحلى بالتقوى عند هذا الحد. أمّا ما ذكره الإمام عليه السلام من أسس ودعائم للزهد والتقوى فهى من الامور التى يجب توفرها فى كل فرد، لأنّ اللّه أتم حجته وليس لأحد العذر فى مخالفته. وزبدة الكلام فان ترك الذنب وشكر النعم على مرحلتين:

الاولى هى وظيفة كافة المسلمين، وهى فى الواقع شرط الإيمان. والثانية: أرفع من سابقتها تنطوى على الورع والتقوى من الشبهات وقصر الامل وهذا ما يليق بالزهاد من أهل الإيمان.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۸۹

تأمّل: الزاهد أمير لاأسير

لقد شحن نهج‌البلاغة بخطب الإمام عليه السلام التى تتناول مفهوم الزهد. إلى جانب ذلك فان القرآن الكريم قد تناول حقيته ومفهومه بصورة واسعة وان لم يورد هذه المفردة بكثرة. والزهد من المفاهيم التى تعرضت لها الإديان الإلهية، على أنّه يعنى عدم التعلق بماديات الدنيا وحطامها، وبالطبع لايراد بالزهد حرمان الإنسان من المال والثروة والمقام والإمكانات، وإنّما يراد به عدم الانقياد والاستسلام لهذه العناصر والوقوع فى أسرها، بل ينبغى له أن يكون أميراً عليها. ومن هنا نرى أنّ نبى اللّه سليمان عليه السلام الذى يضرب المثل بملكه وحكومته كان أميراً لا أسيرا حين رد تلك الهدايا النفيسة التى بعثت بها إليه ملكة سبأ. وقد ورد فى الحديث عن النبى صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«الزهادة فى الدنيا ليست بتحريم الحلال، ولا إضاعة المال، ولكن الزهادة فى الدنيا أن لاتكون بما فى يديك أوثق منك بما فى يداللّه»[۳۲۷]

. ومن هنا يتضح مدى الفارق الشاسع بين الزهد فى الإسلام والرهبانية فى المسيحية. فالزهد الإسلامى يعنى البساطة فى الحياة والابتعاد

عن التجملات وعدم الوقوع فى مخالب الشهوات وأغلال الأموال والمقام، بينما تعنى الرهبانية إلّانزواء والانعزال عن الحياة الاجتماعية. فقد ورد فى الحديث أنّ عثمان بن مظعون حزن حزناً شديداً لما مات ولده واقبل على الزهد فجعل داره مسجداً وانهمك بالعبادة، فلما بلغ الخبر رسولاللَّه صلى الله عليه و آله قال: يا عثمان إنّ اللَّه تبارك وتعالى لم يكتب علينا الرهبانية، إنّما رهبانية أمتى الجهاد فى سبيل اللَّه.[۳۲۸]

فى إشارة إلى أنّك إذا أردت أن تقاطع الماديات فلا تسلك السبيل السلبى فى ذلك وعليك تعقيب هذا الهدف من خلال مساره الايجابى الصحيح الذى يكمن فى الجهاد- ثم تطرق رسولاللَّه صلى الله عليه و آله إلى فضيلة صلاة الجماعة ليقف على مدى أهمية الجماعة فى الإسلام ورفضه لكافة أشكال الرهبنة والعزلة. ويقابل الزهد الرغبة والتنافس على الدنيا؛ أى اللهث وراء الدنيا والتكالب على متاعها الذى ورد الذم عليه فى الإسلام. وللزهد عدة آثار على الحياة الفردية والاجتماعية للإنسان، والتى يمكن بواسطتها التعرف عليه وهى: قصر الأمل وشكر

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۹۰

النعمة والورع عن المحرام وهى الأركان الثلاث التى أشارات إليها الخطبة. وهنا لابدّ من القول بأنّ الزهد لايساوى الفقر والحاجة أبدا؛ بل الزهد يعنى الغنى الباطنى واشباع النفس بالمعنويات وترك التعلق بالماديات وعلامة ذلك مقاطعة اللذات وإجتناب التجملات. كتب أحد المفكرين المسلمين (رحمة اللَّه عليه) بشأن دوافع الزهد: إنّ الزاهد يعيش حياته بمنتهى القناعة دون أى تكلّف ليقود الآخرين إلى الهدوء والسكينة، أنّه ليشعر باللذة والمتعة فى أن يأكل المحتاجون ويشربون قبل أن يأكل هو ويشرب. ولعلنا نلمس هذا المعنى فى ما تعارف لدى أهل‌بيت النبى صلى الله عليه و آله:

«الجار ثم الدار».

المواساة وتقاسم هموم المحرومين والمعوزين يعد الدافع الآخر من دوافع الزهد، فلماكان المجتمع على قسمين مرفه ومحروم فانّ أولياء اللَّه يسعون فى الدرجة الأساس إلى معالجة أوضاع المحرومين، فان لم تكن خهناك الإمكانات اللازمة، جهدواً فى العيش كأدنى الطبقات المرحومة فى المجتمع ليخففوا من معاناة الضعفاء ولايدعوهم يشعرون بالذلة والمسكنة بفضل ما يعانون من جشوبة العيش وخشونة الملبس، ولعل هذا هو المعنى الذى أراد أن يجسده أميرَالمؤمنين على عليه السلام حين سئل عن ثوبه البالى فقال:

نفحات الولاية ؛ ج۳ ؛ ص ۱۹۰

«يخشع له القلب، وتذل به النفس، ويقتدى به المؤمنون»[۳۲۹]

الدافع الآخر للزهد هو الحرية والخلاص من قيد الحاجة. فالزهد والقناعة تحد من الحاجة وتؤدى بالتالى إلى النجاة من أسر الطمع والحرص على إقتناء الأشياء، من هنا يمكن القول بأنّ نفس الزهد هو الحرية. فالزاهد شجاع وعالم، ومن هنا نرى الحركا التحررية العالمية إنّما توجّه غالباً من قبل الزعماء الذين تسودهم روح الزهد.[۳۳۰] ونختتم حديثنا بروايتين عن الزهد. فقد جاء فى الرواية أنّ رسولاللَّه صلى الله عليه و آله قال لعلى عليه السلام:

«يا على إن اللّه تعالى زينك بزينة لم يزين العباد بزينة هى أحب إليه منها: زهدك فيها وبغضها إليك وحبب إليك الفقراء، فرضيت بهم اتباعاً ورضوا بك إماماً.[۳۳۱]

وجاء فى الحديث وسأله إعرابى شيئاً فأمرله بألف، فقال الوكيل: من ذهب أو فضة؟ فقال:

كلاهما عندى حجران، فاعط الأعرابى أنفعهما له.[۳۳۲]

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۹۱

الخطبة[۳۳۳]: الثانية والثمانون

اشارة

ومن كلام له عليه السلام

فى ذم صفة الدنيا

نظرة إلى الخطبة

قال المبرد فى الكامل أنّ الإمام عليه السلام خطب هذه الخطبة حين كان يخطب فقام له رجل وقال:

يا أميرَالمؤمنين صف لنا الدنيا. فقال عليه السلام: ما أصف من دار أولها عناء، وآخرها فناء. فواصل خطبته ليصف الحياة الدنيا ومشاكلها. ومن تأمل عبارات الخطبة يمكنه أن يقف على حقائق الدنيا والمعيشة فيها، بحيث يمكن القول لم يبق الإمام عليه السلام من شئ فى وصفه للدنيا بهذه العبارات العشر القصيرة.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۹۳

«ما أَصِفُ مِنْ دارٍ أَوَّلُها عَناءٌ[۳۳۴]، وآخِرُها فَناءٌ فِي حَلالِها حِسابٌ وفِي حَرامِها عِقابٌ. مَنِ اسْتَغْنَى فِيها فُتِنَ، ومَنِ افْتَقَرَ فِيها حَزِنَ ومَنْ ساعاها فاتَتْهُ، ومَنْ قَعَدَ عَنْها واتَتْهُ، ومَنْ أَبْصَرَ بِها بَصَّرَتْهُ، مَنْ أَبْصَرَ إِلَيْها أَعْمَتْهُ».

الشرح والتفسير

الدنيا وسيلة لأهدف

اشارة

وصف الإمام عليه السلام الدنيا بعشر عبارات فصيحة بليغة، فقال فى العبارة الاولى

«ما أصف من دار أولها عفاء»

وقال فى العبارة الثانية:

«وآخرها فناء»

فأدنى تأمل لحياة الإنسان فى هذا العالم ليكشف أنّها مشوبة بالصعاب والمشاق، فهى تبدأ بولادته التى تحمل الألم والمعاناة للطرفين وأقصاها لأمّه، حيث يرد الوليد من وعاء مغلق إلى بيئة مفتوحة تتفاوت جذرياً عما كان عليه، إلى جانب ذلك فانّ رصيده الضعف والعجز ليس عن دفع أتفه الحشرات بل يتعذر عليه حفظ لعابه فى فمه، ولا يؤمن عليه الخطر فيما ذا أغفل عن مراقبته. ثم يجتاز مرحلة الرضاع ليواجه مشكلة الفطم فيعانى الأمرين، ثم يأخذ بالمشى شيئاً فشيئاً دون أن يكون له أدنى تجربة فى الحياة والأخطار تتهدده من كل حدب وصوب، فاذا دب فيه العقل ووضع قدمه على الطريق واجه سيلًا جديداً من المشاكل فعليه أن يخوض معترك الحياة وينافس سائر الأفراد من أبناء الدنيا، وعليه أن يجد اعلم ويحظى بالزوجة ويتحمل كل ما يترتب على ذلك من الالام والمعاناة. فاذا تقدمت به السن وبلغ مرحلة الكهولة شاب الرأس وضعفت العين والاذن والقلب والعروف والعظام، نعم هذه صورة مختصرة عن حياة الإنسان تشير إلى ما

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۹۴

يكتنفها من مشاكل وصعاب. القرآن من جانبه أشار إلى هذه الحقيقة فقال: «لَقَدْ خَلَقْنا الإِنْسانَ فِي كَبَدٍ»[۳۳۵] وكأن العناء والمشقة هى الكهف الذى يلجأ إليه الإنسان. وبالطبع لايستثنى من هذا التعب والمشقة حتى أولئك الذين يعيشون الحياة المرفهة ولكل مشاقة

ومعاناته. أجل طبيعة الدنيا تتمثل بالألم والعناء ويخطئ من ظن فيها غير ذلك، ولعلنا نلمس هذه الحقيقة فى الشعر الذى أنشده الشاعر المعروف أبوالحسن التهامى إثر موت ولده فى شبابه حيث قال:

طبعت على كدر وأنت تريدهاصفوا من الاقذار والأكدار

ومكلف الأيام ضد طباعهامتطلب فى الماء جذوة نار

هذا بشأن عناء الدنيا، أمّا فناؤها فليس بخاف على أحد، فالفناء قد كتب فيها على جميع الأفراد المؤمن والكافر والصغير والكبير، فهذا يموت مبكراً وذاك يموت متأخراً، ولا يستثنى من قانون الموت أحد. ثم قال عليه السلام:

«فى حلالها حساب، وفى حرامها عقاب»

إشارة إلى أنّ الإنسان إنّما يتحمل حتى فى الآخرة تبعات هذه الدنيا، فهو إمّا عمل فيها بالحلال أو الحرام.

فانّ عمل بالحلال حوسب عليه يوم القيامة، وإن عمل بالحرام عوقب عليه يوم الجزاء. ومن هنا ورد فى الحديث النبوى الشريف:

«يدخل الفقراء الجنّة قبل الأغنياء بخمس مائة عام»[۳۳۶]

أمّا كيفية الحساب وما يحاسب عليه الإنسان ومن يرد الجنّة دون حساب، فهى امور نستعرضها إن شاءاللَّه فى بحث التأملات. ثم قال عليه السلام:

«من استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها حزن»

نعم هذه هى طبيعة الدنيا وانطوائها على سبيلين كلاهما يؤدى إلى المشقة. فان كان فقيراً عاش فى الدنيا مهموماً مغموماً، وإن كان غنياً مرفهاً عاش فيها مشاكل اخرى؛ وأقل ذلك همه فى حفظ هذه الثروة وسعيه لصيانتها، ناهيك عن سهام الحسد والطمع والبغض التى تصوب إليه، وفوق كل ذلك ما يتعرض له من إمتحانات إلهية. فالبخل والحرص والطمع من جانب والآفات والبلاء والأخطار من جانب آخر، بل لعل هذا الثراء والغنى يصده عن ذكراللَّه ولايدع له من مجال للخروج من التفكير فيه، وعليه ستغيب لديه المثل والقيم ولايرى

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۹۵

لها من معنى سوى فى الأموال. ونختتم الكلام فى قوله عليه السلام:

«من استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها حزن»

بالحديث الذى يؤكد هذا المعنى، فقد روى عن الإمام الباقر عليه السلام. قال: كان على عهد رسولاللَّه صلى الله عليه و آله مؤمن فقير شديد الحاجة من أهل الصفة، وكان لازماً لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله عند مواقيت الصلاة كلها لايفقده فى شئ منها، وكان رسولاللَّه صلى الله عليه و آله يرق له وينظر إلى حاجته وغربته، فيقول: يا سعد لو قد جاءنى شئ لأغنيتك، قال: فابطأ ذلك على رسولاللَّه صلى الله عليه و آله فاشتد غم رسولاللَّه صلى الله عليه و آله بسعد، فعلم اللَّه سبحانه ما دخل على رسولاللَّه صلى الله عليه و آله من غمه بسعد، فأهبط عليه جبرئيل عليه السلام ومعه درهمان فقال له: يا محمد إنّ اللَّه قد علم ما قد دخلك من الغم بسعد، أفتحب أن تغنيه؟ فقال له: نعم، فقال له: فهاك هذين الدرهمين فاعطهما إياه، ومره أن يتجر بهما، قال: فأخذهما رسولاللَّه صلى الله عليه و آله ثم خرج إلى صلاة الظهر وسعد قائم على باب حجرات رسولاللَّه صلى الله عليه و آله ينتظره، فلما رآه رسولاللَّه صلى الله عليه و آله قال: يا سعد أتحسن التجارة؟ فقال له سعد: واللَّه ما أصبحت أملك ما أتجربه، فاعطاه النبى صلى الله عليه و آله الدرهمين؛ فقال له: اتجر بهما وترف لررق اللَّه، فأخذهما سعد ومضى مع رسولاللَّه صلى الله عليه و آله حتى صلى معه الظهر والعصر، فقال له رسولاللَّه صلى الله عليه و آله:

قم فاطلب الرزق فقد كنت بحالك مغتماً يا سعد، قال فأقبل سعد لايشترى بالدرهم إلّاباعه بدرهمين، ولايشترى شيئاً بدرهمين إلّاباعه بأربعة دراهم، وأقبلت الدنيا على سعد فكثر متاعه وماله وعظمته تجارته فاتخذ على باب المسجد موضعاً جلس فيه وجمع تجارته إليه،

وكـان رسول‌اللَّه صـلى الله عليه و آله إذا أقـام بلالـ الصـلاة يخرج وسـعد مشـغول بالـدنيا لم يتطهر ولم يتهيأ كما كان يفعل قبل أن ينشـغل بالدنيا، فكان النبى صلى الله عليه و آله يقول: يا سعد شغلتك الدنيا عن الصلاة، فيقول: ما أصنع، أضيع مالى هذا رجل قد بعته فاريـد أن أسـتوفى منه، هـذا رجل قد اشتريت منه فاريد أن أوفيه قال؛ فدخل رسول‌اللَّه صـلى الله عليه و آله من أمر سـعد غم أشد من غمه بفقره فهبط عليه جبرئيل عليه السـلام فقال: أيما أحب إليك، حاله آخرته، فقال له جبرئيل: قل لسعد يرد عليك الدرهمين اللذين دفعتهما إليه، فان يا سعد أما تريد أن ترد علىَّ الدرهمين الذين أعطيتكهما؟

فقال: بلى ومأتين. فقال لها لست أريد منك يا سعد إلّادرهمين، فاعطاه سعد درهمين، قال:

وادبرت الدنيا على سعد حتى ذهب ما كان جمع، وعاد إلى حاله التى كان عليها.[۳۳۷]

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۹۶

ثم أورد عليه السلام صفتين للدنيا من شأن الالتفات إليهما إبعاد الإنسان عن الحرص والطمع والسكون إلى الدنيا

«ومن ساعاها فاتته،[۳۳۸] ومن قعد عنها واتته ۳۳۹]».

إشـارة إلى الأـعم الأـغلب من الأـفراد الـذى يجرون نحو الـدنيا ولا يبلغونها، بينما كثيرهم الـذين يهجرون الـدنيا فتأتيهم صاغرة. ولعل المطالعات التأريخية والوقائع تؤيد هذا الأمر فى أن الجرى خلف الدنيا لايفضـى إلى الغنى، والانصـراف عنها لا يؤدى إلى الفقر. ومن الطبيعى ألا يكون المراد بالـدنيا هنا المعيشـة المشـرفة والخاليـة من الحاجة إلى الآخرين، بل يراد بها الدنيا المذمومة المشوبة بالجنون. على كل حال فالعبارة تهـدف إطفاء نيران الحرص على الـدنيا والـذوبان فيها. وأخيراً يختتم الإمام عليه السـلام كلامه فى وصف الدنيا بصـفتين أصابت أغلب مفسرّى نهج‌البلاغة ولا سيما المرحوم السيد الرضـى (ره) جامع النهج بالدهشة والذهول ليعيشوا نشوة السـكر بهذا الشراب الطهور، فقد قال عليه السلام:

«من أبصر بها بصرته، ومن أبصر اليها أعمته».

فاذا تأمل المتأمل هـذا القول وجد تحته من المعنى العجيب، والغرض البعيد، ما لا يبلغ غايته ولايدرك غوره؛ أى أنّ الإنسان إذا جعل الدنيا وسيلة لنيل الكمال وأداة للوصول إلى الآخرة وجسرا للسمو والرفعة والتكامل فستطرح عنه كافة الحجب ويرى حقائق الكون كما هى، أمّا ذاك الـذى يتعامل مع الـدنيا كهـدف لاوسـيلة فانّ ذلك سـيكون حجاباً ضـخماً مضـروباً على عينيه يحول دون رؤيته لاقرب الأشياء فضلًا عن الحقائق، وأبعد من ذلك سيغرق فى مادياتها ولا يرى لغيرها من وجود. والواقع هذا هو الفارق بين أهل الآخرة وأهل الدنيا، فهؤلاء يرون الدنيا مقدمة للآخرة واولئك يرون الدنيا غايتهم وهدفهم. فالدنيا كالشـمس إن نظرت بها أبصرت وإن نظرت إليها عميت. كما أورد تفسير آخر لهذه العبارة وهو أنّ المراد بقوله:

«من أبصر بها بصرته»

أنّ النظر إلى الدنيا بكل ما تشتمل عليه من الآيات الربانية إنّما يزيدنا

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۹۷

بصـيرة، فى حين قصـر النظر على ماديات الـدنيا يحرمنا من البصـيرة بالآخرة بما فيها معرفـة اللَّه ونيل القرب منه. وذهب البعض إلى أنّ المقصود بالعبارة

«أبصر بها»

هو النظر إلى عيوب الـدنيا وتقلباتهـا والـدروس العبر التى تنطوى عليها، ويقيناً أنّ مثل هـذه النظرة مـدعاة للبصـيرة والفطنـة، أمّا المراد بالعبارة

«أبصر إليها»

التطلع إلى زخارف الـدنيا ومظاهرها الخادعة التى تعمى عين الإنسان. وبالطبع لامانع من الجمع بين المعانى الثلاث فى المفهوم الجامع

لهاتين العبارتين. ويالها من عبارتين رائعتين عظيمتى المعنى، وكفى بهما عبرة فى النجاة من الدنيا والسير نحو الآخرة، فالسلام والصلاة على أميرَالمؤمنين عليه السلام الذى رام تهذيب النفوس وسموها بهاتين العبارتين القصيرتين. وهناك كلمات المعصومين عليهم السلام التى تصور هذا المعنى أيضاً، ومن ذلك أنّ اللّه أوحى إلى داود عليه السلام:

«يا داود احذر القلوب المعلقة بشهوات الدنيا فانّ عقولها محجوبة عنى»[۳۴۰]

. كما ورد عن أميرَالمؤمنين على عليه السلام أنّه قال:

«لحب الدنيا صمت الاسماع عن سماعة الحكمة وعميت القلوب عن نور البصيرة».[۳۴۱]

قال المرحوم السيد الرضى (ره) آخر الخطبة:

«وإذا تأمل التأمل قوله عليه السلام

«ومن أبصر بها بصرته»

وجد تحته من المعنى العجيب والغرض البعيد، ما لا تبلغ غايته ولا يدرك غوره، لا سيما إذا قرن اليه قوله

«ومن أبصر اليها أعمته»

فانّه يجد الفرق بين

«ابصر بها» و «أبصر إليها»

واضحاً نيراً، وعجيباً باهراً، صلوات اللّه وسلامه عليه».

تأمّلان

۱- كيفية الحساب فى الآخرة

تعدّ مسألة الحساب فى يوم القيامة الذى تعرضت له الخطبة من المسائل القطعية فى

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۹۸

الإسلام والتى وردت فى أغلب الآيات القرآنية والأخبار المتواترة، ويشمل هذا الحساب جميع أعمال الإنسان من صغيرة وكبيرة وفعل وكلام بل وحتى الصمت والسكوت، كما تفيد الايات القرآنية الواردة بهذا الشأن دقة حساب الأعمال. فقد صرحت الآية ۱۶ من سورة لقمان على لسانه وهو يعظ إبنه: «يا بُنَيَّ إِنَّها إِنْ تَكُ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمواتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِها اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ». والذى نخلص إليه من الامور المتعلقة بالحساب كما وردت فى الآيات والروايات ما يلى:-

الف- عمومية الحساب: وشموليته لكافة الناس من الأولين والآخرين بما فيهم الرسل والأنبياء، وقد إصطلحت الآيات القرآنية على يوم القيامة بيوم الحساب.[۳۴۲] ولا تقتصر هذه العمومية على الناس فحسب، بل نشمل جميع أعمالهم، كما نلمس ذلك فى الآية ۴۷ من سورة الأنبياء: «وَنَضَعُ المَوازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كانَ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنا بِها وَكَفى بِنا حاسِبِينَ». وبالطبع هنالك بعض الأفراد ا لذين يردون الجنّة دون حساب لعظم أعمالهم الصالحة، كما هناك الأفراد الذين يكبون فى النار دون حساب بشاعة أعمالهم السيئة، وبعبارة اخرى فانّ حسابهم واضح، فقد جاء فى الحديث عن الإمام زين العابدين عليه السلام:

«اعلموا عباداللّه إن أهل الشرك لا تنصب لهم الموازين ولا تنشر لهم الدواوين وإنّما يحشرون إلى جهنم زمراً».[۳۴۳]

ب- سرعة الحساب: يتضح من الآيات والروايات أنّ الحساب الإلهى يوم القيامة يحصل بصورة سريعة جداً؛ فقد وردت ثمان آيات فى القرآن تصف اللّه سبحانه بأنّه سريع الحساب، كما جاء فى الحديث الشريف:

«إن اللّه يحاسب الخلائق كلهم فى مقدار لمح البصر»[۳۴۴]

، ودليل السرعة فى الحساب واضح، لأنّها تتوقف لاينطوى على أية صعوبة، اللّهم إلّا أن تقتضى حكمته تأخير البعض فى الحساب مبالغة لهم فى العقاب أو حكمة اخرى فالحق أنّ أعمالنا لها تأثير على أرواحنا وأجسامنا، التى يتضح حسابها من خلال نظرة لها، من جانب

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۱۹۹

آخر فانّه يمكن تشبيه أعمال الإنسان بعمل السيارة، بحيث تكفى نظرة واحدة لعدادها لمعرفة كم كيلومتر قطعت، ولا سيما فى عصر الحاسب الآلى- حيث يزودك بما شئت من المعلومات أحياناً المجرد ضغطك على زر من أزراه- فمسألة سرعة الحساب لم تعد بالمعقدة الفهم والإدراك على العقل البشرى.

ج- الدقة فى الحساب: الميزة الاخرى فى الحساب يوم القيامة استناداً إلى الآيات القرآنية تكمن فى الدقة من قبيل الإشارة إلى المحاسبة على العمل وإن كان مثقال ذرة، أو حبّة من خردل.

د- التشديد فى الحساب: الخاصية الاخرى تكمن فى سوء الحساب حسب تعبير الآيات القرآنية بالنسبة لُاولئك الذين كانوا يتصفون بالتشدد والتصعب فى حياتهم الدنيا تجاه الآخرين وبالطبع فانّ سوء الحساب لايعنى كونه الحساب السئ وغير الصحيح، فذلك لا يجوز مطلقاً على اللّه سبحانه، إنّما يراد به التشدد على من كان متشدداً.

ه- اليسر فى الحساب: يستفاد من بعض الآيات القرآنية وخلافاً للتعامل مع الطائفة المذكورة، فهنالك البعض الذى يخضع للحساب اليسير يوم القيامة، والمراد بهذا البعض اولئك الأفراد الذين تعاملوا بالسهولة واليسر فى حياتهم الدنيا مع الآخرين، فكان جزاء أعمالهم أن يسر اللّه عليهم الحساب يوم القيامة. فقد قال القرآن الكريم: «فَأَمّا مَنْ أُوتِىَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ* فَسَوْفَ يُحاسَبُ حِساباً يَسِيراً* وَيَنْقَلِبُ إِلى أَهْلِهِ مَسْرُوراً»[۳۴۵]. وجاء فى الحديث أنّ النبى صلى الله عليه و آله قال:

«ثلاث من كن فيه حاسبه اللّه حسابا يسيرا وأدخله الجنّة برحمته، قالوا:

وما هى يا رسول‌اللّه؟ قال: تعطى من حرمك وتصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك»[۳۴۶]

فالحديث يشير بوضوح إلى أنّ الحساب اليسير فى يوم القيامة إنّما هو إنعكاس لحساب الإنسان اليسير لبنى جنسه فى الدنيا.

و رود الجنّة بغير حساب: إضافة إلى الطائفة المتشددة فى الحساب والاخرى السهلة، هنالك طائفة ثالثة ترد الجنّة دون أن تتعرض للحساب، وهى الطائفة التى عاشت ذروة الورع

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۰۰

إذا جمع اللّه عزّوجلّ الأولين والآخرين قام مناد- فنادى يسمع الناس- فيقول:

«أين المتحابون فى اللّه؟»

فيقوم عنق من الناس فيقال لهم:

«اذهبوا إلى الجنّة بغير حساب».[۳۴۷]

وقد ورد مثل هذا المعنى بالنسبة للصابرين ۳۴۸]، كما ورد مثله فى السابقين إلى الإيمان ۳۴۹]. وبالمقابل هنالك طائفة ترد جهنم بغير حساب، فقد روى عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«ثلاثة يدخلهم اللّه النار بغير حساب: إمام جائر وتاجر كذوب وشيخ زان»[۳۵۰]

. وبالطبع هناك الطوائف الاخرى التى أشارت إليها الروايات أنّها تدخل النار دون حساب. ومن الطبيعى أن تكون الطائفة التى ترد الجنّة دون حساب او تلك التى ترد النار بغير حساب أن تكون قد عملت بحيث أصبح كل وجودها نور أو ظلمة وكانت تمشى بصفتها فضيلة أو رذيلة، ومن هنا لم تعد هناك من حاجة للحساب.

۲- المذموم عبادة الدنيا لانيلها

المسألة الاخرى التى تجدر الإشارة إليها هناك هو أنّ المذموم من الدنيا يكمن فى الخلود إليها والاغترار بها وتقديسها، أى التضحية بالغالى والنفيس من القيم والمثل من أجل المنافع المادية الدنيوية الرخيصة، وإلّا ليس هنالك من ذم للدنيا المشرفة التى يعيش فيها الإنسان بعز وكرامة ويتمتع بما فيها على ضوء العقل والدين. وسنعرض بالتفصيل لهذا الأمر فى المباحث القادمة ذات الصلة بهذا الموضوع إن شاءاللَّه.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۰۱

الخطبة[۳۵۱] الثالثة و الثمانون

اشارة

ومن خطبة له عليه السلام

وهى الخطبة العجيبة وتسمى «الغراء»

و فيها نعوت اللّه جل شأنه، ثم الوصية بتقواه ثم التنفير من الدنيا، ثم ما يلحق من دخول القيامة، ثم تنبيه الخلق إلى ما هم فيه من الأعراض، ثم فضله عليه السلام فى التذكير.

نظرة إلى الخطبة

نقل ابونعيم الاصفهانى جانبا من هذه الخطبة فى حلية الاولياء وقال فى سبب ورودها ان الإمام عليه السلام شيع جنازة لما ارتفع صراخ أهله حين وضع فى القبر فأقسم الإمام عليه السلام أن الموت لا يذر أحدا ولو شاهدوا ما يشاهد هذا الميت لبكوا على أنفسهم دونه، ثم نهض عليه السلام إثر ذلك فاورد هذه الخطبة.

الخطبة تشير إلى أنّ الإمام عليه السلام كان بصدد إعداد قلوب الناس وايقاظهم من غفلتهم، وهى خطبة عظيمة المضمون بعيدة المعنى لها فعل السحر فى النفس بفضلها تتضمن عدداً من الدروس والعبر التى تصنع الإنسان وتهذبه ويمكن تقسيمها إلى إثنى عشر قسماً[۳۵۲] كل منها يكمل الآخر:

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۰۲

القسم الأول: يخوض فيه الإمام عليه السلام بحمداللَّه والثناء عليه وبيان صفات جلاله وجماله ليهيئى القلوب لسماع المواعظ والنصائح.

القسم الثانى: الوصية بالتقوى بفضلها رأس المال الأصلى للإنسان فى حياته المادية والمعنوية.

القسم الثالث: ذم الدنيا بفضلها العقبة الكؤود التى تحول دون التقوى والورع.

القسم الرابع: الحديث عن المعاد والحشر وأهوال يوم القيامة لتكون القلوب منفتحة على الاتعاظ بالزواجر.

القسم الخامس: التعرض لاحوال الإنسان من خلال بيان عاقبته.

القسم السادس: التذكير ثانية بالورع والتقوى.

القسم السابع: لما كان الالتفات إلى النعم الإلهية يقود الإنسان إلى معرفة اللَّه وشكره على نعمه وطاعته، تطرق عليه السلام فى هذا القسم إلى النعم التى أفاضها اللَّه سبحانه على الإنسان.

القسم الثامن: المواعظ والإرشادات التى تفتح العقول والقلوب.

القسم التاسع: الحديث عن التقوى ثالثة الإشارة إلى كونها أفضل الزاد والمتاع فى سفر الآخرة.

القسم العاشر: الكلام عن خلق الإنسان مذ كونه جنيناً إلى موته وما بعد الموت بعبارات توقظ الضمير البشرى.

القسم الحادىعشر: التحذير من عدم السبيل إلى الرجعة بعد الموت ولا تدارك ما فرط فى الدنيا.

القسم الثانى عشر والأخير: إشارة إلى الدروس والعبر التى يختزنها تأريخ الماضين وبيان أحوال الاقوام بعبارات مثيرة وحساسة رائعه؛ الأمر الذى جعل السيد الرضى (ره) يقول:

بعد أنّ خطب الإمام عليه السلام هذه الخطبة إقشعرت لها الجلود، وبكت العيون، ورجفت القلوب.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۰۳

القسم الأول: البعيد القريب والعالى الدانى

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى عَلا بِحَوْلِهِ ودَنا بِطَوْلِهِ مانِحِ كُلِّ غَنِيمَةٍ وفَضْلٍ، وَكاشِفِ كُلِّ عَظِيمَةٍ وأَزْلٍ أَحْمَدُهُ عَلَى عَواطِفِ كَرَمِهِ وسَوابِغِ نِعَمِهِ وَأُومِنُ بِهِ أَوَّلًا بادِياً وأَسْتَهْدِيهِ قَرِيباً هادِياً وأَسْتَعِينُهُ قاهِراً قادِراً أَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ كافِياً ناصِراً وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً صلى الله عليه و آله عَبْدُهُ ورَسُولُهُ أَرْسَلَهُ لِإِنْفاذِ أَمْرِهِ وَإِنْهاءِ عُذْرِهِ وتَقْدِيمِ نُذُرِهِ».

الشرح والتفسير

يستهل الإمام عليه السلام خطبته المشهورة بالغراء بالحمد والثناء والصلوات على النبى صلى الله عليه و آله ثم يعرج على صفاته سبحانه وتعالى فيحمده بادئ ذى بدء لأربع صفات من صفاته:

«الحمدللّه الذى علا بحوله ۳۵۳]، ودنا بطوله،[۳۵۴] مانح ۳۵۵] كل غنيمة وفضل، وكاشف كل عظيمة وأزل»[۳۵۶]

إننا نعلم أنّ صفات اللّه على خلاف صفات عباده المحدودة؛ فهو قريب وبعيد، وظاهر وباطن، وله صفات اخرى متناقضة لا تجمع فى عباده، إلّاأنّها تجمع فى ذاته اللامتناهية. فقد أشار الإمام عليه السلام فى العبارة الاولى إلى هذا المعنى فقال:

«الحمدللّه الذى علا يحوله»

فهو قريب

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۰۴

فى علوه، وعلوه معلول لقدرته، بينما قربه معلول لنعمته ومنته. ثم أشار فى العبارة الثانية إلى أنّه مصدر البركات الذى يفيض الغنيمة والفضل على العباد، وفى نفس الوقت يكشف عنهم الكرب والبلاء، وكيف لايرتجى منه ذلك وهو ما عليه من القدرة واللطف والمحبة. ولعلنا نلمس هذا المعنى فى الآية القرآنية الكريمة: «وَما بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ».[۳۵۷]

ومن البداهة أنّ غير اللّه- لأنّ قدرته محدودة- لايسعه أى نعمة أو فضل، كما لايستطيع أن يدفع أى بلاء أو ضرر، وليس هنالك مثل هذه الاستطاعة والقدرة سوى للذات المقدسة. ثم يخوض عليه السلام فى علية الحمد والثناء، بعبارة اخرى كان الحديث فى العبارات السابقة عن صفات المنعم، أمّا هنا فقد جرى الحديث عن النعم:

«أحمده على عواطف كرمه، وسوابغ ۳۵۸] نعمه»

فالواقع هو أنّ للنعم الإلهية صفتان وسيعة شاملة ودائمة مستمرة. وليس هذا سوى لقدرته وكمال لطفه الذى أغرق الإنسان بوابل نعمه ولم يقطعها عنه طرفة عين، ثم قال عليه السلام:

«وأومن به أولًا بادياً[۳۵۹]، وأستهديه قريباً هادياً، وأستعينه قاهراً قادراً، وأتوكل عليه كافياً ناصراً»

فالإمام عليه السلام يقرن كل شئ بدليله، فالإيمان به لكونه سابق كل شئ فى الوجود وهو واجب الوجود وقد عمت آثاره كافة ارجاء العالم، كما يستدل على سؤاله الهداية لأنّه الهادى للعباد وهو قريب منهم قادر على هدايتهم. ولما كان الركن الثانى للإيمان- بعد الاقرار للّه بتوحيد- الشهادة بالنبوة قال عليه السلام:

«وأشهد أن محمداً- صلى اللّه عليه وآله- عبده ورسوله».

ثم أشار عليه السلام إلى الوظائف الثقيلة للنبوة ليوجزها بثلاث عبارات:

«أرسله لانفاذ أمره، وإنهاء عذره، وتقديم نذره»[۳۶۰]

. فالعبارة الاولى إشارة إلى قيام النبى صلى الله عليه و آله ودعوته الامّة إلى الإيمان باللّه، والعبارة الثانية إلى اتمام الحجة بواسطة إبلاغ أحكام اللّه واستعراض الأدلة العقلية والمعجزات، والعبارات الثالثة إشارة إلى بيان العذاب الإلهى فى الدنيا والآخرة لُاولئك الذين يعصون أوامر اللّه سبحانه.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۰۵

القسم الثانى: دور التقوى فى تقرير مصير الإنسان

اشارة

«أُوصِيكُمْ عِبادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِى ضَرَبَ الْأَمْثالَ ووَقَّتَ لَكُمُ الْآجالَ وَأَلْبَسَكُمُ الرِّياشَ وأَرْفَغَ لَكُمُ الْمَعاشَ وأَحاطَ بِكُمُ الْإِحْصاءَ وأَرْصَدَ لَكُمُ الْجَزاءَ وآثَرَكُمْ بِالنِّعَمِ السَّوابِغِ والرِّفَدِ الرَّوافِغِ وأَنْذَرَكُمْ بِالْحُجَجِ الْبَوالِغِ فَأَحْصَاكُمْ عَدَداً ووَظَّفَ لَكُمْ مُدَداً فِى قَرارِ خِبْرَةٍ ودارِ عِبْرَةٍ أَنْتُمْ مُخْتَبَرُونَ فِيها ومُحاسَبُونَ عَلَيْها».

الشرح والتفسير

ما أن فرغ الإمام عليه السلام من حمداللّه والثناء عليه والشهادة لرسول اللّه بالنبوة فى المقطع الاول من الخطبة حتى تطرق عليه السلام إلى أهم مسألة تلعب دورها فى تقرير مصير الإنسانية ألاوهى التقوى، فيوصى بها الجميع ثم يذكر عشر صفات للّه كلها تدعو إلى التقوى فتارة يتحدث عن النعم الموفورة، وتارة أخرى عن الحساب والجزاء، وأحياناً يشير إلى النذر الإلهية وإتمام الحجة، كما يتكلم عن محدودية عمر الإنسان وما يتعرض له من تمحيص واختبار، وكل واحد منها من شأنه أن يسوقه إلى التقوى فقال عليه السلام:

«أوصيكم عباداللّه بتقوى اللّه الذى ضرب الأمثال»

فالأمثلة والتشبيهات التى وردت فى القرآن الكريم وأحاديث النبى صلى الله عليه و آله وكلمات المعصومين عليهم السلام لتقريب الحقائق العقلية إلى الأذهان وتجعلها فى متناول الحس، لا تخرج عن أربع صور هى: تشبيه المحسوس بالمحسوس (بالطبع المحسوس الثانى لابدّ أن يكون أوضح من المحسوس الأول)، تشبيه المعقول بالمحسوس، وتشبيه المحسوس بالمعقول، وأخيراً تشبيه المعقول بالمعقول، والغرض من كل هذه التشبيهات هو الاستئناس بالمسائل التربوية والأوامر

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۰۶

والنواهى الإلهية بحيث يكون مفهومها قريباً لدى النفس ولا تبقى ألغاز المفاهيم المعقدة. ثم قال عليه السلام:

«ووقت لكم الآجال»

فلكل عمر وأجل معين وقد خط الموت والفناء على جبين الجميع، سواء كان هذا الأجل هو النهاية القطعية للحياة؛ أى الأجل المسمى أو النهاية المشروطة؛ أى الأجل المحتوم. فقد قال سبحانه وتعالى «فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لايَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ»[۳۶۱] وقال: «كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ»[۳۶۲].

ومن البديهى أن يتجه الإنسان نحو التقوى حين يلتفت إلى تقلب الحياة الدنيا وقصر العمر. ثم قال عليه السلام:

«وألبسكم الرياش ۳۶۳] وأرفغ ۳۶۴] لكم المعاش»

حيث طرح الإمام عليه السلام مسألة اللباس من بين جميع النعم ثم أشار إلى كافة نعم الحياة والعيش، ولعل كون اللباس من أهم النعم،

الـذى لايقتصـر على حفـظ الإنسـان من البرودة والحرارة ويصونه من الأخطـار والصـدمات التى تتهـدده ويستر عيوبه فحسب، بـل لأنّ القرآن شـبه التقوى باللباس فى آياته، ومن هنا كان هنالك تناسب مع أصل الحديث عن التقوى، وهذا ماحدا بالإمام عليه السـلام إلى تقديم الخاص قبل العام فى إطار حديثه عن النعم. والجدير بالذكر أنّ وجود هذه النعم الفضـيلة الواسـعة التى عمت حياة الإنسان لهى الـدافع لمعرفـة اللّه وبالتالى تقواه. فكيف يعرف الإنسان هـذه النعم ولا يجِد فى رعايـة حرمـة وليها. فقـد ورد فى القرآن الكريم قوله سبحـانه: «يـا بَنِى آدَمَ قَـدْ أَنْزَلْنـا عَلَيْكُمْ لِباسـاً يُوارِى سَوْآتِكُمْ وَرِيشـاً وَلِبـاسُ التَّقْوى ذلِكَ خَيْرٌ»[۳۶۵]. يـذكر أن لريش الطيـور ألوان مختلفة وجمالية خاصة، ومن هنا فانّه يعنى الزينة أيضاً، ولما كانت التقوى تستر عيوب الإنسان وتحفظه من وساوس الشيطان وهى زينة له، فانّ مفردة اللباس فى الآية

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۰۷

الشريفة تشير إلى التقوى ۳۶۶] ثم قال عليه السلام:

«وأحاط بكم الاحصاء، وأرصد لكم الجزاء»

طبعاً إذا التفت الإنسان إلى هـذه المسألة وهى أنّ الحساب الإلهى دقيق- وكأنّه قلعة محكمة يصـعب إختراقها حيث لايسع أى عمل أو قول صدر من الإنسان أن يفلت من الحساب، كما أنّ كل قول وعمل إنّما يحمل جزائه معه، فان هذا الأمر سيدعوه إلى الورع والتقوى وإجتناب معصية أوامر اللّه سبحانه، والعبارة:

«أحاط بكم الاحصاء»

المسـتقاة من الآية الكريمة: «وَأَحاطَ بِما لَدَيْهِمْ وَأَحْصى كُلَّ شَـىءٍ عَدَداً»[۳۶۷] إنّما هى عبارة رائعة تشير إلى أنّ الإنسان قد خضع لدائرة الاحصاء الإلهى بحيث لايصدر منه شيئاً دون حساب، والعبارة:

«أرصد لكم الجزاء»

تصور الثواب والعقاب كمراقب كمن للإنسان بحيث لايغادر أى عمل صدر منه، ثم قال عليه السلام:

«وآثركم بالنعم السوابغ، والرفد[۳۶۸] الروافغ،[۳۶۹] وأنذركم بالحجج البوالغ»

الايثار تفضيل الشخص على النفس أم الآخرين، ومنه ماورد فى الآية ۹۱ من سورة يوسف:

«تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنا»

. أمّـا ما تصوره بعض شرّاح نهج‌البلاغة من أنّ الايثار تقـديم الآخر على الـذات، أو فيما يحتاجه المؤثر ليس بمسـتقيم، ولما لايمكن تصور أى من هـذين المعنيين على اللّه فليس من الصواب الاتجاه نحو المعنى المجازى.[۳۷۰] على كل حال فان المراد بالعبارة هو أنّ اللّه سبحانه قد فضل الإنسان على سائر مخلوقاته وأفاض عليه نعمه وكراماته؛ الأمر الذى صرح به القرآن الكريم: «وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِى آدَمَ وَحَمَلْناهُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ وَفَضَّلْناهُمْ عَلى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلًا»[۳۷۱]. فـاذا إلتفت الإنسـان إلى هـذا النعم الإلهية بما فيها تفضيله على سائر المخلوقات، سيثار لديه حس الشكر، وكما أوردنا سابقاً فانّه سيتجه

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۰۸

لمعرفـة المنعم وبالتـالى الامتناع عن مخالفته والتمرد على أوامره والتحلى بالورع والتقوى. أمّا الحجـج البوالغ المتمثلـة بالأنبياء والكتب السـماوية والمعجزات والأدلـة العقليـة والنقليـة فهى الاـخرى من دواعى الورع والتقوى وأمّـا ذكر النعم إلى جـانب الحجـج فيمكن أن يكون إشارة إلى أنّ اللّه فى الوقت الذى يغدق كل هذه النعم على الإنسان، إلّاأنّه يحذره من اسـتغلالها وأنّ عليه أن يوظفها بما يقوده إلى الفلاح والسعادة. ثم إختتم عليه السلام كلامه بهذا الشأن قائلًا:

«فأحصاكم عدداً، ووظف لكم مدداً،[۳۷۲] فى قرار خبرة[۳۷۳]، ودار عبرة، أنتم مختبرون فيها، ومحاسبون عليها»

لقـد سبق الحـديث فى الصـفة الثانيـة عن أجل الإنسان وفى الصـفة الخامسـة عن إحصاء الناس وعـددهم، ثم كرر عليه السـلام هذين

الوصفين لأهميتهما وتأثيرهما المباشر فى تجلى حقيقة التقوى فى وجود الإنسان، كما يمكن أن يفيد هذا التكرار معنى آخر، فقد كان الحديث فى العبارات السابقة عن الاحاطة بأعمال الإنسان، ومن هنا أردف بالكلام عن جزاء الأعمال، أمّا هنا فقد ورد الكلام عن أحصاء الناس بحيث لايشرد أحدهم عن مراقبة اللَّه سبحانه، كما صرح بذلك القرآن: «إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمواتِ وَالأَرضِ إِلّا آتِي الرَّحْمنِ عَبْداً* لَقَدْ أَحْصاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً»[۳۷۴]. ولئن أشار إلى انتهاء الأجل فانّ ذلك مقدمة للعبارات التالية (الحياة فى دار الإمتحان والابتلاء) وفى الواقع هى من قبيل البيان الإجمالى والتفصيلى للعبارة السابقة. وأمّا قوله عليه السلام:

«قرار خبرة ودار عبرة»

فواضح فى أنّ حياة الناس تمثل امتحانهم واختبارهم؛ الأمر الذى أشار إليه القرآن بالقول: «أَحَسِبَ النّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ* وَلَقَدْ فَتَنّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكاذِبِينَ».[۳۷۵]. والتعبير بالعبرة يشير إلى الاعتبار بمصير الظلمة والأقوام الطاغية والأفراد الذين تلطخت أيديهم بالذنوب والمعاصى، وأنّ العقاب الإلهى لايقتصر على الآخرة بل يطيل

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۰۹

الأفراد حتى فى الحياة الدنيا. والضمير فى العبارة

«ومحاسبون عليها»

يعود إلى دار الدنيا؛ أى كما أنّ الدنيا دار بلائكم وتمحيصكم فان حسابكم يتعلق بها بما أسلفتم من أعمال وتمتعتم من نعم أفاضها اللَّه عليكم.

التقوى فى كل زمان ومكان

كما أوردنا آنفاً فانّ الإمام عليه السلام أعقب الحمد والثناء بالدعوة إلى الورع والتقوى التى تختزن كافة مقومات السعادة الإنسانية وتحدد مكانة الإنسان لدى اللَّه وتشكل أفضل الزاد إلى الآخرة. والجدير بالذكر أنّ الإمام عليه السلام لايكتفى بالوصية بالتقوى بل يشير إلى جميع الامور التى من شأنها بلوغ التقوى ومنها النعم الإلهية المختلفة وقصر عمر الإنسان والاحاطة التامة للَّه سبحانه بالناس وأعمالهم وأقوالهم والدروس والعبر التى تتضمنها حياة الأقوام السابقة، بل وحتى الامم الحاضرة، إلى جانب الالتفات إلى هذا المعنى وهو أن هذه الدار الدنيا هى قاعة اختبار وامتحان وأنّ اللَّه واتر أنبيائه ورسله وأنزل معهم الكتب السماوية لانذار العباد، والحق أنّ هذا ذروة الفصاحة والبلاغة فى أن تجمع كل هذه الامور التى تصور التقوى بمعناها الكبير بهذا العبارات القصيرة.

حقاً إنّ تأمل هذه الامور الواردة فى الخطبة ليقود الإنسان إلى إستشعار الورع والتقوى والاحساس بحضوره سبحانه على الدوام. فأنى للإنسان أن يتمرد على خالقة وقد شعر بفيض نعمه عليه وأيقن بالقيامة والبعث والحساب وآمن بالحجج الإلهية التى تضمنتها الكتب السماوية وصدحت بها أنبياء اللَّه ورسله والأئمة عليهم السلام، وهو يرى قصر عمره وتقلب أحوال الدنيا والدروس والعبر التى إشتملت عليها حياة سالف الامم.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۱۱

القسم الثالث: حقيقة الدنيا

اشارة

«فَإِنَّ الدُّنْيا رَنِقٌ مَشْرَبُهَا رَدِغٌ مَشْرَعُهَا، يُونِقُ مَنْظَرُهَا ويُوبِقُ مَخْبَرُها، غُرُورٌ حائِلٌ، وضَوْءٌ آفِلٌ، وظِلٌّ زائِلٌ، وسِنادٌ مائِلٌ، حَتَّى إِذا أَنِسَ نافِرُها واطْمَأَنَّ نَاكِرُهَا، قَمَصَتْ بِأَرْجُلِهَا، وقَنَصَتْ بِأَحْبُلِهَا، وأَقْصَدَتْ بِأَسْهُمِها، وأَعْلَقَتِ الْمَرْءَ أَوْهاقَ الْمَنِيَّةِ قائِدَةً لَهُ إِلَى ضَنْكِ

الْمَضْجَعِ، وَوَحْشَةِ الْمَرْجِعِ، ومُعايَنَةِ الْمَحَلِّ وثَوابِ الْعَمَلِ، وكَذَلِكَ الْخَلَفُ بِعَقْبِ السَّلَفِ، لا تُقْلِعُ الْمَنِيَّةُ اخْتِراماً، ولا يَرْعَوِي الْباقُونَ اجْتِراماً، يَحْتَذُونَ مِثالًا، ويَمْضُونَ أَرْسالًا، إِلَى غايَةِ الإِنْتِهاءِ، وصَيُّورِ الْفَناءِ».

الشرح والتفسير

يعرض الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة بالذم الشديد الدنيا، حيث كان حديثه عن دار الامتحان والعبرة، فيشرح هنا خصائص هذه الدار بعبارات روعة فى الفصاحة والبلاغة. من جانب آخر خاض الإمام عليه السلام فى التقوى، ونعلم أنّ العقبة الكؤود التى تعترض سبيل التقوى إنّما تكمن فى حبّ الدنيا والتعلق بمادياتها، ومن هنا ذمها الإمام عليه السلام ليحط من قدرها لدى الناس ويقوى عندهم حس التقوى. فقد أشار عليه السلام إلى ثمان من مميزات الدنيا فقال عليه السلام:

«فانّ الدنيا رنق [۳۷۶] مشربها، ردغ [۳۷۷] مشرعها»

عادة ما يكون مستوى الأنهار التى يستفيد الإنسان

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۱۲

من مياهها أكثر إرتفاعاً من سطح الأرض المجاورة لها بحيث يصعب التزود منه، ومن هنا يحفر جزء من ساحل النهر ليمكن الوصول إلى ماءه بسهولة، وتصطلح العرب على هذا الجزء الذى يسهل الوصول إلى الماء بالشريعة أو المشرع حيث ينتهى إلى الماء يطلق عليه المشرب؛ فاذا تلوث المشرب بالطين والوحل أو تلوث الماء بحيث يتعذر التزود منه يعمد إلى إحداث شريعة بصورة مناسبة، أو يجعل عليه قنطرة لحل تلك المشاكل. الغرض هو أن الإمام عليه السلام شبه نعم الدنيا بالماء، إلّاأن المؤسف له هو أنّ الوصول إلى الماء يمر عبر الوحل ونقطة بلوغ الماء كانت موضعاً يلوث الماء، ومن هنا فانّ هذا الماء يدعو إليه العطاش من بعيد، إلّاأنّهم حين يصلوه يرون أنفسهم أمام سيل من المشاكل، فلا يتمكنوا من الحصول على الماء العذب، والحق أنّ هذا هو حال متع الدنيا كالمال والمقام وما إلى ذلك؛ وذلك لأنّ نيل الدنيا يحتم على الإنسان الاغماض عن الكثير من الفضائل الأخلاقية واعتياد الكذب والغدر والخيانة والذل، وكل من هذه الرذائل مستنقع يكمن فى طريق الوصول، فاذا وصل اصطدم بأنواع الحسد والطمع؛ الأمر الذى يعكر صفو الماء. ثم قال عليه السلام

«يونق [۳۷۸] منظرها، ويوبق [۳۷۹] مخبرها»

لقد ورد هذا التناقض لظاهر الدنيا وباطنها بعدّة صور فى عبارات أئمة العصمة، ومن ذلك ما ورد عن أميرالمؤمنين على عليه السلام:

«فإنّما مثل الدنيا مثل الحية: لين مسها، وقاتل سمها»[۳۸۰]

ويشبهونها أحياناً بالمرأة الجميلة التى تقتل أزواجها الواحد تلو الآخر. وبالطبع فأنّ أوصاف الدنيا ليست بالخافية على الإنسان اللبيب، فظاهرها أنيق ساحر وباطنها خطر قاتل. ثم قال عليه السلام:

«غرور حائل [۳۸۱]، وضوء آفل،[۳۸۲] وظل زائل، وسناد[۳۸۳] مائل»

ممّا لاشك فيه أنّ الدنيا تنطوى على عناصر الجمال والخداع، إلّاأنّها تنتهى لمجرد أن يريد الإنسان التمتع بها، ومن هنا

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۱۳

عبر عنها الإمام عليه السلام بالغرور الحائل، لأنّ الغرور بالضم من لوازم الجمال الظاهرى، أمّا الغرور بالفتح تعنى الشخص الخادع ومن هنا اطلق الغرور على الشيطان. ولما كانت أمتعة الدنيا براقة فقد عبرعنها الإمام عليه السلام بالضوء، إلّاأنّ هذا البريق ليس له دوام وسرعان ما يخفت، الأمر الذى جعل الإمام عليه السلام ينعت ذلك الضوء بالآفل. وتتصف بظلها الوداع المؤقت كظل شعاع الشمس على الأشجار الذى سرعان ما ينقشع ويزول، ومن هنا فان الظل الزائل الذى تمثله أمتعة الدنيا يمكن أن يكون ركنا يوثق به، غير أنّه ركن خاو، ولذلك عبر عنه عليه السلام بالسناد المائل. ثم أشار عليه السلام إلى سائر خصائص الدنيا، وبعبارة أخرى فانّه تعرض للصفات المذكورة بتشبيهات وتعبيرات جديدة فقال عليه السلام:

«حتى اذا أنس نفارها، واطمان ناكرها، قمصت ۳۸۴] بأرجلها، وقنصت ۳۸۵] بأحبلها[۳۸۶]، وأقصدت بأسهمها[۳۸۷]»

فقد صور الإمام عليه السلام الدنيا ووضعها بثلاثة تشبيهات: الأول شبه الدنيا بمركب طيب الظاهر، إلّاأنّه سرعان ما يجمع ويطرح راكبه أرضاً. ثم شبهها بالصياد الذى يرمى بشباكه وينثر فيها حبوب فخه فاذا إقترب صيده لم يجدله من سبيل إلى الهرب، وأخيراً شبهها بالصياد الذى يكمن فى الطريق فاذا شاهد صيده صوب إليه سهامه.

والجدير بالذكر فى العبارة

«حتى إذا أنس نافرها ...»

انها تشير إلى حقيقة وهى أنّ خداع الدنيا ليس بالشئ إلهين الذى يمكن تجاوزه بسهولة، بل تجر إليها أحياناً حتى الزهاد والعباد لتلقى بهم فى حبائلها وشباكها، ومن هنا ينبغى أن يلتفت الجميع إلى مدى خطورة هذه الدنيا الغرارة والمداومة على هذا الذكر:

«اللّهم لاتكلنى إلى نفسى طرفة عين أبدا».

ثم أشار عليه السلام إلى عاقبة أمر الإنسان فقال:

«وأعلقت المرء أوهاق ۳۸۸] المنية قائدة له إلى ضنك المضجع ۳۸۹]،

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۱۴

ووحشة المرجع، ومعاينة المحل، وثواب العمل»

لاشك أنّ طلاب الدنيا أهلها ليسوا مستعدين للتخلى عنها، إلّاأنّها تلقى بحبل الموت بكل قسوة على أعناقهم، فتخرجهم بالقوة من قصورهم الفارقة ودورهم العامرة لتوردهم تلك الحفر المظلمة الموحشة التى تملأه خوفاً واضطراباً، والأنكى من ذلك زوال الحجب عن عينيه ورؤيته لموضعه الذى سيحله، فان كان مستحقاً للعذاب، رأى بأم عينيه نار جهنم فيزداد خشية لمفارقته لدنيا بما فيها من مال ومقام وزوجة وولد. ثم يختتم كلامه عليه السلام بالإشارة إلى هذه الحقيقة وهى أنّ ما أورده الإمام بشأن الدنيا وأبناءها لايختص بالماضيين أو بطائفة معينة من الناس، بل يشمل الجميع الذين لابدّ لهم أن يشهدوا هذا الامتحان ويذوقوا الموت فما من خلود وبقاء سوى للّه سبحانه، حيث قال عليه السلام

«وكذلك الخلف بعقب السلف، لاتقلع المنية اختراماً[۳۹۰] ولا يرعوى ۳۹۱] الباقون اجتراماً[۳۹۲]»

. نعم فهم يعملون على غرار من سبقهم ويحذون حذوهم

«يحتذون ۳۹۳] مثالًا، ويمضون أرسالًا،[۳۹۴] إلى غاية الانتهاء، وصيور[۳۹۵] الفناء»

. فقد تضمنت العبارة الاشارة إلى أمرين: الأول الحذار من أن يتصور البعض أنه مستثنى من هذا القانون العام فيظنون أنّهم مخلدون فى الدنيا باقون فيها. والثانى الاعتبار بالماضيين من خلال النظر إلى آثارهم ليروا أين حلوا، وكيف كانوا:

من كان لايطأ التراب برجلهيطأه اليوم بصفحة الخد

ومن كان بينك وبينه شبرانفهو اليوم فى غاية البعد

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۱۵

أمّا التعبير بالاحترام وبالالتفات إلى معنى هذه المفردة الذى يفيد القطع والقص (ولذلك فسرّ بعض شرّاح نهجالبلاغة الموت المحزوم بالموت الذى يطيل الإنسان قبل مدته الطبيعيه)[۳۹۶] كأنّه يشير إلى حقيقة وهى أنّ إحدى مشاكل الحياة الدنيا فى أنّه قلّما يفارق أحد الدنيا بموت طبيعى؛ أى أنّه يوظف كافة طاقاته من أجل البقاء بينما يأتيه الموت، بل غالباً ما يخرق عمره بفعل مختلف العوامل سواءاً الداخلية أو الخارجية، الجسمية أو النفسية وأخيرا الحوادث الفردية أو الاجتماعية، ومن هنا لايسع أى فرد أن يؤمل العيش ولو ليوم أو ساعة. والسؤال المطروح لم رغم كل هذه الامور والحال

«لايرعوى الباقون اجتراما»؟

ليس هنالك من جواب سوى الغفلة والجهل ووساوس النفس الامارة والشياطين الذين يحكمون سيطرتهم على الإنسان ويحجبون أبصارهم وبصائرهم عن رؤية الحقائق. فهو بالضبط كالطير الذى يرى الحبوب دون أن يرى المصيدة التى نصبها له الصياد.

تقلب الدنيا

لقد إستفاضت الآيات القرآنية والروايات الإسلامية التى كشفت النقاب عن غدر الدنيا وتقلب أحوالها. وما أورع الصورة التى رسمها القرآن لهذه الدنيا حين شبهها بماء المطر:

«وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الحَياةِ الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الأَرضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذرُوهُ الرِّياحُ وَكانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيءٍ مُقْتَدِراً»[۳۹۷]. الخطبة التى نحن بصددها هى الاخرى رسمت صورة ناصعة لتفاهة الدنيا بحيث تهز عباراتها ضمير أهل الغفلة لتلفت إنتباههم إلى الآخرة، وكثيرة هى خطب نهج‌البلاغة التى وردت بشأن الدنيا، ولعل السبب الذى يكمن وراء كل هذه التأكيدات هو أنّ العصر الذى عاشه الإمام عليه السلام قد أعقب تلك الفتوحات الإسلامية والتى جرت ثروات طائلة على البلاد الإسلامية، حتى كانت آثار السلاطين والملوك النفسية من بين الغنائم التى كان تحصل عليها الجيوش الإسلامية؛ الأمر الذى شد أنظار أغلب الأفراد إلى الدنيا، وهذا ما أدى بالتالى إلى فساد المجتمع الإسلامى. فما

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۱۶

كان من الإمام عليه السلام وبغية إعادة الامّة إلى مسارها الإسلامى الصحيح الذى رسمه رسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله إلّاأنّ يعتمد تلك الحياة الزاهدة المتواضعة من جهة، ويلقى بكلماته الروحية ليوقظ تلك القلوب الغافلة من جهة أخرى الادباء والشعراء على مر العصور أنشدوا الشعر فى تصوير غدر الدنيا وعدم وفائها.

والعجيب فى الأمر أنّ كل هذه الآيات والروايات إلى جانب النظم الأدبى البديع لم تتمكن من إيقاظ أهل الدنيا وسلخهم عنها، فواصلوا بكل قوة مسارهم المنحرف دون الإكتراث لهذا الواعظ أو ذاك. نعم فالمؤمنون إنّما يتعظون بهذه العبر وينتفعون بها ليجدوا ويجتهدوا فى إصلاح أنفسهم ومعادهم.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۱۷

القسم الرابع: أهوال المحشر

اشارة

«حَتَّى إِذا تَصَرَّمَتِ الْأُمُورُ، وتَقَضَّتِ الدُّهُورُ، وأَزِفَ النُّشُورُ، أَخْرَجَهُمْ مِنْ ضَرائِحِ الْقُبُورِ، وأَوْكارِ الطُّيُورِ، وأَوْجِرَةِ السِّباعِ، ومَطارِحِ الْمَهالِكِ، سِراعاً إِلَى أَمْرِهِ، مُهْطِعِينَ إِلَى مَعادِهِ، رَعِيلًا صُمُوتاً، قِياماً صُفُوفاً، يَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، ويُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، عَلَيْهِمْ لَبُوسُ الِاسْتِكانَةِ، وضَرَعُ الاسْتِسْلامِ والذِّلَّةِ، قَدْ ضَلَّتِ الْحِيَلُ، وانْقَطَعَ الْأَمَلُ، وهَوَتِ الْأَفْئِدَةُ كاظِمَةً، وَخَشَعَتِ الْأَصْواتُ مُهَيْمِنَةً، وأَلْجَمَ الْعَرَقُ، وعَظُمَ الشَّفَقُ، وأُرْعِدَتِ الْأَسْماعُ لِزَبْرَةِ الدَّاعِي إِلَى فَصْلِ الْخِطابِ، ومُقايَضَةِ الْجَزاءِ ونَكالِ الْعِقابِ، ونَوالِ الثَّوابِ».

الشرح والتفسير

بعد أن فرغ الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة الغراء حقاً من حمداللَّه والثناء عليه والوصية بالتقوى وشرح أوضاع الدنيا وغدرها، تطرق عليه السلام إلى المعاد ليصور المحشر وأحوال الخلائق فيه بحيث لايبقى مجالا للغفلة فقال عليه السلام:

«حتى إذا تصرمت الأمور، وتقضت الدهور، وأزف ۳۹۸] النشور»

فالعبارات الثلاث إشارة واضحة لنهاية العالم. حيث تعرضت العبارة الاولى إلى فناء وزوال كل شئ: العمر، القدرة والقوة، الأموال

والثروة و ...، والعبارة الثانية لانتهاء الشهور والسنوات والقرون، والعبارة الثالثة وهى النتيجة لما تقدم إقتراب الساعة والبعث والقيامة. أما بشأن نهاية العالم والأحداث المهيبة التى ستودى إلى ذلك- كما صرح القرآن الكريم- وكيفية عالم

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۱۸

البرزخ فانّ الإمام عليه السلام لم يتطرق إلى ذلك، بل خاض مباشرة فى بعث الأموات وخروجهم من القبور والتى تمثل لب المطلوب فقال عليه السلام:

«أخرجهم من ضرائح ۳۹۹] القبور، وأوكار[۴۰۰] الطيور، وأوجرة[۴۰۱] السباع، ومطارح ۴۰۲] المهالك».

قد يفارق الإنسان الدنيا إثر الموت بصورة طبيعية، وقد يموت فى الصحراء لوحده ليكون جسده طعمة للحيوانات المفترسة، وقد يفترسه أحياناً وحشاً ضارياً، ويمكن أن يموت غرقاً فى البحر، كما قد تقتله الزلزلة فيبقى جسده تحت الانقاض، فالإمام عليه السلام يخبر أنّ اللَّه سبحانه عليم بمواضع جميع هؤلاء وسينشرهم جميعا للحشر فيحاسبهم على أعمالهم. كما يشير عليه السلام ضمنياً إلى هذه المسألة وهى أنّ أحدا لايعرف كيف سيفارق الدنيا، وأى موضع سيحوى جسده، الأمر الذى يدعو إلى الاعتبار فقد قال سبحانه بهذا الخصوص: «وَما تَدْرِى نَفْسٌ ماذا تَكْسِبُ غَداً وَما تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ»[۴۰۳]. والآية كسائر الآيات الشريفة تعرض بصراحة للمعاد الجسمانى؛ لأن ما فى القبور أو أعشاش الطيور وكهوف الوحوش هو تراب البدن وعظامه، وإلّا فالقبر لايضم الروح بعد مفارقتها للبدن، وهذا ما سنتعرض له فى المبحث القادم. ثم قال عليه السلام:

«سراعاً إلى أمره، مهطعين ۴۰۴] إلى معاده، رعيلًا[۴۰۵] صموتاً، قياماً صفوفاً، ينفذهم البصر، ويسمعهم الداعى»

فالعبارة صورة حية عن وضع العباد فى عرصة المحشر؛ ويالها من صورة مرعبة مخيفة. وهى العبارة التى ورد شبيهها فى القرآن بخصوص حركة الإنسان فى المحشر من قبيل المفردة

«سِراعاً»[۴۰۶]

و

«يَنْسِلُونَ»[۴۰۷]

ويعبر أحياناً اخرى عن مدى سرعته بالقول ويعبر أحياناً اخرى عن مدى سرعته بالقول: «كَأَنَّهُمْ إِلى نُصُبٍ يُوفِضُونَ».[۴۰۸]

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۱۹

فحركة الناس جماعية ووقوفهم فى المحشر على شكل صفوف مختلفة، أو أنّ الناس تفصل عن بعضها البعض البعض الآخر تبعاً لأعمالها بحيث يلتحق كل بنظيره فيكون مصيرهم واحدا، أو أنّهم كانوا جماعة فى قبورهم فينطلقون معاً للحساب. القرآن من جانبه قال بهذا الشأن: «يَوْمَ يُنْفَخُ فِى الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْواجاً»[۴۰۹] ولاشك أنّ سرعة حركتهم تكشف عن مدى خوفهم واضطرابهم من مصيرهم وتوقعهم لما يفجعهم من حوادث. والعبارة:

«ينفذهم البصر»

أى هم مع كثرتهم لايخفى منهم أحد عن إدراك اللَّه سبحانه وتعالى، وهم مع هذه الكثرة أيضاً لايبقى منهم أحد إلّاإذا دعا داعى الموت سمع دعاءه. ثم إنتقل عليه السلام إلى صورة اخرى من صور الخلائق فى يوم الحشر فقال عليه السلام:

«عليهم لبوس الاستكانة، وضرع ۴۱۰] الاستسلام والذلة، قد ظلت الحيل، وانقطع الأمل، وهوت الافئدة كاظمة، وخشعت الاصوات مهيمنة،[۴۱۱] وألجم العرق، وعظم الشفق».[۴۱۲]

لاتبدو ظهور مثل هذه الحالات حين يغلق باب الرجعة ويحكم اللَّه بين الخلائق وتخضع كافة الأعمال بصغيرها وكبيرها إلى الحساب العسير ويعرف الجزاء ويتجسم العقاب الذى ينتظر أهل الذنوب والمعاصى. وقد تضمن القرآن الكريم هذه الأوصاف، بل ما ورد فى الخطبة إنّما إقتبسه الإمام عليه السلام من القرآن. فقد قال القرآن فى موضع: «مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُؤُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ

هَواءٌ»[۴۱۳] وقال فی موضع آخر: «يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الأَصْواتُ لِلرَّحْمنِ فَلا تَسْمَعُ إِلّا هَمْساً»[۴۱۴]. العبارة «ألجم العرق»

تعبيررائع عن ذروة بلاء أهل المحشر، فالخوف والاضطراب من جانب، وحرارة المحشر من جانب آخر، وتدافع الناس وشدة الزحام والارهاق بحيث يغطى العرق أبدانهم حتى إنّ فمهم ليمتلأ عرقاً إذا ما فتحو شفاهم.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۲۰

ثم قال عليه السلام:

«وارعدت السماع لزبرة[۴۱۵] الداعى إلى فصل الخطاب، ومقايضة[۴۱۶] الجزاء، ونكال ۴۱۷] العقاب، ونوال ۴۱۸] الثواب».

والواقع أنّ الخوف إنّما ينبع من عدم معرفة الإنسان لمصيره وما سيؤول إليه أمره وهو يرى نفسه بين الثواب والعقاب والجنّة والنار. كما أنّ سبب الخوف والذعر هو أن الإنسان لايعلم بمدى إخلاصه فی طاعاته وعباداته، إلى جانب تذكره لبعض زلاته وأخطائه. فالحساب دقيق ولامحاسب هو الشاهد العليم بكل شئ، ولا من سبيل إلى العودة، كما ليس هنالك من سبيل لأنّ يدافع شخص عن آخر.

تأمّلات

۱- أضواء على المعاد الجسمانى

رغم اختلاف الفلاسفة بشأن المعاد وكونه جسمانياً أو روحياً، غير أن الآيات القرآنية والروايات الإسلامية صريحة بهذا الخصوص ولاتحمل أى إبهام فی عودة الروح والبدن فی عالم الآخرة، وإن المعاد سيكون بالروح والجسم معاً والشاهد على ذلك طائفة من الآيات والروايات، ومنها الآيات التى صرحت بقيام الناس من قبورهم إلى الحساب.[۴۱۹] وبالطبع فانّ القبر إنّما يضم عظام الإنسان وما يتبقى من تراب من جسده. والإمام عليه السلام أشار صراحة إلى هذا الأمر فی الخطبة إذ قال:

«أخرجهم من ضرائح القبور، وأوكار الطيور، وأوجرة السباع، ومطارح الهالك و ...»

والواقع أنّ المعاد ينبغى أن يكون كذلك إذا أريد له أن يكون كاملًا عادلًا، وذلك لوجود التأثير المتبادل بين الروح والجسد، وانّهما يتكاملان معاً؛ فمفارقة أى منهما للآخر يجعل صاحبه ناقصا، ومن الخطئ ما يردد أنّ الإنسان بروحه، على أنّ ذلك يستند إلى الظن السائد باستقلال الروح الكامل. ويبدو أنّ هذا البحث واسع شامل نكتفى هنا بهذا المقدار ونترك التفاصيل لموضعها.[۴۲۰]

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۲۱

۲- شبهة الآكل والمأكول المعروفة

من بين الشبهات التى أثيرت بشأن المعاد الجسمانى والتى جعلت البعض ممن لم يتلق الاجابة الصائبة عليها إلى نفى مثل هذا المعاد هى الشبهة المعروفة بالآكل والمأكول المعقدة.

والشبهة هى: إذا إفترض أن قحطا أصاب جماعة وتغذى بعض الناس من لحم البعض الاخر، فما تكليف بدن هؤلاء الأفراد الذين أصبح لحمهم جزءاً من بدن أفراد آخرين يوم القيامة والمعاد؟ فانّ عاد هذا اللحم إلى الأول أصبح الثانى ناقصاً، وإن حشر مع الثانى كان الأول ناقصاً.

كما يمكن طرح هذه الشبهة بصورة أوسع. فبدن الإنسان عادة ما يستحيل إلى تراب، والنباتات والحيوانات إنّما تتغذى على هذا التراب، وبالتالى فانّ الإنسان إنّما يتغذى على النباتات والحيوانات فتصبح جزءا من بدنه، وهنا يتكرر السؤال السابق فی أنّ هذه ستلحق أى بدن؟ ولعل ما أورده الإمام عليه السلام فی هذه الخطبة:

«... من ضرائح القبور وأوكار الطيور وأوجرة السباع ومطراح الهالك»

يثير مثل هذه الاسئلة أيضاً.

والإجابة على هذا السؤال تبدو طويلة نكتفى بخلاصتها. فالآيات والروايات تفيد عودة آخر بدن للإنسان الذى تحول إلى تراب يوم القيامة، وبناءاً على هذا فانّ هذا البدن الذى أصبح جزءاً من آخر سينفصل عنه ويعود إلى البدن الأول، ومشكلة نقصان البدن الثانى يمكن حلها بكل سهولة، وذلك لأنّ سائر أجزاء البدن تعيش حالة النمو وتملأ المواضع الخالية؛ الأمر الذى نلمسه باستمرار فى هذا العالم حين يتعرض الجسد لبعض الضربات والصدمات، حيث تأخذ الخلايا بالنمو وتعوض الأجزاء التالفة من البدن، وبالطبع فانّ هذه الحالة إنّما تحصل بصورة أسرع فى ذلك العالم. وأخيراً يشهد عالمنا المعاصر قضية الاستنساخ البشرى، حيث تؤخذ خلية من بدن كائن حى لتنتج شبيهاً لذلك الكائن، ويبدو حل هذه المسألة سهلًا جداً، وعليه فليس لشبهة الآكل والمأكول أن تعيق المعاد الجسمانى.[۴۲۱]

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۲۲

۳- بعث من فى القبور

هنالك سؤال يطرح نفسه وهو: إذا تغيرت الأرض والسماء عما هى عليه على أعتاب القيامة بحيث يتغير كل شئ، فكيف ستبقى القبور على حالها ويبعث من فيها للحساب؟

ويقال فى الإجابة على هذا السؤال: أنّ الأرض وعلى ضوء الآيات القرآنية أنّها ستشهد زلزلة عظيمة: «إِنَّ زَلْزَلَةَ السّاعَةِ شَىءٌ عَظِيمٌ»[۴۲۲]، وعليه فليس هنالك ما يمنع أن تبقى هذه القبور تحت انقاض تلك الزلزلة العظيمة.

كما أنّ السباع والوحوش التى ابتلعت أبدان بعض الناس وقد استحالت تراباً بعد موتها، هى الاخرى تبقى تحت الانقاض بعد الزلزلة العظيمة فيخرج الناس منها إلى الحشر يوم القيامة. وخلاصة القول هى أنّ العالم يتهدم لاينعدم ويزول، وبالطبع فانّ تراب الناس وعظامهم يبقى محفوظاً.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۲۳

القسم الخامس: الإنسان، من أين وإلى أين؟

اشارة

«عِبادٌ مَخْلُوقُونَ اقْتِداراً، ومَرْبُوبُونَ اقْتِساراً، ومَقْبُوضُونَ احْتِضاراً، وَمُضَمَّنُونَ أَجْداثاً، وكائِنُونَ رُفاتاً، ومَبْعُوثُونَ أَفْراداً، ومَدِينُونَ جَزاءً، ومُمَيَّزُونَ حِساباً، قَدْ أُمْهِلُوا فِى طَلَبِ الْمَخْرَجِ، وهُدُوا سَبِيلَ الْمَنْهَجِ، وَعُمِّرُوا مَهَلَ الْمُسْتَعْتِبِ، وكُشِفَتْ عَنْهُمْ سُدَفُ الرَّيْبِ، وخُلُّوا لِمِضْمارِ الْجِيادِ ورَوِيَّةِ الإِرْتِيادِ، وأَناةِ الْمُقْتَبِسِ الْمُرْتادِ فِى مُدَّةِ الْأَجَلِ، ومُضْطَرَبِ الْمَهَلِ».

الشرح والتفسير

يعود الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة من الآخرة إلى الدنيا ليشرح أوضاع وأحوال الناس فيها، ليعلموا لم خلقوا واين يتجهوا، وما هى الوسائل والإمكانات التى زودوا بها لينجوا يوم المعاد وكيف ينبغى لهم أن يستفيدوا من هذه الإمكانات. ويشتمل كلامه عليه السلام على ثلاث عشرة عبارة، خمس منها فى خلق الإنسان وموته وتبدل جسده إلى تراب، وثلاث فى كيفية بعث الخلائق، وخمس أخر فى إتمام الحجة الإلهية والفرص التى زود بها الإنسان فى هذا العالم. فقال عليه السلام:

«عباد مخلوقون اقتداراً، ومربوبون اقتساراً،[۴۲۳] ومقبوضون احتضاراً، ومضمنون أجداثاً،[۴۲۴] وكائنون رفاتاً»[۴۲۵]

. لاشك أن الإنسان مختار حر فى أفعاله، ولكن ليس له

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۲۴

مثل هـذا الاختيار فى الخلق والموت. فلا أحـد يعين تأريـخ ولادته، ولا أحـد يختار زمان موته الطبيعى برغبته، فالحياة والموت خارجة عن دائرة إرادتنا إلى جانب تعفن البـدن وصـيرورته تراباً، وهـذا ما حـدا بالبعض لتفسـير عبارة الأمر بين الأمرين بهذا المعنى. على كل حال فانّ مسيرة الحياة والموت جارية علينا على حنوء الإرادة الإلهية والقوانين المرسومة شـئنا أم أبينا؛ الواقع الذى تقود الغفلة عنه إلى جهل الإنسان بنفسه وبخالقه، بينما يمده الالتفات إليه بعناصـر العلم والمعرفة والتأهب. ثم تطرق الإمام عليه السلام فى العبارات الثلاث اللاحقة إلى عملية بعث الناس الخلارجة هى الاخرى عن الإرادة البشرية فقال

«ومبعوثون أفراداً، ومدينون جزاءً، ومميزون حساباً»

لاشك أنّ كل فرد سـيخرج من قبره وحيـداً، ولايتنافى هـذا والتقسـيم اللاحق للناس إلى طوائف تبعاً لعقائـدهم وأعمالهم، كما عبرت عن ذلك الخطبة فى البحث الماضى بالرعيل، ونعتها القرآن بالافواج.[۴۲۶] ولعل العبارة

«مميزون حساباً»

إشارة لما ورد فى الآيـة الكريمة: «وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى [۴۲۷]. نعم ليس هنالـك من يحمل وزر غيره ويعاقب عليه، ولكل حسابه على ضوء أفعاله، وان كان الرضى بأعمال الآخرين والتقصير فى وظيفة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يؤدى إلى نوع من الحساب المشترك. أمّـا العبـارات الخمس الأخيرة فقـد أشـار فيهـا الإمام عليه السـلام- كما ذكرنا ذلك آنفا- إلى الفرص واتمام الحجـة التى تتضمن أبعادا مختلفة، فقال عليه السلام:

«قد أمهلوا فى طلب المخرج، وهُدوا سبيل المنهج، وعمروا مهل المسـتعتب،[۴۲۸] وكشفت عنهم سدف ۴۲۹] الريب، وخلوا لمضمار الجياد،[۴۳۰] ورويـة الارتياد،[۴۳۱] وأناة[۴۳۲] المقتبس المرتاد، فى مدّة الأجل، ومضطرب المهل»

تضمنت هذه العبارات الأبعاد المختلفة لاتمام الحجة الإلهية وانّ الناس يمتلكون المهلة الكافية للفوز بالرضوان الإلهى أولًا،

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۲۵

وثانياً: تمهـدت أمامهم السـبل المؤديـة للنجاة بواسـطة الكتب السـماوية وإرشادات الأنبياء والأولياء وهدايـة العقل، ثالثاً: وجود القدرة والمهلة للتوبة من الذنوب وتدارك ما مضى ونيل رضى اللَّه، رابعاً: ان حجب الظلام التى تغطى قلب الإنسان بفعل الوساوس الشيطانية والشـكوك والشـبهات، إنّمـا تنجلى بنـور اللَّه وهـدايته سـبحانه، خامسـاً: أن أبـواب التوفيق الإلـهى لرياضـة النفس والاسـتعانة بـالفكر والاسـتضاءة بنور المعرفـة الربانيـة إنّمـا فتحت بوجه النـاس لمـا يكفيهم من المـدة. ونخلص من كل هـذا إلى أنّ الإنسان الـذى يضـل الهـدف ويوغل فى الـذنب ويقع فى مخالب الشـيطان ووساوسه لاينبغى أن يلوم إلّانفسه التى حالت دونه ودون هذه السـعادة والفلاح. وعليه فلم يعـد هنالك ما يـدعو إلى التعجب والدهشـة حين ينادون يوم القيامـة: «أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ ما يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَما لِلظّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ».[۴۳۳]

تأمّل: الدنيا دار إمتحان

كثيرا ما كانت تنظم قـديماً- وهكـذا فى الوقت الحاضـر- مسابقات للخيل، وكانت تخضع الخيل لتـدريبات شاقـة بغية التأهب لخوض المباراة، وعادة ما تصـطلح العرب بالمضامر على ميدان التدريب الذى ينحف فيه الفرس ويجهز للسـباق، أمّا الجياد فيراد بها العزيز من الخيل.

وقـد وردت بعض المتون الإسـلامية التى شـبهت الـدنيا بـذلك الميـدان الـذى يعد من يرده لخوض السـباق، حيث السـباق الأكبر يوم القيامـة، ذلك هو الميـدان الحق. وقـد أشارت الخطبـة بصورة مقتضـبة إلى هـذه المسألـة، وقد مر علىّ علينا شـرحها فى الخطبة الثامنة

والعشرين، فهو تشبيه رائع يمكنه أن يكشف عن قيمة الدنيا بالنسبة للاخرة.

نفحات الولايه، ج٣، ص: ٢٢٧

القسم السادس: مواعظ شافية

اشارة

«فَيـا لَها أَمْثالًا صائِبَةً، ومَواعِظَ شافِيَةً، لَوْ صادَفَتْ قُلُوباً زاكِيَةً، وأَسْماعاً واعِيَةً، وآراءً عازِمَةً، وأَلْباباً حازِمَةً، فاتَّقُوا اللَّهَ تَقِيَّةَ مَنْ سَمِعَ فَخَشَعَ، واقْتَرَفَ فاعْتَرَفَ، ووَجِلَ فَعَمِلَ، وحاذَرَ فَبادَرَ، وأَيْقَنَ فَأَحْسَنَ، وعُبِّرَ فاعْتَبَرَ، وحُذِّرَ فَحَذِرَ، وزُجِرَ فازْدَجَرَ، وأَجابَ فَأَنَابَ، رَاجَعَ فَتَابَ، واقْتَدَى فاحْتَذَى، وأُرِىَ فَرَأَى، فَأَسْرَعَ طَالِباً، ونَجَا هارِباً، فَأَفَادَ ذَخِيرَةً، وأَطَابَ سَرِيرَةً، وعَمَّرَ مَعَاداً، واسْتَظْهَرَ زَاداً، لِيَوْمِ رَحِيلِهِ، ووَجْهِ سَبِيلِهِ، وحالِ حاجَتِهِ، ومَوْطِنِ فاقَتِهِ، وقَدَّمَ أَمامَهُ لِدارِ مُقامِهِ. فاتَّقُوا اللَّهَ عِبادَ اللَّهِ جِهَةَ ما خَلَقَكُمْ لَهُ، واحْذَرُوا مِنْهُ كُنْهَ ما حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ، اسْتَحِقُّوا مِنْهُ ما أَعَدَّ لَكُمْ بِالتَّنَجُّزِ لِصِدْقِ مِيعادِهِ، والْحَذَرِ مِنْ هَوْلِ مَعادِهِ».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام- فى هذا المقطع من الخطبة الذى يمثل امتدادا للبحث السابق- إلى المواعظ القيمة المؤثرة والأمثال الواضحة والنصائح والإرشادات التى تنتهى بالناس إلى شاطئ الأمان، فقال عليه السلام:

«فيالها أمثالًا صائبة، ومواعظ شافية، لو صادفت قلوباً زاكية، واسماعاً واعية، وآراء عازمة، وألبابا حازمة»[۴۳۴]

قد تكون هذه العبارة إشارة إلى المواعظ والإرشادات التى وردت فى المقاطع السابقة من الخطبة، أو المواعظ التى بلغتنا عن طريق

نفحات الولايه، ج٣، ص: ٢٢٨

الوحى وأولياء اللّه، وقرينة ذلك عبارات القسم السابق بشأن الهداية الإلهية بطرق النجاة وإزالة حجب الشبهات والشكوك والمهلة الكافية للاستعداد والتزود واتمام الحجة على المقصرين. على كل حال فانّ الهدف هو بيان هذه المسألة وهى كفاية المواعظ والنصائح والمعالم على الطريق لو كانت هنالك آذانا صاغية وعقولًا متفتحة وقلوباً واعية، وبعبارة اخرى ليس هنالك من نقص فى فاعلية الفاعل، وإن كان هنالك من نقص ففى قابلية القابل.

والتعبير عن الأمثال بالصائبة يفيد مطابقتها للواقع. وأمّا التعبير بالأسماع الواعية فيشير إلى أنه بعد سماع كلام لابدّ من حفظه والتأمل فيه؛ لاسماعه من أذن وإخراجه من اخرى، كأنّه لم يسمع شيئاً. وأمّا الفارق بين

«الآراء العازمة» و «الألباب الحازمة»

فهو أنّ العبارة الاولى إلى القرارات القاطعة، وذلك لأن الإنسان لايتعظ بنصائح أولياءاللّه وينتفع بالإرشادات مالم يمتلك العزم القاطع؛ رغم أنه قد يقبلها ولصدق بها إلا أنه لايمتلك القدرة على إتخاذ القرار لضعف إرادته، والألباب الحازمة إشارة إلى الأفكار العميقة التى تشخص عواقب الأعمال، وتتامل جوانب كل مسألة ببعد نظر وسعة أفق. نعم إنّما ينتفع غاية الانتفاع من هذه المواعظ والامثال من كان له فكر عميق وإرادة قوية واذن سامعة وقلب واع. ثم أوصى عليه السلام بالتقوى وبين مظاهرها بعبارات قصيرة بعيدة المعنى بما يقارب عشرين جملة. والحق أنّ ضالة أرباب السير والسلوك إلى اللّه إنّما اختصرت فى هذه العبارات، حيث قال عليه السلام:

«فاتقوا اللّه تقية من سمع فخشع»

فاذا أذنب إعترف بذنبه وتاب إلى ربّه (

واقترف ۴۳۵] فاعترف، ووجل فعمل، وحاذر فبادر، وأيقن فأحسن، وعبر فاعتبر، وحذر فحذر، وزجر فازدجر، وأجاب فأناب، وراجع

فتاب، واقتدى فاحتذى،[۴۳۶] وأرى فرأى

» فقد بينت مظاهر التقوى فى هذه العبارات بأكمل وجه. وبالطبع فان التقوى ليس إدعاءاً، ولاتقتصر على إجتناب الخطايا والارجاس، فالتقوى تبدا من سماع كلمات دعاة لاحق وخضوع القلب لها، إلى جانب التوبة والإنابة إلى اللّه والاعتراف بالذنوب وخشية اللّه والقيام بالأعمال التى تقرب إليه، وحث الخطى نحو

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۲۹

درجة اليقين والاعتبار بحوادث الماضى والحذر من المعاصى، واستماع أحسن القول والانتهاء، عن المنكر وإجابة دعوة الحق، والاقتداء بأولياء اللّه والانفتاح على الحقائق ثم قال عليه السلام:

«فاسرع طالباً ونجا هارباً»

وبالنتيجة

«فافاد ذخيرة، وأطاب سريرة، وعمر معاداً، واستظهر[۴۳۷] زاداً، ليوم رحيله، ووجه سبيله، وحال حاجته، وموطن فاقته، وقدح أمامه لدار مقامه»

والواقع أنّ هذه مظاهر اخرى للتقوى والتى من شأنها جعل الإنسان يسارع إلى الحق وتقتل فى نفسه الجنوح إلى الذنب والاثم وتمده بمقدمات الاستعداد للمعاد. ثم واصل الإمام عليه السلام خطبته بالدعوة ثانية إلى التقوى وخلص إلى نتيجة هى:

«فاتقوا اللّه عباداللّه جهة ما خلقكم له».[۴۳۸]

حقاً أنّ لخلق الإنسان هدف «أَيَحْسَبُ الإِنْسانُ أَنْ يُتْرَكَ سَدىً»[۴۳۹] ولا يمكن بلوغ هذا الهدف دون التقوى، والهدف هو العبودية للّه سبحانه ونيل القرب الإلهى وبلوغ السمو والكمال، ولا يتيسر هذا إلّامن خلال المعرفة والتقوى. ثم قال عليه السلام:

«واحذروا منه كنه ۴۴۰] ما حذركم من نفسه»

هنالك روعة فى قوله عليه السلام كنه التى تفيد عدم الاقتناع بالظواهر فقط حيال الانذارات الإلهية ولابدّ من تأمل هذه الانذارات والعمل على الفوز بالرضوان الإلهى. ثم أشار عليه السلام إلى معطيات التقوى فقال:

«واستحقوا منه ما أعد لكم بالتنجز[۴۴۱] لصدق ميعاده، والحذر من حول معاده»

فعبارات الإمام عليه السلام اشارات إلى بعض الآيات، كالآية التاسعة من سورة المائدة: «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ» وما ورد فى الآية الخامسة عشرة من سورة آل‌عمران: «لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ» والآية ۶۸ من سورة التوبة: «وَعَدَ اللَّهُ الْمُنافِقِينَ وَالْمُنافِقاتِ وَالْكُفّارَ نارَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها».

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۳۰

شعب التقوى

التقوى شرف العبد ووسيلته العظمى للقرب من اللّه وهى معيار كرامته، كما أنّها زاد السالكين إلى اللّه ومتاعهم إلى الحبيب، وتشتمل التقوى على أغصان وثمار أشارت لها الخطبة التى تعرضنا لشرحها. وبالطبع فانّ مادة التقوى تكمن فى الاذان الصاغية والقلوب الواعية والإرادات القوية والأفكار النيرة التى تعد الإنسان لسلوك سبيل الورع والتقوى؛ الأمر الذى أشير له فى بداية الخطبة. أمّا غصون وثمار شجرة التقوى المباركة فتتمثل بالخشوع للّه سبحانه والاعتراف بالذنب والتوبة منه والاعتبار والاحسان والاقتداء بأولياء اللّه. فاذا نثرت بذور التقوى فى القلب الواع وسقيت بماء المراقبة والمحاسبة، حملت هذه البذور ثمار الخوف والخشية والخشوع والتوبة والانابة إلى الحق سبحانه.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۳۱

القسم السابع: الجميع يدين له بالفضل

«جَعَلَ لَكُمْ أَسْماعاً لِتَعِيَ ما عَناها، وأَبْصاراً لِتَجْلُوَ عَنْ عَشاها، أَشْلاءً جامِعَةً لِأَعْضائِها، مُلائِمَةً لِأَحْنائِها، فِي تَرْكِيبِ صُوَرِها، ومُدَدِ عُمُرِها، بِأَبْدانٍ قائِمَةٍ بِأَرْفاقِها، وقُلُوبٍ رائِدَةٍ لِأَرْزاقِها، فِي مُجَلِّلاتِ نِعَمِهِ، مُوجِباتِ مِنَنِهِ، وحَواجِزِ عافِيَتِهِ. وقَدَّرَ لَكُمْ أَعْماراً سَتَرَها عَنْكُمْ، وخَلَّفَ لَكُمْ عِبَراً مِنْ آثارِ الْماضِينَ قَبْلَكُمْ، مِنْ مُسْتَمْتَعِ خَلاقِهِمْ، ومُسْتَفْسَحِ خَناقِهِمْ، أَرْهَقَتْهُمُ الْمَنايا دُونَ الْآمالِ، وشَذَّبَهُمْ عَنْها تَخَرُّمُ الْآجالِ. لَمْ يَمْهَدُوا فِي سَلامَةِ الْأَبْدانِ، ولَمْ يَعْتَبِرُوا فِي أُنُفِ الْأَوانِ».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام فى هذا الموضع من الخطبة إلى جانب من النعم الإلهية التى تثير لدى الإنسان الشعور بالامتنان والشكر، كما تشكل دافعا لمعرفة اللَّه والانفتاح على الورع والتقوى، فقد قال عليه السلام:

«جعل لكم أسماعها لتعنى ماعناها،[۴۴۲] وأبصارا لتجلوا[۴۴۳] عن عشاها،[۴۴۴] وأشلاء[۴۴۵] جامعة لاعضائها، ملائمة لاحنائها، [۴۴۶] فى تريكب صورها، ومدد

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۳۲

عمرها»

. فالواقع هو أنّ الإمام عليه السلام أشار فى هذا المقطع من الخطبة إلى النعم لأعضاء البدن الواحد تلوا الآخر، مركزاً على السمع والبصر بفضلها أهموسيلة لإرتباط الإنسان بالعالم الخارجى إلى جانب حصول الانسان على الجانب الأعظم من العلوم والمعارف عن طريقهما، هذا من جهة، ومن جهة اخرى أشار عليه السلام إلى الانسجام القائم بين أعضاء البدن بعضها بالبعض الآخر، ومن ذلك تطرق إلى عضلات البدن التى تعمل متناغمة مع كافة الأعضاء وقد تكيفت مع هيئات العظام. فمسألة تناسق وانسجام أعضاء البدن تعد من أروع ظواهر الخلقة ومن أهم النعم الإلهية، وفى نفس الوقت فان الاستقلال يسود هذه الاعضاء والجوارح، إلّاأنّها تتحد وتتعاضد بما يدعو للدهشة والذهول إذا ما طرأ على الإنسان طارئ. على سبيل المثال لو حدث ما يضطر الإنسان للابتعاد والفرار عن مركز الحادثة بسرعة، فانّ كافة أعضاء البدن تعبئ نفسها فى لحظة واحدة، فدقات القلب تأخذ بالارتفاع، والنفس يصعد وينزل بسرعة ليضخ الدم والاوكسجين الكافى لعضلات الجسم، كما تتصاعد حدة اليقظة والوعى، ويحتد السمع والبصر، حتى تذوب موانع الجوع والعطش وتنسى بالمرة ليتمكن الإنسان من الهروب سريعاً من مركز الحادث، وبالطبع فانّ هذا التنسيق لم يحصل استجابة لرغبة الإنسان واختياره، بل بواسطة الأوامر والايعازات التى يصدرها الدماغ تلقائياً إلى جميع أعضاء البدن. فهذا التنسيق العظيم كاشف عن قدرة اللَّه سبحانه وعظمته، كما يفيد سعة نعمه على العباد؛ الأمر الذى أشار له الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة. ولا يقتصر هذا التنسيق على ظاهر الاعضاء فحسب، بل يخترق باطنها وكنهها، حتى يؤثر فى أعمارها، وهذا ما أشار إليه الإمام بالخصوص.

ثم واصل عليه السلام كلامه قائلًا:

«بأبدان قائمة بأرفاقها[۴۴۷] وقلوب رائدة[۴۴۸] لأرزاقها، فى

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۳۳

مجللات ۴۴۹] نعمه، وموجبات مننه، وحواجز[۴۵۰] عافيته»

. العبارات استمرار لما ورد قبلها من تنسيق بين أعضاء البدن. فمراد الإمام عليه السلام أنّ هذا التنسيق والانسجام لايقتصر على الأعضاء، بل الروح والفكر أيضاً ينسقان مع هذه الأعضاء بهدف نيل بعض المنافع ودفع بعض الاضرار. ويعتبر هذا التعاضد الروحى والجسمى الذى يحكم جميع كيان الإنسان من بدائع العجائب الذى تتكشف بعض تفاصيل دقته وروعته على مرور الزمان وفقا لتطور العلم وإزدهاره، حيث تشكل هذه البدائع أعظم نعم اللَّه وأهم آيات عظمته سبحانه.

العبارة

«مجللات نعمه»

تجلل الناس وتعمهم وهى من باب إضافة الصفة إلى الموصوف بمعنى

«نعمه المجللة»

التى تشمل الناس بأجمعهم مؤمنهم وكافرهم.

«وحواجز عافيته»

بمعنى موانع السلامة والجملة تشتمل على تقدير حيث يكون المراد أنّ اللّه علم الإنسان طرق دفع الاضرار ومنافع العافية

«ما يمنع حواجز عافيته».

ثم أشار عليه السلام إلى نوعين من النعم الإلهية الكبرى على الإنسان إلى جانب النعم المذكورة فقال:

«و قدّر لكم أعماراً سترها عنكم وخلّف لكم عبراً من آثار الماضين قبلكم من مستمتع خلاقهم ۴۵۱]

ومستفسح خناقهم ۴۵۲] أرهقتهم ۴۵۳] المنايا دون الْآمال شذبهم ۴۵۴] عنها تخرّم ۴۵۵] الْآجال لم يمهدوا فى سلامة الْأبدان ولم يعتبروا فى أنف ۴۵۶] الْأوان»

أمّا النعمة الاولى فهى نعمة العمر التى تعتبر

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۳۴

مصدر سعادة الإنسان وتوفيقه وفلاحه، حيث أنّ ليلة من ليال العمر التى بات فيها أميرالمؤمنين عليه السلام- والتى تعرف بليلة المبيت- على فراش رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله ليفديه بنفسه وينجو من مؤامرة الكفار فأصابه عليه السلام ما أصابه من الفضل ببركة تلك الليلة. وأما ضربته لعمر بن عبدود العامرى فى الخندق والتى كانت أفضل من عبادة الثقلين، فلم تكن سوى سويعة من عمر الإمام عليه السلام. وأما شهداء الغاضرية الذين صنعوا أكبر ملحمة عرفها التأريخ البشرى ليصبحوا كعبة للثوار وطلاب الحق فلم تكن سوى نهاراً من عمرهم المبارك. نعم فنعمة العمر من أعظم نعم اللّه على الإنسان. وقد إقتضى لطف اللّه وحكمته أن يخفى مدة هذا العمر عن الإنسان، لما ينطوى العلم به من مفاسد فقد قال الإمام الصادق عليه السلام:

«فالإنسان لو عرف مقدار عمره وكان قصير العمر لم يتهنأ بالعيش مع ترقب الموت وتوقعه لوقت قد عرفه، بل كان يكون بمنزلة من قد فنى ماله أو قارب الفناء، فقد استشعر الفقر والوجل من فناء ماله وخوف الفقر، على أنّ الذى يدخل على الإنسان من فناء العمر أعظم مما يدخل عليه من فناء المال لأن من يقل ماله يأمل أن يستخلف منه فيسكن إلى ذلك، ومن أيقن بفناء العمر استحكم عليه اليأس، وإن كان طويل العمر ثم عرف ذلك وثق بالبقاء وانهمك فى اللذات والمعاصى وعمل على أنّه يبلغ من ذلك شهوته ثم يتوب فى آخر عمره، وهذا مذهب لايرضاه اللّه من عباده ولايقبله ومن هنا حجب الإنسان عن معرفة العمر ليعيش دائما بين الخوف والرجاء.[۴۵۷]

ونخلص من هذا إلى أنّ ساعات العمر وأيامه نعمة، وهكذا حجب مقداره عن الإنسان نعمة اخرى.

وأمّا النعمة الثانية: وتتمثل بالاعتبار بالامم الماضية وما عليه الكبار، وما بقى من القصور والقبور والآثار، فهى نعمة إلهية كبرى وذلك لأنّ النظر بعين العبرة لهذه الآثار يزود الإنسان بالتجربة وكأنه عمرعمرا مديداً ليكون مع تلك الأمم والأقوام وقد تجرع حلاوة الحياة ومرارتها. فتأريخ الامم الماضية مادة للدروس والعبر، وللإنسان أن يحدد مصيره على ضوء

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۳۵

هذا التأريخ من خلال الانفتاح على مقومات النجاح وأسباب الفشل وكيفية التعامل معهما، والحق أنّ هذه نعمة عظيمة منّ اللّه بها على الإنسان. القرآن الكريم صرح بهذا الخصوص قائلًا «لَقَدْ كانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِى الْأَلبابِ»[۴۵۸] وللاسف فما أكثر الذين خططوا

لحياتهم وسبحوا فى بحر لجى من الامال والامانى حتى أتاهم الموت بغتة فقضى على تلك الامال والحال أنّهم وقفوا على أخبار الماضين وآثارهم، إلّاأنّ أهوائهم وطغيانهم كان حجاباً على أبصارهم وبصائرهم فحال دون رؤيتهم للحقائق، فقدموا على ربهم وقد اعتبربهم ممن يعدهم دون أن يعتبروا بمن كان قبلهم.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۳۷

القسم الثامن: الحذر، فالنعم إلى زوال

«فَهَلْ يَنْتَظِرُ أَهْلُ بَضاضَةِ الشَّبابِ إِلَّا حَوانِيَ الْهَرَمِ؟ وأَهْلُ غَضارَةِ الصِّحَّةِ إِلَّا نَوازِلَ السَّقَمِ؟ وأَهْلُ مُدَّةِ الْبَقاءِ إِلَّا آوِنَةَ الْفَناءِ؟ مَعَ قُرْبِ الزِّيالِ، وأُزُوفِ الِانْتِقالِ وعَلَزِ الْقَلَقِ، وأَلَمِ الْمَضَضِ، وغُصَصِ الْجَرَضِ، تَلَفُّتِ الِاسْتِغاثَةِ بِنُصْرَةِ الْحَفَدَةِ والْأَقْرِباءِ، والْأَعِزَّةِ والْقُرَناءِ».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام- فى هذا المقطع من الخطبة- إلى نقطة مهمّة اخرى ذات صلة بالحياة الدنيا وما فيها من نعم، وأنّ هذه النعم آيلة إلى الزوال، ومن هنا فلاينبغى الوثوق بها، كما لايجوز الخلود إليها والتعلق بها، فقال عليه السلام:

«فهل ينتظر أهل بضاضة[۴۵۹] الشباب إلأحوانى ۴۶۰] الهرم؟[۴۶۱] وأهل غضارة[۴۶۲] الصحة إلأنوازل السقم؟ واهل مدة البقاء إلّاآونة[۴۶۳] الفناء»

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه قائلًا:

«مع قرب الزيال ۴۶۴] وأزوف ۴۶۵] الانتقال، وعلز[۴۶۶] القلق، وألم المضض،[۴۶۷]

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۳۸

وغصص الجرض،[۴۶۸] وتلفت ۴۶۹] الاستغاثة بنصرة الحفدة[۴۷۰] والاقرباء، والأعزة والقرناء»

فمن خصائص هذا العالم تقلب نعمه ولذاته؛ الأمر الذى يدعو الإنسان إلى عدم الاغترار والخلود إلى الدنيا ويضحى بآخرته من أجلها. فالشباب يسرعون نحو الهرم وغضاضة الشباب آيلة إلى ذبول الكهولة وربيع العمر سينتهى إلى خريف التساقط، وسلامة البدن عرضة للزوال وهجوم الأمراض حتى تلوح علامات الوصول والاقتراب من الآخرة وتبدو واضحة للعيان. ورغم كل هذه الخصائص والعلامات، الا أنّ الذين تعلقوا بالدنيا وإغتروا بها ليسوا بالقليل فلم ينشغلوا فيها سوى ببعض النعم والمتع؛ الأمر الذى يجدر بالتأمل والتوقف عنده! حيث يرى الإنسان كل ملامح فناء الدنيا بأم عينيه ويصر على البقاء. ورد فى تأريخ بغداد أنّ السفاح نظر إلى المرآة فقال: اللّهم لا- أقول ما قال سليمان بن عبدالملك أنى خليفة شاب، لكنى أقول: ارزقنى عمراً طويلًا بعافية فى طاعتك ولم يكديتم حديثه حتى سمع أحد غلمانه يقول لآخر فى عقد بينهما أنّ مدته إلى شهرين وخمسة أيام فتطير السفاح من كلامه وكأنه أخبر عما تبقى من عمره، وكان الأمر كذلك ۴۷۱]. القرآن من جانبه أكد هذا الأمر وكشف النقاب عنه (وان لم يكن هناك من نقاب فى الواقع) فقد أشار كراراً بأمثاله الحية إلى تقلب أحوال الدنيا، ومن ذلك قوله: «إِنَّما مَثَلُ الحَياةِ الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الأَرضِ مِمّا يَأْكُلُ النّاسُ وَالأَنعامُ حَتّى إِذا أَخَذَتِ الأَرضُ زُخْرُفَها وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُها أَنَّهُمْ قادِرُونَ عَلَيْها أَتاها أَمْرُنا لَيْلًا أَوْ نَهاراً فَجَعَلْناها حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمسِ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ».[۴۷۲]

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۳۹

القسم التاسع: عاقبة الغضاضة الذبول

«فَهَلْ دَفَعَتِ الْأَقارِبُ، أَوْ نَفَعَتِ النَّواحِبُ، وقَدْ غُودِرَ فِي مَحَلَّةِ الْأَمْواتِ رَهِيناً، وفِي ضِيقِ الْمَضْجَعِ وَحِيداً، قَدْ هَتَكَتِ الْهَوامُّ جِلْدَتَهُ، وأَبْلَتِ النَّواهِكُ جِدَّتَهُ، وعَفَتِ الْعَواصِفُ آثارَهُ، ومَحا الْحَدَثانُ مَعالِمَهُ، وصارَتِ الْأَجْسادُ شَحِبَةً بَعْدَ بَضَّتِها والْعِظامُ نَخِرَةً بَعْدَ قُوَّتِها،

والْأَرْواحُ مُرْتَهَنَةٌ بِثِقَلِ أَعْبائِها، مُوقِنَةً بِغَيْبِ أَنْبائِها، لا تُسْتَزادُ مِنْ صالِحِ عَمَلِها، ولا تُسْتَعْتَبُ مِنْ سَيِّئِ زَلَلِها، أَ ولَسْتُمْ أَبْناءَ الْقَوْمِ والْآباءَ، وإِخْوانَهُمُ الْأَقْرِباءَ؟ تَحْتَذُونَ أَمْثِلَتَهُمْ، وتَرْكَبُونَ قِدَّتَهُمْ، وتَطَئُونَ جادَّتَهُمْ؟ فالْقُلُوبُ قاسِيَةٌ عَنْ حَظِّها، لاهِيَةٌ عَنْ رُشْدِها، سالِكَةٌ فِي غَيْرِ مِضْمارِها! كَأَنَّ الْمَعْنِيَّ سِوَاهَا، كَأَنَّ الرُّشْدَ فِي إِحْرازِ دُنْياها».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام هذا الربانى الرائد للأخلاق فى عالم البشرية وملهمها فى هذا المقطع من الخطبة إلى ذلك اليوم الذى يغمض فيه الإنسان عينيه ويودع هذه الدنيا، فليس هنالك من يدفع عنه هذا الموت، ولا تحل مشكلته ببكاء أقربائه وعويلهم، فيستفهم الإمام عليه السلام على سبيل الانكار قائلًا:

«فهل دفعت الأرقاب، أو نفعت النواحب،[۴۷۳] وقد غودر[۴۷۴] فى محلة الأموات

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۴۰

رهيناً، وفى ضيق المضجع وحيداً»

وكأنّ جداراً سمكه آلاف الامتار قد ضرب بينه وبين قرابته ولا يمكن تخطى ذلك الجدار، ولايسع البكاء والعويل أن يقدم من شئ سوى التخفيف من ألم الفراق ولوعة الاشتياق، بينما لايعود بأى نفع على الميت. ثم يبين مصير جسم الإنسان وروحه بعد الموت بعشر عبارات قصيرة فقال عليه السلام:

«وقد هتكت الهوام [۴۷۵] جلدته، وابلت النواهك [۴۷۶] جدته،[۴۷۷] وعفت العواصف [۴۷۸] آثاره، ومحا الحدثان [۴۷۹] معالمه، وصارت الاجساد شحبة[۴۸۰] بعد بضتها، والعظام نخرة[۴۸۱] بعد قوتها، والارواح مرتهنة بثقل اعبائها،[۴۸۲] موقنة بغيب أنبائها، لاتستزاد من صالح عملها، ولا تستعتب من سيئ زللها»

حقاً ليس هنالك تعبير أجمع وأكمل وأبلغ من هذا التعبير الذى صور وضع جسم الإنسان وروحه بعد الموت، فسرعان ما يتفسخ هذا الجسم ويكون لقمة سائغة للحشرات، وتذهب زلاقة لسانه وحدة ذكائه أدراج الرياح ولن يتبقى منه سوى حفنة من العظام النخرة، والقبور المهدمة. والأنكى من كل ذلك غلق صحيفة الأعمال، فلا من زيادة للحسنات ولا نقصان للسيئات، آنذاك لم يعد هنالك من مجال لتلك القطرة من الدمع التى يمكنها إطفاء بحار من نيران الذنوب، إن أفرزتها حالة الندم والتوبة والانابة إلى اللّه. كما ذهبت فرصة القول «لا اله الا اللّه» التى ثوابها شجرة فى الجنّة، فلا سبيل إلى العودة، ولا طريق إلى العمل وقد ختمت صحيفة الأعمال. ثم قال عليه السلام:

«أو لستم أبناء القوم والآباء وا خوانهم والأقرباء؟»

فالآباء عادة ما يموتون قبل أولادهم، كما يمكن أن يتوفى الأبناء قبل آبائهم، وربّما يموت بعض الاخوة قبل غيرهم، وعليه فليس

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۴۱

هنالك من زمان معين لدى الإنسان لحلول أجله وإختتام عمره، والكل سواسية أمام الموت وليس هنالك من يرجح عيشه لساعة على آخر أو يضمن أنّه سيعيش لساعة. ثم قال عليه السلام موضحاً المعنى المذكور:

«تحتذون أمثلتهم، وتركبون قدتهم،[۴۸۳] وتطؤون جادتهم»

لعل الإمام عليه السلام أراد توبيخهم بهذه العبارة فى أنّكم رأيتم مصير من سبقكم فلم تعتبروا بهم، فاقتفيتم آثارهم وأتيتم بأعمالهم وقارفتم ما قارفوه من الذنوب والمعاصى، والحال كان ينبغى أن تتعظوا بهم وتعتبروا بمصيرهم وعاقبتهم. ثم يخلص الإمام عليه السلام إلى نتيجة يبيّن من خلالها علة مشاهدة الناس لكل هذه الدروس والعبر دون الاعتبار فقال:

«فالقلوب قاسيةٌ عن حظّها، لاهيةٌ عن رشدها، سالكةٌ فى غيرم ضمارها! كأنّ المعنىّ سواها، وكأنّ الرّشد فى إحراز دنياها».

جاء فى نهج‌البلاغة أنّ الإمام عليه السلام تبع جنازة فسمع رجلًا يضحك فقال:

«كأنّ الموت فيها على غيرها كتب، وكأنّ الحق فيها على غيرنا وجب، وكأنّ الذى نرى من الأموات سفر عما قليل إلينا راجعون»[۴۸۴]

نعم إذا قسى قلب الإنسان وسيطرت الظلمة والغفلة على روحه أعمته عن كل هذه الحقائق التى من شأنها إيقاظ كافة البشرية؛ فما ظنك بهذه الحقائق التى تطالعنا كل يوم! القرآن أشار إلى هؤلاء الأفراد بقوله:

«ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذ لِكَ فَهِىَ كَالحِجارَةِ أوْ أشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الحِجارَةِ لَما يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهارُ وَإِنَّ مِنْها لَما يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ المَاءُ وَإِنَّ مِنْها لَما يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ وَما اللّهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعْمَلُونَ».[۴۸۵]

نعم فالركون إلى الدنيا يقسى القلب، فاذا قسى قلب الإنسان ضل طريق السعادة وسار على غير هدى بينما يمر على الآيات مر الكرام ليرى المعنى بالوعيد غيره، وهو المعنى بالصالحين الفائزين برضوان اللّه.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۴۲

القسم العاشر: مواجهة الأهاويل

اشارة

«وَاعْلَمُوا أَنَّ مَجازَكُمْ عَلَى الصِّراطِ ومَزالِقِ دَحْضِهِ، وأَهاوِيلِ زَلَلِهِ، تاراتِ أَهْوالِهِ، فاتَّقُوا اللَّهَ عِبادَ اللَّهِ تَقِيَّةَ ذى لُبٍّ شَغَلَ التَّفَكُّرُ قَلْبَهُ، أَنْصَبَ الْخَوْفُ بَدَنَهُ، وأَسْهَرَ التَّهَجُّدُ غِرارَ نَوْمِهِ، وأَظْمَأَ الرَّجاءُ هَوَاجِرَ يَوْمِهِ، وظَلَفَ الزُّهْدُ شَهَواتِهِ، وأَوْجَفَ الذِّكْرُ بِلِسانِهِ، وقَدَّمَ الْخَوْفَ لِأَمانِهِ، وتَنَكَّبَ الْمَخالِجَ عَنْ وَضَحِ السَّبِيلِ، وسَلَكَ أَقْصَدَ الْمَسالِكِ إِلَى النَّهْجِ الْمَطْلُوبِ؛ ولَمْ تَفْتِلْهُ فاتِلاتُ الْغُرُورِ، ولَمْ تَعْمَ عَلَيْهِ مُشْتَبِهاتُ الْأُمُورِ، ظافِراً بِفَرْحَةِ الْبُشْرَى، وراحَةِ النُّعْمَى، فِى أَنْعَمِ نَوْمِهِ، وآمَنِ يَوْمِهِ، وَقَدْ عَبَرَ مَعْبَرَ الْعاجِلَةِ حَمِيداً، وقَدَّمَ زادَ الْآجِلَةِ سَعِيداً، وبادَرَ مِنْ وَجَلٍ، أَكْمَشَ فِى مَهَلٍ، ورَغِبَ فِى طَلَبٍ، وذَهَبَ عَنْ هَرَبٍ، وراقَبَ فِى يَوْمِهِ غَدَهُ، ونَظَرَ قُدُماً أَمامَهُ.

فَكَفَى بِالْجَنَّةِ ثَواباً ونَوالًا، وكَفَى بِالنَّارِ عِقاباً وَبالًا، وكَفَى بِاللّهِ مُنْتَقِماً ونَصِيراً! وكَفَى بِالْكِتابِ حَجِيجاً وخَصِيماً!».

الشرح والتفسير

يتطرق الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من خطبته الغراء إلى بعض مواقف الآخرة وأهوالها، وقد شحذ الامّة لتتأهب لذلك اليوم وتعد نفسها للعبور من مزالقها الخطيرة. فقال عليه السلام:

«و اعلموا أنّ مجازكم ۴۸۶] على الصّراط، ومزالق ۴۸۷] دحضه،[۴۸۸] أهاويل ۴۸۹] زلله، وتارات ۴۹۰] أهواله».

نفحات الولاية ؛ ج۳ ؛ ص۲۴۲

تبر

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۴۳

الصراط أحد مزالق القيامة الذى ورد التأكيد عليه والاشارة إليه فى القرآن وآياته، كما صرحت به الروايات الإسلامية على وجه التفصيل والذى يستفاد من الروايات هو أنّ الصراط قنطرة على النار وهى آخر ما يقطعه الإنسان وصولًا إلى الجنّة وأنّ الناس جميعاً كافرهم ومؤمنهم إنّما يردون ذلك الصراط، أمّا المؤمنون الصالحون فيمرون عليه كالبرق ويدخلون الجنّة، بينما يتعذر على الكافر عبوره فيسقطون فى نار جهنم. فاجتياز هذا الصراط إنّما يتوقف على إيمان الإنسان وعمله، حتى أنّ سرعة جوازه تتناسب وتقوى الإنسان وعمله.

وبالطبع فان الصراط يتجسم بأشكال اخرى فى الدنيا، بعبارة اخرى الصراط فى القيامة هو تجسم صراط الدنيا؛ وذلك لأنّه وصف بأنّه: «أدق من الشعر، وأحد من السيف»[۴۹۱]

مما لاشك فيه أنّ الحد الفاصل بين الحق والباطل والإيمان والكفر والاخلاص والرياء هو قصد القربة واتباع الهوى وهو على درجة من الدقة والخطورة بحيث يتعذر جوازه الأعلى المخلصين الصالحين، وهذا ما سنعرض له فى البحث القادم. على كل حال فان هذا الصراط الحاد ينطوى على عدة عقبات لايمكن إجتيازها دون التأهب والتزود، ومن هنا واصل الإمام عليه السلام كلامه قائلًا:

«فاتّقوا اللّه عباد اللّه تقيّة ذى لبٍّ شغل التّفكّر قلبه، وأنصب ۴۹۲] الخوف بدنه، وأسهر[۴۹۳] التّهجّد غرار[۴۹۴] نومه، وأظمأ الرّجاء هواجر[۴۹۵] يومه، وظلف ۴۹۶] الزّهد شهواته».

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۴۴

نعم فالتفكر من أول لوازم التقوى التى تسهل جواز الإنسان على الصراط، حيث يحيى هذا التفكر قلب الإنسان ويجعله يستعشر خشية اللّه وبالتالى يقوده إلى التهجد وإحياء اليل وصوم أيام الصيف الحارة والتحلى بالزهد والتواضع. التقوى التى تأخذ بيد الإنسان إلى شاطئ الأمان وتجعله يمر كالبرق على ذلك الصراط.

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه بشأن التقوى ومعطياتها فقال:

«وأوجف ۴۹۷] الذّكر بلسانه، وقدّمالخوف لِأمانِهِ، وتنكّب ۴۹۸] المخالِج ۴۹۹] عن وضحِ ۵۰۰] السّبِيلِ، وسلك أقصد المسالِكِ إِلى النّهج المطلوب؛ ولم تفتله ۵۰۱] فاتلات الغرور، ولم تعم عليه مشتبهات الْأمور»

فقد أشار عليه السلام إلى عشرة من أوصاف المتقين- إلى جانب التفكر الدائم- التى تستبطن كل واحدة منها عالم من المعانى والتى تجعل الإنسان إذا تحلى بها قدوة يحتذى بها وتمنحه العزة والرفعة فى الدنيا والآخرة وتحقيق النجاحات الباهرة فى سيره إلى اللّه سبحانه وتعالى وقد إتصفت هذه العبارات بتشبيهات لطيفة وكنايات بليغة بعيدة المعنى بحيث تنفذ إلى أعماق النفس. نعم فالمتقون لايخدعون بالوساس الشيطانية ولايسيرون حيارى على الطريق، بل ويسلكون أقرب السبل إلى اللّه سبحانه، كما أنّ خوف اللّه ولهج ألسنتهم بذكر اللّه يحول دون إنحرافهم عن السبيل القويم. ثم خاض الإمام عليه السلام فى جانب من نتائج هذه الصفات فى الدنيا والآخرة فقال:

«ظافراً بفرحة البشرى، وراحة النّعمى،[۵۰۲] فى أنعم نومه، وآمن يومه، قد عبر معبرالعاجلة حميداً، وقدّم زاد الْآجلة سعيداً»

فالواقع هو أن السبب الذى يقف وراء راحتهم وسكينتهم واستقرار أفكارهم إنّما يكمن فى إجتيازهم لعقبة الدنيا وتزودهم للدار الآخرة. والشئ المهم هو أن يتمالك الإنسان نفسه حيال هذه المظاهر الكاذبة والخادعة والفساد

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۴۵

والانحراف ويبقى على نهجه فى سلوك الصراط المستقيم. ثم أشار عليه السلام إلى ست صفات أخرى من صفات المتقين فقال:

«و بادر من وجلٍ، وأكمش ۵۰۳] فى مهلٍ، ورغب فى طلبٍ، وذهب عن هربٍ، وراقب فى يومه غده، ونظر قدماً أمامه»

فهو يستثمر كافة فرص العمر من أجل الفوز بسعادة الدار الآخرة، فهو يقبل على ما ينبغى الاقبال عليه، ويبتعد عن كل ما من شأنه إبعاده عن سبيل السعادة والفلاح. أجل هذه هى الصفات التى تنطوى عليها التقوى والتى ينبغى للعباد أن يجعلوها نصب أعينهم ويسعون جاهدين لاكتسابها. ثم يختتم الإمام عليه السلام هذه المقطع من الخطبة بالإشارة إلى النتيجة التى تترتب على التقوى أو عدمها:

«فكفى بالجنّة ثواباً ونوالًا، وكفى بالنّار عقاباً ووبالًا، وكفى باللّه منتقماً ونصيراً! كفى بالكتاب حجيجاً وخصيماً»

حقاً أنّ الإمام عليه السلام لمعجز فى عباراته القصيرة التى تناولت التقوى بالشكل الذى لم يسمع نظيره من أحد، وهى العبارات التى تسوق أضعف الأفراد إلى العمل والسعى والحركة، فما أحراها أن سميت بالخطبة الغراء.

تأمّلان

۱- كيف نجتاز الصراط بسهولة؟!

أشارت الخطبة إلى الصراط؛ الجسر الذى يرده كافة الأفراد يوم القيامة، وقد أسهبت الروايات الإسلامية فى الحديث عنه، وان لم ترد كلمة الصراط بهذا المعنى فى القرآن، إلّافى موردين ولعل المراد بهما طريق الحق والباطل فى الدنيا، بينما وردت تعبيرات أخرى فى القرآن الكريم من قبيل المرصاد الذى ذهب جماعة من المفسيرين إلى أنّ المراد به الصراط. على كل حال كما أسلفنا فانّ الذى يستفاد من الروايات هو أن الصراط جسر على جهنم حاد مخيف فمن عبره دخل الجنّة، ومن تعثر هوى فى نار جهنم، بل صرحت بعض الروايات أنّ الصراط وسط النار، إلّاأن المؤمنين يجتازونه كالبرق على غرار مرورهم من وسط نار الدنيا. وقد ورد فى أوصاف الصراط وانه جسر على جهنم ويؤدى إلى الجنّة ولايمكن دخول الجنّة إلّابعد

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۴۶

عبوره، فهناك طائفة من المؤمنين تمر عليه مسرعة كالبرق واخرى كالفارس واخرى كالراجل واخرى تحبو عليه حبوا وأخيراً هناك من يعجز عن العبور فيهوى فى جهنم.[۵۰۴]

ويمكن فهم مضمون هذا الحديث من خلال الحديث المعروف الذى روى عن رسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله والإمام الصادق عليه السلام هو:

«إن على جهنم جسرا أدق من الشعر، أحد من السيف»[۵۰۵]

وقال الإمام الصادق عليه السلام فى تفسيره للاية الشريفة:

«إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصادِ»[۵۰۶]

، «قنطرة على الصراط لايجوزها عبد بمظلمة»[۵۰۷]

. إلى جانب ذلك هنا لك بعض الأعمال التى صرحت الروايات الإسلامية بأنّها تسرع عملية عبور الصراط، من ذلك ما ورد فى الحديث عن النبى الاكرم صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«أسبغ الوضوء تمرُّ على الصراط مرّ السحاب»[۵۰۸]

. كما ورد فى حديث آخر أنّ موسى عليه السلام سأل البارئ سبحانه فى مناجاته إياه:

«إلهى ما جزاء من تلا حكمتك سراً وجهراً؟ قال: يا موسى يمر على الصراط كالبرق»[۵۰۹]

. والجدير بالذكر هنا ما ورد فى عدة روايات من أنّ أهم شرائط عبور الصراط ولاية على بن أبى طالب. وقد نقل كبار محدثى العامة هذه الرواية عن رسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله فى مصادرهم، ومنهم الحافظ بن سمان الذى نقل فى كتابه الموافقة أنّ رسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله قال:

«لايجوز أحد على الصراط إلا من كتب له على عليه السلام الجواز»[۵۱۰]

، وجاء فى رواية

«إذا جمع اللّه الأولين والآخرين يوم القيامة ونصب الصراط على جسر جهنم ما جازها أحد حتى كانت معه براءة بولاية على بن أبى‌طالب»[۵۱۱]

وقد ورد هذا المضمون مع إختلاف طفيف فى مناقب الخوارزمى ومناقب ابن المغازلى وفرائد السمطين

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۴۷

وكتاب الرياض النظرة.[۵۱۲] وكما ذكرنا سابقاً فى شرحنا للخطبة فانّ الصراط فى القيامة هو فى الواقع تجسم صراط الدنيا وعقبة

عبورها وما تنطوى عليه من حدة وخطر.

۲- صلاة الليل شرف المؤمن

أشار الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة إلى مسألة إحياء الليل بالتهجد والعبادة على أنّها من مميزات المتقين السائرين إلى الحق. والتهجد من مادة هجود، قال الراغب فى المفردات تعنى فى الأصل النوم، إلّاأنّه تنتقل من معنى النوم إلى اليقظة حين تستعمل فى باب التفعيل، ولما كان إحياء الليل فى عرف المتقين يتمثل بالدعاء والمناجاة والعبادة، فقد استعملت كلمة التهجد بمعنى الصلاة فى جوف الليل، وبالذات نافلة الليل. على كل حال فانّ لصلاة الليل آدابها الخاصة، وهى الاكسير الأعظم والكيمياء الكبرى التى تحيل تراب الإنسان ذهباً. وقد خاطب الحق سبحانه رسول الكريم صلى الله عليه و آله فى قرآنه الكريم قائلًا: «وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لَكَ عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً».[۵۱۳] الذى يفيد أنّ المقام المحمود الذى بلغه رسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله إنّما بلغه بعبادة الليل والتهجد فيه. ويكفى فى فضلها وتظافر الروايات فيها، ما ورد عن رسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله أنّه قال لعلى عليه السلام:

«عليك بصلاة الليل يكررها أربعة»[۵۱۴]

، كما ورد فى الحديث أنه أوصى عليا عليه السلام قائلًا:

«يا على ثلاث فرحات للمؤمن: لقى الاخوان، والافطار من الصيام، والتهجد من آخر الليل»[۵۱۵]

. فالحديث يفيد أنّ صلاة الليل لمن دواعى سرور المؤمن وسعادته. وجاء فى الحديث أيضاً أنّ رسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله قال:

«ما اتخذ اللّه إبراهيم خليلًا إلّا لاطعامه الطعام وصلاته بالليل والناس نيام»[۵۱۶]

. وأوصى الصادق عليه السلام أحد أصحابه قائلًا:

«لاتدع قيام الليل فان المغبون من غبن قيام الليل»[۵۱۷]

. الجدير بالذكر أنّ الآية السادسة من سورة المزمل عبرت عن صلاة الليل بناشئة الليل وهى عظيمة الاهمية والمؤدية إلى

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۴۸

الاستقامة

«إن ناشئة الليل هى أشد وطئا أقوم قيلا»

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أنّ المراد بناشئة الليل نشئة الجذبة الروحية والملكوتية التى تحصل للإنسان ببركة هذه العبادة. وسبب هذه الأهمية واضح لأنّ روح العبادة التى تبلغ بالإنسان المقامات العالية إنّما تكمن فى أمرين:

الاخلاص وحضور القلب. وكلاهما حاصل فى الليل ولاسيما فى آخره بعد تلك الاسترحة والخلود حين يكون الناس نيام وقد إنقطعت الحركة والسعى والعمل المادى فليس هنالك من تفكير فى نيل بعض المتع المادية ولا الشواغل الفكرية المادية اليومية التى تشتمل عليها الحياة الإنسانية، ومن هنا كانت صلاة الليل عبادة خالصة متوجة بحضور القلب والمعنوية التامة.

ويمكن لكافة الاخوة المؤمنين لمس معطيات هذه العبادة من خلال التجربة وتذوق حلاوتها بشغاف القلب فيحرصون على أدائها، فهى الموصوفة لمن أراد الدنيا، وهى كذلك لمن أراد الآخرة، وهى باعثة الرزق ومطيبة الريح ومبيضة الوجه. نسأل اللَّه أن يوفقنا وإياكم للمواظبة عليها.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۴۹

القسم الحادى عشر: المانع الآخر وساوس الشيطان

اشارة

«أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِى أَعْذَرَ بِما أَنْذَرَ، واحْتَجَّ بِما نَهَجَ، وحَذَّرَكُمْ عَدُوّاً نَفَذَ فِى الصُّدُورِ خَفِيّاً، ونَفَثَ فِى الْآذانِ نَجِيّاً، فَأَضَلَّ وأَرْدَى، ووَعَدَ فَمَنَّى، وزَيَّنَ سَيِّئاتِ الْجَرائِمِ، وهَوَّنَ مُوبِقاتِ الْعَظائِمِ، حَتَّى إِذا اسْتَدْرَجَ قَرِينَتَهُ، واسْتَغْلَقَ رَهِينَتَهُ، أَنْكَرَ ما زَيَّنَ، واسْتَعْظَمَ ما هَوَّنَ، وحَذَّرَ ما أَمَّنَ».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة إلى أحد الأخطار المهمة للغاية التى تهدد سعادة الإنسان، ويتمثل ذلك الخطر بوساوس الشيطان ومكائده التى تعد من أعظم وسائله فى خداع الناس. فقد أوصى الإمام عليه السلام ثالثة بالتقوى مشيرا إلى إتمام الحجة الإلهية:

«أوصيكم بتقوى اللّه الّذى أعذر بما أنذر، واحتجّ بما نهج»

فمن الواضح أنّ العدل الإلهى لايمكن بسطه دون إتمام الحجة الكافية، ومن هنا بين البارئ سبحانه وتعالى الحق والباطل من خلال الرسول الظاهر المتمثل بالأنبياء والأوصياء والأولياء، والرسول الباطن وهو عقل الإنسان وفطرته حتى لايعذر أحد بجهله فى محاولة لتبرير تمرده وخلافه. فالواقع هو أنّ العبارة:

«احتج بما نهج»

إشارة إلى بيان طريق السعادة، والعبارة:

«أعذر بما أنذر».

تحذير من الاخطار الكامنة فى مسير الإنسان. الجدير بالذكر أنّ اللّه سبحانه لايكتفى باتمام الحجة على عباده فحسب، بل يتمها بمنتهى اللطف والرحمة، ولذلك تأكدت آلية العقل الكافية فى أغلب المراحل لاتمام الحجة بالوحى بواسطة الأنبياء العظام، إلى جانب التحذير من مغبة مقارفة الاثم والذنب: «وَما كانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ القُرى حَتّى يَبْعَثَ فِى أُمِّها رَسُولًا يَتْلُو

عَلَيْهِمْ آياتِنا وَما كُنّا مُهْلِكِى القُرى إِلّا وَأَهْلُها ظالِمُونَ»[۵۱۸] ثم أشار عليه السلام إلى أخطار الشيطان قائلًا:

«وحذّركم عدوّاً نفذ فى الصّدور خفيّاً، ونفث فى الْآذان نجيّاً، فأضلّ وأردى»

لاشك أنّ الصفات الواردة فى العبارة تشير بوضوح إلى أنّ المراد هو الشيطان، وان لم يرد إسمه صريحاً فى هذه العبارة والعبارات اللاحقة. فقد خاطب الحق سبحانه آدم عليه السلام فى كتابه العزيز قائلًا:

«إِنَّ هذا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُما مِنَ الجَنَّةِ فَتَشْقى [۵۱۹]. وصرح فى موضع آخر على نحو العموم قائلًا: «أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِى آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ»[۵۲۰] طبعا يمكن أن يكون الشيطان وسيلة للسمو والتكامل بالنسبة للمؤمنين والسالكين، وذلك لأنّهم يزدادون معنوية وقرباً من الحق كلما حاربوه وصمدوا بوجه مكائده وحيله. ثم واصل عليه السلام كلامه بكشف اللثام عن مختلف طرق وساوس الشيطان، فاشار إلى ثلاث منها:

«و وعد فمنّى، وزيّن سيّئات الجرائم، وهوّن موبقات العظائم».

فالحق أنّ هذه هى المصائد الثالث والطرق الخطيرة التى ينفذ من خلالها إلى نفس الإنسان، الاولى: أنّه يمنّى الإنسان، ويجعله يعيش طول الأمل والخيالات والأوهام بشأن المستقبل، المستقبل الذى قد لايدركه الإنسان قط فيلهيه به ويستهلك جميع طاقاته من أجله وهكذا يغلق بوجهه سبيل التزكية ويصرفه عن الطاعة. والثانية: يزين له الذنوب والمعاصى التى يأباها الطبع الإنسانى بوحى من ضميره ووجدانه ويجعله يرى التحلل حرية والتفسخ مدنية ومجالسة أهل الفسوق والخطيئة نوعا من أنواع التعايش السلمى، والخلاصة فقد أعد عدته لتزيين كل قبيح.

والثالثة: يسعى لأن يصغر للإنسان كبائر الذنوب فيبديها له سهلة ليست بذات أهمية ويمنيه ببعض التبريرات والمسوغات من قبيل عظمة

عفو اللّه ورحمته وأن ليس هناك من إنسان معصوم وهو عرضة للخطأ والزلل وان باب التوبة مفتوح وقد إدخرت شفاعة الشافعين ولاسيما النبى وأهل بيته الكرام لمثل هذه الامور. والحال لابدّ أن نرى النتيجة التى تنتهى إليها هذه الوساس والحيل والمكائد الشيطانية، هذا ما أشار إليه الإمام عليه السلام قائلًا:

«حتّى إذا

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۵۱

استدرج قرينته، واستغلق رهينته، أنكر ما زيّن، واستعظم ما هوّن، وحذّر ما أمّن»

فالعبارة

«إستدرج»

تفيد أنّ وساسوس الشيطان عادة ما تتم خطوة فخطوة لتكون اكثر تأثيراً فى الأفراد، فلو كانت هذه الوساوس دفعية فانّ الأفراد وأن تمتعوا بقليل من التقوى لحاربوها ووقفوا بوجهها، ولعل هذا هو المعنى الذى أشارت إليه الآية القرآنية الكريمة: «وَلا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ»[۵۲۱] وسائر الآيات القرآنية الواردة بهذا الشأن. أمّا العبارة

«قرينته»

فكأنّها أقتبست من الآية الشريفة: «وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ»[۵۲۲] فالواقع هو أنّ الشيطان على درجة من القرب من أتباعه بحيث لاتنفك مفردات حياتهم عنه وهو مقرون بهم أينما حلوا. وأخيرا تشير العبارة

«إستغلق رهينته»

إلى أنّ الشيطان يرتهن أتباعه ويغلق عليهم باب الرجعة- بالضبط كشياطين الانس الذين يزينون الفساد والانحراف للأفراد فانّ سقطوا فى هذا الفخ وتلوثوا أغلقوا عليهم كافة طرق الخروج ولم يجدوا أمامهم سوى الاذعان والانقياد. أمّا يوم القيامة حيث تطرح حجب الخداع والمكر والغرور ويظهر ما كان يبطنه كل شخص، فلا يسع الشيطان هناك إلّاالانكار، وأن يكبر ما كان إستضغره، غير أنّ هذا الانكار لايفيده، كما لايفيد أتباعه وذلك لأنّ عهد الرجعة والتوبة من الذنوب وتدارك الماضى قد ولى إلى غير رجعة.

مكائد الشيطان

إنّ الإنسان يخوض على الدوام مواجهة تجاه عدوين كبيرين: عدو داخلى يدعى بالنفس الامارة، وعدو خارجى هو الشيطان، ولكل منهما ذات الأعمال المكملة لبعضها البعض الآخر.

وعلى الرغم مما ذكرناه من أنّ هذا العدو الداخلى والخارجى بالنسبة لأهل الإيمان مصدراً للسمو والتكامل ومحاربة عناصر الذنب والمعصية، وبالتالى يوجب تكامل أرواحهم ويزيد من قربهم إلى اللّه سبحانه، مع ذلك فانّ وجود مثل هذا العدو الخطير يتطلب مزيدا من الحيطة

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۵۲

والحذر، ويضاعف من خطورته أنّه لايدعو الإنسان صراحة إلى الذنب، بل يزين الذنوب وينمق المعاصى ويصغر كبائر الذنوب، ويكبر ما صغر من الطاعات، ويريه المصائد جميلة، مستغلا كافة نقاط ضعف الإنسان لينفذ إلى أعماقه فيلقيه فى مخالب الشهوات والأموال والمقام والآمال الطويلة، ومن هنا فانّ الغفلة لحظة قد تقود إلى عمر من الشقاء والبؤس والندم.

ولذلك وردت التحذيرات التى أكدتها الروايات والأخبار الإسلامية، ومن ذلك أنّه أوحى إلى موسى عليه السلام:

«ما لم تسمع بموت ابليس فلا تأمن مكره»[۵۲۳]

وقد خضنا فى شرح وساوس الشياطين فى المجلد الأول من هذا الكتاب فى الخطبة السابعة.[۵۲۴]

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۵۳

القسم الثانى عشر: بداية حياة الإنسان ونهايتها

اشارة

«أَمْ هَذا الَّذِى أَنْشَأَهُ فِى ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ، وشُغُفِ الْأَسْتَارِ، نُطْفَةً دِهَاقاً، وَعَلَقَةً مِحاقاً، وجَنِيناً وراضِعاً، ووَلِيداً ويافِعاً، ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْباً حافِظاً، لِساناً لافِظاً، وبَصَراً لاحِظاً، لِيَفْهَمَ مُعْتَبِراً، ويُقَصِّرَ مُزْدَجِراً، حَتَّى إِذا قامَ اعْتِدالُهُ، واسْتَوَى مِثالُهُ، نَفَرَ مُسْتَكْبِراً، وخَبَطَ سادِراً، ماتِحاً فِى غَرْبِ هَواهُ، كادِحاً سَعْياً لِدُنْياهُ، فِى لَذَّاتِ طَرَبِهِ، وبَدَواتِ أَرَبِهِ، ثُمَّ لا يَحْتَسِبُ رَزِيَّةً، ولا يَخْشَعُ تَقِيَّةً؛ فَماتَ فِى فِتْنَتِهِ غَرِيراً، وعاشَ فِى هَفْوَتِهِ يَسِيراً أسيرا لَمْ يُفِدْ عِوَضاً غرضاوَ لَمْ يَقْضِ مُفْتَرَضاً».

الشرح والتفسير

خاض الإمام عليه السلام- فى هذا المقطع من الخطبة وقد أشرفنا على نهايتها- فى أمر مهم آخر وهو خلق الإنسان ومتابعته منذ كونه جنيناً حتى إختتام عمره ومفارقته للدنيا وبعثه فى يوم القيامة، اتماماً للأبحاث السابقة حول مكائد الشيطان وضرورة إعداد العدّة والتحلى بالورع والتقوى، وبعبارة اخرى ليكون الإنسان على حيطة وحذر فيمارس وظائفه الرئيسية ويجتنب وساوس الشيطان. فقد قال عليه السلام:

«أم ۵۲۵] هذا الّذى أنشأه فى ظلمات الْأرحام، وشغف ۵۲۶]

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۵۴

الْأستار، نطفةً دهاقاً،[۵۲۷] وعلقةً محاقاً،[۵۲۸] جنيناً وراضعاً، ووليداً ويافعاً[۵۲۹]»

. فالواقع هو أنّ الإمام عليه السلام أشار إلى ستة مراحل من حياة الإنسان، ترتبط ثلاث منها بالفترة التى يكون فيها جنين وقبل الولادة، وثلاث أخرى تتعلق بما بعد الولادة. وهى المراحل التى تطوى سريعاً وتحتفظ كل واحدة منها بميزاتها، فبعضها عجيب للغاية والبعض الآخر ينطوى على الدروس والعبر، فاللّه سبحانه وبقدرته يعد من ماء الرجل الذى يفتقر إلى الصورة والشكل بعد أنّ يتكامل فى ظلمات المشيمة والرحم وبطن الام إلى علقة فمضغة وعظاماً ولحماً جنيناً ذا حياة، ليخرج إلى الدنيا، ثم يطوى مراحل الهداية والتكامل ليبدأ مسيرته إلى الحق. ثم أشار الإمام عليه السلام إلى ما زود به هذا المخلوق من وسائل وأدوات:

«ثمّ منحه قلباً حافظاً، ولساناً لافظاً، وبصراً لاحظاً، ليفهم معتبراً، يقصّر مزدجراً»

فقد منحه اللّه العقل ليميز به الحسن من القبيح، واللسان ليستغله فى فتح صناديق كنوز العلم بالسؤال والبحث، والعين ليدرك بها الحقائق الحسية، ويصل إلى أهدافه النهائية من خلال هذه النعم الثلاثة، ثم يستفيدها فى إدراك الأحكام الإلهية ويعتبر بما حوله ويبتعد عما لايليق بشأنه. فالواقع هو أن مصادر المعرفة الثلاث: العقل واللسان والعين والتى تمثل إدراك وإستيعاب المواضيع الفكرية والنقلية والعينية والحسية قد جمعت فى هذه العبارة القصيرة، وبالتالى فقد أمر الإنسان باعتماده للفوز بالسعادة والرضوان.

ثم قال عليه السلام:

«حتّى إذا قام اعتداله، واستوى مثاله، نفر مستكبراً، وخبط سادراً»[۵۳۰]

طبعاً ليس جميع الناس كذلك، إلّاأنّ كلام الإمام عليه السلام إنّما يتناول الأغلبية العظمى التى تشاهد فى المجتمعات البشرية والتى تولى ظهرها لكل شئ إذا ما شعرت بالقوة والاقتدار ونالت بعض المناصب، كما تشكل تحذيرا لأهل الإيمان من ضرورة مراقبة النفس والسعى لأداء الشكر

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۵۵

والتحلى بالتقوى. ثم قال عليه السلام

«ماتحاً[۵۳۱] فى غرب ۵۳۲] هواه»

فهم يشقون على أنفهسم من أجل الحصول على الدنيا ويسعون جاهدين للتمتع بلذاتها، ولا يقتدح فى ذهنهم شيئاً من أهوائهم النفسية الا أتوه:

«كادحاً[۵۳۳] سعياً لدنياه، فى لذّات طربه، وبدوات ۵۳۴] أربه ۵۳۵]»

فهذه العبارات إشارة إلى أولئك الجهال الذين يوظفون كافة إمكاناتهم ويستفرغون ما بوسعهم من أجل الحصول على مال الدنيا وحطامها والتنعم بلذاتها الفانية وأشباع أهوائهم ورغباتهم الجامحة، وكأن هذا هو الهدف الذى خلقوا من أجله، والحال أنّهم يرون بأم أعينهم مصائب الدنيا ومحنها وأمراضها بالتالى الموت الذى يزيليها، فكيف تكون هدفا وهذا حالها. إلّاأنّهم وكما يصفهم الإمام عليه السلام:

«ثمّ لا يحتسب رزيّةً،[۵۳۶] ولا يخشع تقيّةً،[۵۳۷] فمات فى فتنته غريراً،[۵۳۸] وعاش فى هفوته ۵۳۹] يسيراً لم يفد عوضاً ولم يقض مفترضاً»

ويالها من حالة خطيرة لمن أصيب بمثل هذا الغرور والغفلة؛ فقد ضحى بعمره من أجل التلذذ بضعة أيام، أى لذة، تلك المشوبة بالألم والهم والغم، حتى ودع الدنيا خالى اليدين وقدم على ربّه بذلك السجل الذى يفضحه فى محكمة العدل الإلهى.

النعم والجحود

أشار الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة إلى النعم الإلهية التى أفاضها الرحمن على الإنسان

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۵۶

منذ خلقه فى رحم أمه حتى ولادته وانتهاءا باجتيازه لمراحل السمو التكامل، كما تطرق إلى قدرته سبحانه فى كيفية متابعة خلقه فى الظلمات الثلاث فى بطن أمه وصور تكامله، وكيف جهزه بعد خروجه إلى الدنيا بالآت المعرفة من قبيل منحه القلب الحافظ والعين الباصرة واللسان الناطق، غير أن هذا الإنسان الجاحد المنكر للجميل ما أن يشعر بالقوة والقدرة حتى ينسى الهدف الذى خلق من أجله، وكأنه يخلص فى النوم والأكل والشرب والشهوة واللذة، على غرار الحيوان، وقد تجاهل كل ما يرى من مصائب ومحن والام وبالتالى الموت هادم اللذة، بل لايرى هذا الموت مكتوباً عليه وكأنه مخلد فى الدنيا وليس هنالك من خطر من شأنه القضاء على لذاته ومتعه، فأوامر اللّه وأحكامه لا تعنيه، وأنبيائه ورسله لم يبعثوا إليه مع ذلك سرعان مايحل أجله ويفنى عمره إذ يفاجئه الموت، فيقدم على ربّه ولاعمل له فكيف به وقد أغلقت كل الأبواب بوجهه وليس هنالك من سبيل إلى العودة والتوبة.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۵۷

القسم الثالث عشر: الموت المفاجئ

«دَهِمَتْهُ فَجَعاتُ الْمَنِيَّةِ فِى غُبَرِ جِماحِهِ، وسَنَنِ مِراحِهِ، فَظَلَّ سادِراً، وباتَ ساهِراً، فِى غَمَراتِ الْآلامِ، وطَوارِقِ الْأَوْجاعِ والْأَسْقامِ، بَيْنَ أَخٍ شَقِيقٍ، ووالِدٍ شَفِيقٍ، وداعِيَةٍ بِالْوَيْلِ جَزَعاً، ولادِمَةٍ لِلصَّدْرِ قَلَقاً؛ الْمَرْءُ فِى سَكْرَةٍ مُلْهِثَةٍ، وغَمْرَةٍ كارِثَةٍ، وأَنَّةٍ مُوجِعَةٍ، وجَذْبَةٍ مُكْرِبَةٍ، وسَوْقَةٍ مُتْعِبَةٍ».

الشرح والتفسير

يتطرق الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة إلى نهاية عمر هذا الإنسان الغافل المغرور وكيف يقضى لحظاته الاخيرة ساعة الاحتضار بين قرابته وبطانته، وقد رسم عليه السلام صورة تهز النفس البشرية وترعبها من جراء ذلك المشهد، فقال:

«دهمته ۵۴۰] فجعات المنيّة فی غبّر[۵۴۱] جماحه ۵۴۲] وسنن ۵۴۳] مراحه ۵۴۴]، فظلّ سادراً،[۵۴۵] وبات ساهراً، فی غمرات الْآلام، وطوارق الْأوجاع والْأسقام»

وقد تم هذا الأمر الذی یشهده هذا المحتضر وهو:

«بین أخٍ شقیقٍ، ووالدٍ شفیقٍ، وداعیةٍ بالویل جزعاً، ولادمةٍ[۵۴۶] للصّدر قلقاً».

نعم فقد یأس أهله وأقرباؤه من حیاته

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۲۵۸

وأخذوا بالبکاء وا لعویل علیه؛ وأنّ هذا الصراخ والعویل یقض مضجعه کلما خفت علیه غصص الموت وأفاق إلی نفسه، فیتطلع إلی الموت الذی یراه بعینه وهی تدور یمیناً وشمالًا من الخوف والرعب:

«و المرء فی سکرةٍ ملهثةٍ،[۵۴۷] وغمرةٍ کارثةٍ،[۵۴۸] وأنّةٍ موجعةٍ، وجذبةٍ مکربةٍ،[۵۴۹] وسوقةٍ[۵۵۰] متعبةٍ»

. حقاً أنّ الاحتضار وسکرات الموت حالة عجیبة! فهذا الإنسان الذی کان متربعاً بالأمس علی عرش السلطة وقد زود بکافة الإمکانات وثمل من کأس الغرور وتفاخر علی سائر الکائنات، هو الیوم أسیر الأمراض وقد صعبت حالته حتی یئس منه من حوله فتعالت أصواتهم بالبکاء والصراخ، ولکن ما عسی ذلک أن یجیده نفعاً. وقد شحن التأریخ بالدروس والعبر بما تضمنه من قصص أصحاب القدرة حین طرحوا علی فراش الموت واستسلموا له.

فقد روی أنّ المأمون لما أثقل قال: أخرجونی أشرف علی عسکری، وانظر إلی رجالی، وأتبین ملکی، وذلک فی اللیل، فاخرج فاشرف علی الخیم والجیش وانتشاره وکثرته وما قد أوقد من النیران، فقال: یا من لایزول ملکه، ارحم من قد زال ملکه، ثم رد إلی مرقده وأجلس المعتصم رجلًا یشهده لما ثقل، فرفع الرجل صوته لیقولها، فقال له ابن ماسویه: لاتصح فواللّه مایفرق بین ربّه وبین مانی فی هذا الوقت، ففتح المأمون عینیه من ساعته، وبهما من العظم والکبر الأحمرار ما لم یر مثله قط، وأقبل یحاول البطش بیدیه بابن ماسویه، ورام مخاطبته، فعجز عن ذلک، فرمی بطرفه نحو السماء، وقد إمتلأت عیناه دموعاً، فانطلق لسانه من ساعته، وقال: یا من لایموت ارحم من یموت، وقضی من ساعته، وحمل إلی طوس فدفن فیها.[۵۵۱] وفیه قال الشاعر:

هل رأیت النجوم أغنت عن المأمون شیئاً وملکه المأنوس

خلفوه بعرصتی طرسوس‌مثل ما خلفوا أباه بطوس

القسم الرابع عشر: حوادث مابعد الموت

اشارة

«ثُمَّ أُدْرِجَ فِی أَکْفانِهِ مُبْلِساً، وجُذِبَ مُنْقاداً سَلِساً، ثُمَّ أُلْقِیَ عَلَی الْأَعْوادِ رَجِیعَ وَصَبٍ، ونِضْوَ سَقَمٍ، تَحْمِلُهُ حَفَدَةُ الْوِلْدانِ، وحَشَدَةُ الْإِخْوانِ، إِلَی دارِ غُرْبَتِهِ، ومُنْقَطَعِ زَوْرَتِهِ، ومُفْرَدِ وَحْشَتِهِ، حَتَّی إِذا انْصَرَفَ الْمُشَیِّعُ، ورَجَعَ الْمُتَفَجِّعُ مضجع أُقْعِدَ فِی حُفْرَتِهِ نَجِیّاً لِبَهْتَةِ السُّؤالِ، وعَثْرَةِ الامْتِحانِ».

الشرح والتفسیر

أشار الإمام علیه السلام إلی مصیر الإنسان بعد الموت الذی ینطوی علی الدروس والعبر، حیث یواصل فیه کلامه بشأن الاحتضار وسکرات الموت. فقد رسم الإمام علیه السلام بهذه العبارات القصیرة صورة جلیة مؤثرة عن حال الإنسان بعد أن بلغ المرض منه مبلغه وقد توقفت عن العمل کافة أعضائه وجوارحه ولم یبق منه إلّاذلک الجسد الخاوی فأخذ یستعد أهله لغسله وتکفینه ودفنه، الصورة التی یمکن مقارنتها وما کان علیه بالأمس وهو یتمتع بتلک القوة والقدرة:

«ثمّ أدرج فى أكفانه مبلساً،[۵۵۲] وجذب منقاداً سلساً،[۵۵۳] ثمّ ألقى على الاعواد رجيع ۵۵۴] وصبٍ ۵۵۵] ونضو[۵۵۶] سقمٍ، تحمله حفدة الولدان، وحشدة[۵۵۷] الْإخوان، إلى دار غربته، ومنقطع

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۶۰

زورته،[۵۵۸] مفرد وحشته».

نعم فاول مايواجهه هو ذلك اللباس المتواضع الخالى من أناقة ملابس الدنيا التى يجهد الخياطون أنفسهم أياماً وأحياناً أسابيع لخيطاتها، فليس هنالك من فصال ولاقياس ولاحاجة لخياط، اللباس الذى لايعرف من معنى للغنى أو الفقر أو الشريف والوضيع. وأخيراً هو اللباس الذى فضح الدنيا وكشف النقاب لمن كان له بصيرة عن تقلب أحوالها وعدم دوامها. أمّا الصورة العنيفة الاخرى التى لها وقعها فى النفس فهى حمله على التابوت والانطلاق به إلى مثواه الأخير، دون أن يكون له أية إرادة واختيار، فهو مستسلم لأنّ يطرح فى حفرته ويوارى فيها التراب. وبالطبع فانّ هذا الإنسان المناقد اليوم، هو الذى كان بالأمس يأمر وينهى، وربما كانت إشارته كافية لأنّ يندفع له الاف الأفراد، وكان إذا رضى عفى عمن حوله، وإذا غضب أمر بضرب الاعناق وإن كانت بريئة، نعم هذه هى عاقبته ومصيره. وكالمعتاد فقد أسرع الأبناء والأحفاد والأقرباء والأصدقاء والاخوة لحمل التابوت على أكتافهم، إلى أين؟ إلى ذلك المكان الذى طالما كان يخشاه، بل لايجرأ على الإتيان باسمه على لسانه، وإذا مر به أشاح بوجهه عنه، المكان الذى لم يبق له من رابطة باهل هذا العالم، أنّه بيته الموحش المنسى. ثم قال عليه السلام:

«حتّى إذا انصرف المشيّع، ورجع المتفجّع أقعد فى حفرته نجيّاً لبهتة[۵۵۹] السّؤال، وعثرة الامتحان»

أجل قصيرة هى تلك المدة التى يرافقه فيها الأهل والمعزون، فاخر عهدهم به حين ينزلونه القبر، فاذا واروه التراب ودعوه وتركوه لوحده فى حفرته، وسرعان ما يكفكفون دموعهم ويخمد صراخهم حتى ينسوه بالتدريج؛ فى حين يعيش هو أصعب اللحظات وعليه أن يعد إجابات لما ستطرحه عليه الملائكة من أسئلة، وهى الاسئلة التى تبدو إجاباتها واضحة، لكنها تتطلب إستعداداً روحياً وعقائدياً؛ الأمر الذى قد لايكون الإنسان قد تزود له، ومن هنا كان الامتحان عسيرا.

العبارة:

«أقعد فى حفرته»

إشارة واضحة إلى سؤال القبر الذى سيمر علينا فى البحث

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۶۱

القادم. أمّا قوله عليه السلام:

«نجيا»

فتعنى الصوت الخفى، ولعلها إشارة لمناجاته لربّه آنذاك واستغاثته بلطف اللّه ورحمته، أو الكلام الخفى لعسرة الامتحان والخوف من عدم الإجابة على السؤال.

تأمّلان

۱- وداع الأحياء للأموات

إذا مات الإنسان تغيرت كافة أوضاعه بالمرة، فقد كان جزءاً من هذه العالم والجماعة حتى آخر لحظة من حياته، أمّا الآن فلم يعد الأمر كذلك وعليه فالجميع يسعى لتنحيته من هذا العالم ويسرع فى التخلص منه فيودعونه ذلك المكان الذى يحول بينه وبين الدنيا ويقطع علاقته مع أهلها. يالها من لحظات معبرة! ليس له من إرادة، لايستطيع أن يأخذ معه شيئاً، لايسع أحد مساعدته وإن كان من أقرب

المقربين. فسرعان ما تحمل جنازته إلى تلك الحفرة الموحشة المظلمة فيوسد فيها تحت التراب، وليس معه سوى ذلك الكفن المتواضع، فلم يعد هنالك من مجال لحمل الاسرة والتيجان ولاالتزين والتفاخر. هنا يوصى أميرَالمؤمنين على عليه السلام باستحضار هذه اللحظات الحساسة بغية الوقوف بوجه طغيان هذه النفس، كيف تغفلون عما ليس بغافل عنكم. كفى بالموت واعظا، الذى ينقلكم من دار الأهل والانس إلى دار الوحشة والخوف، كفى واعظا بموتى عاينتموهم، حملوا إلى قبورهم غير راكبين، وانزلوا فيها غير نازلين، فكأنّهم لم يكونوا للدنيا عماراً، وكأنّ الآخرة لم تزل لهم داراً. أوحشوا ما كانوا يوطنون، وأو طنوا ما كانوا يوحشون، لا عن قبيح يستطيعون إنتقالًا، ولا فى حسن يستطيعون ازدياداً[۵۶۰]. حقاً أنّ لحظة ولادة الإنسان ودخوله الدنيا كخروجه منها عبرة لمن إعتبر، فكلاهما يقع بمعزل عن إرادة الإنسان، وليس للإنسان من قدرة على شئ فى هاتين الحالتين، ولو تأمل الإنسان هذا الأمر قليلا، لما أصابه مثل ذلك الغرور الطغوى والنسيان. ورد فى الديوان المنسوب إلى أميرالمؤمنين عليه السلام:

وفى قبض كف الطفل ولادةدليل على الحرص المركب فى الحى

وفى بسطها عند الممات مواعظألا فانظرونى قد خرجت بلا شئ

۲- سؤال القبر

تطرقت الخطبة إلى سؤال القبر الذى ورد صريحاً فى الروايات الإسلامية، كما ورد فى

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۶۲

كلمات علماء العقائد. فقد ذكر المحقق الخوئى شارح نهجالبلاغة فى شرحه المعروف بمنهاج البراعة أنّ المسلمين إتفقوا على أنّ سؤال القبر حق، بل هو من ضروريات الدين، ولم يخالفه إلّا جماعة قليلة من الملحدين، حيث روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«ليس من شيعتنا من أنكر ثلاثة: المعراج وسؤال القبر والشفاعة»[۵۶۱]

كما وردت الروايات فى المصادر الإسلامية بهذا الشأن، وإنّ الإنسان إذا وضع فى قبره، أتاه الملكان فسألاه عن عقائده؛ التوحيد والنبوة وولاية الأئمة عليهم السلام، بل جاء فى أغلب الروايات أنّه يسئل عن أربع: عن عمره فيم قضاه، وعن شبابه فيم أفناه، عن ماله مم إكتسبه وفيم أنفقه، فان كان مؤمنا أجاب ليشمل برحمة اللَّه وعنايته، وان كان كافراً عجز عن الجواب فيصب عليه العذاب. الجدير بالذكر أنّ بعض القرائن فى الروايات المذكورة تفيد أنّ مسائلة القبر ليست باليسيرة بحيث يجيب عنها الإنسان كيفما شاء، بل إنّ جوابه مما تفرزه عقائد الإنسان وأعماله فى الحياة الدنيا، وكأنّ سؤال القبر أول محكمة عدل إلهية يشهدها الإنسان تؤهله لورود عالم البرزخ. بعبارة اخرى فانّ الموت من الحوادث العظيمة التى تهز أعماق الإنسان وتذهله عما فى نفسه، فلا يبقى لديه إلّاما كان حصله على سبيل الملكة وتأصل فى روحه وفكره. فقد ذكر العلّامة المجلسى أنّ المشهور بين متكلمى الإمامية هو أنّ سؤال القبر ليس عاما، بل يرتبط بمن محض الإيمان أو الكفر، ولايشمل الضعفاء والمجانين والصبيان. كما ذكر المرحوم العلّامة الخوئى بعد نقله لهذا الكلام أنّ الأخبار الواردة فى كتاب الكافى وسائر المصادر إنّما تؤيد هذا المعنى.[۵۶۲] والسؤال الذى يطرح نفسه هنا: هل سيطرح سؤال القبر على هذا البدن الجسمانى وهو الذى سيجيب عنه، أم أنّ السؤال والجواب مرتبط بروح الإنسان إلى جانب هذا البدن فى عالم البرزخ؟ بعبارة أخرى

هل السؤال للروح فى قالب المثال، أم لهذا الجسم المادى؟ هناك إختلاف بهذا الخصوص، فالبعض يعتقد بأنّ الروح ستعود بصورة مؤقتة إلى هذا الجسم (بالطبع ليست بصورة كاملة بل بالمقدار الذى يسع السؤال والجواب) فتسئل من قبل الملكين وتجيب. أمّا العلّامة الجلسى وبعد تحقيقه فى الأحاديث الواردة بهذا المجال فقد قال:

«المراد بالقبر فى أكثر الأخبار ما

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۶۳

يكون الروح فيه فى عالم البرزخ»[۵۶۳]

. ومن هنا تتضح الإجابة على الشبهة التى يثيرها بعض المغفلين من أننا لو وضعنا علامة على فم الميت وجئنا بعد يوم أو يومين ونبشنا قبره لتبين عدم تكلمه خلال تلك الفترة؛ وذلك لأنّ السؤال والجواب ليسا متعلقين بهذا الفم والبدن المادى، لكى نفتش فيهما. أمّا القرائن التى تؤيد ما ذهب إليه العلّامة المجلسى، الآية القرآنية الشريفة القائلة: «ربَّنا أَمَتَّنا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنا اثْنَتَيْنِ»[۵۶۴] هذا ما سيورده الأثمون يوم القيامة، والذى يشير إلى أنّ الأحياء لم يحصل أكثر من مرتين؛ أحداهما فى الدنيا، والآخرى فى القيامة. فلو كان البدن المادى يتولى الاجابة فى القبر لوجب أن يعيش الحياة فى القبر بصورة مؤقتة أيضاً، ليقود ذلك إلى وجود ثلاث ميتات وثلاث حياتات (الحياة فى الدنيا والحياة فى القبر والحياة فى القيامة، والموت قبل الحياة فى الدنيا، والموت فى آخر العمر، وا لموت بعد الحياة فى القبر). ومن هنا لاينبغى الترديد بأنّ السؤال والجواب مختصان بالروح فى قالبها البرزخى، وهو المعنى الذى وردت الإشارة إليه فى الخطبة بالعبارة

«أقعد فى قبره»

، وإلّا فانّ أغلب القبور ولاسيما تلك التى لالحد فيها لاتسع قعود الإنسان.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۶۵

القسم الخامس عشر: القبر روضة من رياض الجنّة أو حفرة من النار

«وَ أَعْظَمُ ما هُنالِكَ بَلِيَّةً نُزُولُ الْحَمِيمِ، وتَصْلِيَةُ الْجَحِيمِ، وفَوْراتُ السَّعِيرِ، وسَوْراتُ الزَّفِيرِ، لا فَتْرَةٌ مُرِيحَةٌ، ولا دَعَةٌ مُزِيحَةٌ، ولا قُوَّةٌ حاجِزَةٌ، ولا مَوْتَةٌ ناجِزَةٌ، ولا سِنَةٌ مُسَلِّيَةٌ، بَيْنَ أَطْوارِ الْمَوْتاتِ، وعَذابِ السَّاعاتِ! إِنَّا بِاللَّهِ عائِذُونَ».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام فى هذه العبارات إلى الحوادث التى يشهدها العاصون فى عالم البرزخ، وذلك لأنّ الثواب والعقاب لايقتصران على عالم القيامة، بل يشملان طائفة عظيمة من الناس فى عالم البرزخ الذى يمثل الواسطة بين عالم الدنيا وعالم القيامة؛ والحديث الشريف:

«القبر روضة من رياض الجنّة، أو حفرة من حفر النيران»[۵۶۵]

إنّما أشار إلى هذا المعنى، وبعبارة أخرى فان هنالك صورة محدودة فى البرزخ لتلك الشاملة فى عالم القيامة. فقد قال عليه السلام:

«وأعظم ما هنالك بليّةً نزول الحميم ۵۶۶] تصلية[۵۶۷] الجحيم، وفورات ۵۶۸] السّعير، وسورات ۵۶۹]

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۶۶

الزّفير[۵۷۰]»

فالمراد بالجحيم هنا جحيم البرزخ التى تمثل جانبا من جهنم القيامة، والتى سيردها أصحاب الكبائر. فقد قال سبحانه تعالى فى محكم كتابه العزيز بشأن آل فرعون: «النّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْها غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السّاعَةُ أَدْخِلُوا ءَالَ‌فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذابِ»[۵۷۱] كما يستفاد من العبارة شدة عذاب البرزخ ورهبته. فناره تضج، والسنتها تتصاعد، وماؤها يشوى البطون حقاً أنّ آلام الإنسان ومعاناته ومصائبه لتزول بالمرة حين يفارق هذه الدنيا ويودع روضة من رياض الجنّة، غير أنّ البلاء يشتد إذا أودع بعد كل هذا البؤس والشقاء حفرة من حفر النار إثر سوء أعماله. طبعاً كلام الإمام عليه السلام مطلق، ولكن من الواضح أنّ المراد به عبّاد الدنيا والظلمة والطواغيت وعامة أهل الذنوب والمعاصى؛ وهو الأمر الذى أشير إليه بصراحة فى العبارات السابقة، كالعبارة:

«نفر مستكبراً، وخبط سادراً، ما تحاً فى غرب هواه، كادحاً سعياً لدنياه».

ثم قال عليه السلام

«لا فترةٌ مريحةٌ، ولا دعةٌ[۵۷۲] مزيحةٌ،[۵۷۳] ولا قوّةٌ حاجزةٌ، ولا موتةٌ ناجزةٌ،[۵۷۴] ولا سنةٌ[۵۷۵] مسلّيةٌ،[۵۷۶] بين أطوار الموتات، وعذاب السّاعات! إنّا باللّه عائذون»

. تبين هذه العبارات القصيرة العظيمة المنال المقتبسة من آيات القرآن الكريم أنّ العذاب الإلهى شديد الالم على هؤلاء الأفراد من جهة، ومن جهة أخرى ليس هنالك من سبيل قط للفرار منه، وذلك لأنّ صحيفة الأعمال تغلق بموته ولاتشهد أى تغيير تبديل، اللّهم إلّا أنّ يتطلف اللّه عليهم برحمته وفضله، مع ذلك فذلك اللطف يستند إلى حكمته سبحانه. فما ورد فى هذه الخطبة يتناغم وآيات القرآن الكريم التى تحدثت عن عقاب البرزخ. فقد

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۶۷

صرحت الآية السادسه والسابعة من سورة الملك بشأن نار البرزخ: «وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ المَصِيرُ* إِذا أُلْقُوا فِيها سَمِعُوا لَها شَهِيقاً وَهِيَ تَفُورُ» كما ورد فى الآية السادسة عشرة من سورة الفرقان: «إِذا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَها تَغَيُّظاً وَزَفِيراً». أما حال أهل البرزخ فقد صورته الآية ۷۵ من سورة الزخرف: «لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ»، بينما تحدثت الآية العاشرة من سورة الطارق عن عدم وجود من يعينهم ويخفف عنهم: «فَما لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلا ناصِرٍ»، وأخيراً تطرقت الآية ۷۷ من سورة الزخرف عن تمنيهم الموت الذى يريحهم مما هم فيه من العذاب: «وَنادَوْا يا مالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ قالَ إِنَّكُمْ ماكِثُونَ». وهكذا سائر الآيات القرآنية التى تكشف عن حركة الإمام عليه السلام فى حديثه وفعله من خلال الوحى السماوى والجو القرآنى.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۶۹

القسم السادس عشر: مصير الجاحدين من أصحاب السطوة

«عِبادَ اللَّهِ، أَيْنَ الَّذِينَ عُمِّرُوا فَنَعِمُوا، وعُلِّمُوا فَفَهِمُوا، وأُنْظِرُوا فَلَهَوْا، وَسُلِّمُوا فَنَسُوا! أُمْهِلُوا طَوِيلًا، ومُنِحُوا جَمِيلًا، وحُذِّرُوا أَلِيماً، ووُعِدُوا جَسِيماً، جميلا! احْذَرُوا الذُّنُوبَ الْمُوَرِّطَةَ، والْعُيُوبَ الْمُسْخِطَةَ».

الشرح والتفسير

خاطب الإمام عليه السلام- فى هذا المقطع من الخطبة والذى يقترب من نهايتها- كافة العباد داعيهم إلى تأمل حياة الامم السالفة وما حل بها وقد غيّر مجرى كلامه، فقال عليه السلام:

«عباد اللّه، أين الّذين عمّروا فنعموا، وعلّموا ففهموا، وأنظروا فلهوا، وسلّموا فنسوا».

لو تصفحنا التأريخ، أو فكرنا فى حياتنا الماضية فى ظل هذا العمر القصير وتأملنا الأفراد من ذوى القدرة والسطوة الذين حفوا بمختلف النعم، إلّاأنّهم لم يستثمروا هذه النعم الإلهية ولم يستندوا إلى علم أو معرفة كما لم يفكروا أيّام سلامتهم وصحتهم بالمرض، ولافى إقتدارهم بالضعف والعجز، حتى غادروا هذه الدنيا صفر اليدين اتجهوا صوب مصيرهم الاسود. حقاً لو فكرنا فى هذه الامور لعشنا حالة اليقظة ولرأينا مستقبلنا من خلال الاعتبار بحياة هؤلاء. ثم تطرق الإمام عليه السلام إلى طول المهلة التى منحها هؤلاء والنعم التى حفوا بها وحذروا من عاقبة المعية ووعدوا بشدة العذاب

«أمهلوا طويلًا، ومنحوا جميلًا، وحذّروا أليماً، ووعدوا جسيماً».

نعم لم يستفيدوا من تلك المهلة الطويلة، كما لم توقظ تلك النعم المختلفة ضمائرهم الميتة فتشعرها بشكر المنعم، وبالتالى لم يردعهم الوعد بالعذاب الإلهى عن مقارفة الذنوب والمعاصى، ولم يثيرهم الوعد بالثواب الاخروى للحركة من أجل الطاعة. ثم اختتم الإمام عليه السلام كلامه قائلًا:

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۷۰

«احذروا الذّنوب المورّطة، والعيوب المسخطة»

. القرآن من جانبه صرح بهذا الشأن قائلًا: «كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوالًا وَأَوْلاداً فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاقِكُمْ كَما اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خاضُوا أُولئِكَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَأُولئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ»[۵۷۷].

فقد دأب أئمة الدين وعلماء الأخلاق على لفت إنتباه العتاة إلى التفكر فى سيرة من سبقهم من الأقوام ويتأملوا المصير الذى طال الملوك السلاطين والطواغيت والجبابرة والظلمة، وكيف كانت عاقبتهم، وماذا حملوا معهم من هذه الدنيا، وما بقى منهم. فهل هناك سوى القبور الموحشة والعظام النخرة والقصور المعطلة والأموال والثروات التى آلت لغيرهم، ثم اعتراهم النسيان وكأنّهم لم يكونوا من أبناء هذه الدنيا.

ناداهم صارخ من بعد ما قبرواأين الاسرة والتيجان والحلل

أين الوجوه التى كانت منعمةمن دونها تضرب الأستار والكلل

أضحت منازلهم قفراً معطلةوساكنوها إلى الأجداث قد رحلوا

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۷۱

القسم السابع عشر: الحذر الحذر

«أُولِي الْأَبْصارِ وَالْأَسْماعِ، وَالْعافِيَةِ وَالْمَتاعِ، هَلْ مِنْ مَناصٍ أَوْ خَلاصٍ. أَوْ مَعاذٍ أَوْ مَلاذٍ، أَوْ فِرارٍ أَوْ مَحارٍ! أَمْ لا؟ «فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ» أَمْ أَيْنَ تُصْرَفُونَ! أَمْ بِمَاذَا تَغْتَرُّونَ! وإِنَّمَا حَظُّ أَحَدِكُمْ مِنَ الْأَرْضِ، ذاتِ الطُّوْلِ‌الْعَرْضِ، قِيدُ قَدِّهِ، مُتَعَفِّراً عَلَى خَدِّهِ!».

الشرح والتفسير

خاطب الإمام عليه السلام الناس مرة اخرى بطريقة تختلف عن سابقتها قائلًا:

«أولى الْأبصار والْأسماع، والعافية والمتاع، هل من مناصٍ ۵۷۸] أو خلاصٍ. أو معاذٍ أو ملاذٍ،[۵۷۹] أو فرارٍ أو محارٍ![۵۸۰] أم لا؟»

فالمخاطب هنا من كان له عين باصرة وآذان سامعة يعيش نعم الدنيا بعافية وسلامة. فقد بين الإمام عليه السلام أن ليس هنالك من عاقبة سوى الموت ووداع هذه الدنيا الفانية، فلا من سبيل للفرار ولا من طريق لخلاص، لامن ملجأ فيلاذ به، ولا من قلعة تنجى من الموت، وآخيراً ليس هنالك من سبيل للرجعة إلى هذه الدنيا، فالواقع هو أنّ الإمام عليه السلام قد بين ستة طرق للفرار من مخالب الموت، مؤكداً على أنّها جميعا مؤصدة مغلقة. فهناك مسيرة ينبغى أن يسلكها الجميع، ومصير لايستثنى منه أحد. أما كون المخاطب من أولئك الذين يتمتعون بالسمع والبصر، فذلك لأنّ من سلبهما لايستوعب مثل هذه الامور. والحق أنّ أدنى تأمل

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۷۲

للموت الذى يعم الجميع لكاف فى إيقاظاً من سباتنا وهدايتنا للصراط المستقيم، ومن هنا قال الإمام عليه السلام:

«فأنّى تؤفكون![۵۸۱] أم أين تصرفون! أم بما ذا تغترّون! وإنّما حظّ أحدكم من‌الْأرض، ذات الطّول والعرض، قيد قدّه،[۵۸۲] متعفّراً على خدّه»

. قد يكون هناك بعض الأفراد الذين يملكون مئات البساتين والمزارع والأراضى الزراعية وعشرات القصور، إلّاأنّه لايأخذ منها حين يفارق الدنيا سوى ما يأخذه ذلك المسكين الذى قضى عمره فى الأكواخ؛ أى بقعة من الأرض بقدر قامته، مع كفن يعدّ الحد الادنى ممّا يستر بدنه العارى. أمّا العبارة:

«متعفّراً على خدّه»

يمكن أن يراد بها أنّ ألطف أجزاء البدن توارى هناك التراب، أو ليس للإنسان نصيب من هذا التراب حتى بمقدار بدنه؛ لأنّه يطرح

على جانبه الأيمن فى القبر، وعادة ما لايسعه اللحد لأن يضطجع على قفاه.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۷۳

القسم الثامن عشر: حسن الختام

«الْآنَ عِبادَ اللَّهِ والْخِناقُ مُهْمَلٌ، والرُّوحُ مُرْسَلٌ، فِي فَيْنَةِ الْإِرْشادِ، راحَةِ الْأَجْسادِ، وباحَةِ الِاحْتِشادِ، ومَهَلِ الْبَقِيَّةِ، وأُنُفِ الْمَشِيَّةِ، إِنْظارِ التَّوْبَةِ، وانْفِساحِ الْحَوْبَةِ، قَبْلَ الضَّنْكِ والْمَضِيقِ، والرَّوْعِ وَالزُّهُوقِ، وقَبْلَ قُدُومِ الْغائِبِ الْمُنْتَظَرِ، وإِخْذَةِ الْعَزِيزِ الْمُقْتَدِرِ».

الشرح والتفسير

خاطب الإمام عليه السلام ثانية كافة عباداللّه، محذرا إياهم من عدم فقدان الفرص قبل حلول الأجل وانتهاء العمر، فقال:

«الْآن عباد اللّه والخناق ۵۸۳] مهملٌ، والرّوح مرسلٌ، فى فينة[۵۸۴] الإرشاد، وراحة الأجْساد، وباحة[۵۸۵] الاحتشاد،[۵۸۶] ومهل البقيّة، وأنف المشيّة، وإن ظارالتّوبة، وانفساح الحوبة،[۵۸۷] قبل الضّنك ۵۸۸] والمضيق، والرّوع الزّهوق،[۵۸۹] وقبل قدومالغائب المنتظر، وإخذة العزيز المقتدر»

فقد أشار الإمام عليه السلام إلى مختلف جوانب

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۷۴

الفرص السانحة للإنسان من قبيل: باقى العمر وسكينة الروح وراحة الجسم وإمكانية نيل الكمال وسهولة الاستشارة وبقاء الفرصة اللازمة للعزم والإرادة والقدرة على التوبة والاقلاع عن الذنب. فكل أمر من هذه الامور يشكل جزءا من الفرص العظيمة الثمينة التى منحها الإنسان والتى يمكن من خلالها فعل كل شئ ونيل الخير والسعادة؛ والحال يمكن أن يفقد الإنسان جميع هذه الفرص فيقضى على سعادته بنفسه، ويالهم من بؤساء اولئك الذين لم يلتفقوا إلى هذه الحقيقة، فيمارسون حياتهم كقطيع الغنم الذى ينهمك بأكله وشربه فى مرعاه دون أن تلتفت إلى الذنب الذى ينهشها الواحد تلو الآخرة.

قال المرحوم السيد الرضى (ره) فى آخر هذه الخطبة:

«وفى الخبر: أنّه لما خطب بهذه الخطبة اقشعرت لها الجلود، وبكت العيون، ورجفت القلوب. ومن الناس من يسمى هذه الخطبة الغراء» وقد قال ابن أبى الحديد: واعلم أننا لايخالجنا الشكّ فى أنّه عليه‌السلام أفصحُ من كلّ ناطق بلغة العرب من الأولين والآخرين، إلّا من كلام اللّه سبحانه، وكلام رسول‌اللّه صلى اللّه عليه وآله؛ وذلك لأنّ فضيلَة الخطيب والكاتب فى خطابته وتكاتبه تعتمد على أمرين؛ هما:

مفردات الألفاظ ومركّباتها.

أمّا المفردات فأنْ تكون سهلةً سَلسة غيرَ وحشيّة ولا معقّدة، وألفاظه عليه‌السلام كلها كذلك؛ فأمّا المركّبات فَحُسْنُ المعنى وسرعة وصوله إلى الأفهام، واشتماله على الصفات التى باعتبارها فُضِّل بعضُ الكلام على بعض، وتلك الصفات هى الصناعة التى سَمّاها المتأخرون البديع، من المقابلة، والمطابقة، وحسن التقسيم، وردّ آخر الكلام على صَدْره، والتّرصيع، والتسهيم، والتوشيح، والمماثلة، والاستعارة، ولطافة استعمال المجاز، والموازنة، والتكافؤ، والتَّسْميط والمشاكلة.

ولا شبهةَ أنّ هذه الصفات كلَّها موجودة فى خُطَبِه وكتبه، مبثوثة متفرقة فى فُرش كلامه عليه‌السلام، وليس يوجد هذان الأمران فى كلام أحد غيره فإن كان قد تعمَّلها وأفْكَر فيها، وأعمَل رويتَه فى رَصْفها ونثرها، فلقد أتى بالعجب العُجاب، ووجبَ أن يكون إمام الناس كلِّهم فى ذلك؛ لأنّه ابتكره ولم يعرف من قبله وإن كان اقتضبها ابتداء، وفاضت على لسانه

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۷۵

مرتجلة، وجاش بها طبْعه بديهةً، ومن غير رويَّةٍ ولا اعتمال، فأعجب وأعجب!

وعلى كلا الأمرين فلقد جاء مجلّياً والفصحاء تنقطع أنفاسهم على أثره. وبحقّ ماقال معاوية لمحقن الضّبّى، لمّا قال له: جئتك من عند أعيا الناس: يابن اللخناء، ألعلىّ تقول هذا؟

وهل سنَّ الفصاحة لقريش غيره!

واعلم أن تكلّف الاستدلال على أنّ الشمس مضيئة يتعب، وصاحبه منسوب إلى السَّفَه، وليس جاحد الأمور المعلومة علماً ضروريًّا بأشدّ سفهاً ممّن رام الاستدلال بالأدلة النظرية عليها.[۵۹۰]

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۷۷

الخطبة[۵۹۱]: الرابعة و الثمانون

اشارة

ومن خطبة له عليه السلام

فى ذكر عمرو بن العاص

نظرة إلى الخطبة

كما يفهم من عنوان الخطبة أنّها وردت بشأن عمرو بن العاص الذى كان من مقربى معاوية، بل يمكن القول أنّ استمرار خلافة معاوية وتحقيقه لبضع الانتصارات الظاهرية إنّما تمّ فى ظل مكائد بن العاص ومكره، فالشخص الثانى بل الأول فى تلك الخلافة المنحرفة كان عمرو بن العاص ورغم قصر عبارات الإمام عليه السلام إلّاأنّها رسمت صورة واضحة عن مدى ضلال هذا الفرد المنحرف وإضلاله للأمّة، بحيث يمكن الوقوف على تمام تفاصيل سيرته من خلال هذه الكلمات، إلى جانب ذلك فهى توضيح سر العلاقة بينه وبين معاوية. والجدير بالذكر هو أنّ الإمام عليه السلام خطب هذه الخطبة حين وصفه عمرو بن العاص بأنّه ذو دعابة.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۷۹

«عَجَباً لِابْنِ النَّابِغَةِ! يَزْعُمُ لِأَهْلِ الشَّامِ أَنَّ فِيَّ دُعابَةً، وأَنِّى امْرُؤٌ تِلْعابَةٌ:

أُعافِسُ وأُمارِسُ! لَقَدْ قالَ باطِلًا، ونَطَقَ آثِماً. أَما- وشَرُّ الْقَوْلِ الْكَذِبُ- إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ، ويَعِدُ فَيُخْلِفُ، ويُسْأَلُ فَيَبْخَلُ، ويَسْأَلُ فَيُلْحِفُ، وَيَخُونُ الْعَهْدَ، ويَقْطَعُ الْإِلَّ؛ فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الْحَرْبِ فَأَىُّ زَاجِرٍ وآمِرٍ هُوَ! مَا لَمْ تَأْخُذِ السُّيُوفُ مَآخِذَها، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَ أَكْبَرُ مَكِيدَتِهِ أَنْ يَمْنَحَ الْقَرْمَ القوم سَبَّتَهُ. أَما واللَّهِ إِنِّى لَيَمْنَعُنِى مِنَ اللَّعِبِ ذِكْرُ الْمَوْتِ، وإِنَّهُ لَيَمْنَعُهُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ نِسْيانُ الْآخِرَةِ، إِنَّهُ لَمْ يُبايِعْ مُعاوِيَةَ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ أَتِيَّةً، ويَرْضَخَ لَهُ عَلَى تَرْكِ الدِّينِ رَضِيخَةً».

الشرح والتفسير

ابن النابغة الكاذب

اشارة

استهل الإمام عليه السلام كلامه بالحديث عن كذب عمرو بن العاص وتهمته التى وجهها إليه إلى جانب تعريفه بهذا الفرد المنحرف. أمّا الفرية التى نسبها إلى الإمام عليه السلام فتكمن باتهامه إيّاه بأنّ فيه دعابة وإنّه من أهل المزاح والفكاهة- والعياذ باللَّه- ليذرع بها من أجل إثبات عدم صلاحية الإمام عليه السلام لأمر الخلافة. فقد قال عليه السلام:

«عجباً لابن النّابغة![۵۹۲] يزعم لأهل الشّام أنّ فىّ دعابةً،[۵۹۳] وأنّى امرؤٌ تلعابةٌ:[۵۹۴] أعافس ۵۹۵] وأمارس![۵۹۶]»

التعبير عن عمرو بن بالعاص بابن النابغة

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۸۰

إشارة إلى فساد أسرته، لأنّ العرب كانت تنسب الولد لأُمّه إن كانت مشهورة بالشرف والمجد أو بالوضاعة والفساد، كما تعنى مفردة النابغة الظهور والبروز، إلّاأنّها تشير إلى الاشتهار بالفساد إذا أطلقت على المرأة، فقد كانت النابغة أم عمرو بن العاص أمّة لرجل من عترة اسمها الأصلى سلمى أو ليلى، وقد واقعها أبوسفيان فولدت عمرو، فاختلف فيه حيث واقعها أميـة بن خلف وهشام بن المغيرة والعاص بن وائل السهمى، حيث ادعاه كلهم، فحكمت امّه فيه فقالت: هو من العاص بن وائل، وذلك لأنّ العاص بن ائل كان ينفق عليها كثيراً. وكان أشبه بأبىسفيان الذى قال عنه: أما إنى لا أشك أنّى وضعته فى رحم امّه، فأبت إلّاالعاص.[۵۹۷]

الواقع أنّ الإمام عليه السلام قدم بهذه العبارة لما بعدها، بمعنى لاينبغى التعجب من مثل هذا الإنسان الذى يكيل التهم للصالحين ويفترى عليهم الكذب. والمفردة دعابة تفيد كثرة المزاح، وتلعابة من يمازح الناس ويهزل معهم، وأعافس وأمارس بمعنى واحد تقريباً وهو معالجة النساء بالمغازلة، ثم اتخذت معنى أوسع لتطلق على كل هزل ومزاح. فالواقع هو أنّ الإمام عليه السلام قد اختصر بهذه العبارات كافة التهم التى نسبها عمرو بن العاص للإمام عليه السلام زوراً وبهتاناً، لتكون مقدمة للرد عليه. والجدير بالذكر أنّ أعداء الإمام عليه السلام لم يتورعوا عن التشبث بمثل ما ورد فى الكلام المذكور لما عجزوا عن الطعن فى شخصية الإمام عليه السلام ولم يروا فيه أدنى ضعف، فهو المعروف بعلمه وتقواه وزهده وورعه وشجاعته وصبره وحلمه، فرموه بتهمة المزاح بهدف إثبات عدم جدارته بالخلافة؛ الأمر الذى يثبت صلاحيته وجدارته بها، فهم فى ذلك كالمثل المعروف:

«الغريق يتشبث بكل حشيش»،

فعمدوا إلى هذه الذريعة الجوفاء. وبالطبع فاننا سنتحدث فى البحث القادم إن شاءاللَّه عن المزاح متى يكون مباحاً أو مذموماً. ثم ردّ الإمام عليه السلام على كذب بن العاص فى ذلك الاتهام قائلًا:

«لقد قال باطلًا، ونطق آثماً. أما- وشرّ القول الكذب»

، من يسعه التفكر إلى المزاح اللطيف الذى لايشوبه الباطل والبعيد عن كل إفراط وتفريط؟ ومن يستطيع تجاهل جدية الإمام عليه السلام فى خطبه ورسائله وقصار كلماته؟! فقد كان أعظم جدية ممن سواه، كما كان ذا إرادة جبارة فى زعامته، وان كان يعمد إلى المزاح مع

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۸۱

بعض أصحابه بغية مواساتهم وتخفيف الهم والغم عن قلوبهم؛ الأمر الذى يشاهد بوضوح فى حياة إمامه الرسول الاكرم صلى الله عليه و آله. أما العدو فهذا ديدنه، فهو لايكف عن الكذب والدجل والتشبث بأتفه الذرائع من أجل النيل من الطرف المقابل. ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه ليذكر ست صفات رذيلة إتصفت بها سيرة عمرو بن العاص:

«إنّه ليقول فيكذب، ويعد فيخلف، ويسأل فيبخل، ويسأل فيلحف،[۵۹۸] ويخون العهد، ويقطع الإلّ ۵۹۹]»

لاشك أنّ كل من يطالع سيرة عمرو بن العاص وسجله الأسود يقف بوضوح على هذه الرذائل فى شخصيته.

والخلاصة فقد كان وضيعاً، لايتورع عن إرتكاب أفظع الرذائل من أجل الدنيا والظفر بحطامها، فهو يعد إذا كانت الامور لصالحه، بينما يخلف إذا كانت بضرره. فقد كان يضحى بالغالى والنفيس من أجل الحصول على الدنيا، ولاسيما أمام معاوية الذى كان شديد الحاجة إليه، وهذا ما كان يدفعه إلى إعطائه ما يصبو إليه. أمّا نقضه للعهود والمواثيق فحدث ولا حرج، بل كان لايرحم حتى قرابته ومن له صلته به. وأخيراً دوره فى التحكيم ليس بخاف على أحد. قال بعض المؤرخين أنّه عاش تسعين سنة، وذكر اليعقوبى ۶۰۰] أنّه عاش تسعين سنة ولما حضرته الوفاة قال لابنه: لود أبوك أنّه مات فى غزات ذات السلاسل، إنى قد دخلت فى امور لاأدرى ما حجّتى عنداللَّه فيها. ثم نظر إلى ماله فرأى كثرته فقال: ياليته كان بعراً، ياليتنى مت قبل هذا اليوم بثلاثين سنة، أصلحت لمعاوية دنياه وأفسدت

دينى، آثرت دنياى وتركت آخرتى، عمى علىّ رشدى حتى حضرنى أجلى، كأنى بمعاوية قد حوى مالى وأساء فيكم خلافتى.

على كل حال ليس هنالك من لايعلم بهذه الرذائل التى إنطوت عليها شخصية عمرو بن العاص. ثم أشار الإمام عليه السلام إلى أرذل الأعمال التى ارتكبها عمرو بن العاص فى حياته، العمل الذى إنعدم مثيله فى التأريخ، وذلك يوم صفين حين رأى نفسه مقتولا بيد على عليه السلام فعمد إلى كشف عورته، لأنه كان يعلم بأنّ حياء الإمام عليه السلام لايدعه ينظر إليه فى تلك الحالة، فاغتنم تلك

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۸۲

الفرصة ليهرب من بين يديه. فشاع هذا الأمر بين العرب آنذاك حتى أخذت الناس تضرب به المثل فى أن عورة عمرو أنجته من الموت. فقد قال الإمام عليه السلام:

«فإذا كان عند الحرب فأىّ زاجرٍ وآمرٍ هو! ما لم تأخذ السّيوف مآخذها، فإذا كان ذلك كان أكبر مكيدته أن يمنح القرم [۶۰۱] سبّته [۶۰۲]»

فقد قال ابن أبى‌الحديد: وأما خبر عمرو فى صفين واتقائه حملة على عليه‌السلام، بطرح نفسه على الأرض وإبداء سوأته،[۶۰۳] فقد ذكره كل من صنف فى السير كتاباً، وخصوصاً الكتب الموضوعة لصفين والقصة كالاتى: قال نصر بن مزاحم فى كتاب صفين قال:

حدثنا محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبى عمرو، وعن عبد الرحمن بن حاطب، قال كان عمرو بن العاص عدواً للحارث بن نضر الخثعمى، وكان من أصحاب علىّ عليه‌السلام، وكان علىّ عليه السلام قد تهيبته فرسان الشام، وملأ قلوبهم بشجاعته، وامتنع كل منهم من الإقدام عليه. وكان عمرو قلّما جلس مجلساً إلّاذكر فيه الحارث بن نضر الخثعمى وعابه.

فشاعت هذه الأبيات حتى بلغت عمراً، فأقسم بالله ليلقين علياً ولو مات ألف موتة. فلما اختلطت الصفوف لقيَه فحمل عليه برمحه، فتقدم علىٌّ عليه السلام وهو مخترط سيفاً معتقلٌ رمحاً، فلما رهقه همز فرسَه ليعلُوَ عليه، فألقى عمرو نفسه عن فرسه إلى الأرض شاغراً برجليه؛ كاشفاً عورته، فانصرف عنه لافتا وجهه مستدبِراً له، فعدَّ الناس ذلك من مكارمه وسؤدُده وضرِب بها المثل.[۶۰۴]

واوردت التواريخ قال معاوية يوماً بعد استقرار الخلافة له لعمرو بن العاص: يا أبا عبد الله، لا أراك إلّا ويغلِبُنى الضحك؛ قال: بما ذا؟ قال: أذكر يوم حَمل عليك أبو تراب فى صِفّين، فأزريت نفسك فَرَقاً من شَبَاً سنانه، وكشفت سوأتك له؛ فقال عمرو: أنا منك أشدّ ضحكاً؛ إنّى لأذكرُ يومَ دعاك إلى البِراز فانتفخ سَحْرُك، وربا لسانُك فى فمك وغَصِصْتَ بريقك، وارتعَدَتْ فرائصُك، وبدا منك ما أكره ذِكْرَه لك؛ فقال معاوية: لم يكن هذا كلّه وكيف يكون ودونى عَكّ

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۸۳

الأشعِريون! قال: إنك لتعلم أن الذى وصفتُ دون ما أصابك، وقد نزل ذلك بك ودونك عكّ‌الأشعريون، فكيف كانت حالك لو جمعكما مأقِطُ الحرب! فقال: يا أبا عبد الله، خُضْ بنا الهزل إلى الجِدّ، إن الجْبن والفرار من علىّ لا عَار على أحدٍ فيهما.[۶۰۵]

ثم قال عليه السلام ردا على إفتراء عمروبن العاص:

«أما واللّه إنّى ليم نعنى من اللّعب ذكر الموت»

فالإمام عليه السلام لايغفل عن الموت طرفة عين، وذلك لأنّ الموت قانون يشمل جميع الخلائق لايعرف الاستثناء ولم يعنى له وقت، ويعلم الإمام عليه السلام على وجه اليقين أن الموت هادم اللذات وأنّ الإنسان يتحول إلى وحش ضارى إذا نسى الموت ومحكمة العدل الإلهى. فهل للإمام عليه السلام من فرصة للمزاح واطلاق العنان للهوى وهو ما عليه من الذكر؟ قطعا لايجوز ذلك على الإمام عليه السلام، بينما لم يدفع ابن البانغة للتفوه بذلك الكلام سوى نسيان الآخرة والغفلة عن الموت:

«و إنّه ليمنعه من قول الحقّ نسيان الْآخرة»

نعم إذا كذب أو إفترى ولم يتورع عن القيام بأى عمل من أجل تحقيق مطامعه الدنيوية فذلك معلول لنسيانه الموت والآخرة. وما أسلفنا فان من نسى الآخرة وتجاهل العدل الإلهى أصبح كائنا خطيراً يخشى منه، لأنّه لايتوانى عن ارتكاب أبشع الأعمال دون أن

يكترث حتى لشرفه وحيثيته. ثم يستدل عليه السلام على ذلك بقوله:

«إنّه لم يبايع معاوية حتّى شرط أن يؤتيه أتيّةً،[۶۰۶] ويرضخ له على ترك الدّين رضيخةً[۶۰۷]»

. فقد أشار الإمام عليه السلام بهذه العبارة إلى تلك الواقعة المعروفة بين الناس والتى أشرنا إليها فى الخطبة السادسة والعشرين، والقصة هى: لما نزل على عليه السلام الكوفة بعد فراغه من أمر البصرة، كتب إلى معاوية كتاباً يدعوه إلى البيعة أرسل فيه جرير بن عبداللَّه البجلى، فقرأه واغتم بما فيه، وذهبت به أفكاره كل مذهب، وأحب الزيادة فى الاستظهار، فاستشار عمرو بن العاص، فكتب له معاوية كتاباً، فسار حتى قدم على معاوية. فقال له معاوية: إنّى أدعوك إلى جهاد على بن أبىطالب. قال عمرو: واللَّه يا معاوية ما أنت وعلى حملى بعير، ليس له هجرته

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۸۴

ولا سابقته ولاصحبته ولاجهاده ولافقهه ولاعلمه. ثم قال فما تجعل لى إن شايعتك على حربه وأنت تعلم ما فيه من الغرر والخطر؟ قال: حكمك، فقال: مصر طعمة. فتلكا عليه معاوية، وقال: إنى أكره لك أن تتحدث العرب عنك أنّك إفما دخلت فى هذا الأمر لغرض الدنيا، فقال عمرو: دعنى عنك. حتى استجاب له معاوية آخر الأمر.[۶۰۸] والعجيب أنّ الدنيا لم تف له حيث لم يحكم مصر سوى بضع سنوات ثم ندم ندماً شديداً أواخر عمره من فعاله، فكان يلعن نفسه، ولم يكن أمامه من مخرج.[۶۰۹]

تأمّلان

۱- نسب عمرو بن العاص وطرف من أخباره

كلنا نعرف هذا الشخص وقد سمعنا عن مكره ودوره الهدّام فى التأريخ الاسلامى، ولعل الجميع يعلم بخدعته فى رفع المصاحف على أسنة الرماح فى معركة صفين حين أو شك جيش الشام على الهزيمة؛ الامر الذى أثر بشدة على بعض السذج من جيش على عليه السلام فاجيروا الإمام عليه السلام على الكف عن القتال والرضوخ للتحكيم. ولد لاربع وثلاثين سنة قبل البعثة. أبوه العاص بن وائل المعروف بعدائه للاسلام والذى لقبه القرآن الكريم بالابتر «إن شانئك هو الابتر»[۶۱۰] لأنه قال لقريش: سيموت هذا الابتر- رسول الله صلى الله عليه و آله- غدا فينقطع ذكره. وأما أمه فقد ذكر المؤرخون فقد وقع عليها خمس فولدت عمروا فادعاه كلهم، فحكمت أمه فيه فقالت:

هو من العاص بن وائل لأنه كان ينفق عليها كثيرا، ولحسان بن ثابت أشعار فيه.

وقد توجه إلى الحبشة حين هاجر اليها المسلمون ليكيد جعفر أو يقتله، وقد اعلن اسلامه هناك ليسدد ضربته للاسلام والمسلمين. ويرى البعض أنه قصد الحبشة يوم الخندق وقال لصحبه: ارى أن نذهب إلى الحبشة فان ظهر قومنا عدنا اليهم وان ظهر محمد بقينا فى الحبشة.

فدخل الحبشة قبل جعفر وقد حمل الهدايا إلى النجاشى وطلبوا منه أن يأذن لهم بقتل جعفر.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۸۵

فلم يجبهم النجاشى الذى أسلم باطنا. فقال عمرو: لم أكن أعلم بمنزلة محمد وأنا على دينه الان. فلما عاد إلى المدينة استقبله النبى صلى الله عليه و آله وأمره وبعثه إلى ذات السلاسل. ثم ولاه البنى عمان (فى الشام) فبقى هناك حتى وفاة النبى صلى الله عليه و آله، ثم ولاه عمرو فلسطين والاردن، وحين ولى عمر معاوية على الشام وجه عمرو بن العاص لمصر ففتحها، فولاها اربع سنوات على عهد عثمان ثم عزله، فنقم عليه وهاجر إلى فلسطين. ولما نهض معاوية فى الشام استنجد بعمرو فاشترط عليه ولاية مصر فأجابه. فبقى فيها حتى توفى عام ۴۳ وله تسعون سنة.

قيل عرف بالشجاعة فى الجاهلية وان لم ينقذه من القتل فى صفين الاعورته لأنه يعلم بأن عليا عليه السلام لا يقتله.[۶۱۱]

يرى العلامة الامينى أنه لم يسلم وقد تظاهر بالاسلام وهو مصداق لمن قال فيهم الإمام على عليه السلام: «والذى فلق الحبة وبرأ النسمة، ما أسلموا ولكن استسلموا واسروا الكفر، فلما وجدوا أعوانا، رجعوا إلى عداوتهم منا»[۶۱۲].

لم يكن يتورع عن معاداة على عليه السلام حتى قال لعائشة: ليتك قتلت يوم الجمل. فقالت: ولم لا أبا لك؟ قال: لدخلت الجنة وشنعنا بك على على بن أبى طالب.[۶۱۳]

واخيرا قال ابن ابى الحديد: وكان عمرو أحد من يؤذى رسول الله صلى الله عليه و آله بمكة ويشتمه ويضع فى طريقه الحجارة؛ لأنه كان صلى الله عليه و آله يخرج من منزله ليلا فيطوف بالشعبة، وكان عمرو يجعل له الحجارة فى مسلكه ليعثر بها. وهو أحد القوم الذين خرجوا إلى زينب ابنة رسول الله صلى الله عليه و آله لما خرجت مهاجرة من مكة إلى المدينة، فروعها حتى أجهضت جنينا ميتا فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه و آله نال منه وشق عليه مشقة شديدة ولعنه.[۶۱۴]

۲- المزاح فى الإسلام

ممّا لاشك فيه أن روح الإنسان ترهق من جراء المشاكل؛ فلابدّ من ترويحها بالاستجمام

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۸۶

وطرائف الحكم، وإلّا كسلت وشلت عن النشاط، ومن هنا فان العقل والمنطق والفطرة تقتضى أن يلجأ هذا الإنسان إلى المزاح بغية التخفيف من حدة المعاناة والتعب والارهاق، فان تم هذا الأمر فى ظل الموازنة والاعتدال فهو ليس مذموما فحسب، بل من الامور المطلوبة، وأبعد من ذلك تكتسب درجة الضرروة والوجوب، لتعد جزءا من مكارم الأخلاق والبشاشة وطلاقة الوجه. والذى تفيده سيرة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وأئمة الدين عليهم السلام وأولياء اللّه- بل وكافة العقلاء- أنّهم كانوا يلجأون إلى المزاح فى أعمالهم طيلة مدّة حياتهم. إلّاأنّ ما يجدر ذكره هو أنّ هذا المزاح إنّما يتحول إلى سخرية واستهزاء لو خرج من حد الاعتدال أو شابه الاثم والغيبة والنميمة، كما يكون وسيلة للثأر وإراقة ماء وجه الآخرين، حيث يتعذر على الإنسان أحياناً إظهار مكنون قلبه من الحقد والضغينة فيلجأ إلى هذا الاسلوب، وهنا يتحول المزاح إلى رذيلة بشعة من الرذائل الكاشفة عن سوء الخلق. وهذان هما المعنيان الذان كشفت عنهما بعض الروايات الإسلامية التى مدحت المزاح من جانب وعدته فضيلة، وتلك التى ذمته وعدته رذيلة. ولابأس هنا بذكر بعض الروايات الإسلامية الواردة بهذا الشأن:

۱- ورد فى الحديث أنّ أحد أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام سأله عن المزاح فقال عليه السلام:

«لا بأس ما لم يكن»

(أى مالم يخالطه الاثم) ثم قال:

«إن رسول اللّه كان يأتيه الاعرابى، فيهدى له الهدية ثم يقول مكانه: أعطنا ثمن هديتنا! فيضحك رسول اللّه؛ وكان إذا اغتم، يقول: ما فعل الاعرابى؟ ليته أتانا».[۶۱۵]

۲- وورد عن الإمام الكاظم عليه السلام

«المؤمن دعب لعب، والمنافق قطب غضب».[۶۱۶]

۳- عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«ما من مؤمن إلّاوفيه دعابة؛ قلت: وما الدعابة؟ قال:

المزاح».[۶۱۷]

۴- بل ورد فى الروايات أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله كان يمزح، حيث جاء فى الخبر أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله قال لأمرأة

من الأنصار:

«الحقى زوجك فإن فى عينه بياضاً»

فسعت نحوه مرعوبة، فقال لها:

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۸۷

ما دهاك؟ فأخبرته، فقال: نعم إن فى عينى بياضاً لاسوء، فخفضى عليك. فهذا من مزاح رسولاللَّه صلى الله عليه و آله. وأتت عجوز من الأنصار إليه صلى الله عليه و آله، فسألته أن يدعوا اللَّه تعالى لها بالجنّة، فقال:

«إن الجنّة لاتدخلها العجز»[۶۱۸]

فصاحت، فتبسم صلى الله عليه و آله وقال: «إِنّا أَنْشَأْناهُنَّ إِنْشاءً* فَجَعَلْناهُنَّ أَبْكاراً»[۶۱۹] وهكذا سائر الروايات ...

وفى نفس الوقت وردت الروايات التى ذمت المزاح، ومن ذلك ما روى عن على عليه السلام أنّه قال:

«المزاح يورث الضغائن»[۶۲۰]

وقال:

«لكل شئ بذر وبذر العداوة المزاح»[۶۲۱]

وجاء فى الخبر أنّ المزاح يحد من العقل ويذهب بالهيبة وهو العدو الاصغر[۶۲۲]. وقال رسولاللَّه صلى الله عليه و آله:

«لايبلغ العبد صريح الإيمان حتى يدع المزاح والكذب»[۶۲۳]

. ومن الواضح أن ليس هنالك من تضاد بين هاتين الطائفتين من الروايات، لأنّ الطائفة الاولى تحدثت عن أصل المزاح، بينما تحدثت الطائفة الثانية عن الإفراط وتجاوز الحد فى المزاح. أو بعبارة اخرى: الطائفة الاولى ناظرة إلى المزاح الموزون الذى لايستند إلى أى غرض ومرض وحقد وضغينة، أمّا الطائفة الثانية فهى ناظرة إلى المزاح الباطل، والشاهد على ذلك ما جاء فى الخبر عن رسولاللَّه صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«إنى أمزح ولا أقول إلا حقا»[۶۲۴]

. والشاهد الآخر أغلب الروايات التى صرحت بذم كثرة المزاح. فقد روى عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال:

«كثرة المزاح تذهب البهاء وتوجب الشحناء»[۶۲۵]

. كما عبرت بعض الروايات عن ذلك بالإفراط فى المزاح. ويتضح مما أوردنا من الروايات- ولاسيما تلك التى وردت عن على عليه السلام- أنّ الإمام عليه السلام كان يمزح أحياناً بالحق؛ الأمر الذى يجعله فضيلة من فضائله وأنّه كان كريم الخلق بشر الوجه، إلّا أنّ العدو كان يندفع بكل همجية وضغينة ليشوه حتى هذه الصفات الحميدة فيه، بهدف

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۸۸

إقصائه من مكانته، ونموذج ذلك ما ورد فى هذه الخطبة. فقد نفى عليه السلام فى هذه الخطبة عن نفسه كثرة المزاح، المزاح الممدوح الذى يهدف إلى جلاء الروح ونشاطها وإدخال السرور على قلوب المؤمنين.

ونختتم الكلام بهذا الحديث:

فقد جاء فى الخبر أنّ يحيى عليه السلام لقى عيسى عليه السلام، وعيسى مبتسم، فقال يحيى عليه السلام: مالى أراك لاهيا كأنّك آمن! فقال عليه السلام: مالى أراك عابساً كأنك آيس؟

فقالا: لانبرح حتى ينزل علينا الوحى. فأوحى اللَّه إليهما: أحبّكما إلىّ الطلق البسام، أحسنكما ظنا بى.[۶۲۶]

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۸۹

الخطبة[۶۲۷]: الخامسة والثمانون

اشارة

ومن خطبة له عليه السلام

وفيها صفات ثمان من صفات الجلال

نظرة إلى الخطبة

أشار الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة إلى ثلاثة امور مهمة: الأول ذكره لبعض صفات الجلال والكمال بعبارات قصيرة عظيمة المعانى. الثانى دعوة الناس للاعتبار بما تفرزه حوادث الحياة ولاسيما الموت الذى يقف لهذه الحياة بالمرصاد. الثالث التعرض لدرجات أولياء اللَّه والنعم المطلقة الخالدة التى يتنعمون بها فى الجنّة. أمّا تعبير السيد الرضى (ره) فى بداية الخطبة بالقول

«ومنها»

يفيد أنه وكديدنه قد إقتطف هذه العبارات من خطبة طويلة.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۹۱

القسم الأول: معرفة اللَّه

اشارة

«وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ: الْأَوَّلُ لا شَيْءَ قَبْلَهُ، الْآخِرُ لا غايَةَ لَهُ، لا تَقَعُ الْأَوْهامُ لَهُ عَلَى صِفَةٍ، ولا تُعْقَدُ الْقُلُوبُ مِنْهُ عَلَى كَيْفِيَّةٍ، وَلا تَنالُهُ التَّجْزِئَةُ والتَّبْعِيضُ، ولا تُحِيطُ بِهِ الْأَبْصارُ والْقُلُوبُ».

الشرح والتفسير

يقسم علماء العقائد صفات اللَّه إلى قسمين: صفات الجمال وصفات الجلال. وتطلق صفات الجمال على الصفات الثبوتية من قبيل؛ العلم والقدرة. وتطلق صفات الجلال على الصفات السلبية من قبيل؛ عدم وجود الشريك والشبيه. ولما كانت الصفات الثمان الواردة فى القسم الأول من الخطبة ثبوتيه وسلبية فانّ الذى ذكر عنوان لها ليس على ضوء علماء العقائد، بل يراد بالجلال هناك المعنى اللغوى والاشارة إلى عظمة هذه الصفات. على كل حال فانّ معرفة اللَّه والتعرف على صفات جماله وجلاله، تعد معين كل خير وحسن وأساس جميع الفضائل الأخلاقية والأعمال الصالحة، ومن هنا فقد إستهل الإمام عليه السلام أغلب خطبه بالإشارة إلى جانب من هذه الصفات، ليحمل القلوب نحو عظمته سبحانه وصفات جلاله وجماله. فقد قال عليه السلام: «و أشهد أن لا إله إلّااللّه وحده لا شريك له» فالأوصاف وإن كانت ثلاث وهى نفى الشريك والمعبود وصفة التوحيد، غير أنّها تعد جميعاً إلى حقيقة واحدة وهى توحيده فى الذات والصفات والعبودية. ولما كان التوحيد أساس صفات اللَّه سبحانه، فقد تطرق الإمام عليه السلام إلى هذه الصفة قبل كل شئ، وسنرى لاحقاً أنّ سائر الصفات السبع إنّما تنبع من صفة التوحيد. ثم قال عليه السلام فى الصفة الثانية

«الأوّل لا شىء قبله»

هذه واحدة من الصفات التى

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۹۲

تنزهه عن الشبه؛ لأنّه وجود لامتناهى، ومثل هذا الوجود أزلى، والوجود الأزلى قبل كل شئ وبعد كل شئ، فلو كان قبله شئ لانتفت أزليته. ثم قال عليه السلام فى الصفة الثالثة:

«و الْآخر لا غاية له»

كما أشرنا آنفا فانّ هذه نتيجة لعدم تناهيه، وبعبارة أخرى إنتفاء نظيره. ومن الواضح أنّ الصفة الثانية والثالثة ثبوتية: فأوليته فى الأزل، وآخريته فى الأبدّ. وقال عليه السلام فى الصفة الرابعة:

«لا تقع الْأَوْهام ۶۲۸] له على صفةٍ»

فنحن نعلم أنّ عقلنا محدود لايسعه إدراك سوى المحدودات، وعليه فليس للوهم أن يحيط بذاته المقدسة وصفاته المطلقة التى هى عين ذاته، وبعبارة اخرى فانّ علمنا بصفاته إنما هو من قبيل العلم الإجمالى، وإلّا فالعلم التفصيلى بذاته وصفاته متعذر على مخلوقاته. ويتضح مما ذكر أنّ الأوهام هنا بمعنى الأفكار، غير أنّ الفكر حين يعجز يعبر عنه بالوهم. ثم أشار الإمام عليه السلام فى الصفة الخامسة والسادسة إلى نفى الكيفية والكمية عن الذات الإلهية المقدسة قائلًا:

«و لا تعقد القلوب منه على كيفيّةٍ، ولا تناله التّجزئة التّبعيض»

والكيفية عبارة عن الشكل والهيئة التى تتخذها الأشياء، سواء كانت هذه الهيئة قابلة للرؤية أو السماع أو اللمس. وبالطبع فانّ الكيفية إنّما ترتبط بالامور التى تكون أوصافها زائدة على ذاتها، أمّا من كانت صفاته عين ذاته، وكانت ذاته خالية من التعدد فليس للكيفية من سبيل إلى ذاته، بعبارة اخرى فان الكيفيات ناشئة من المحدوديات والذات الإلهية اللامحدودة لاكيفية لها. كما أنّ الاشتمال على الجزء والبعض من خواص الأجسام، ومن هنا فالكمية من عوارض الجسم، ولما كان اللّه سبحانه منزه عن الجسمية، لم تجز عليه التجزئة والتبعيض، وليس للكمية من سبيل إلى ذاته المقدسة. بعبارة أخرى: إنّما تطلق الكمية حيث الزيادة والنقصان، وعليه فليس للّه من كمية حيث ليس هنالك من زيادة أ ونقصان فى وجوده المطلق اللامتناهى. على ضوء ما مر معنا فان التجزئة والتبعيض لفظان مترادفان يفيدان معنى واحد، ألا أنّ بعض شرّاح نهج‌البلاغة احتملوا أنّ التجزئة إشارة إلى الأجزاء العقلية (كالجنس والفصل المنطقيين) والتبعيض إشارة إلى الأجزاء الخارجية. عى كل حال فمفهوم

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۹۳

العبارة هو أن الذات الإلهية ليست مركبة من أجزاء لافى الخارج ولا فى الذهن، لأنّه لو كان متركبا من أجزاء لاحتاج إليها، والحال أنّه غنى بالذات، والمحتاج ممكن الوجود، لاواجب الوجود. ثم قال عليه السلام فى الصفة السابعة والثامنة:

«و لا تحيط به الْأبصار والقلوب»

أمّا قوله عليه السلام لاتحيطه الابصار، فواضح، لأنّ الإنسان يرى بعينه الالوان والضوء ومن ثم الأجسام، ولما كان اللون من خواص الجسم، وللجسم زمان ومكان وأجزاء، فالنتيجة أنّه محتاج وممكن الوجود، واللّه أعظم وأجل شأناً من ذلك وان ذهب بعض علماء العامة استناداً إلى بعض الروايات- المخدوشة السند أو الدلالة- إلى رؤية اللّه سبحانه يوم القيامة، الأمر الذى يعتبر من الشرك؛ لأنّ ذلك يستلزم كون اللّه جسما له زمان ومكان وجهة ولون، أمّا نحن وعلى ضوء تعاليم أئمتنا عليه السلام نعتقد بأنّ الرؤية محالة على اللّه سبحانه، لافى هذا العالم ولا فى عالم الآخرة! والأدلة العقلية التى أشارت إلى جانب من ذلك فى الخطبة إنّما تثبت هذه الحقيقة، وليس للاستثناء من سبيل إلى الأدلة العقلية.[۶۲۹] أمّا عدم إحاطة العقول بذاته المطهرة فلكونها غير محدودة، وليس للعقل المحدود قدرة إدراك غير المحدود، ولذلك قلنا سابقاً إن علمنا بذاته وصفاته سبحانه إجمالى لاتفصيلى. والذى يجدر ذكره هو أنّ الإمام عليه السلام عبر بعدم الاحاطة بشأن نفى الرؤية بواسطة العين وكذلك الرؤية العقلية، والذى يمثل فى الواقع الدليل على المطلوب، لأنّ الاحاطة بالشئ من لوازم الرؤية أو المشاهدة العقلية، وكيف يحاط وجود مطلق لامتناهى.

وهنا يقتدح هذا السؤال وهو أنّ الإمام عليه السلام قال:

«لاتدركه العيون بمشاهدة العيان، ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان»[۶۳۰]

أفلا ينافض هذا الكلام ما ورد فى الخطبة؟ والجواب على هذا السؤال أنّ المراد من عدم إحاطة العقل بذاته هو نفى إدراك كنه

الذات، وبعبارة اخرى العلم التفصيلى؛ أمّا ما ورد فى الخطبة ۱۷۹ من رؤية اللّه من قبل القلوب يشير إلى العلم الإجمالى. فقد ورد عن الإمام الجواد عليه السلام أنّه قال:

«أوهام القلوب أدق من أبصار العيون، أنت قد تدرك بوهمك السند والهند والبلدان التى لم تدخلها ولاتدركها ببصرك، فأوهام القلوب لا تدركه، فكيف أبصار العيون»[۶۳۱]

. على كل حال فان ما أورده الإمام عليه السلام من

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۹۴

صفات فى هذه العبارات بشأن الذات المقدسة، إنّما يشير إلى ذروة قدرة الإنسان على معرفة اللّه. فليس هنالك من يورد مثل هذه الصفات سوى المعصوم ولاسيما أميرالمؤمنين على عليه السلام.

ونختتم البحث بما ذكره ابن أبى‌الحديد بهذا الشأن فقد قال: وإعلم أن التوحيد والعدل والمباحث الشريفة الإلهية، ما عرفت إلّامن كلام هذا الرجل، وأن كلام غيره من أكابر الصحابة لم يتضمن شيئاً من ذلك أصلًا؛ ولا كانوا يتصورونه، ولو تصوروه لذكروه. وهذه الفضيلة عندى أعظم فضائله عليه السلام.[۶۳۲]

تأمّل: كيفية معرفة الإنسان بالذات المقدسة

تعد هذه المسئلة من أدق وأعقد المسائل العقائدية والتى تزل فيها الأقدام والأقلام حتى سلكت طائفة الافراط، بينما سلكت اخرى التفريط بهذا الشأن. فقد إبتعدت طائفة عن معرفة اللّه حتى اصطلح عليها بالمعطلة، حيث زعمت أننا لانعلم أى شئ إيجابى عن ذاته وصفاته سبحانه، وليس لنا سوى إستناد إلى سلسلة من الامور السلبية، فكل ما نقوله أنّ اللّه ليس بمعدوم، ليس عاجز، وليس جاهل، ولو أردنا أن نسلك سبيل الصفات الثبوتية فانّ كل الأبواب مقفلة بوجهنا. هذه هى الطائفة التى تدعى بالمعطلة. أمّا الطائفة الثانية فقد ذهبت إلى العكس مما ذهبت إليه الطائفة الاولى حتى جعلت من اللّه جسماً وصنعت له أعضاء وبدن، وهى الطائفة التى يصطلح عليها بالمشبهة، حيث شبهت اللّه بعباده. أمّا الطائفة الثالثة الوسط التى تخالف إفراط ا لاولى وتفريط الثانية- حيث تتصف كلا الطائفتين بالضلال والتغرب عن القرآن والتعاليم الإسلامية- وهى التى تقول بالمعرفة الإجمالية لذاته وصفاته سبحانه، دون أن يقف أحد على كنه تلك الذات المقدسة وصفاتها. وبعبارة أوضح: إذا نظرنا إلى عالم الوجود وتأملنا آثار العلم والحكمة وعظم القدرة الحاكمة فى كل مكان فاننا سنقف على أن هذه الأنظمة والقوانين المعقدة التى تحكم كافة دقائق هذا الوجود إنّما تنطلق من مصدر يتصف

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۹۵

بالعلم والقدرة المطلقة، الأمر الذى يجعلنا نمتلك معرفة إجمالية بهذه الذات المقدسة. من جانب آخر فاننا إذا فكرنا فى ذاته سبحانه وتساءلنا ما حقيقتها؟ هل هى نور؟ أعظم من النور؟

وجود بسيط وخالص؟ لانفهم على وجه الدقة حقيقة ذاته. وكل ما نعرفه أنّ ذاته تفوق الجسم والجسمانيات، وترتفع عن الخيال القياس والظن والوهم، وأنّه أعظم من كل ما رأينا وسمعنا وتصورنا. له علم وقدرة مطلقة، ولكن ما كيفية هذا العلم وهذه القدرة، يتعذر علينا الجواب على ذلك. وكلما أردنا أن نحصره فى فكرنا لنقف على حقيقة ذاته، رأينا فكرنا قاصراً عاجزاً، بل إذا إقتربنا شبراً من حقيقة ذاته- كما يقول الشاعر- ابتعدنا عنها ميلًا. وكيف لايكون الأمر كذلك ووجودنا محدود متناهى ووجوده مطلق لامتناهى. فقد قال الإمام الصادق عليه السلام:

«فهذه الشمس خلق من خلق اللّه فان قدرت أن تملأ عينيك منها فهو كما تقول»[۶۳۳]

. فقد أراد الإمام عليه السلام أن يعرفنا بمحدودية قدرة باصرتنا وفكرنا إزاء ذاته المنزهة عن الحدود. ومن هنا يتوجب علينا أن نخشع للّه سبحانه ونمد أيدينا له بالدعاء لتردد ما قاله الإمام الهادى عليه السلام فى مناجاته للحق سبحانه:

«إلهى تاهت أوهام الموهمين، وقصر طرف الطارفين وتلاشت أوصاف الواصفين، واضملحت أقاويل المبطلين عن الدرك العجيب شأنك، أو الوقوع بالبلوغ إلى علوك، فأنت فى المكان الذى لايتناهى ولم تقع عليك عيون باشارة ولاعبارة، هيهات ثم هيهات».[۶۳۴]

إلّاأنّ هذا لايعنى أنّ المعرفة الإجمالية متعذرة علينا؛ فقد ملأت آثار ذاته وصفاته الوجود بأسره، فضلاعن وجودنا.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۹۷

القسم الثانى: الاتعاظ والاعتبار

ومنها: «فاتَّعِظُوا عِبادَ اللَّهِ بِالْعِبَرِ النَّوافِعِ، واعْتَبِرُوا بِالْآيِ السَّواطِعِ، وازْدَجِرُوا بِالنُّذُرِ الْبَوالِغِ، وانْتَفِعُوا بِالذِّكْرِ والْمَواعِظِ، فَكَأَنْ قَدْ عَلِقَتْكُمْ مَخالِبُ الْمَنِيَّةِ وانْقَطَعَتْ مِنْكُمْ عَلائِقُ الْأُمْنِيَّةِ، ودَهِمَتْكُمْ مُفْظِعاتُ الْأُمُورِ، والسِّياقَةُ إِلَى الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ، ف «كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وشَهِيدٌ»: سائِقٌ يَسُوقُها إِلَى مَحْشَرِها؛ وشاهِدٌ يَشْهَدُ عَلَيْها بِعَمَلِها».

الشرح والتفسير

لقد واصل الإمام عليه السلام كلامه بحمل مخاطبيه إلى التأمل فى سالف التأريخ وحوادثه التى تنطوى على الدروس والعبر بغية توظيفها لما يخدم مصيرهم وعاقبتهم، فقال:

«فاتّعظوا عباداللّه بالعبر النّوافع».

نعم تذكروا عظماء التأريخ وكبكبة الملوك السلاطين والثراء العظيم الذى كان عليه الماضون والحياة المرفهة الوادعة، ثم انظروا كيف أتى الدهر عليها فأحالها ركاما بعد أن أبادهم عن آخرهم، فلم تبق من قصورهم الشاهقة سوى الاطلال، بل لم يبق من أجسادهم سوى العظام النخرة، فقد ذهبوا وأكلهم النسيان. ثم قال عليه السلام:

«واعتبروا بالْآى السّواطع،[۶۳۵] ازدجروا بالنّذر البوالغ»

فهى من قبيل التحذيرات التى أثارها القرآن الكريم، فهو يشرح أحيانا العذاب الأليم الذى نزل بالأقوام الطاغية الظالمة الماضية، واخرى يتحدث عن شدة العذاب الاخروى، وأخيراً يضطر الإنسان للتفكير بجد فى عاقبته، ويحذره من

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۹۸

مقارفة الذنوب والمعاصى. ثم قال عليه السلام:

«و انتفعوا بالذّكر والمواعظ»

والفارق بين هذه التحذيرات الأربع: ففى التحذير الأول يلفت الإمام عليه السلام انتباه الجميع إلى الحوادث التأريخية الماضية والحاضرة التى تنطوى على الدروس والعبر ليتعظ بها، وفى التحذير الثانى أشار إلى دلالته سبحانه فى عالم الوجود أو الآيات القرآنية التى توقظ الضمير. وفى التحذير الثالث تطرق إلى نذر أولياء اللّه. وأخيراً تعرض فى التحذير الرابع إلى نصائح أولياء اللّه ومواعظهم، وهى التحذيرات الكافية لآثارة حيطة وحذر من كان له أدنى إستعداد للتقبل. ثم واصل عليه السلام كلامه بالحديث عن مرارة لحظات الموت ومعالجة سكراته فقال:

«فكأن قد علقتكم ۶۳۶] مخالب ۶۳۷] المنيّة، وانقطعت منكم علائق الأمنيّة، ودهمتكم ۶۳۸] مفظعات ۶۳۹] الأمور، والسّياقة إلى الورد المورود، ف «كلّ نفسٍ معها سائقٌ وشهيدٌ»: سائقٌ يسوقها إلى محشرها؛ وشاهدٌ يشهد عليها بعملها»

. لما كان الموت قد كتب على الجميع ولم يعنى زمانه، بحيث يفاجئ الإنسان، فانّ الإمام عليه السلام يتحدث عنه كأمر قد وقع، فيصرح كأنّى قد رأيتكم فى مخالب الموت وقد أحاطت بكم سكراته وقد قطعت كل أمانيكم وذهبت أدراج الرياح كأنّها ضرب من ضروب الخيال والاحلام، وكأنّكم انتقلتم من هذه الدنيا إلى الآخرة، يقود كما المكان إلى المحشر. وقد ورد عن الإمام شبيه هذا

المعنى فى الخطبة ۲۰۴

«تجهزوا رحمكم اللّه! فقد نودى فيكم بالرحيل، وأقلوا العرجة على الدنيا، وانقلبوا بصالح ما بحضرتكم من الزاد، فان أمامكم عقبة كؤودا، ومنازل مخوفة مهولة، لابد من الورود عليها، والوقوف عندها».

والعبارة

«والسياقة إلى الورود الموروود»

إشارة إلى الآية ۹۸ من سورة هود: «يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۲۹۹

القِيامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النّارَ وَبِئْسَ الوِرْدُ المَوْرُودُ».

«ورد»

تعنى ما يشقه من طريق بمحاذاة النهر الكبير الذى يبتعد ساحله عن الماء، ليتمكن الشخص من الوصول إلى الماء بسهولة، والمورد هو الموضع الذى يرده العطاش، وهى إشارة إلى أنّ المذنبين محرومون من ماء أنهار الجنّة العذبة الزلال فيردون ماء جهنم، الذى يشوى الوجوه والبطون. وقوله عليه السلام:

«كلّ نفسٍ معها سائقٌ وشهيدٌ»

. أما المراد بالسائق والشهيد فقد اختلفت فيه أقوال مفسرى القرآن وشرّاح نهج‌البلاغة. فذهب البعض إلى أنّ المراد بالسائق الملك الذى يكتب الحسنات، والشهيد من يكتب السيئات، وقيل السائق ملك والشهيد أعضاء بدن الإنسان، أو صحيفة أعماله التى تعلق فى عنقه. وهناك قول آخر أن يكون المراد بالسائق الملك الذى يجمع بين الأمرين، كأنّه قال: وجاءت كل نفس معها ملك يسوقها إلى المحشر ويشهد عليها. وأخيراً قيل السائق هو الأمر الإلهى الذى يسوق الإنسان إلى المحشر من أجل الوقوف للحساب والجزاء، والشاهد الأنبياء والعلماء، أو عقل الإنسان وأعضاؤه. إلّاأن الأظهر فى الأخبار والآثار أنّهما ملكان، أحدهما يسوق الإنسان إلى المحشر، والاخر يشهد على أعماله.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۰۱

القسم الثالث

اشارة

ومنها فى صفة الجنّة

«دَرَجاتٌ مُتَفاضِلاتٌ، ومَنازِلُ مُتَفاوِتاتٌ، لا يَنْقَطِعُ نَعِيمُها، ولا يَظْعَنُ مُقِيمُها، ولا يَهْرَمُ خالِدُها، ولا يَبْأَسُ ساكِنُها».

الشرح والتفسير

درجات الجنّة

نفحات الولاية ؛ ج۳ ؛ ص۳۰۱

تتم الإمام عليه السلام خطبته بالحديث عن نعم الجنّة وألطاف البارئ سبحانه باهلها ليخلط الانذار بالبشارة جريا على طريقة القرآن فى خلق الشعور بالخوف والرجاء لدى العباد لتدفعهم بالتالى نحو السمو والتكامل والسير إلى اللّه، فقال:

«درجاتٌ متفاضلاتٌ، ومنازل متفاوتاتٌ»

فالعبارة تفيد أن الإنسان لاينبغى أن يقتنع بما عليه من الكمال مهما كانت المرحلة التى بلغها، وعليه أنّ يواصل مسيرته ويجد فى العلم والعمل ويسعى لتهذيب نفسه. ومن الواضح أنّ نصيب الإنسان من النعم المادية والمعنوية الاخروية إنّما يتوقف على مدى إيمانه وعمله ومعرفته وما تحلى به من أخلاق. وقد أشار القرآن كرارا إلى درجات الجنّة كقوله:

«وَلِكُلٍّ دَرَجاتٌ مِمّا عَمِلُوا»[۶۴۰] وقال: «نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ»[۶۴۱]، ثم تعرض لشرح هذه الدرجات: «وَالسّابِقُونَ السّابِقُونَ* أُولئِكَ المُقَرَّبُونَ* فِى جَنّاتِ النَّعِيمِ»[۶۴۲] وقال:

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۰۲

«وَأَصْحابُ الَيمِينِ ما أَصْحابُ الَيمِينِ»[۶۴۳] ثم اختتمت سورة الواقعة بالحديث عن هاتين الطائفتين التى تفوق إحداهما الاخرى فقال: «فَأَمّا إِنْ كانَ مِنَ المُقَرَّبِينَ* فَرَوْحٌ وَرَيْحانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ* وَأَمّا إِنْ كانَ مِنْ أَصْحابِ الَيمِينِ* فَسَلامٌ لَكَ مِنْ أَصْحابِ الَيمِينِ»[۶۴۴]. كما صرح القرآن بأنّ مثوى المؤمنين الصالحين

«جنّات عدن»

وطائفة

«جنّات المأوى»

واخرى

«جنّات الفردوس»

وأخرى

«جنّات النعيم»

فى إشارة إلى مقامات الجنّة ودرجاتها.[۶۴۵] وجاء فى الخبر أنّ رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله قال:

«الجنّة مئة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض؛ الفردوس أعلاها درجة، منها تفجر أنهار الجنّة الأربعة، فاذا سألتموا اللّه، فاسألوه الفردوس»[۶۴۶]

وورد أيضاً

«إنّ أهل الجنّة ليرون أهل عليين كما يرى النجم فى أفق السماء»[۶۴۷]

ومن الطبيعى أن تتفاوت مقامات المؤمنين فى الجنّة على ضوء إيمانهم عملهم، ولعل العدد مئة الوارد فى الحديث إشارة إلى الكثرة وأنّ تفاوت المقامات أكثر بكثير من هذا العدد، كما يمكن أن تكون الدرجات الأصلية للجنّة مئة درجة، وتقسم كل واحدة منها إلى عدّة درجات، ومن هنا ورد فى القرآن: «وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصّالِحاتِ فَأُولئِكَ لَهُمُ الدَّرَجاتُ العُلى [۶۴۸]. وورد فى حديث الإمام زين‌العابدين عليه السلام أنّ درجات الجنّة بعدد آيات القرآن، فيقال لقارئ القرآن يوم القيامة إقرأ وارقأ.

[۶۴۹] ثم ذكر عليه السلام أربع صفات للجنّة تفوق كل واحدة منها الاخرى، فقال عليه السلام:

«لا ينقطع نعيمها»

أى نعمها ليست من قبيل نعم الدنيا التى تزداد وتنقص وتنعدم، ما ورد ذلك فى الآية ۳۵ من سورة الرعد:

«أُكُلُها دائِمٌ وَظِلُّها»، ثم قال فى الصفة الثانية

«و لا يظعن ۶۵۰] مقيمها»

والصفة الثالثة

«و لا يهرم خالدها»

وأخيرا الصفة الرابعة

«و لا يبأس ۶۵۱] ساكنها».

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۰۴

الخطبة[۶۵۲] السادسة و الثمانون

اشارة

ومن خطبة له عليه السلام

وفيها بيان صفات الحق جل جلاله، ثم عظة الناس بالتقوى والمشورة[۶۵۳]

نظرة إلى الخطبة

تتالف هذه الخطبة فى الواقع من خمسة أقسام: القسم الأول كما ورد فى أغلب خطب نهج‌البلاغة فى بيان أوصاف اللّه سبحانه؛ الصفات ذات الأثر البالغ فى تربية الإنسان وتصده عن الذنوب والمعاصى وتسوقه إلى الخير والاحسان. القسم الثانى فى وعظ الناس والتزود من هذه الدنيا والتأهب للآخرة وعدم نسيان الهدف من خلقتهم. القسم الثالث فى أهمية القرآن واتمام الحجة. القسم الرابع تحذير الناس من نوم الغفلة وتدارك ما مضى من العمر فى أواخره والحيطة من مكائد الشيطان. وأخيرا القسم الخامس فى الاشارة إلى بعض الصفات الذميمة والتعريف بأفضل الأفراد.

فالخطبة بهذه الأقسام علاج لمرضى القلوب من أهل الغفلة.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۰۵

القسم الأول: العالم بالخفايا والاسرار

«قَدْ عَلِمَ السَّرائِرَ، وخَبَرَ الضَّمائِرَ، لَهُ الْإِحاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ، والْغَلَبَةُ لِكُلِّ شَيْءٍ، والْقُوَّةُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام إلى خمس من صفات اللّه سبحانه، يفيد التفاعل معها وتصديقها إلى الانقياد إلى الحق وتهذيب النفس وتزكيتها.

الصفة الاولى

«قد علم السّرائر».

الصفة الثانية:

«و خبر الضّمائر».

الصفة الثالثة:

«له الْإحاطة بكلّ شيْءٍ».

الصفة الرابعة:

«و الغلبة لكلّ شيءٍ».

الصفة الخامسة:

«و القوّة على كلّ شيءٍ».

وقد ذهب بعض شرّاح نهج‌البلاغة إلى وحدة معنى العبارة الاولى والثانية وعدوها من قبيل المرادفات فى أنّ اللَّه عليم بأسرار وخفايا كل فرد. بينما قال البعض: خبر بفتح الباء بمعنى الاختبار وخبر بكسرها بمعنى العلم، فقد وردت الاولى بمعنى الاختبار فى موضع آخر من نهج‌البلاغة

«إنّما مثل من خبر الدنيا»[۶۵۴]

ولما كان الأصل فى الجملة هو بيانها لمعنى جديد، يبدو أنّ تفسير الخبر بالامتحان أنسب، وإن كان الامتحان سبب العلم، بل قد يكون امتحان الشئ

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۰۶

كناية عن العلم به. على كل حال الهدف هو أن نلتفت إلى أنّ البارئ سبحانه عليم بكافة أسرارنا وما يدور فى خلدنا، حتى أنه أعلم بنا من أنفسنا، فهو يعلم بسوء نياتنا وريائنا وشركنا، وعلمه بظاهرنا وباطننا على حد سواء. والعبارة

«له الإحاطة بكلّ شيءٍ»

من قبيل ذكر العام بعد الخاص، لأنّ العبارات السابقة تحدثت عن احاطته العلمية سبحانه بباطن الناس، بينما أشارت هذه العبارة إلى علمه بكافة الأشياء، ومن ذلك أيضاً العبارة الرابعة والخامسة التى تحدثت عن قدرته المطلقة سبحانه، مع هذا الفارق وهو أنّ العبارة الرابعة ناظرة لغلبته وسيطرته على كل شئ، فى حين تبين الخامسة قدرته على الإتيان بكل شئ. وقيل أن الفارق بينهما هو أنّ القوة على كل شئ تعنى القدرة على إيجاده، والغلبة تعنى السيطرة بعد الإيجاد؛ أى أنّ الأشياء لاتستطيع ا لخروج من قدرته سبحانه بعد إيجادها. على كل حال فانّ هذه الصفات الخمس شرح لعلم اللَّه وقدرته المطلقة، ومن شأن استحضارهما مجانبة الخطايا والاندفاع نحو الطاعة والانقياد للحق.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۰۷

القسم الثانى: الزاد إلى المعاد

«فَلْيَعْمَلِ الْعامِلُ مِنْكُمْ فِى أَيّامِ مَهَلِهِ، قَبْلَ إِرْهاقِ أَجَلِهِ، وفِى فَراغِهِ قَبْلَ أوان شُغْلِهِ، وفِى مُتَنَفَّسِهِ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ بِكَظَمِهِ، ولْيُمَهِّدْ لِنَفْسِهِ وقَدَمِهِ، لْيَتَزَوَّدْ مِنْ دارِ ظَعْنِهِ لِدارِ إِقامَتِهِ. فاللَّهَ اللَّهَ أَيُّها النَّاسُ، فِيما اسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتابِهِ، واسْتَوْدَعَكُمْ مِنْ حُقُوقِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً ولَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى ولَمْ يَدَعْكُمْ فِى جَهالَةٍ ولا عَمًى، قَدْ سَمَّى آثارَكُمْ، وعَلِمَ أَعْمالَكُمْ، وكَتَبَ آجالَكُمْ».

الشرح والتفسير

لفت الإمام عليه السلام الانتباه سابقاً إلى قدرة اللَّه وعلمه بخفايا الكائنات وأسرار الضمائر، وما ذلك إلّامقدمة لما أورده هنا:

«فليعمل العامل منكم فى أيّام مهله ۶۵۵] قبل إرهاق ۶۵۶] أجله، وفى فراغه قبل أوان شغله، وفى متنفّسه ۶۵۷] قبل أن يؤخذ بكظمه ۶۵۸]»

ثم بين عليه السلام الهدف من هذا الجهد والعمل فقال:

«و ليمهّد لنفسه وقدمه، وليتزوّد من دار ظعنه لدار إقامته»

فالواقع هو أنّ العبارات السابقة تحدثت عن أصل السعى والعمل، بينما عينت الأخيرة مساره وجهته.

جدير بالذكر أنّ العبارة

«أيام مهله»

فسّرت بالعبارات الثلاث اللاحقة، فالعبارة الاولى

«قبل إرهاق أجله»

إشارة إلى أصل نعمة الحياة والعمر، والعبارة الثانية

«وفى فراغه»

إشارة إلى

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۰۸

نعمة الفراغ فى مقابل الانشغال والعمل والهم بالزوجة والولد، والعبارة الثالثة

«وفى متنفسه»

نعمة العافية والسلامة وعدم وجود الشدائد والمصائب. أمّا العبارة

«وليمهد ...»

فهى تشير إلى التأهب للآخرة، فى حين تشير

«وليتزود»

إلى التجهز وكسب الزاد؛ على غرار ما يفعل الإنسان فى هذه الدنيا، حيث يعد المنزل وأدواته ثم يتجه صوب الزاد والمتاع. ثم يواصل الإمام عليه السلام تحذيراته فيقول:

«فاللّه اللّه أيّها النّاس، فيما استحفظكم من كتابه، واستودعكم من حقوقه».

طبعاً المراد من الكتاب القرآن الكريم حيث كلف الناس بصيانته والالتزام بأحكامه، أمّا المقصود بالحقوق التى استودعها العباد فهى أحكام الحلال والحرام التى ينبغى الالتزام بها وعدم مخالفتها.[۶۵۹] ثم بين الدليل من هذا الانذار بقوله:

«فإنّ اللّه سبحانه لم يخلقكم عبثاً ولم يترككم سدًى ۶۶۰] ولم يدعكم فى جهالةٍ ولا عمًى، قد سمّى آثاركم، وعلم أعمالكم، وكتب آجالكم»

فهى عبارات قصيرة ذات معان بعيدة تختزن المفاهيم العظيمة المؤيدة بالآيات القرآنية. فقد أشار فى المرحلة الاولى إلى الهدف من وراء خلق الإنسان، ومن ثم الحديث عن الامور التى تنطوى عليها الحياة الإنسانية، والمرحلة الثالثة الحديث عن وجود الزعماء والعلم بالأعمال، وتطرق بعد ذلك إلى بيان الوظائف والمسؤوليات وعلم الحق سبحانه بأعمال البشر، وأخيرا الحديث عن قصر عمر الإنسان وحلول أجله. ومن الواضح أنّ الإنسان إذا إلتفت إلى هذه الامور وصدقها بكل كيانه ووجوده سيجد من أجل حفظ كتاب اللّه والالتزام بحقوقه. فالمهم أن يستحضر الإنسان هدف الخلق ويستفيد مما زوده به اللّه سبحانه من إمكانات، فيؤمن بأنّ اللّه عالما بأفعاله وإلّا ينسى بأنّ عمره قصير آيل إلى زوال؛ الامور التى تلعب دوراً بناءاً فى خلق شخصية الإنسان وتهذيب نفسه. فقد قال القرآن بهذا الشأن: «أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنا لاتُرْجَعُونَ»[۶۶۱] وقال: «قَدْ جاءَكُمْ بَصائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْها»[۶۶۲] وقال فى الآية ۳۰ من سورة محمد:

«وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمالَكُمْ» وقال «فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لايَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ».[۶۶۳]

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۰۹

القسم الثالث: الكتاب الجامع

اشارة

«وَ أَنْزَلَ عَلَيْكُمُ «الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ» وعَمَّرَ فِيكُمْ نَبِيَّهُ أَزْماناً، حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ ولَكُمْ- فِيما أَنْزَلَ مِنْ كِتابِهِ- دِينَهُ الَّذِى رَضِيَ لِنَفْسِهِ؛

وأَنْهَى إِلَيْكَمْ- عَلَى لِسانِهِ- مَحابَّهُ مِنَ الْأَعْمالِ ومَكارِهَهُ، ونَواهِيَهُ وأَوامِرَهُ، أَلْقَى إِلَيْكَمُ الْمَعْذِرَةَ، واتَّخَذَ عَلَيْكَمُ الْحُجَّةَ، وقَدَّمَ إِلَيْكَمْ بِالْوَعِيدِ، وأَنْذَرَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذابٍ شَدِيدٍ».

الشرح والتفسير

جامعية القرآن والسنة

جرى الحديث سابقا عن إتمام الحجة على العباد، وهنا يتوسع الإمام عليه السلام فى هذا الموضوع فيقول:

«و أنزل عليكم «الكتاب تبياناً لكلّ شىءٍ» وعمّر فيكم نبيّه أزماناً، حتّى أكمل له ولك م- فيما أنزل من كتابه- دينه الّذى رضى لنفسه».

نعم فقد أنزل سبحانه ذلك الكتاب الجامع الذى ينطوى على كافة المعارف الإلهية والتعاليم المادية والمعنوية على جميع مستويات الحياة البشرية كما ورد ذلك فى الآية ۸۹ من سورة النحل: «وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَىءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرى لِلْمُسْلِمِينَ».

كما منح نبيّه صلى الله عليه و آله الفرصة الكافية لابلاغ الدين واتمامه؛ الأمر الذى صرحت به الآية الثالثة من سورة المائدة: «اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً». ثم خاض فى التفاصيل بغية توضيح

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۱۰

المطلب فقال عليه السلام:

«و أنهى ۶۶۴] إليكم- على لسانه- محابّه ۶۶۵] من الْأَعْمال ومكارهه، ونواهيه أوامره، وألقى إليكم المعذرة، واتّخذ عليكم الحجّة، وقدّم إليكم بالوعيد، أنذركم بين يدى عذابٍ شديدٍ»

فقد أشار الإمام عليه السلام إلى إنعدام العذر بفضل القرآن وسنة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وماتضمناه من تعاليم ومفاهيم، فليس لأىفرد أن يتفوه ببعض الكلمات من قبيل

«لم أكن أعلم»

أو

«لم أقف على هذه الامور»

أو ما بلغتنى الحجة، والحق أنّ هذه العبارة مصداق واضح لقوله سبحانه فى كتابه العزيز: «قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ البالِغَةُ»[۶۶۶].

تنطوى العبارة «و أنزل عليكم «الكتاب تبياناً لكلّ شىءٍ»» المقتبسة من الآية ۸۹ من سورة النحل على حقيقة مهمة ينبغى أن يتوقف عندها الجميع. طبعاً ليس المقصود بهذه العبارة أنّ القرآن كتاب موسوعى يضم كافة الفروع والتخصصات العلمية كالرياضيات والجغرافيا والكيمياء والفيزياء إلى جانب العلوم الانسانية وما انطوت عليه المدارس الفكرية والنزعات الفلسفية، بل المراد أنّ القرآن يشتمل على كل ما نزل من أجله وهدف إليه هذا الكتاب السماوى والذى يخلص فى بلورة شخصية الإنسان وسعادته فى جميع الأصعدة والميادين. فقد بين المعارف الدينية والحقائق المرتبطة بالمبدأ والمعاد ووظائف الإنسان ومسؤولياته تجاه خالقه وتجاه بنى جنسه، إضافة إلى تبيين المسائل الأخلاقية والقضايا الجتماعية والمتطلبات الاقتصادية، وقد عمد أحياناً إلى بيان كافة الجزئيات والتفاصيل (كبيانه للأحكام المتعلقة بالعقود المالية ومعاملات الديون التى إستعرضتها الآية ۲۸۲ من سورة البقرة، بينما أشار أحيانا اخرى إلى الاصول الكلية والقواعد العامة من قبيل

«باب ينفتح منه

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۱۱

ألف باب».

فالآيـة القرآنيـة التى وردت ضـمن الخطبـة إلى جانب روايات أئمـة العصـمة عليهم السـلام تذكر المسـلمين بأن الهداية والسـعادة إنّما تكمن فى القرآن.

إجابة عن سؤال

يبرز هنا هذا السؤال: ما الحاجة إلى سنة النبى وأقوال المعصومين فى ظل وجود القرآن الكريم؟

والجواب على هـذا السؤال واضـح وهو أن أغلب الآيـات تحتـاج إلى شـرح وتفسـير وبيـان الشـرائط وذكر موارد الاسـتثناء، أو الآيـات المتشابهـة التى لاـ تفسـر الاـ من المعصومين عليهم السـلام بردهـا إلى المحكمـات. على سبيـل المثال ترد آيـة فى الزكاة وتتطرق إلى مسـتحقيها من الاصـناف الثمانيـة دون الإشارة إلى ما يجب فيه الزكاة وحـد النصاب والشـرائط المرتبطـة بمرور الحول والشـروط التى ينبغى توفرهـا فى المسـتحقين، وكيفيـة جمع الزكاة وإنفاقها التى تتطلب تفسيراً من المعصومين عليهم السـلام. وناهيك عما سبق فان هنالك بعض المسـتحدثات التى تستجد بفعل تقادم الزمان وا لتى ينبغى البحث عن جذورها واصولها فى كتاب اللّه من أجل إستنباط الأحكام، هنا لابـدّ من إرشادات المعصومين عليهم السـلام لتفادى الزلل. والجـدير بالذكر أنّ القرآن قد دعى الناس إلى الانفتاح على جميع العلوم وا لمعارف، وأمر بالرجوع إلى أهل الخبرة فى كل مسألة من المسائل.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۱۳

القسم الرابع: إغتنام الفرصة

اشارة

«فاسْتَدْرِكُوا بَقِيَّةَ أَيَّامِكُمْ، واصْبِرُوا لَهـا أَنْفُسَـكُمْ، فَإِنَّهَـا قَلِيـلٌ فِى كَثِيرِ الْأَيَّامِ الَّتِى تَكُونُ مِنْكُمْ فِيها الْغَفْلَـةُ، والتَّشاغُلُ عَنِ الْمَوْعِظَـةِ؛ ولا تُرَخِّصُوا لِأَنْفُسِكُمْ، فَتَذْهَبَ بِكُمُ الرُّخَصُ مَذاهِبَ الظَّلَمَةِ، ولا تُداهِنُوا فَيَهْجُمَ بِكُمُ الْإِدْهانُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ».

الشرح والتفسير

ما إن فرغ الإمام عليه السلام من الانذار والتحذير واتمام الحجة على الناس حتى خلص إلى هذه النتيجة المهمة

«فاستدركوا بقيّة أيّامكم، واصبروا لها أنفسكم»

ثم استدل عليه السلام على ذلك بالقول

«فإنّها قليلٌ فى كثير الْأيّام الّتى تكون منكم فيها الغفلة، التّشاغل عن الموعظة»

وحقاً أنّ الأمر كـذلك فلو انتبه الإنسـان إلى ساعـات عمره وأيـامه ولياليه لرأها قصـيرة، وعليه فلابـد من اليقظـة فى ما بقى من عمره والاسـتناد إلى سـلاح الصبر والاستقامة، وذلك لأنّ الحيطة والحذر من الغفلة تستلزم الصبر، إلى جانب كون الطاعة واجتناب المعصية هى الاخرى بحاجة إلى الصبر، فقد صرحت بعض الروايات الإسلامية بأنّ نسبة الصبر إلى الإيمان كنسبة الرأس إلى الجسد.[۶۶۷]

والعبارة

«تكون منكم فيها الغفلة»

بالفعل المضارع إشارة إلى أنّ هـذه الغفلـة لم تصـدر منكم فى الماضـى، فهى كـذلك فى الحاضـر، فجـدوا واجتهـدوا فى المسـتقبل لتدراك ما فرط منكم فى السابق. ثم تطرق عليه السـلام إلى نقطتين مهمتين تمثلان فى الواقع سبيلين خطرين من سـبل نفوذ الشـيطان؛ الأول:

«و لا ترخّصوا لأنفسكم، فتذهب بكم الرّخص مذاهب الظّلمة»

فالتجارب

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۱۴

تفيد أنّ أولئك الذين جاوزوا الحد فى المباحات والرخص قد هوى آخر الأمر فى مستنقع المحرمات. فقد شبهت بعض الروايات والأخبار المحارم بالغرق والمنطقة المحظورة ذات الحدود المعينة ثم شبهت النفس البشرية بالشاة التى ترعى عند تلك الحدود، حتى يلوح لها العلف فتندفع نحوه. فالإنسان قد يندفع بأقصى ما لديه لممارسة المباحات حتى تخدعه نفسه فاذا هو يقارف الخطيئة والمعصية. فقد قال الإمام على عليه السلام:

«والمعاصى حمى اللّه، فمن يرتع حولها يوشك أن يدخلها»[۶۶۸]

. وقد وردت التعبيرات القرآنية الرائعة التى تحذر من الاقتراب من تلك الحمى كقوله: «وَلا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ»[۶۶۹] و «وَلا تَقْرَبُوا الزِّنا»[۶۷۰] و وَلا تَقْرَبُوا الْفَواحِشَ ماظَهَرَ مِنْها وَمابَطَنَ»[۶۷۱].

فأفضل سبيل لمجانبة الذنب تكمن فى عدم الاقتراب منه، فلايوغل فى المباح خشية من السقوط بما بعده. والسبيل الثانى:

«و لا تداهنوا[۶۷۲] فيهجم بكم الإدهان على المعصية»

. المراد بالمداهنة هنا مماشاة الإنسان ومرونته لأحل الذنوب والمعاصى واظهار حالة من النفاق، فانّ من شأن هذا النفاق أنّ يقود الإنسان إلى مقارفة الذنب. وأحد المصاديق التى يمكن الإشارة إليها هنا ما تعارف بالحيل الشرعية واللجوء إلى بعض الأساليب التى تعدّ من الحلول الكاذبة لبعض المشاكل، حيث تنتهى بالإنسان فى خاتمة المطاف إلى الوقوع فى المعصية علانية، وهذا بدوره يعد من سبل الشيطان لجر الإنسان إلى الذنب والخطيئة. وأحياناً يخدع الإنسان نفسه ليقارب الذنب، كما يخدع أحياناً من قبل الآخرين للإتيان بالمعصية، وكلا الأمرين من مصاديق المداهنة. ومن هنا حذر الإمام عليه السلام من هذين السبيلين بغية غلق الابواب بوجه الشيطان وعدم الوقوع فى حبائله.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۱۵

طرق نفوذ الشيطان

أشار الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة إلى طرق نفوذ الشيطان فى قلوب الناس، ليؤكد على موضوعين مهمين بهذا الشأن. الأول المبالغة فى الاستفادة من الحرية وممارسة المباحات؛ وذلك لأن بعض المباحات تمثل الحد الأخير لحيز الذنب، بحيث يرد الإنسان هذا الحيز إذا ما اندفع أكثر من اللازم. فالإمام عليه السلام يحذر هنا من الاندفاع وراء هذه المباحات، حيث يخشى على مثل هذا الفرد أن يسلك سبيل الظلمة. ومن هنا نرى الدول والبلدان تعمد اليوم إلى تعيين حدودها لتشكل حزامها الامنى، ولايحق للأفراد أن يقتربوا لبضع كيلومترات من هذه الحدود، لأنّ الوصول إلى النقطة الحدودية قد يسول للإنسان إذا وصل حد الذنب، قد يبدو له سهلًا فتوسوس له نفسه لمقارفته. والطريق الثانى الذى ينفذ من خلاله الشيطان إلى الإنسان إنّما يكمن فى مداهنة أهل الذنوب والمعاصى ومجاملتهم على أعمالهم، إلى جانب حل بعض المعضلات من خلال الحيل الشرعية وما شابه ذلك. فعادة أهل المعاصى هى الاستخفاف بالذنب والمعصية وتصغيرها فى نظر الآخرين، كما أنّ الحيل الشرعية تقضى على فضاعة الذنب وشدته وتهتك الحجب المضروبة بينه وبين الإنسان، فقد جاء فى الخبر أنّ أميرَالمؤمنين على عليه السلام قال:

«من داهن نفسه هجمت به على المعاصى المحرمة».[۶۷۳]

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۱۷

القسم الخامس: من هو السعيد؟

اشارة

«عِبادَ اللَّهِ، إِنَّ أَنْصَحَ النَّاسِ لِنَفْسِهِ أَطْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ؛ وإِنَّ أَغَشَّهُمْ لِنَفْسِهِ أَعْصاهُمْ لِرَبِّهِ؛ والْمَغْبُونُ مَنْ غَبَنَ نَفْسَهُ، والْمَغْبُوطُ مَنْ سَلِمَ لَهُ دِينُهُ، «وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ». والشَّقِيُّ مَنِ انْخَدَعَ لِهَواهُ وغُرُورِهِ».

الشرح والتفسير

واصل الإمام عليه السلام حديثه بالنذر والتطرق لسبل نفوذ الشيطان، ليورد هنا بست عبارات قصيرة عظيمة كيفية العمل والخلاص، فقال بادئ ذى بدء:

«عباد اللّه، إنّ أنصح النّاس لنفسه أطوعهم لربّه»

ومعنى هذه العبارة أن لا يخدع الإنسان نفسه ولايكذب عليها ولايجعل من نقاط ضعفه عناصر قوة فى شخصيته ولايسدل استار عيبه ونقصه أمام نفسه، بل يتهم نفسه بكل إخلاص، فمثل هذا الإنسان يتجه لا محالة نحو الطاعة.[۶۷۴] ثم أشار فى العبارة الثانية إلى عكس ذلك فقال:

«و إنّ أغشّهم ۶۷۵] لنفسه أعصاهم لربّه»

. ومن الطبيعى أنّ الإنسان إذا خدع نفسه وأخفى عنها عيبه، تراءى له الذنب مباحا، بل قد يبدو له أحياناً أمرا واجباً، وهكذا تتوفر لديه الأرضية الخصبة لمقارفة الاثم والمعصية. وقال فى العبارة الثالثة:

«والمغبون من غبن نفسه»

فى إشارة إلى أن بعض الأفراد قد يخدعون هذا الإنسان ويغبنه فيسلبوه ما لديه، كما قد يرتكب الإنسان مثل العمل بحق نفسه فيخدعها فيفقد عناصر القوة

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۱۸

التى كان من المفترض أن تقوده نحو الفوز بالآخرة ونيل سعادتها وفلاحها. وقال فى العبارة الرابعة:

«والمغبوط من سلم له دينه»

. فالغبطة أن يتمنى الإنسان مالغيره من النعم، وعليه فالمغبوط هو المستحق لتطلع النفوس إليه والرغبة فى نيل مثل نعمته، فان جد واجتهد الإنسان وتمكن من الحفاظ على دينه وإيمانه فى ظل هذه الدنيا وتقلباتها فقد أحرز أعظم النعم الإلهية التى يجدر بالآخرين أن يغبطوه عليها. وعلى ضوء القاعدة الأدبية فان تقديم الخبر على المبتدأ يفيد الحصر، فالعبارة تفيد أن الغبطة لا تكون سوى تجاه من حفظ دينه وإيمانه ازاء حوادث الدهر ومكاره الدنيا، لاتجاه من ينال بعض المقامات ويجبى الأموال والثروات وسائر الإمكانات المادية الآيلة إلى الفناء والزوال. وقال فى العبارة الخامسة:

«والسّعيد من وعظ بغيره».

فمما لاشك فيه أنّ الحوادث المريرة والتجارب القاسية تعد وسيلة لليقظة ومصدرا لنصيحة الإنسان ووعظه، ولكن ما أروع أن يستفيد من تجارب الآخرين ويتعظ بمصيرهم دون أن يرتكب بعض الاخطاء التى قد تلهمه بعض التجربة، فكأنى بهذا الفرد كذلك المنزل الذى جاور حديقة غناء وكان يعمل فيها الآخرين بينما يصله نسيمها ورائحتها الزاكية. ولما كان مصير الأفراد فى حياتهم متشابه فى الغالب، وبعبارة اخرى

«التأريخ يعيد نفسه»

فلكل فرد أن يرى جانبا من مصيره فى حياة الآخرين. وبناءاً على هذا فليس هنالك من يستثنى من هذه العبارة ولايعتبر بحياة الآخرين. هذا وقد ذهب بعض شرّاح نهج‌البلاغة إلى أن العبارة

«والسّعيد من وعظ بغيره»

تعد مثلًا من الأمثال المعروفة فى الأدب العربى ۶۷۶]. بينما عدها ابن أبى‌الحديد من الأمثال النبوية.[۶۷۷] ثم اختتم الخطبة بما يقابل العبارة السابقة قائلًا:

«والشّقىّ من انخدع لهواه وغروره»

. واضح أنّ الإنسان يلام إذا خدع من قبل الآخرين، إلّاأنّه يكون أكثر ملامة إذا انخدع بهوى نفسه، وذلك لأنّه أحرق سعادته بنفسه.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۱۹

مواطن السعادة لدى الإنسان

من ضمن الأهداف التى تضمنتها الخطبة أنّ الإمام عليه السلام أشار إلى أنّ مقومات سعادة الإنسان وفلاحه كامنة فى باطنه، لا أن ترد عليه من الخارج. فهو الذى يخدع نفسه، وهو الذى يغبنها وهو الذى يسعه خلق سعادته، وأخيراً هو الذى يفوز بالآخرة بعد أن ينتصر على نفسه ويتغلب على أهوائها وشهواتها. والكلام يصدق على الفرد، كما يصدق على المجتمع؛ فأغلب الأفراد لاسيما فى عصرنا الراهن ينسبون عوامل البؤس والشقاء إلى الخارج، فيخدعون أنفسهم ويغلقون عليها سبل النجاة، والحال لابدّ من إقتفاء آثار هذه الأزمات فى الذات والروابط الاجتماعية والأهواء النفسية والفرقة والشقاق والنفاق والحسد وسائر الأمراض المقيتة. وكفى بهذه الخطبة سبيلًا لسعادة الإنسان حتى لو لم تتضن سوى هذا الهدف العظيم.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۲۱

القسم السادس: الصفات والذميمة

اشارة

«وَ اعْلَمُوا أَنَّ «يَسِيرَ الرِّياءِ شِرْكٌ» ومُجالَسَةَ أَهْلِ الْهَوَى مَنْساةٌ لِلْإِيمانِ، ومَحْضَرَةٌ لِلشَّيْطانِ. جانِبُوا الْكَذِبَ فَإِنَّهُ مُجانِبٌ لِلْإِيمانِ. الصَّادِقُ عَلَى شَفَا مَنْجاةٍ وكَرامَةٍ، والْكاذِبُ عَلَى شَرَفِ مَهْواةٍ ومَهانَةٍ. لاتَحاسَدُوا، فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْإِيمانَ «كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ»؛ «وَ لا تَباغَضُوا فَإِنَّهَا الْحَالِقَةُ»؛ واعْلَمُوا أَنَّ الْأَمَلَ يُسْهِى الْعَقْلَ، ويُنْسِى الذِّكْرَ، فَأَكْذِبُوا الْأَمَلَ فَإِنَّهُ غُرُورٌ، وصَاحِبُهُ مَغْرُورٌ».

الشرح والتفسير

يختتم الإمام عليه السلام خطبته بالتحذير من ست رذائل (الرياء، مجالسة أهل الهوى الكذب، الحسد، التباغض وطول الأمل)، إلى جانب الإشارة لما تختزنه كل رذيلة من أضرار، فقال عليه السلام:

«و اعلموا أنّ يسير الرّياء شركٌ»

لأنّ المرائى يقوم بالعمل رضا للعباد وتظاهراً بالاحسان من أجل لفت إنتباه الآخرين، ليطلب العزة من أقرانه الضعفاء العجزة بدلًا من طلبها من منبعها:

«وَتُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشاءُ»[۶۷۸] وهذا شرك يتناقض وتوحيد الأفعال. وقد تظافرت الروايات والأخبار التى صرحت بأنّ المرائى ينادى يوم القيامة:

«يا كافر! يا فاجر! يا غادر! يا خاسر! حبط عملك وبطل أجرك، فلا خالص لك اليوم، فالتمس أجرك ممن كنت تعمل له»[۶۷۹]

أضف إلى ذلك فانّ المرائى ولتناقض ظاهره وباطنه فهو فى زمرة المنافقين، ولهذا فانّ النفاق

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۲۲

يحيل أعماله إلى قشور لالب فيها. فقد ورد فى الحديث عن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله إنّه قال:

«سيأتى على الناس زمان تخبث فيه سرائرهم، وتحسن فيه علانيتهم، طمعاً فى الدنيا، لايريدون بها ما عند ربّهم، يكون دينهم رياءاً؛ «يخالطهم خوف، يعمهم اللّه بعقاب، فيدعونه دعا الغريق، فلايستجيب لهم»[۶۸۰]

وبالطبع فان أفضح الناس إذا وضعت موازين القيامة هم أهل الرياء. ثم أورد الرذيلة الثانية:

«ومجالسة أهل الهوى منساةٌ[۶۸۱] للإيمان، ومحضرةٌ[۶۸۲] للشّيطان»

لأنّ الهوى لايعرف الحدود والقيود فيملأ كيان الإنسان ويستهلك فكره فلا يدع من مجال للإيمان، ومن الطبيعى أن يكون مثل هذا المجلس محضرا الشياطين. ومخالطة الآخرين على درجة من الأهمية بحيث ورد عن رسولاللّه صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«المرء على دين خليله وقرينه»[۶۸۳]

. وجاء فى المثل المعروف:

«قل لى من تعاشر، أقل لك من أنت»[۶۸۴]

. ثم حذر عليه السلام من رذيلة الكذب:

«جانبوا الكذب فإنّه مجانبٌ للْإيمان»

فالمفردة جانبوا تفيد أنّ الكذب على درجة من الخطورة بحيث يجب على الإنسان أن يبتعد عنه ولايقترب، حذراً من أن تتفاذفه الوساوس فتلقيه فى الهاوية. والعبارة:

«مجانبٌ للإيمان»

لاتفيد أنّ الكذب لاينسجم والإيمان فحسب، بل هو شديد البعد عنه، لأن الكاذب إنما يكذب عادة لجلب منفعة أو دفع ضرر أو بدافع من هوى النفس، والحال يعلم المؤمن أنّ كل هذه الامور بيداللّه، كما يؤمن بانّ الهوى نوع من الوثنية. وشاهد ذلك الجملة اللاحقة التى بينها الإمام عليه السلام تأكيدا للعبارة السابقة فقال:

«الصّادق على شفا[۶۸۵] منجاةٍ وكرامةٍ، والكاذب على شرف مهواةٍ[۶۸۶] ومهانةٍ».

ثم قال محذراً من الرذيلة الرابعة:

«ولاتحاسدوا، فإنّ الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النّار الحطب»؛

لأنّ

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۲۳

الحسود فى الواقع يعترض على نظام الخليقة واغداق اللّه لنعمه على العباد؛ الأمر الذى لاينجسم والإيمان، أضف إلى ذلك فليس للحسود أن يرى سعادته فى سلب نعم الآخرين، ولو كان مؤمناً باللّه لسأل اللّه مثل هذه النعم. ثم حذر عليه السلام من البغض والعداء

«و لا تباغض وا فإنّها الحالقة»

. الحالقة من مادة حلق (وبالنظر إلى حذف متعلقها) تفيد أن الخصومة والتباغض إنّما تجتث أصول الخير والسعادة من جذورها؛ ولا غرو لأنّ جذور الخير تتمثل بالتعاون والتعاضد بين أفراد المجتمع مع بعضهم البعض الآخر. وأخيراً من الرذيلة السادسة المتمثلة بطول الأمل فقال عليه السلام:

«و اعلموا أنّ الأمل يسهى العقل، ينسى الذّكر، فأكذبوا الأمل فإنّه غرورٌ، وصاحبه مغرورٌ»

فالواقع هو أنّ طول الأمل يغرق الإنسان فى عالم من الوهم والخيال ويجعله يدور حول محور الامور المادية، وهذا من أعظم العقبات التى تعترض سبيل السعادة، وقد دلت التجارب على أنّ أغلب الأفراد الذين يرتكبون أبشع الجرائم إنما هم ممن ابتلوا بهذه الرذيلة- طول الأمل- التى عدها رسولاللّه صلى الله عليه و آله وأميرَالمؤمنين عليه السلام فى مصاف عبادة الهوى ومن أخطر عقبات السعادة.

المواعظ البالغة

لقد تضمنت هذه الخطبة وعلى الرغم من قلة عبارتها العديد من الامور المعنوية من قبيل مفهوم التوحيد وعبودية اللّه والاهتمام بالكتاب- القرآن الكريم- وما ورد فيه من تعاليم قيمة، إلى جانب التحذيرات التى تهدف إلى تنبيه الإنسان إلى مصيره وعاقبته. كما تطرقت إلى المسائل الأخلاقية المهمّة التى تعد الركن الركين لسعادة الإنسان المادية والمعنوية، كاجتناب الشرك والكذب والحسد والعداوة والبغضاء وطول الأمل، ثم أوورد الدليل والبرهان المنطقى الذى يكشف اللثام عن أضرار كل رذيلة من هذه الرذائل. الحق لو تأمل الإنسان هذه الخطبة كل يوم وفكر قليلًا فى عبارتها وعقد العزم على الالتزام بها لبلغ بنفسه شاطئ السلامة والأمان.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۲۵

الخطبة[۶۸۷] السابعة و الثمانون

اشارة

ومن خطبة له عليه السلام

وهى فى بيان صفات المتقين وصفات الفساق والتنبيه إلى مكان العترة الطيبة والظن الخاطىء لبعض الناس

نظرة إلى الخطبة

تتالف الخطبة فى الواقع من خمسة أقسام، أربعة منها متصلة، بينما ينفصل عنها الجزء الخامس بما له من مفهوم خاص، وهذا ما يفيد أنّ السيد الرضى (ره) قد حذف بعض الأقسام من الخطبة. والأقسام الخمسة هى:

القسم الأول: بيان صفات العلماء العاملين ممن شملتهم العناية الإلهية فاستشعروا التقوى والورع وابعدوا عن أنفسهم الأهواء والشهوات واهتدوا إلى ربّهم.

القسم الثانى: بيان صفات علماء السوء الذين اقتبسوا جهلًا من جهالّ وضلالا من ضلّال فضلوا وأضلوا.

القسم الثالث: تحذير الناس من الضلال والاتجاه نحو الجهال، والحال فيهم عترة النبى صلى الله عليه و آله منابع العلم ومعادن الحكمة.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۲۶

القسم الرابع: الاشارة إلى بعض كلمات النبى صلى الله عليه و آله بشأن أهل‌البيت عليه السلام، كما يستدل على كلامه بحديث الثقلين المتواتر المعروف لدى جميع المسلمين.

القسم الخامس: إشارة إلى الظن الباطل بأنّ الدنيا دائمة لبنى‌أمية، والأخبار عن سقوط دولتهم وزوال ملكهم، وكما أشرنا سابقاً فانّ هذا القسم لاعلاقة له بما سبقه من أقسام، ومن الواضح أنّه هناك بعض الأقسام التى حذفها السيد الرضى (ره) من الخطبة.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۲۷

القسم الأول: أحب العباد إلى اللّه

اشارة

«عِبادَ اللَّهِ! إِنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبادِ اللَّهِ إِلَيْهِ عَبْداً أَعانَهُ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ، فاسْتَشْعَرَ الْحُزْنَ، وتَجَلْبَبَ الْخَوْفَ؛ فَزَهَرَ مِصْباحُ الْهُدَى فِى قَلْبِهِ، وأَعَدَّ الْقِرَى لِيَوْمِهِ النَّازِلِ بِهِ، فَقَرَّبَ عَلَى نَفْسِهِ الْبَعِيدَ، وهَوَّنَ الشَّدِيدَ. نَظَرَ فَأَبْصَرَ، وذَكَرَ فَاسْتَذْكَرَ، وارْتَوَى مِنْ عَذْبٍ فُرَاتٍ سُهِّلَتْ لَهُ مَوَارِدُهُ، فَشَرِبَ نَهَلًا، وسَلَكَ سَبِيلًا جَدَداً، قَدْ خَلَعَ سَرابِيلَ الشَّهَواتِ، وتَخَلَّى مِنَ الْهُمُومِ، إِلَّا هَمّاً واحِداً انْفَرَدَ بِهِ، فَخَرَجَ مِنْ صِفَةِ الْعَمَى،

ومُشارَكَةِ أَهْلِ الْهَوَى، وصارَ مِنْ مَفاتِيحِ أَبْوابِ الْهُدَى، ومَغالِيقِ أَبْوابِ الرَّدَى، قَدْ أَبْصَرَ طَرِيقَهُ، وسَلَكَ سَبِيلَهُ، وعَرَفَ مَنارَهُ، وقَطَعَ غِمارَهُ، واسْتَمْسَكَ مِنَ الْعُرَى بِأَوْثَقِها، ومِنَ الْحِبالِ بِأَمْتَنِها، فَهُوَ مِنَ الْيَقِينِ عَلَى مِثْلِ ضَوْءِ الشَّمْسِ».

الشرح والتفسير

إستهل الإمام عليه السلام خطبته- كما أشرنا إلى ذلك سابقا- بذكر صفات أولياء اللّه والسالكين إليه، بالشكل الذى جعل ابن أبى‌الحديد يصرح فى شرحه قائلًا:

«واعلم أن هذا الكلام منه أخذ أصحاب علم الطريقة والحقيقة علمهم، وهو تصريح بحال العارف ومكانته من اللّه تعالى»[۶۸۸]

. ويرى البعض أنّ الإمام عليه السلام قد عرف نفسه بهذه العبارات؛ لأنّ العرفان درجة حال رفيعة شريفة جداً، لاتناسب إلّاأمثاله عليه السلام، والأنسب أن يقال بأنّ بيان الإمام عليه السلام استهدف

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۲۸

شرح الصفات الكلية للكاملين من العرفاء وأصحاب السلوك إلى اللّه، حيث يتمثل مصداقهم به وزوجه والمعصومين من ولده عليه السلام. والجدير بالذكر أنّ الإمام عليه السلام لم يترك جانباً من الجوانب المهمّة لحال الإنسان الكامل حتى ذكر له أربعين صفة. فقد إستهل كلامه قائلًا:

«عباد اللّه! إنّ من أحبّ عباد اللّه إليه عبداً أعانه اللّه على نفسه»،

فالعبارة تشير إلى نقطة مهمة وهى أنّ إجتياز هذا الطريق ليس ميسراً لأحد- دون عناية اللّه- وذلك لعظم المخاطر والمطبات التى يتعذر على الإنسان عبورها بقوته المتواضعة، فليس أمامه سوى التوكل على اللّه وتسليم اموره إليه ليستلهم العون من مصدر فيضه ولطفه الذى لاينضب، وهذا ما أشار إليه القرآن بالقول: «وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ما زَكى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً»[۶۸۹]. ومن الواضح أنّ ألطاف اللّه سبحانه وتفضلاته ليست قائمة على العبث، بل لابدّ من نيلها بواسطة التسليم المطلق وحمل القلوب إليه وعدم إسكانها غيره. ثم خاض الإمام عليه السلام فى بيان نتيجة هذا اللطف قائلًا:

«فاستشعر الحزن، وتجلبب الخوف»

استثعر من مادة شعار مايلى البدن من اللباس، وجعل الحزن بمنزلة الشعار يعنى أنّ مثل هؤلاء الأفراد المؤمنين إنّما يعيشون الحزن فى باطنهم على ما مضى من أيام عمرهم ولم يجدوا فيها كما ينبغى لطاعة معبودهم، وبالطبع فانّه حزن بناء يسوقهم نحو العمل والحركة لتدارك مافاتهم. تجلبب من مادة جلباب ما يكون فوق جميع الثياب وتجلبب الخوف إشارة إلى أنّ هؤلاء الأفراد المخلصين يراقبون أنفسهم على الدوام، حذرين من صدور الزلل وما من شأنه أن يخرجهم من زمرة المخلصين والسعداء. كما يحتمل أن يكون حزنهم بسبب فراق المحبوب وخوفهم من عدم الوصال. ثم خاض الإمام عليه السلام فى نتيجة هذا الحزن والخوف البناء:

«فزهر مصباح الهدى فى قلبه، وأعدّ القرى ۶۹۰] ليومه النّازل به»

وزهور مصباح الهداية إشارة إلى تلألأ أنوار المعارف الإلهية فى قلوبهم يتذوقون بها حلاوة الإيمان: «وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ»[۶۹۱] والتعبير بالقرى الذى يعنى الوسيلة المعدة للضيوف يشير إلى أن يوم الأجل أو القيامة الذى يمثل ذروة الخشية والخوف لايعنى لهم سوى

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۲۹

ورود الضيف على المضيف الكريم، وكأنّهم كالشهداء ضيوف الرحمن الذين يرتزقون من فضل إحسانه: «بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ»[۶۹۲]. ثم قال عليه السلام:

«فقرّب على نفسه البعيد، وهوّن الشّديد»

أى يرى قرب الأجل والقيامة التى يحسبها الأعم الأغلب بعيدة، ولذلك سهل عليه تحمل الشدائد وصعوبات الطاعة وترك الذنوب

والمعاصى. ثم تطرق عليه السلام إلى خمسة امور يختزن كل واحد منها صفة من صفات هؤلاء العباد من أهل الاخلاص والعرفان فقال عليه السلام:

«نظر فأبصر، وذكر فاستذكر، وارتوى ۶۹۳] من عذبٍ فراتٍ ۶۹۴] سهّلت له موارده، فشرب نهلًا،[۶۹۵] وسلك سبيلًا جدداً»[۶۹۶]

فقد تضمنت هذه العبارات القصيرة البعيدة المعانى الإشارة من جانب إلى أهمية التفكر والنظر إلى عالم الوجود ومسائل الحياة التى تشكل أساس البصيرة الكاملة ومعرفة اللّه، كما أشارت من جانب آخر إلى المداومة على ذكر اللّه التى تؤدى إلى إحياء القلوب وإطمئنانها: «أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ»[۶۹۷] ثم أشار إلى الارتواء من منبع الوحى وكلمات المعصومين عليهم السلام ليتزودوا منهم فيسيروا على الطريق ويحثوا الخطى نحو قرب الحبيب والفوز بوصاله. ثم تطرق عليه السلام إلى ستة أوصاف لتهذيب نفس اولئك العباد المخلصين موضحاً معطياتها وآثارها فقال عليه السلام:

«قد خلع سرابيل الشّهوات، وتخلّى من الهموم، إلّا همّاً واحداً انفرد به، فخرج من صفة العمى، ومشاركة أهل الهوى، وصار من مفاتيح أبوابالهدى، ومغاليق أبواب الرّدى»

نعم فان هجر الشهوات وتصويب العين صوب مبدأ عالم الوجود وتنقية القلب إنّما يفتح بصيرة الإنسان، فلايصبح ذلك الإنسان سالكاً لسبيل الحق فحسب، بل يكون دليلًا ورائداً للطريق، ثم يودعه اللّه مفاتيح الهداية أقفال الضلالة

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۳۰

وأبواب النيران، فيفتح طريق الحق لسالكيه ويغلق باب جهنم بوجه العباد. ثم أشار عليه السلام إلى ست صفات اخرى فقال:

«قد أبصر طريقه، وسلك سبيله، وعرف مناره، وقطع غماره،[۶۹۸] استمسك من العرى ۶۹۹] بأوثقها، ومن الحبال بأمتنها، فهو من اليقين على مثل ضوءالشّمس»

فالواقع أنّ الصفات الست السابقة أكدت على الجوانب العملية، بينما أضيفت لها هنا الجوانب العقائدية، فالخروج من صفة العمى وطرح حجب الهوى والظفر بسبيل الحق وطرق المعرفة وتجاوز بحار الشهوات والتمسك بعرى الهداية المتمثلة بالقرآن الكريم وكلمات المعصومين والراسخين فى العلم، إنّما تجعل هذا العبد المخلص يبلغ مقام حق اليقين، فيرى الحقائق بأم عينه، بل تمثل له كالشمس فى رابعة النهار، وهذه أعظم نعمة يصيبها العبد وأكرم ثواب يمنحه السالكين إلى اللّه. وقد جرى الكلام سابقا عن سلوك السبل القويمة المحكمة:

«سلك سبيلًا جددا»

كما كان هناك الانفتاح على الحقائق:

«نظر فأبصر»

ثم تكرر هذا الأمران بعبارة أخرى فقال عليه السلام:

«قد أبصر طريقه وسلك سبيله»

، ولكن وكما ذكرنا آنفا فقد ورد الحديث فى السابق عن الجوانب العملية، بينما جاء الكلام هنا عن الأبعاد العلمية؛ أى أنّ معرفة الطريق وسلوك السبيل المطمئن ضرورى فى المرحلتين.

أفضل النعم

أشار الإمام عليه السلام فى هذا القسم من خطبته إلى أساس مطلق السعادات ودافع الإنسان إلى كافة الصالحات، وما يسهل عليه تحمل الشدائد والصعاب، ويحيله بالتالى إلى كائن يأبى القهر والانهزام، وقد عبر عنه فى موضع:

«فظهر مصباح الهدى فى قلبه»،

وفی موضع آخر:

«فهو من الیقین علی مثل ضوء الشمس»

ألاـ وهو مقام الیقین؛ وهو علی مراتب، صنفها القرآن الکریم إلی علم الیقین وعین الیقین وحق الیقین، وبالطبع فانّ حق الیقین تمثل المرحلة الأخیرة،

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۳۳۱

وهی مرحلة شهود الإنسان الکاملی لعالم الغیب علی غرار مشاهدته لضوء الشمس، وهی المرحلة التی بلغها أمیرالمؤمنین علی علیه السلام حین قال:

«لو کشف لی الغطاء ما ازددت یقینا»[۷۰۰]

وقد جاء فی الحدیث أن النبی صلی الله علیه و آله قال:

«ألا إنّ الناس لم یعطوا فی الدنیا شیئا خیراً من الیقین والعافیة، فاسئلوهما اللّه»[۷۰۱].

وقال أمیرالمؤمنین علی علیه السلام:

«ما أعظم سعادة من بوشر قلبه ببرد الیقین»[۷۰۲]

. ومن الطبیعی أنّ الوصول إلی هذا المقام یتطلب من الإنسان إجتیاز طریق صعب شائک بحیث لایغفل طرفة عین فیه عن اصلاح نفسه وتهذیبها، ویشفع أولیاءاللّه فی نفسه ویلهج قلبه قبل لسانه ببعض ما ورد فی الأدعیة الشعبانیة:

«إلهی هب لی کمال الانقطاع إلیک، ونر أبصار قلوبنا بضیاء نظرها إلیک، حتی تخرق أبصار القلوب حجب النور، فتصل إلی معدن العظمة، وتصیر أرواحنا ملعقة بعز قدسک».

کثیر وطویل هو الکلام فی الیقین. ونکتفی بحدیث عن أمیرالمؤمنین علی علیه السلام فی کیفیة الوصول إلی الیقین، فقد قال علیه السلام:

«أین الموقنون؟

الذین خلعوا سرابیل الهوی، وقطعوا عنهم علائق الدنیا».[۷۰۳]

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۳۳۳

القسم الثانی: خصائص المخلصین

اشارة

«قَدْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلَّهِ- سُبْحانَهُ- فِی أَرْفَعِ الْأُمُورِ، مِنْ إِصْدارِ کُلِّ وارِدٍ عَلَیْهِ، وتَصْییرِ کُلِّ فَرْعٍ إِلَی أَصْلِهِ، مِصْباحُ ظُلُماتٍ، کَشَّافُ عَشَواتٍ خشوات مِقْفالُ مُبْهَماتٍ، دَفَّاعُ مُعْضِلاتٍ، دَلِیلُ فَلَواتٍ، یَقُولُ فَیُفْهِمُ، یَسْکُتُ فَیَسْلَمُ، قَدْ أَخْلَصَ لِلَّهِ فاسْتَخْلَصَهُ، فَهُوَ مِنْ مَعادِنِ، دِینِهِأَوْتادِ أَرْضِهِ، قَدْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ الْعَدْلَ، فَکانَ أَوَّلَ عَدْلِهِ نَفْیُ الْهَوَی عَنْ نَفْسِهِ، یَصِفُ الْحَقَّ ویَعْمَلُ بِهِ، لا یَدَعُ لِلْخَیْرِ غایَةً إِلَّا أَمَّها، ولا مَظِنَّةً إِلَّا قَصَدَها، قَدْ أَمْکَنَ الْکِتابَ مِنْ زِمامِهِ، فَهُوَ قائِدُهُ وإِمامُهُ، یَحُلُّ حَیْثُ حَلَّ ثَقَلُهُ، وَیَنْزِلُ حَیْثُ کانَ مَنْزِلُهُ».

الشرح والتفسیر

تطرق الإمام علیه السلام فی هذا المقطع من الخطبة إلی نقطة مهمة مکملة للقسم السابق، وهی أنّ العبد المخلص للّه- الذی دار الحدیث عنه سابقاً- بعد أن یتم مرحلة تهذیبالنفس والوصول إلی المقامات العالیة فی العلم والعمل والتقوی یهب لهدایة الخلق ویصبح رائدا علی الطریق لینجی الناس من ظلمات الجهل والوهم والضلال. فالواقع أنّ مثل هذا العبد ما إن یجتاز مرحلة السیر إلی

الحق وفى الحق حتى يستأنف مرحلة السير إلى الخلق فينهض بعبئ تبليغ الرسالة التى حمل مشعلها الأنبياء. فقد قال عليه السلام:

«قد نصب نفسه للّه- سبحانه- فى أرفع الأمور»،

آنذاك خاض الإمام عليه السلام فى شرح هذه الوظائف بعبارات قصيرة بعيدة المعانى فقال:

«من إصدار كلّ واردٍ عليه، وتصيير كلّ فرعٍ إلى أصله»،

فالعبارة تشير إلى نقطة مهمّة وهى أنّ هذا العبد العالم المخلص قد إنطوى على إحاطة بعلوم الدين وأحكامه إلى درجة

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۳۴

جعلته قادراً على الرد على كل ما يطرح من سؤال وإستفسار. كما تتضمن العبارة تلميحاً إلى عدم وجود سؤال فى الدين لايحمل جواباً، كما ليس هنالك من مشكلة فى المعارف الإلهية والأحكام الفرعية دون حلول؛ الأمر الذى أكده رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله فى خطبته المعروفة فى حجةالوداع، إذا قال:

«يا أيها الناس! واللّه ما من شئ يقربكم من الجنّة، ويباعدكم من النار، إلا وقد أمرتكم به، وما من شئ يقربكم من النار، ويباعدكم من الجنّة، إلا وقد نهيتكم عنه»[۷۰۴]

، وهو ما تعارف فى فقه الإمامية بعنوان:

«ليس هنالك من واقعة إلّاوللّه فيها حكم».

والعبارة

«تصيير كل فرع إلى أصله»

تشير فى الواقع إلى التعريف الذى ذكره علماء الدين للاجتهاد والاستنباط، حيث صرحوا بأن حقيقة الاجتهاد هى:

«رد الفروع إلىالاصول»؛

أى الاجابة على كل فرع بالاستفادة من القواعد والاصول الكلية المستقاة من الكتاب والسنة ودليل العقل، والمجتهد من يعلم بأنّ الفرع لأىأصل يعود. كما تشير العبارة ضمنياً إلى فتح باب الاجتهاد فى كل مكان وزمان، وقد بينت شرائط المجتهد من حيث العلم والعمل فى الابحاث السابقة. ثم قال عليه السلام:

«مصباح ظلماتٍ، كشّاف عشواتٍ ۷۰۵] مفتاح مبهماتٍ، دفّاع معضلاتٍ، دليل فلواتٍ»[۷۰۶].

فقد كشف الإمام عليه السلام بهذه الصفات الخمس كيف يخترق هذا العبد المخلص الورع والمتقى حجب الجهل الظلمانية، فيكشف ما خفى من المعارف، ويفتح أقفال الغوامض والمبهمات ويحل مشاكل الناس، كما يهدى الناس إلى الحق والنجاة فى صحراء الحياة المليئة بالحيرة والضلالة وخشية الوقوع فى مخالب اللصوص وقطاع الطرق. ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه بالحديث عن خمس صفات اخرى لهذا العالم الربانى فقال:

«يقول فيفهم، ويسكت فيسلم»

. نعم كلامه هادف، وسكوته هو الآخر هادف أيضاً، فهو يتكلم حيث لابدّ من الكلام، بينما يسكت حين يخشى الذنب والمعصية من جراء الكلام، فكلامه وسكوته للّه ولايهدف فيها سوى رضاه. فالحق إننا نعرف بعض الأفراد الذين يسعون جاهدين لاحاطة

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۳۵

ما يقولون ويكتبون بهالة من التعقيد والابهام ليفهموا الآخرين بمستواهم العلمى، والحال لايجنى القارئ أو المستمع سوى المفاهيم المغلقة التى لاجدوى من ورائها؛ أمّا العلماء المخلصون فلا يصابون بهذه الأمراض، فهم لايرومون من كلامهم سوى هداية الطرف المقابل، أمّا سكوتهم فلا يستند إلى الهروب من المسؤولية والخلود إلى الراحة والدعة، بل لايرومون من سكوتهم سوى السلامة من الخطيئة والاثم ومجانبة الهوى ومعصية اللّه. ثم أشار عليه السلام إلى مقام هذا العارف الإلهى فقال:

«قد أخلص للّه فاستخلصه»،

يمكن أن تكون هذه العبارة إشارة إلى نقطة لطيفة وهى أنّ الشوائب الأخلاقية للإنسان على قسمين: قسم قابل للرؤية ويمكن التغلب عليه من خلال الجهاد الأكبر وإصلاح النفس، بينما يتعذر رؤية القسم الآخر. واللّه سبحانه فى عون من ينتصر فى المرحلة الاولى وقد صورت الروايات الإسلامية الشرك بأعظم صورة حيث قالت:

«إنّ الشرك أخفى من دبيب النمل، على صفاة سوداء، فى ليلة ظلماء»[۷۰۷]

. ومن الطبيعى أن تطهير القلب من هذا الشرك لايبدو سهلًا إلّافى ظل العناية الإلهية. ثم أردف الإمام عليه السلام تلك الصفات الثلاث بصفتين فقال:

«فهو من معادن، دينه وأوتاد عرضه»،

نعم من خلص كيانه من كل الجوانب وكان عمله هو التربية والتعليم فهو بمنزلة المعدن الذى لايفنى والذى تستخرج منه المجوهرات والفلزات الثمينة، وهو كالجبل الراسخ الذى لاتزعزعه عواصف الشرك ورياح الذنوب والمعاصى والوساوس والمكائد الشيطانية التى تتقاذف الإنسان وتلقى به فى مهالك الردى وقد عبر عنه القرآن الكريم بوتد الأرض الذى يحفظها من الزلازل: «ألم نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهاداً* وَالجِبالَ أَوْتاداً»[۷۰۸] وتشبيه هذا العالم الربانى والعبد المخلص بالجبل الى يمثل وتد الأرض تفيد عظم بركته على المجتمع الإسلامى.

فمثل هذا الفرد هو الذى يحفظ المجتمع الإسلامى من عواصف الانحراف والفساد. ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه بالإشارة إلى أربع صفات اخرى من صفات هذا العالم الربانى فقال:

«قد ألزم نفسه العدل، فكان أوّل عدله نفى الهوى عن نفسه»

فنحن نعلم بأنّ حقيقة العدل الخلقى أن تكون كافة صفات ومميزات الفرد منسجمة وحد الاعتدال والاتزان، بحيث لاتنطوى

شخصيته على الرغبات المفرطة التى تسوقه إلى الهوى إلى جانب عدم الانزواء والتقوقع عن الدنيا، فلابد له أن يستسيغ الحلال ويمج الحرام ويسلك خط الاعتدال. فالعبارة

«أول عدله ...»

تفيد انطلاقه فى العدل من ذاته، والحق أنّه مالم يكن كذلك فليس لكلامه من أثر فى الآخرين فى الدعوة إلى العدالة. ثم قال فى الصفة الثانية

«يصف الحقّ ويعمل به»

فان كان نصيرا للحق لم يقتصر ذلك على لقلقة اللسان، بل كانت دعوته ونصرته للحق على مستوى السلوك والأفعال قبل اللسان والأقوال، وذلك لأنّ كلامه النابع من إيمانه واعتقاده إنّما ينعكس مباشرة على سلوكه وتصرفه، ولولا ذلك الانعكاس لأفاد الأمر عدم إيمان ذلك الفرد بما يقول. ثم قال عليه السلام فى الصفة الثالثة:

«لا يدع للخير غايةً إلّا أمّها، ولا مظنّةً إلّا قصدها»

انه طالب كل خير وإحسان وسعادة، بل يقتفى آثار حتى تلك الحالات التى يرتجى من وراءها خيراً، فهو عاشق للخير وكأنّه ذلك الفرد الذى يبحث عن ضالته النفيسه، فهو لاينفك عن مطاردتها هنا وهناك. وقال فى الصفة الرابعة

«قد أمكن الكتاب من زمامه، فهو قائده وإمامه، يحلّ حيث حلّ ثقله،[۷۰۹] وينزل حيث كان منزله»

وهكذا يرى هذا العبد المخلص نفسه مكلّفاً بهداية الناس منطلقاً قبل ذلك من إصلاح نفسه واجتثاث جذور الهوى من أعماقها؛ فلسانه يصدع بالحق دائماً، كما يعمل بهذا الحق إلى جانب سعيه الدؤوب خلف الصالحات وأعمال الخير، والأهم من كل ذلك أنّه

جعل القرآن إمامه الذى يقوده حيث شاء فقد فوض إليه كافة اموره، فكانت سكناته وحركاته مستندة إلى القرآن.

تأمّلان

۱- فتح باب الاجتهاد

يرى أتباع مدرسة أهل‌البيت عليهم السلام أنّ باب الاجتهاد واستنباط الأحكام الشرعية من

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۳۷

أدلتها المعروفة (الكتاب والسنة والإجماع والعقل) مفتوح على الدوام؛ الأمر الذى رقى بالفقه الإسلامى وأخذ بيده نحو الكمال. بينما نعلم أنّ فريقاً من المسلمين قد ذهب إلى غلق باب الاجتهاد، ليحصره ويجعله حكراً على الأئمة الأربع! رغم عدم قلّة الأفراد الذين كانوا يفوقونهم علماً فى الأمة الإسلامية، فالواقع ليس هنالك من دليل يدعو إلى حصر الاجتهاد فى ذلك العدد المذكور. فى حين تحدث الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة عن خصائص المسلم المخلص العالم وفى مقدمتها إجتهاده فى أحكام الدين فقال:

«قد نصب نفسه للّه- سبحانه- فى أرفع الأمور، من إصدار كلّ واردٍ عليه، وتصيير كلّ فرعٍ إلى أصله، مصباح ظلماتٍ، كشّاف عشواتٍ مقفتاح مبهماتٍ، دفّاع معضلاتٍ»

كما أشار ضمنياً فى عدة مواضع من هذه الخطبة إلى الشرائط التى ينبغى توفرها فى الفقيه المجتهد، والتى تدل على أن الفقيه لايتصدى لهذه المسؤولية الخطيرة مالم تكن له رابطة خالصة بالحق سبحانه وتعالى وهذا وقد تناولنا فى شرحنا للخطبة الثامنة عشرة فى المجلد الأول أهمية الاجتهاد وفتح بابه أمام العلماء، إلى جانب الحديث عن الاضرار الفادحة التى أفرزتها فكرة الاعتقاد بغلق باب الاجتهاد من قبل فقهاء العامة.

۲- شمولية القرآن

لقد أشار الإمام عليه السلام كراراً ومراراً فى أغلب خطب نهج‌البلاغة إلى أهمية القرآن الكريم، فكان يتناول أحد الأبعاد فى كل خطبة. وقد تحدث فى هذه الخطبة عن خصائص العبد المخلص، فكان من بينها تسليمه المطلق لكلام اللّه، بحيث جعل القرآن قائده وإمامه ليتبعه فى حركاته وسكناته، وبعبارة اخرى فهو ينظر إلى القرآن كمحور لكافة جوانب حياته، لاوسيلة لتوجيه عقائده وأفكاره، فهو على العكس من أولئك الذين يتشدقون بتبعيتهم للقرآن، بينما يسعون لتكييف القرآن ومتطلباته وآرائهم، ليكونوا مصداقا لقوله: «وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ»[۷۱۰]. فما لاينجسم ورغباتهم نسوه وهجروه، ولو كان ظاهره لايخدمهم عمدوا

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۳۸

إلى باطنه على ضوء نزعاتهم، والعكس صحيح فقد يتخلون عن باطن القرآن ويتمسكون بظاهره عله ينسجم وأهوائهم. فهم منحرفون لم يؤمنوا بالقرآن قط على أنّه دليلهم وإمامهم، بل هم فى الواقع ليسوا عبيد اللّه، بل عبدة الأهواء، والتفسير بالرأى الذى نهت عنه أغلب الروايات إنّما هو شعبة من شعب عبادة الهوى والشرك الخفى؛ فاين هؤلاء من العلماء المخلصين؟

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۳۹

القسم الثالث: العلماء المخلصون والعلماء المتشبهون

اشارة

«وَآخَرُ قَدْ تَسَمَّى عالِماً ولَيْسَ بِهِ، فاقْتَبَسَ جَهائِلَ مِنْ جُهَّالٍ، أَضالِيلَ مِنْ ضُلَّالٍ، ونَصَبَ لِلنَّاسِ أَشْراكاً مِنْ حَبائِلِ حبال غُرُورٍ، وقَوْلِ زُورٍ؛ قَدْ حَمَلَ الْكِتابَ عَلَى آرائِهِ رأيه؛ وعَطَفَ الْحَقَّ عَلَى أَهْوائِهِ، يُؤْمِنُ النَّاسَ مِنَ الْعَظائِمِ، ويُهَوِّنُ كَبِيرَ الْجَرائِمِ، يَقُولُ: أَقِفُ عِنْدَ الشُّبُهاتِ، وفِيها وَقَعَ، وَيَقُولُ: أَعْتَزِلُ الْبِدَعَ، وبَيْنَها اضْطَجَعَ، فالصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسانٍ، والْقَلْبُ قَلْبُ حَيَوانٍ. لا يَعْرِفُ بابَ الْهُدَى فَيَتَّبِعَهُ، ولا بابَ الْعَمَى فَيَصُدَّ عَنْهُ، ذَلِكَ مَيِّتُ الْأَحْياءِ».

الشرح والتفسير

كان الكلام فى الأبحاث السابقة عن العلماء المخلصين الذين كانوا هداة على الطريق، منهم مصباح ظلمات، وكشاف عشوات ومفتاح مبهمات ودفاع معضلات، وهو ملاذ الضعفاء ومفزع العباد، وقد بين الإمام عليه السلام صفاتهم على أكمل وجه، أمّا هنا فقد تحدث الإمام عليه السلام عن المتشبهين بالعلماء من أهل الضلال الذين كمنوا للخلق وصدوهم عن الحق بباطلهم ومكرهم واستغلال سذاجتهم من أجل تحقيق أطماعهم المادية. فقد عدّ الإمام عليه السلام عشر من صفاتهم فقال:

«و آخر قد تسمّى عالماً وليس به»

. فالتعبير بالفعل

«تسمى»

بصيغة المتعدى تفيد أن اليقظين من أبناء الامّة لايرونهم علماء، وهم ليسوا كذلك أيضاً عنداللَّه، بل يزعم أحدهم أنّه عالم، إلى جانب شلة من الجهال المتأثرة بكذبهم ودجلهم. ثم قال فى الصفة الثانية:

«فاقتبس جهائل من جهّالٍ، وأضاليل من ضلّالٍ»

. فالمفردة

«إقتبس»

التى تعنى هنا التعلم، تفيد أن هذا

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۴۰

العالم المزيف إنّما أجاء هذا الفن فى الخداع والتضليل إثر تعلمه ممن سبقه، فوظف ما تعلم فى هذا الانحراف دون أن يجعل جهاده وسعيه للعلم والعمل فى خدمة الحق، وهذا لعمرى قمة البؤس والشقاء. ولعل الفارق بين

«جهائل» و «أضاليل»

أن جهائل (جمع جهالة) تعنى الجهل المركب؛ أى أنّه جاهل ولايدرى أنّه كذلك (ولايدرى أنّه لايدرى) أمّا أضاليل (جمع أضلولة) فهى تعنى الامور المضلة التى يتجه إليها عن علم. ثم قال فى الصفة الثالثة

«و نصب‌للنّاس أشراكاً[۷۱۱] من حبائل غرورٍ، وقول زورٍ»؛

ياله من تعبير رائع! نعم فهو كالصياد الذى ينشر الحبوب فيجعلها فخاً للطيور والحيوانات البلهاء، فيبيعها ويتغذى على لحومها، وهذا ما يفعله هذا العالم المزيف تجاه السذج من الناس فيجنى أطماعه المادية ومنافعه الشخصية. وما أبرز مصاديق هؤلاء على مر التأريخ فى كل عصر ومصر، الذين يسخرون الدين لخدمة دنياهم، فقد جاء فى الخبر أنّ الإمام عليه السلام وصف عبداللَّه بن الزبير قائلًا:

«ينصب حبالة الدين لاصطياد الدنيا»[۷۱۲]

(وقد قال الإمام عليه السلام ذلك حين لم تتضح شخصيته ويكشف عن مواقفه). ثم قال فى الصفة الرابعة:

«قد حمل الكتاب على آرائه وعطف الحقّ على أهوائه»،

بالضبط على عكس العالم الذى طالعتنا صفاته فى أنّه أمكن الكتاب من زمامه وجعله قائده وإمامه، يحل حيث حل ثقله، وينزل حيث كان منزله، فهو تابع للقرآن بكل كيانه. والحق ليس هنالك من وسيلة أفضل من هؤلاء المزيفين للتعرف على العلماء العاملين. فذاك

الذى جعل القرآن قائده وإمامه هو العالم المخلص، أمّا هذا الذى يفسر القرآن برأيه ويسعى لتطبيق القرآن على متطلباته ورغباته. لهو عالم سوء مزيف. وقد جاء فى الحديث عن رسولاللَّه صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«من فسر القرآن برأيه فليتبوء مقعده من النار»[۷۱۳]

. كما عنه صلى الله عليه و آله أنّ اللَّه سبحانه وتعالى قال:

«ما آمن بى من فسر برأيه كلامى»[۷۱۴]

والدليل واضح فمن آمن باللَّه علم أنّ الحق ما كان من اللَّه، فان رأى غييره الحق فهو على خطأ. كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«من فسرّ برأيه

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۴۱

آية من كتاب اللّه فقد كفر»[۷۱۵]

. ثم قال فى الصفة الخامسة من صفات هذا الذى تشبه بالعلماء:

«يؤمن النّاس من العظائم، ويهوّن كبير الجرائم»

وهكذا فانّ الآثمين من الأفراد- الذين يشكلون الأكثرية فى المجتمعات- يسعون لحشد الآراء لصالحهم، وبعبارة اخرى فانّ هنالك الأغلبية الساحقة فى المجتمع التى تسعى للتظاهر بالدين، أمّا فى داخلهم فهم يسعون من خلال ذلك لجمع الأفراد حولهم واستقطابهم بواسطة مماشاتهم وتصغير الكبائر لديهم. ثم قال فى الصفة السادسة واصفا حال هذا العالم المزيف:

«يقول: أقف عند الشّبهات، وفيها وقع»،

فهذا المرائى الماكر يتظاهر أمام الناس بالدين إلى درجة أنّه يزعم لهم: (لا- أجتنب المحرمات فحسب، بل أنا محتاط حتى فى الشبهات) والحال تعج حياته بالشبهات، وأبعد من ذلك المحرمات. وقيل فى تفسير هذه العبارة أنّ اقتحامه للشبهات نابع من جهله، فمثل هؤلاء الأفراد إنّما يعانون عادة من الجهل المركب، فيرون ضلالهم هدى ومعاصيهم تقوى. ومن الواضح أنّ هؤلاء الجهال يتحلون بهاتين الصفتين، فلا مانع من الجمع بين التفسيرين (لامكانية استعمال اللفظ فى أكثر من معنى). أمّا الشبهات فتطلق عادة على الامور التى لاتعرف بصورة تامة، فهل هى حرام أم حلال؟ بعبارة اخرى فقد جاء فى الحديث النبوى الشريف:

«حلال بين، وحرام بين، وشبهات بين ذلك»[۷۱۶]

؛ أى أن الشبهات هى حد الحرام. ومن هنا فمن أراد أن يصون نفسه عن الذنب وجب عليه عدم الاقتراب من هذا الحد، وإلّا هوى فى مستنقع الذنوب ووصل المعاصى. ولذلك جاء فى آخر الحديث:

«فمن ترك الشبهات نجا من المحرمات، ومن أخذ بالشبهات ارتكب المحرمات، وهلك من حيث لايعلم».

ثم قال فى الصفة السابعة:

«و يقول: أعتزل البدع، وبينها اضطجع ۷۱۷]»،

يمكن أن يكون هذا

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۴۲

الادعاء ممّا يفرزه المكر والخداع أو الجهل المركب، فاساس نشاط مثل هؤلاء الأفراد قائم على التشبث بالبدع وهجر السنن إرضاءاً لاهواء العامة؛ الأمر الذى لايمكن تحقيقه إلّامن خلال البدع والأحداث فى الدين، وحقيقة البدعة إدخال ما ليس من الدين فيه، أو إخراج ما كان من الدين، وعليه فالبدعة حرام، ولا- يعنى هذا رفض أساليب التجدد فى الحياة فى كافة جوانبها العلمية والادبية والاجتماعية. فالبدعة أن تحدث شيئا وتنسبه إلى الدين وهو ليس منه، والعكس صحيح. وما حالات الافراط والتفريط التى يمارسها

الجهال الا إفرازات طبيعية لعدم إدراك حقيقة البدعة. أمّا فى الصفة الثامنة والتاسعة العاشرة التى تعد بمثابة نتيجة الصفات السابقة حيث أوردها الإمام عليه السلام بفاء التفريع فقد قال:

«فالصّورة صورة إنسانٍ، والقلب قلب حيوانٍ. لا يعرف باب الهدى فيتّبعه، ولا باب العمى فيصدّ عنه، وذلك ميّت الأحياء»

. حقا ليس هنالك من تعبير يصور وضع هؤلاء العلماء المزيفون أبلغ وأدق من هذا التعبير. فصورتهم ومظهرهم صورة إنسان، بل إنسان كامل ورع وعالم، فى حين يسبح هذا الإنسان- بهذه الصفات- فى بحر من الجهل المركب، فاذا فكر يوما فى الهداية، ضل الطريق بسبب ذنوبه ومعاصيه، فهو لايعرف سبيل الحق والهدى ليهتدى إليه، ولا يعرف سبيل الباطل والضلال ليصد عنه، بالتالى فهو ميت يتحرك بين الأحياء، وقد ماتت فيه كل مقومات الحياة الانسانية. والواقع إنهم مصداق بارز للآية الشريفة: «إِنَّكَ لا تُسْمِعُ المَوْتى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ إِذا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ»[۷۱۸]، أو الآية الكريمة «وَلَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِها وَلَهُمْ آذانٌ لا يَسْمَعُونَ بِها أُولئِك كَالأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولئِك هُمُ الغافِلُونَ».[۷۱۹]

تأمّلات

۱- علماء الضلالة

لايخفى على أحد خطر علماء السوء والضلالة، فأغلب الجرائم البشعة ا لتى يرتكبها الجهال، إنّما تعود جذورها إلى ما يسمى بهؤلاء العلما، المتطفلين على الدين المفارقين لأحكامه وتعاليمه، أو الذين جعلوا الدين مطية لدنياهم. فقد وصفهم أميرَالمؤمنين على عليه السلام بأدق وصف، فهم جهال خلطوا الجهل بالضلال، فجعلوا أنفسهم أئمة للقرآن يفسرونه برأيهم ويحملون آياته

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۴۳

على رغباتهم وأهوائهم، فاصبحت حياتهم قائمة على أساس البدع والشبهات والذنوب والمعاصى، إلى جانب تصغيرها فى أعين الناس وتزيينها لهم. فلم تبق لهم من الإنسانية سوى صورتها، أمّا السيرة فهى حيوانية تماماً. وقد تواترت الأخبار والروايات إلى جانب الآيات القرآنية التى لفتت إنتباه الأمّة إلى أخطارهم، لتحذر الناس من مغبة الاستجابه لهم والسقوط فى حبائلهم وشباكهم. فقد روى أميرالمؤمنين على عليه السلام عن النبى صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«وإن أهل النار ليتأذون من ريح العالم التارك لعلمه»،

بل إنّ الندم يصيبه وتعود مثل هذه الامور بالوبال عليه، ومن هنا ورد فى ذيل الحديث السابق:

«وإن أشد أهل النار ندامة وحسرة، رجل دعا عبدا إلى اللّه، فاستجاب له، وقبل منه، فأطاع اللّه، فأدخله اللّه الجنّة، وأدخل الداعى بترك علمه، واتباعه الهوى وطول الأمل»[۷۲۰]

. وقال الإمام الصادق عليه السلام أنّ اللّه أوحى إلى نبيّه داود عليه السلام:

«لاتجعل بينى وبينك عالما مفتونا بالدنيا، فيصدك عن طريق محبتى؛ فان أولئك قطاع طريق عبادى المريدين إلى، إنّ أدنى ما أنا صانع بهم، أن أنزع حلاوة مناجاتى من قلوبهم»[۷۲۱]

. فمن بين العلامات التى صرحت بها الروايات والأخبار بشأن علماء السوء والضلالة، ترك العمل بعلمهم، حيث قال رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله:

«لايكون المرء عالماً حتى يكون بعلمه عاملا»[۷۲۲]

. أمّا العلّامة البارزة الاخرى فهى اندفاعهم نحو البدع وتوجيه الضلال والانحراف والانغماس فى الدنيا، وكثرة الزعم والادعاء.

۲- التفسير بالرأى، فخ الشيطان الأكبر

إنّ من أعظم آفات الدين وعقبات العبودية طلب الحق والحركة إليه إنّما تتمثل بمعضلة

«التفسير بالرأى»

؛ المعضلة التى تهدد الدين بخطرها العظيم وتقضى على روح أغلب الآيات القرآنية والروايات الإسلامية، فتحيلها إلى إلعوبة بيد هذا وذاك لتوجيه أهوائهم وسوء

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۴۴

مقاصدهم، بعبارة أخرى تحيل الآيات والروايات إلى عجينة يصنع منها هذا المفسر ما يشاء ولايهدف سوى إلى تبرير فساده وإنحرافه وضلاله. وأبسط تعريف للتفسير بالرأى هو إخلاء الآيات والروايات من معناها الحقيقى وصبغها بالطابع المطلوب ومن الواضح أن الآيات والروايات لا تفقد حقيقتها فى الهداية على ضوء هذه المعضلة- التفسير بالرأى فحسب، بل تصبح وسيلة لتبرير الضلال والانحراف. ومن هنا أكدت الروايات والأخبار بشدة النهى عن التفسير بالرأى، وقد مرّت علينا طائفة من هذه الأخبار والروايات فى الأبحاث السابقة، ثم رأينا كيف أنّ أميرَالمؤمنين على عليه السلام يذكر هذه الصفة فى إطار وصفه لعلماء السوء والضلالة على أنّ أهم صفة من صفاتهم تكمن فى التفسير بالرأى. فالعبارة التى تضمنها الحديث المعروف

«من فسر برأيه آية من كتاب اللّه فقد كفر»[۷۲۳]

تفيد أنّ التفسير بالرأى أرضية خصبة للنزوع نحو الكفر، وكذلك ما ورد فى الحديث الآخر بهذا الشأن:

«من فسر القرآن برأيه، إن أصاب لم يؤجر، إنّ أخطأخر أبعد من السماء».[۷۲۴]

وزبدة الكلام فانّ أخطار التفسير بالرأى كثيرة نشير إلى جانب منها:

۱- ايجاد حالة من الفوضى والا رباك فى فهم الآيات والروايات.

۲- إحالة وسائل الهداية والصلاح إلى ادوات للضلال والفساد ومضاعفة الاخطاء.

۳- إيجاد الاختلاف والتشتت والنفاق واثارة التخريب فى القضايا العقائدية والدينية.

۴- الهبوط بالكتاب والسنة من مقام الزعامة والإمامة إلى مستوى التابع والمقلد.

۵- تكييف التعاليم السماوية على ضوء انحرافات الأوساط الموبوءة.

۶- إحالة المفاهيم السامية المطلقة المستندة إلى الوحى إلى أفكار الإنسان المحدودة الضيقة.

۷- تمهيد السبل والذرائع للأفراد الضالين المضلين.

طبعاً ليس هنالك من علاقة بين التفسير بالعقل للآيات والروايات وتفسيرها بالرأى.

والمراد بالتفسير بالعقل هو الاستفادة من الأدلة والقرائن العقلية من أجل فهم معنى الآيات

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۴۵

والروايات. على سبيل المثال فان القرائن العقلية القطعية تصرح بأن المراد باليد فى الآية الشريفة: «يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ»[۷۲۵] القدرة والقوة، لاهذه اليد العضو من أعضاء بدن الإنسان المركبة من اللحم والعظم والجلد. أمّا المراد بالتفسير بالرأى فهو الاستعانة بالقرائن الظنية أو الوهمية الخالية دون القرائن لتفسير الآيات والروايات وفقا للأهواء والرغبات. على كل حال فانّ هذا العمل نابع من الجهل أو الأهواء الشيطانية. ويتضح مما مر معنا أنّ اولئك الذين حاولوا توجيه ضلالهم وانحرافهم بواسطة التفسير بالرأى، قد ضلوا حتى فى مسألة التفسير الرأى وفسروها بوحى من رأيهم، ومن هنا نقف على أهمية ما ورد فى الخبر الذى صرح بعدم إثابة من فسر برأيه وإن أصاب. فليس هنالك من ركن يستند إليه فى التفسير بالرأى سوى الفرضيات الجوفاء والآراء الظنية والوهمية، الأمر الذى يقضى على روح إصالة الوحى واشاعة جو الفوضى والاضطراب فى بيان المسائل الشرعية، كما يقدح فى نورية القرآن ويهدد بالغرق سفينة النجاة

المتمثلة بأئمة العصمة عليهم السلام. وإلّا لو كانت هنا لكل الفرضيات العلمية المسلمة إلى جانب القرائن العقلية لتعذر تسمية هذا التفسير بالتفسير بالرأى، فهذا تفسير بالعقل. ومما يؤسف له أنّ المنحرفين قد فسروا حتى مسئلة التفسير بالرأى برأيهم ليتخذوا من الوحى وسيلة لتوجيه انحرافهم وتحقيق أطماعهم وأغراضهم.

۳- البدع مادة الانحراف

ذكر الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة البدع التى تعد من الصفات التى يتصف بها هذا الصنف ممن تسمى بالعلماء، والحال أنّهم يدعون أنّهم بعيدون كل البعد عن البدع، وهم يسبحون فى هالة منها. وكما أشرنا سابقاً فانّ البدعة أن تحدث فى الدين ما ليس منه، أو أن تخرج منه ما هو فيه، وعليه فهى لاتصدق على الابداع والتجديد والخلاقية فى الميادين السياسة والاجتماعية والاقتصادية وشؤون الحياة اليومية، أو بعبارة أخرى قد تكون البدعة فى الدين وقد تكون فى

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۴۶

غيره، فما كانت فى الدين فهى حرام ومضلة، وما كانت فى غيره فهى ممدوحة مطلوبة مالم تسيىء إلى الدين. على سبيل المثال فانّ رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله أتى بحج التمتع؛ أى خرج من الاحرام بعد أداء العمرة ثم أحرم للحج بعد فاصلة، كما أجاز الزواج المنقطع، فان انبرى من يقول لا أستسيغ حج التمتع، ولابدّ أن يكون الحج والعمرة معا، ولا أومن بالزواج المنقطع، فمثل هذا الشخص مبتدع فى دين اللّه، وهو والأمر الذى ذمته الروايات بشدّة، حتى قال رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله:

«أهل البدع شر الخلق والخليقة»[۷۲۶]

كما قال صلى الله عليه و آله:

«من تبسم فى وجه مبتدع، فقد أعان على هدم دينه»[۷۲۷]

وما ذلك إلّاللأخطار العظيمة الناجمة عن البدع وفى مقدمتها القضاء على إصالة الدين، ولو فتح باب الدين بوجه البدع وتصرف الأفراد فى العقائد والمفاهيم كما يحلولهم فسوف لن يمر وقت طويل حتى تنعدم آثار الدين ولايبقى إلّاإسمه، وبالتالى سوف لن يكون إلّا أداة طيعة بيد المهووسين والمنحرفين المتطفلين على الدين. ومن هنا جاء فى الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام فى جوابه لمن سأله عن أقل ما يتعامل به ذلك الكافر قال

«أن يبتدع شيئا، فيتولى عليه، ويبرء ممن خالفه».[۷۲۸]

ولو تمعنا فى تاريخ الأديان الباطلة لرأينا أنّها إنّما استندت فى الغالب إلى البدع.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۴۷

القسم الرابع: لم الضلال، والعترة بين الاظهر؟

اشارة

«فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ»؟ «وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ»! والْأَعْلامُ قَائِمَةٌ، والْآيَاتُ وَاضِحَةٌ، والْمَنارُ مَنْصُوبَةٌ. فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ! وكَيْفَ تَعْمَهُونَ، وبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ! وهُمْ أَزِمَّةُ الْحَقِّ، وأَعْلامُ الدِّينِ، وأَلْسِنَةُ الصِّدْقِ! فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ، ورِدُوهُمْ وُرُودَ الْهِيمِ الْعِطَاشِ.

الشرح والتفسير

لقد وصف الإمام عليه السلام فى المقطع السابق من هذه الخطبة العالم المخلص والآخر المزيف، ثم واصل الكلام فى هذا الموضع من الخطبة بالحديث عن أهل‌بيت النبى صلى الله عليه و آله ومكانتهم فى المجتمع الإسلامى، بغية معرفة الفريق الأول وتمييزه عن

الثانی، إلی جانب الاقتداء به، إلّاأنّه أشار بصورة کلیة إلی هذه المسألة فقال:

«فأین تذهبون، وأنّی تؤفکون ۷۲۹]، والأعلام قائمةٌ، والآیات واضحةٌ، والمنار منصوبةٌ».

فلا- یحق لکم القول إننا نعیش فی عصر تتقاذفنا فیه التیارات ولسنا لنا معرفة الحق من الباطل بعد أن إمتزجامعاً، کلا- لیس الأمر کذلک، فکل شئ واضح والموازین جلیة بینه، وقد اعذر من انذر. فقد جرت العادة علی نصب العلائم فی الطرقات بغیة الاهتداء وعدم الضیاع، فأحیاناً توضع العلامات فی مفترقات الطرق المنعطفات، وأحیاناً اخری توضع المصابیح المضاءة علی المرتفعات (ولا سیما فی اللیالی الظلماء) ویکفی أی من هذه الطرق لمعرفة السبیل، فاذا إجتمعت هذه الطرق معا، بلغ الإنسان المطلوب وسارع فی خطاه نحو الهدایة والصواب، فالذی أراد الإمام علیه السلام أنّ هذه الطرق قد سخرها اللّه سبحانه لکم. ثم طبق الإمام علیه السلام هذا الکلی علی مصداقه فانتقل من العام إلی الخاص، کیلا یقال أنّ هذه

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۳۴۸

الکلیات لاتحل مشکلتنا، فأعاد قوله علیه السلام مستنکراً علیهم الحیرة والضلال، وعترة النبی صلی الله علیه و آله بین أظهرهم:

«فأین یتاه ۷۳۰] بکم! وکیف تعمهون ۷۳۱]»

نعم لایرتجی منکم الضلال والحیرة وبین أظهرکم عترة رسولاللّه صلی الله علیه و آله مصابیح الهدی وأعلام الوری والعروة الوثقی التی من تمسک بها نجی

«و هم أزمّة الحقّ، وأعلام الدّین، وألسنة الصّدق»

فمن أقبل علیهم أخذوا بیده إلی الحق، من إقتدی بهم عن بعد هدی إلی الرشد، بالتالی کل یهتدی بهدیهم حسب تبعیته لهم.

أما العبارة:

«و هم أزمّة الحقّ»

فتفید أنّ الحق یتحرک حول محورهم؛ المضمون الذی ورد فی الحدیث المعروف

«علی مع الحق، والحق مع علی یدور حیثما دار»[۷۳۲]

. والعبارة:

«وألسنة الصّدق»

تعنی أنّهم تراجمة الوحی. کما یمکن أن یکون المراد أنّ لسانهم علیهم السلام لاینطق سوی بالصدق؛ سواء تحدثوا عن اللّه ورسوله صلی الله علیه و آله، أم حدثوا عن أنفسهم، فکل ذلک صدق محض.

وبالطبع لیس هنالک من تضاد بین هذین التفسیرین ویمکن الجمع بینهما. ثم إختتم علیه السلام کلامه بالقول:

«فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن، وردوهم ورود الهیم ۷۳۳] العطاش»

فالقرآن قد یجری علی لسان الإنسان، کما قد یظهر علی عمله، وأخیراً قد یشغل حیزاً فی عمق روح الإنسان، وأفضل موضع للقرآن هو الموضع الأخیر من المواضع الثلاثة المذکورة. فالعبارة تصرح بحب أهل البیت النابع من أعماق القلب والروح، کما ینبغی أن یعیش القرآن فی هذه الأعماق. والواقع هو أنّ هذه العبارة تؤکد حدیث الثقلین الذی قرن العترة بالقرآن ودعا الناس کافة إلی اتباعهما والتمسک بها بغیة الأمان من الضلال والفرقة. کما قیل فی تفسیر هذه العبارة أنزلوهم أفضل المواضع التی أنزلهم بها القرآن الکریم، ألا- وهو مقام الإمامة والولایة الذی أشار إلیه القرآن بالقول: «إِنَّما وَلِیُّکُمُ اللَّهُ ...»[۷۳۴] والآیة: «یا أَیُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَیْکَ ...»[۷۳۵] والآیة: «قُلْ لا أَسْأَلُکُمْ عَلَیْهِ أَجْراً إِلّا المَوَدَّةَ فِی القُرْبی [۷۳۶] وسائر الآیات القرآنیة

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۳۴۹

الواردة بهذا الشأن.[۷۳۷] ویبدو التفسیر الأول أنسب. وأخیراً فالعبارة

«الهيم العطاش»

تفيد أنّهم عليه السلام منبع ماء الحياة، وأنّكم بأشدّ الحاجة إليهم، وعليه يجب عليكم المسارعة إليهم دون أدنى تريث أو ترديد.

منزلة أهل البيت عليهم السلام

يتضح بجلاء مما مر معنا فى هذا القسم من الخطبة أنّ وجود أهل البيت من عترة النبى صلى الله عليه و آله بين المسلمين، وتبعية الامّة لأقوالهم وأفعالهم إنّما تعصمهم من خطر الضلال، فهم أزمة الحق ومصابيح الهدى وأعلام الدين وألسنة الصدق وتراجمة الوحى. أمّا الروايات والأخبار الواردة من الفريقين فى التأكيد على حبهم فذلك لأن حبهم يبعث على إتباعهم، وبالتالى فانّ اتباعهم هو أساسا الهداية والحركة نحو الحق. ومن تلك الروايات ما اورده الفخر الرازى فى تفسيره المعروف عن الزمخشرى فى الكشاف أنّ رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله قال:

«من مات على حب آل محمد مات شهيداً».

«ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له».

«ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً».

«ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الإيمان».

«ألا ومن مات على حب آل محمد، بشره ملك الموت بالجنّة».

«ألا ومن مات على بغض آل محمد، جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آئس من رحمة اللّه».[۷۳۸]

وورد فى حديث أنّه صلى الله عليه و آله قال:

«أنا أول وافد على العزيز الجبار يوم القيامة، وكتابه وأهل‌بيتى، ثم أمتى، ثم أسألهم: ما فعلتم بكتاب اللّه وبأهل بيتى؟»[۷۳۹]

هذا غيض من فيض الأحاديث والروايات التى صرحت بمنزلة أهل البيت وأكدت على حبهم والتمسك بهم.

نفحات الولاية ؛ ج۳ ؛ ص۳۴۹

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۵۱

القسم الخامس: أعلام الهدى

«أَيُّهَا النَّاسُ! خُذُوها عَنْ خاتَمِ النَّبِيِّينَ صلّى اللَّهُ عَلَيهِ وآلِهِ وَسلَّم: «إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ ماتَ مِنَّا ولَيْسَ بِمَيِّتٍ، ويَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا ولَيْسَ بِبالٍ» فَلا تَقُولُوا بِما لا تَعْرِفُونَ، فَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيما تُنْكِرُونَ، واعْذِرُوا مَنْ لا حُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ- وهُوَ أَنا-، أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثَّقَلِ الْأَكْبَرِ! وأَتْرُكْ فِيكُمُ الثَّقَلَ الْأَصْغَرَ! قَدْ رَكَزْتُ فِيكُمْ رايَةَ الْإِيمانِ ووَقَفْتُكُمْ عَلَى حُدُودِ الْحَلالِ‌الْحَرامِ، وَأَلْبَسْتُكُمُ الْعافِيَةَ مِنْ عَدْلِي، وفَرَشْتُكُمُ الْمَعْرُوفَ مِنْ قَوْلِي وفِعْلِي، أَرَيْتُكُمْ كَرائِمَ الْأَخْلاقِ مِنْ نَفْسِي، فَلا تَسْتَعْمِلُوا الرَّأْيَ فِيما لا يُدْرِكُ قَعْرَهُ الْبَصَرُ، ولا تَتَغَلْغَلُ إِلَيْهِ الْفِكَرُ».

الشرح والتفسير

أكد الإمام عليه السلام ما ورد فى القسم السابق بشأن عترة النبى صلى الله عليه و آله فاضاف قائلًا:

«أيّها النّاس! خذوها عن خاتم النّبيّين صلى اللّه عليه وآله وسلم: إنّه يموت من مات منّا وليس بميّتٍ، ويبلى من بلى منّا وليس ببالٍ»

هناك كلام وخلاف بين شرّاح نهج‌البلاغة بشأن عودة الضمير فى

«خذوها»

ولكن يبدو أنّه يعد إلى الحقيقة أو الكلام الحق ويعلم ذلك من قرائن الكلام، وان لم ترد فى العبارات السابقة، فمفهوم العبارة: خذوا

هذا الكلام الحق بشأن أهل‌البيت عن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله. أمّا قوله: إنّه يموت من مات منّا وليس بميت، ويبلى من بلى منّا وليس ببال، فقد حمل على المعنى الحقيقى فى أنّ أجساد أولياءاللّه تبقى غضة طرية فى القبور وهم يتمتعون بنوع من الحياة بحيث يسمعون كلام الآخرين ويردون سلامهم، ولهم حياة

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۵۲

الشهداء الذين قال اللّه سبحانه وتعالى فيهم: «وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ».[۷۴۰] وعليه فالعبارة

«يموت»

تعنى الموت الظاهرى، والعبارة

«ليس بميت»

تعنى عدم الموت الواقعى، وهكذا عبارتى

«يبلى» و «ليس ببال»

. وقال البعض أنّ المراد بعدم الموت والبلى هنا المعنى المجازى، أى أن آثارهم وتعاليمهم باقية بين الناس إلى يوم القيامة، وكأنّهم أحياء، ولعلنا نلمس هذا المعنى فى رواية كميل فى آخر نهج‌البلاغة بشأن العلماء العاملين

«أعيانهم مفقودة، وأمثالهم فى القلوب موجودة»[۷۴۱]

. كما احتمل أن يكون المراد بالحياة هنا تلك الحياة البرزخية التى تكون فيها الروح فى قوالب مثالية لطيفة، إلّاأنّ هذا الاحتمال يبدو مستبعداً لأنّ مثل هذه الحياة لاتختص بالأئمة والمقربين من أولياء اللّه. ويبدو الاحتمال الأول هو الأصح، وبالطبع فأنّها حياة أرفع من حياة الشهداء، فاننا نناديهم فى الزيارة

«تسمع كلامى وترد سلامى»[۷۴۲]

. ثم أكد الإمام عليه السلام ذلك قائلًا:

«فلا تقولوا بما لا تعرفون، فإنّ أكثر الحقّ فيما تنكرون»

فى إشارة إلى أنّ معلومات الإنسان محدودة جدّاً وأنّ حقائق العالم عظيمة واسعة. والواقع أنّ العقل يقول فى مثل هذه الحالة

«لاينبغى للإنسان ان يتنكر لكل شئ لايعرفه»

. على سبيل المثال لو لم يكن لديه من علم بشأن حياة أولياءاللّه، فلاينبغى له أنّ ينكر ذلك. فليس هذا الأمر الوحيد الذى لايعلمه أغلب الناس، بل هناك آلاف الالوف وملايين المليونات من الوقائع المتحققة فى الخارج والتى لا ندركها، وحسب تعبير أحد العلماء أنّ وقائع العالم بمنزلة كتاب ضخم بحيث لو جمعت كافة علوم البشرية من أولها إلى آخرها لما أصبحت ورقة فى ذلك الكتاب. ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه ليكشف عن حقيقة مريرة صعبة وكذلك مفيده نافعة بعيدة المعنى فقال:

«و اعذروا من لا حجّة لكم عليه- هوأنا»

أى أنى نهضت بكافة وظائفى الملقاة على عاتقى، فلم أقصر فى وظيفتى طرفة عين وقد أديت تكليفى أمام اللّه والعباد. وبناءاً على هذا فليس هنالك مايسى إلىَّ، ومن تفوه على فهو إمّا خاطئ أو مغرض. طبعاً هذا لايعنى أنّه لاتبدو آرائكم تجاهى وتبخلون

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۵۳

بالمشورة، إلّاأنّه يعنى ليس لكم حق الاعتراض على؛ الأمر الذى نلمسه فى قوله لابن عباس:

«لك ان تشير علىَّ وأرى، فان عصيتك فأطعنى»[۷۴۳]

. ثم خاض الإمام عليه السلام فى شرح خدماته التى اسداها للُامّة بسبع عبارات، فقال بادئ ذى بدء

«ألم أعمل فيكم بالثّقل الأكبر»

فسيرة حياة الإمام عليه السلام ولا- سيما زمان حكومته تفيد أنّ القرآن كان محوره فى كافة أقواله وأفعاله؛ الأمر الذى أشار إليه رسولاللَّه صلى الله عليه و آله حين قال:

«على مع القرآن، والقرآن مع على»[۷۴۴]

. ثم قال عليه السلام:

«و أترك فيكم الثّقل الأصغر»

وشاهد ذلك الحوادث التى وقعت ابان حياته عليه السلام بحيث كثيراً ما كان يتعرض أبناء رسولاللَّه صلى الله عليه و آله وبقية الثقل الأصغر الإمام الحسن والحسين عليهما السلام إلى الاخطار، بينما كان يسعى الإمام عليه السلام جاهدا للحفاظ عليهما ومن ذلك أنّه شاهد الإمام الحسن عليه السلام وهو يسارع إلى الميدان فى معركة صفين فقال:

«أملكوا عنى هذا الغلام لايهدنى، فاننى أنفس بهذين يعنى الحسن والحسين عليهماالسلام- على الموت لئلا- ينقطع بهما نسل رسولاللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم»[۷۴۵]

. ثم قال فى العبارة الثالثة:

«قد ركزت فيكم راية الإيمان».

فكلام على عليه السلام- ومن ذلك خطبه فى نهجالبلاغة- بشأن المبدأ والمعاد وأدلة نبوة رسولاللَّه صلى الله عليه و آله تفيد أنّه كان ينتهز الفرص من أجل تقوية عرى الإيمان فى قلوب الامّة.

وقال فى العبارة الرابعة:

«ووقفتكم على حدود الحلال والحرام»

وقد بلغ من تأكيد الإمام عليه السلام على بيان مسائل الحلال والحرام بحيث أنّه لم يكن يقتصر على بيانها فى خطبه فى المساجد وسائر الحلقات، بل كان يقوم بذلك كل يوم حين يتفقد السوق ويخاطب التجار والكسبة ويوصيهم بالتفقه بالدين، بل لم يحفل التأريخ بمثل أميرَالمؤمنين عليه السلام فى بيانه لأحكام الشرع ومسائل الحلال والحرام. فقد جاء فى الخبر أنّه كان يطوف بالأسواق وينادى أهلها بالورع التقوى وعدم القسم فى المعاملة، فانها تذهب البركة والتاجر فاجر إلّاأنّ يأخذ حقاً ويعطى حقا، ثم يأتى ثانية ويخاطبهم بهذه الكلمات ۷۴۶]. كما كان يطوف فى أسواق القصابين ويناديهم من غشنا ليس منا.[۷۴۷]

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۵۴

ثم قال عليه السلام فى العبارة الخامسة:

«و ألبستكم العافية من عدلى»

فعدالة أميرَالمؤمنين عليه السلام وتاثيرها فى إعادة روح الاستقرار والهدوء إلى المجتمع ليست بخافية على أحد، لم يكف لحظة إبان حكومته عن التأكيد على ضرورة بسط العدل والقسط، حتى صرح عليه السلام قائلًا:

«واللّه لو وجدته قد تزوج به النساء، وملك به الاماء، لرددته فان فى العدل سعة. ومن ضاق عليه العدل، فالجور عليه أضيق».[۷۴۸]

ثم قال فى العبارة السادسة

«و فرشتكم المعروف من قولى وفعلى»

فأعمال الخير والاحسان قد تشيع وتتسع رقعتها فى المجتمع عن طريق الوصايا والمواعظ الخطب، كما يمكن أن تنتشر عن طريق عرض النماذج والقدوات العملية، والحق أن الإمام عليه السلام كان قدوة فى الأمرين، وقد شحنت كتب التواريخ ونهجالبلاغة بسيرته العملية وأقواله بشأن أمر الناس بالمعروف والنهى عن المنكر. ثم قال عليه السلام:

«وأريتكم كرائم الأخلاق من نفسى».

ففضائله الأخلاقية عليه السلام وعدالته وايثاره وتضحيته وزهده وورعه وتقواه ونصرته للمظلومين واليتامى والضعفاء وشجاعته وبسالته ومبارزته للابطال الظلمة ليست بخافية على أحد، حتى إعترف بها الأعداء كمعاوية وعمرو بن العاص، فضلًا عن الأصدقاء. وقال البعض أن:

«كرائم الاخلاق»

أسمى من

«حسن الاخلاق»؛

فمثلا- حسن الخلق يوجب مقابلة الاحسان بالاحسان، أو الرد عليه بما يربو عليه، أما كرم الخلق فانه يوجب مقابلة الإساءة بالاحسان؛ العمل الذى قام به أميرَالمؤمنين على عليه السلام تجاه عبدالرحمن بن ملجم بعد أن ضربه. ثم اختتم كلامه عليه السلام قائلًا:

«فلا تستعملوا الرّأى فيما لا يدرك قعره البصر، ولا تتغلغل إليه الفكر»

فى إشارة إلى أن ما بينه من منزلة للثقل الاصغر (عترة النبى) إنّما هى من الامور التى اقرتها الارادة الإلهية، فاياكم والتشكيك فيها من خلال الوهم والظن والأفكار العاجزة. فهى منزلة حباهم بها العزيز الحكيم إلى جانب كونها نعمة عظيمة أنعمها اللَّه على الامّة الإسلامية. والواقع هو أنّ هذه العبارة تاكيد للعبارة السابقة التى قال فيها عليه السلام:

«فلا تقولوا بما لاتعرفون، فان أكثر الحق فيما تنكرون».

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۵۵

القسم السادس: زوال حكومة بنى‌أمية

اشارة

ومنها:

«حَتَّى يَظُنَّ الظَّانُّ أَنَّ الدُّنْيا مَعْقُولَةٌ عَلَى بَنِى أُمَيَّةَ؛ تَمْنَحُهُمْ دَرَّها، وتُورِدُهُمْ صَفْوَها، ولا يُرْفَعُ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَوْطُها ولا سَيْفُها، كَذَبَ الظَّانُّ لِذَلِكَ، بَلْ هِىَ مَجَّةٌ مِنْ لَذِيذِ الْعَيْشِ يَتَطَعَّمُونَها بُرْهَةً، ثُمَّ يَلْفِظُونَها جُمْلَةً!».

الشرح والتفسير

هذا هو ختام الخطبة. ويرى البعض أنّه موضوع مستقل ليس له من إرتباط بالأبحاث السابقة. والواقع أنّ هناك عدة مطالب بين هذا القسم من الخطبة والأقسام السابقة لم يتعرض لها السيد الرضى (ره)، ومن هنا يبدو عدم وجود ارتباط بين هذا القسم وما سبقه من أقسام، مع ذلك لايستبعد أن تكون هناك رابطة معقولة بين هذين القسمين، أى أن ما حذف منها ليس بالشيئ الكثير. وكأنّ الإمام عليه السلام أشار إلى العبارة الأخيرة من البحث السابق حين قال فلا تقولوا بما لاتعرفون، فانّ أكثر الحق فيما تنكرون. ومن ذلك قوله لاتعتقدوا أنّ حكومة بنى‌أمية دائمة خالدة، لا ليس الأمر كذلك، فسرعان ما تؤول حكومتهم إلى زوال وإنهيار. وقد ابتدأ المرحوم السيد الرضى (ره) هذا القسم قائلًا أنّ القسم الآخر من هذه الخطبة:

«حتّى يظنّ الظّانّ أنّ الدّنيا معقولةٌ[۷۴۹] على بنى‌أميّة؛ تمنحهم درّها،[۷۵۰] توردهم صفوها، ولا- يرفع عن هذه الأمّة سوطها ولا سيفها»،

فالعبارة

«معقولة على بنى‌أمية»

كناية عن تسليم الشئ إلى

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۵۶

شخص، والعبارة

«تمنحهم درها»

جرياً على عادة العرب بتشبيه أغلب امور حياتهم بالناقة، حيث كان لها بالغ الأثر فى حياتهم وعليه فهذه التشبيهات محببة إليهم. على كل حال فانّ الأفراد السطحيين لايكادون يرون أحدهم متربعاً على عرش السلطة وقد صفت له الدنيا وقمع معارضيه حتى يظنون بخلود هذه السلطة، والحال لايعلم ما يخبئ الغدو ليس هنالك من سبيل للتكهنات فى المسائل السياسية، نعم لأولياءاللَّه أن يزودوا الناس ببعض هذه الأخبار المستقبلية إستناداً لعلمهم المستقى من علم اللَّه سبحانه، ومن ذلك هذا الأخبار من الإمام عليه السلام حيث قال مواصلة لكلامه:

«و كذب الظّانّ لذلك، بل هى مجّةٌ[۷۵۱] من لذيذ العيش يتطعّمونها برهةً، ثمّ يلفظونها جملةً»؛

أى سيستحوذن على الحكومة تدريجياً، ثم يفقدونها دفعة احدة.

فنحن نعلم أنّ حكومة بنى‌أمية لم تدم أكثر من ثمانين سنة، فكانت أعظم مدتهم على عهد حكومة معاوية بعد شهادة الإمام على عليه السلام وصلحه مع الإمام الحسن عليه السلام بعد أن أقبلت عليه الدنيا. ثم خلفه يزيد الذى اسود عهده بفعل قيام الإمام الحسين عليه السلام واستشهاده بتلك الطريقة البشعة فلم تدم حكومته أكثر من أربع سنوات، ثم تعاقبت الحكومات التى دام بعضها بضعة أشهر، بل كانت حكومة معاوية بن يزيد أربعين يوماً، ولم تشذ من ذلك سوى حكومة عبدالملك التى استغرقت عشرين سنة، ولعل السبب يعود إلى عدم استجابته لوصايا الحجاج وعدم إراقة دماء بنى‌هاشم على كل حال وكما أخبر الإمام على عليه السلام فقد كانت حكومتهم قصيرة مليئة بالأحداث المريرة- أمّا العبارة

«هى مجة»

فهى إشارة إلى أن بنى‌أمية سيذوقون لمدة عابرة نعم الدنيا، إلّاأنّ مثلهم كمثل الذى يضع طعاماً لذيذاً فى فمه ويتذوق طعمه إلّاأنّه لايقوى على إبتلاعه، فسرعان ما سيفقدون لذة الحكومة، والتاريخ أفضل شاهد على ذلك فى أنّ حكومتهم التى دامت ثمانين سنة- سوى بعضها- كانت مليئة بالمخاطر والنزاعات والحروب والبلابل والاضطرابات.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۵۷

تأمّلان

حكومة بنى‌امية الفاشلة

اشارة

صحيح أنّ بنى‌أمية حكموا البلاد الإسلامية ما يقارب الثمانين سنة وقد تسلم زمام الامور أربعة عشر من آل أبى‌سفيان ۷۵۲] وآل مروان، حيث حكم بعضهم لشهر أو بضعة أشهر، وكانت أطولها حكومة هشام بن عبدالملك حيث دامت عشرين سنة، فكان متوسط حكومة أحدهم ستة أشهر، إلّاأنّ حكومتهم كانت ملئى بالنزاعات والخلافات؛ أمّا الحوادث التى وقعت خلال تلك المدة وأحالت عسل حكومتهم علقما فهى:

أ) قيام الخوارج ضد بنى أمية

شهدت حکومة بنی‌أمیة عدة نهضات للخوارج وهی:

۱- قامت طائفة من الخوارج یبلغ عددها خمسمئة بزعامة فروة بن نوفل بعد حرکة الإمام الحسن علیه السلام من الکوفة إلی الحجاز وورود معاویة الکوفة.[۷۵۳]

۲- قیام عروة بن حدیر المعروف بعروة بن أدیة ضد معاویة وقتله من قبل زیاد.

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۳۵۸

۳- نجدة بن عویم الحنفی أحد زعماء الخوارج الذی ثار ضد معاویة واستولی علی الیمامة والطائف وعمان والبحرین ووادی تمیم وعامر.

۴- قیام مستورد بن سعد الصمیمی علی المغیرة بن شعبة والی معاویة علی الکوفة، فبعث له المغیرة بمعقل بن قیس وقد قتلا معاً.[۷۵۴]

۵- قیام حوثرة الأسدی ضد معاویة فجهز له معاویة جیشاً من الکوفة فخاطبهم حوثرة:

یا أعداءاللّه لقد قاتلتم بالام من أجل القضاء علی حکومة معاویة والیوم من أجل تثبیت دعائهما، وقد قتل حوثرة فی هذه المعرکة وتفرق أصحابه.

۶- قیام قریب بن مرة الأزدی وزحاف الطائی وهما من مجتهدی البصرة ضد زیاد.[۷۵۵]

۷- قیام نافع بن الازرق الحنفی ونجدة بن عامر وهما من الخوارج وهجومهما علی البصرة، وقد قتل فی هذه المعرکة أمیر البصرة ابن عبیس ونافع، وتعرف هذه المعرکة بمعرکة دولاب وهی من المعارک المشهورة للخوارج.

۸- عبید اللّه بن بشیر بن ماحوز الیربوعی الذی تزعم الخوارج بعد قتل نافع وواصل القتال.

۹- قیام الزبیر بن علی السلیطی بعد أن نزل البصرة والتحق به أهالی البصرة والاهواز.

۱۰- قیام قطری بن الفجائة المازنی ضد معاویة بعد قتل الزبیر بن علی. حیث أراد الخوارج أن یتزعمهم عبیدة بن هلال إلّاأنّه قال أن قطری بن الفجائة خیر منّی فبایعوه.[۷۵۶]

۱۱- عبد ربه الصغیر الذی بویع علی عهد قطری والذی قتل فی معرکته ضد المهلب.[۷۵۷]

۱۲- قیام شبیب بن یزید الشیبانی فی الموصل والجزیرة فقاتله الحجاج ۷۵۸]، وقد تمکن من قتل عدد کثیر من جیش الحجاج.

ب) قیام سائر الناس ضد بنی‌أمیة

۱- قیام حجر بن عدی علی المغیرة بن شعبة والی معاویة علی الکوفة، حیث خطب

نفحات الولایة، ج۳، ص: ۳۵۹

الناس فذم علی علیه السلام ومدح معاویة، فقام إلیه حجر، ثم قتلوه فی مرج عذراء بعد أن منحوه الأمان.[۷۵۹]

۲- قیام الإمام الحسین علیه السلام ضد یزید واستشهاده فی محرم الحرام عام ۶۱ ه ق.[۷۶۰]

۳- قیام عبداللّه بن الزبیر فی مکة فخلع یزید ودعی الناس لبیعته، ثم أخرج والی یزید من مکة.[۷۶۱]

۴- قیام أهل المدینة بزعامة عبداللّه بن حنظلة والذی یعرف بواقعة الحرة، فورد جیش یزید بزعامة مسلم بن عقبة المدینة فقتل أهلها.[۷۶۲]

۵- قیام التوابین بقیادة سلیمان بن صرد الخزاعی عام ۶۵ فی عین الوردة تحت شعار یالثارات الحسین.[۷۶۳]

۶- قیام المختار بن أبی‌عبیدة الثقفی بعد سلیمان بن صرد الخزاعی، حیث وجه ابراهیم بن مالک بن الحارث لقتال عبیداللّه بن زیاد، فتمکن ابراهیم من قتله، ثم اقتص المختار من قتلة الإمام الحسین علیه السلام.[۷۶۴]

۷- قيام مصعب بن الزبير ضد عبيداللّه بن زياد، إلّاأنّه هزم بعد أن غدر به جمع من أهل العراق.[۷۶۵]

۸- قيام عبدالرحمن بن محمدالاشعث فى سيستان، حيث كان والى الحجاج عليها، إلّاأنّ الحجاج غضب عليه وهدده، فخلع الحجاج وقاتله فى الاهواز عام ۸۳ ه ق.[۷۶۶]

۹- قيام آل‌المهلب على يزيد بن عبدالملك عام ۱۰۲ حيث بايع يزيد بن المهلب مائة وعشرين الف، فبعث يزيد بن عبدالملك بأخيه مسلمة بن عبدالملك فنشبت بينهما معركة

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۶۰

ضارية هزم فى بدايتها أهل الشام.[۷۶۷]

۱۰- قيام سليمان بن كثير الخزاعى وصحبه عام ۱۱۱ فى خراسان وقد دعوا الناس لبيعة بنى‌هاشم فاستجاب لهم الكثير.[۷۶۸]

۱۱- قيام زيد بن على بن الحسين عليه السلام على هشام بن عبدالملك، هيث استشهد أوائل شهر صفر عام ۱۲۱، وقد بايعه بادئ الأمر جمع من قراء أهل العراق والاشراف، إلّاأنّهم انفرجوا عنه حين قاتل عامل العراق يوسف بن عمر الثقفى ثم استشهد زيد، فاستخرجوا جسده بعد الدفن وحزوا رأسه ثم حرقوا جسده.[۷۶۹]

۱۲- قيام يحيى بن زيد ضد نصر بن سيار فهزم جيشه وقتل قائده، ثم استشهد مع سائر أصحابه.[۷۷۰]

۱۳- قيام الضحاك بن قيس الحرورى ضد عبداللّه بن عمر بن عبدالعزيز حيث استولى على واسط والموصل ونصيبين وحران، وفى عام ۱۲۷ قتل الضحاك وتفرق أصحابه.[۷۷۱]

۱۴- قيام أبوحمزة المختار بن عوف الحروى الأزدى واستيلائه على المدينة، ثم انطلق للشام، فاشتبك مع مروان الحمار ثم عاد إلى المدينة.[۷۷۲]

۱۵- قيام ابراهيم بن محمد الإمام وابومسلم الخراسانى عام ۱۲۹.[۷۷۳]

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۶۱

الخطبة[۷۷۴]: الثامنة والثمانون

اشارة

ومن خطبة له عليه السلام

وفيها بيان للأسباب التى تهلك الناس

نظرة إلى الخطبة

تتالف هذه الخطبة من قسمين؛ القسم الأول فى أنّ العذاب الإلهى لايأتى بغتة، بل إنّ اللّه ليمهل الجبابرة والظلمة والأقوام الطاغية والمفسدة، وإنّه لايعجل فى المؤاخذة، علهم يعودون إلى أنفسهم وينيبون إلى اللّه. بعبارة اخرى فان العذاب الإلهى لايحمل طابع الانتقام، بل يهدف إلى الاعتبار والتربية، إلّاأنّ المؤسف هو كثرة العبر وقلّة الاعتبار فلا من أذن تسمع ولا من عين تبصر الحق ولا قلوب تنزع إلى الهدى أمّا القسم الثانى فيشير إلى الأقوام المنحرفة التى تلجأ إلى أفكارها الناقصة وآرائها الباطلة لحل خلافاتها الدينية بدلًا من الرجوع إلى الوحى والسنة النبوية المطهرة، فتكتفى بظنها؛ الأمر الذى يقودها إلى الهلاك.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۶۳

القسم الأول: هل من عين باصرة واذن سامعة؟

اشارة

«أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَقْصِمْ يفصم جَبَّارِی دَهْرٍ قَطُّ إِلَّا بَعْدَ تَمْهِيلٍ رَخَاءٍ، ولَمْ يَجْبُرْ عَظْمَ أَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا بَعْدَ أَزْلٍ وبَلاءٍ؛ وفِی دُونِ ما اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ عَتْبٍ وما اسْتَدْبَرْتُمْ مِنْ خَطْبٍ مُعْتَبَرٌ وما كُلُّ ذِی قَلْبٍ بِلَبِيبٍ، ولا كُلُّ ذِی سَمْعٍ بِسَمِيعٍ، ولا كُلُّ ناظِرٍ بِبَصِيرٍ».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام فی هذا القسم من الخطبة إلی أمرين مهمين: الأول أنّ اللّه يمهل الطواغيت والجبابرة بغية اليقظة والعدوة. الثانی لانصر دون صعوبات ومعضلات، فقد قال عليه السلام:

«أمّا بعدفإنّ اللّه لم يقصم ۷۷۵] جبّارى دهرٍ قطّ إلّا بعد تمهيلٍ رخاءٍ»

نعم فاللّه حكيم وحليم وغفور ورحيم، واستناداً لهذه الصفات الحسنی فانّه لايعجل بالعقوبة، بل يمهل الاثمين والمذنبين علهم يرغبون ويفيدون علی اهداء وصواب ويكفون أنّ الذنوب يرعون والمعاصی، بل أحياناً يشجعهم فيغرقهم بوابل نعمه وآلائه، كما مر علينا ذلك فی تأريخ نبیاللّه نوح وموسی عليه السلام وكذلك فرعون وقوم بنیاسرائيل وقوم سبأ. ثم قال عليه السلام:

«و لم يجبر[۷۷۶] عظم أحدٍ من الأمم إلّا بعد أزلٍ ۷۷۷] وبلاءٍ»

ليقدروا النعم فيجدوا فی عدم نفارها وا لحفاظ عليها. ثم قال عليه السلام:

«و فی

دون ما استقبلتم من عتبٍ ۷۷۸] وما استدبرتم من خطبٍ معتبرٌ».

وكأنّ الإمام عليه السلام أراد أنّ يطيب خواطر صحبه ويرد علی تساؤل قد تقتدح فی أذهانهم بشأن إنتصارات بنیأمية وانزعاجهم من ذلك، فی عدم الاستعجال، فلن يدوم ظلم هؤلاء الظلمة، وهنالك وقت معلوم للمهلة الإلهية فاذا جاءت حلّ عليهم العذاب. ولا تمتعظوا ممّا يحل بكم من خطوب، فتلك سنة إلهية فی البلاء والاختبار وتحمل الشدائد ومن ثم الفرج واليسر، حتی فی عهد انبثاق الدعوة اللاسلامية وفی الحروب والمعارك فلم يكتب اللّه للمسلمين النصر فی موقعة الأحزاب حتی زلزلوا زلزالًا شديداً؛ الأمر الذی صوره القرآن بالقول: «وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَناجِرَ ... هُنالِكَ ابْتُلِیَ المُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزالًا شَدِيداً»[۷۷۹]. أمّا قوم بنیإسرائيل فقد خاطبوا نبيّهم موسی عليه السلام حين إشتد عليهم الاذی

«أو ذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا»

فردّ عليهم موسی عليه السلام بالقول: «عَسی رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِی الأَرضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ»[۷۸۰].

ونخلص ممّا سبق ان هذه السنة الإلهية جارية علی الامّة الإسلامية كما جرت علی الامم من قبلها، ولم يستثن من ذلك أصحاب الإمام عليه السلام. نعم كل هذه الامور دروس وعبر، إلّاأنّها تنفع من كانت له عين باصرة وأذن سامعة وقلب واع!

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه قائلًا:

«و ما كلّ ذی قلبٍ بلبيبٍ، ولا كلّ ذی سمعٍ بسميعٍ، ولاكلّ ناظرٍ ببصيرٍ»

فتأريخ البشرية مفعم باللدروس العبر، قصر عمرنا هو الآخر- لو تأملنا ذلك بدقة- ملئ بالحوادث المعبرة، بل قد ملأت العبر أركان كل شئ فی عالم الوجود، إلّا أنّ المؤسف له أنه ينبغی أن يكون هنالك من يسمع ويبصر ويعی ويعتبر، وما أقل هؤلاء، ومن هنا يواصلون طريق الضلالة ويصابون بما أصاب من قبلهم من مصير أسود وعاقبة مريرة.

مصير الجبابرة

يعتقد كل من يؤمن باللّه وعدله أنّ أساس هذا العالم قائم على العدل والقسط، وأنّ الظلم والجور طارئ على طبيعة عالم الخليقة، ومن هنا يراود البعض هذا السؤال: إذا كان العدل هو الأساس، فما تفسير تسلم الجبابرة لمقاليد الامور ومنحهم فرصة ممارسة نشاطهم وفعاليتهم؟

وللإجابة على هذا السؤال لابدّ من القول بأنّ هنالك عدة دوافع تقف وراء ذلك منها: أولًا:

فساد الناس ومثل هذه الحكومات هى عذابهم الدنيوى؛ الأمر الذى نلمسه فى وصية الإمام على عليه السلام لمن ترك النهى عن المنكر:

«فيولى عليكم شراركم ثم تدعون فلايستجاب لكم».[۷۸۱]

ثانياً: قد يتحلى بعض الجبابرة ببعض الخصال الحسنة التى تستلزم منحهم تلك المهلة التى يتقلبوا فيها فى البلاد، فقد جاء فى الخبر أنّ موسى عليه السلام قال: إلهى أمهلت فرعون أربعمائة سنة وقد إدعى الربوبية وكذب نبيك وآياتك! فجاءه الخطاب: إنّه حسن الخلق وسهل الحجاب، (أى لم تكن هناك من صعوبة لدى الناس فى الدخول عليه) وانى أحب أن أثيبه على هذه الصفات.[۷۸۲]

ثالثاً: ما ورد فى الخطبة حيث قال الإمام عليه السلام:

«أمّا بعد فان اللّه لم يقصم جبارى دهر قط إلا بعد تمهيل ورخاء»

لعلهم يفيقون من غفلتهم ويكفون عن ظلمهم وعدوانهم.

رابعاً هو أن بعض الجبابرة قد أغلقوا جميع أبواب الهداية بوجوههم، فاللّه يمهلهم إستدراجاً ليزدادوا ذنوباً وآثاماً فيضاعف عليهم العذاب، بالضبط كالذى يصعد شجرة وعاقبته السقوط، فكلما تسلق أكثر كان أذاه ومصابه أشد وأعظم. أما القرآن فقد صرح بهذا الشأن قائلًا: «وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّما نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّما نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ».[۷۸۳]

وبناءاً على ما تقدم فلاينبغى أن يتفر إلينا الشك فى مسئلة العدل إذا ما رأينا ظالماً وقد تحكم بمصير أمة، وذلك لاختلاف الأسباب المؤدية إلى ذلك والتى أشرنا إلى جانب منها سابقاً.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۶۷

القسم الثانى: الاستبداد مادة الاختلاف

اشارة

«فيا عَجَباً! وما لِيَ لا أَعْجَبُ مِنْ خَطَإِ هَذِهِ الْفِرَقِ عَلَى إِخْتِلافِ حُجَجِها فِي دِينِها! لا يَقْتَصُّونَ أَثَرَ نَبِيٍّ، ولا يَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِيٍّ، ولا يُؤْمِنُونَ بِغَيْبٍ، ولا يَعِفُّونَ عَنْ عَيْبٍ، يَعْمَلُونَ فِي الشُّبُهاتِ، ويَسِيرُونَ فِي الشَّهَواتِ. الْمَعْرُوفُ فِيهِمْ ما عَرَفُوا، والْمُنْكَرُ عِنْدَهُمْ ما أَنْكَرُوا، مَفْزَعُهُمْ فِي الْمُعْضِلاتِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ، وتَعْوِيلُهُمْ فِي الْمُهِمَّاتِ المبهمات عَلَى آرائِهِمْ، كَأَنَّ كُلَّ امْرِئٍ مِنْهُمْ إِمَامُ نَفْسِهِ، قَدْ أَخَذَ مِنْهَا فِيمَا يَرَى بِعُرًى ثِقاتٍ وثيقات- وموثقات، وأَسْبابٍ مُحْكَماتٍ».

الشرح والتفسير

لما كانت العبارات الأخيرة من القسم السابق من الخطبة بشأن الدروس والعبر فى حياة الناس، فانّ الإمام عليه السلام أشار هنا إلى أحدى الموارد المهمة لهذه العبر، ألا وهو اختلاف الأفراد والأقوام إثر هجرهم للأنبياء والأوصياء والعوم فى وادى الحيرة والضلال، فقال عليه السلام:

«فيا عجباً! وما لى لا أعجب من خطإ هذه الفرق على اختلاف حججها فى دينها! لا يقتصّون أثرن بىٍّ، ولا يقتدون بعمل وصىٍّ، ولا يؤمنون بغيبٍ، ولا يعفّون ۷۸۴] عن عيبٍ»،

فقد بان الشقاق والنفاق فى أوساط الامّة الإسلامية على عهد أميرَالمؤمنين على عليه السلام وقد ظهرت مختلف

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۶۸

المذاهب فى الاصول والفروع، إلى جانب إتساع رقعة البلاد الإسلامية التى أسهمت فى انبثاق مختلف الفرق. فالإمام عليه السلام يضم هـذا الاختلاف ويعزا ذلك إلى ثائر الاخباء زلات التى اشير إلى عشر منها فى هـذا الخطبـة، أربع منها وردت فى الخطبة: الاولى انهم لايتبعون تعاليم الوحى التى يبلغهم بها الأنبياء. الثانيـة انّهم لم يلتزموا ويقتـدو بالأوصياء من بعد الأنبياء. الثالثة عدم الإيمان بالغيب. أمّا مـا المراد بالإيمان بالغيب فهنا لك خلاف بين مفسرى القرآن وشرّاح نهـج البلاغـة. فقـد ذهب البعض إلى أنّ المراد بالغيب الـذات الالهية المقدسة، وقيل القيامة وقيل متشابهات القرآن بينما توسع البعض آخر فذهب إلى أنّ المقصود بالغيب كافة الامور الخارجة عن دائرة حس الإنسـان. وعليه فقـد يراد بـالغيب جميع مـاذكر، ويبـدوا المعنى الأخير هو الأنسب. الرابعـة عـدم التورع عن العيوب وبعبارة اخرى فانّ هؤلاء يرتكبون كل ذنب بسـهولة بسبب افتقادهم لملكـة الافاف التى تحجز الإنسان عن ذنب، وهكذا كانت مبانى إيمانهم ضعيفـة وأعمـالهم خاويـة، ومن الطبيعى أن يؤدى التزلزل فى الإيمـان إلى الفسـاد فى العمـل، كما يؤدى الفساد فى العمل إلى زعزعة دعائم الإيمان. ثم قال عليه السلام فى الصفة الخامسة العشرة:

«يعملون فى الشّبهات، ويسيرون فى الشّهوات»

العبارة

«فى الشهوات»

إشارة إلى نقطة لطيفة وهى أنّ هؤلاء يخفون أعمالهم السيئة تحت غطاء الشبهات حتى لايطلع الناس على قبائحهم. أنّهم قلما يتجهون صوب محكمـات القرآن والأحاديث، بل بالعكس إنّما يسارعون إلى المتشابهات، وكـذلك فى الموضوعات الخارجيـة التى تعتبر من الموضوعات الواضـحة، حيث يبتعـدون عنها ويقتفون آثار الموضوعات المشـتبهة؛ ولا غرو فليس لهم من سبيل القيام بأعمالهم الشائنة إلّامن هذا السبيل. والعبارة

«يسيرون فى الشهوات»

تثير إلى أنّ محور حيـاتهم إنّما يمر عبر الشـهوات، لا أنّ الشـهوات طارئـة عليهم، أضف إلى ذلك فانّ مقارفتهم لهـذه الشـهوات دائم متواصل، ويفهم ذلك من خلال العبارة التى تصدرتها الأفعال بصيغة المضارع

«يعملون ويسيرون»

. والجـدير بالـذكر أنّ أعمالهم إنعكاس لعقائـدهم الفاسـدة، كما يمكن أنّ تكون مقارفة الشـهوات تدفعهم لأن يتجهوا صوب العقائد التى تبرر أفعالهم.[۷۸۵] ثم خاض

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۶۹

الإمام عليه السلام فى إطار مواصلته لحديثه عن سائر صفات هؤلاء المضلين- الذين قد يكونون أحياناً من العلماء المزيفين- فقال عليه السلام:

«المعروف فيهم ما عرفوا، والمنكر عندهم ما أنكروا»

. نعم لما قطع هؤلاء رابطتهم باللّه والنبى لم يعد الوحى السـماوى والسـنة النبوية وكلمات المعصومين هى المعيار فى تمييز الصالح من الطالـح والحسن من القبيـح، بـل المعيـار هـوى النفس والرغبـات الباطنيـة، أو الافكـار الفئويـة والتعصـبات القبليـة والامـور الـتى تؤمن مصالحهم الماديـة، ولو كانوا حقاً من أهل الفكر فانّهم سيقعون فى وادى الضـلال أيضاً لعدم إنفتاحهم على تعاليم السـماء وإرشادات الأنبياء والمعصومين، ففكر الإنسان عرضه للخطأ والانحراف. ثم قال عليه السلام فى صفتهم التاسعة والعاشرة:

«مفزعهم فى المعضلات إلى أنفسهم، وتعويلهم فى المهمّات على آرائهم»

فاساس بؤسهم وشقائهم إنّما ينبع من هذه القضية، وهى أنّهم هجروا أولا تبعية الوحى وسنة النبى وتعاليم المعصومين، وعليه فكلما تقدموا أكثر إزداد انحرافهم وابتعادهم عن الحق. ومن هنا صرح الإمام عليه السلام كأن كل امرئ منهم إمام نفسه، قد أخذ منها فيما يرى بعرى ثقات وأسباب محكمات، والحال لاينطوون سوى على أفكار هزيلة وتصورات واهية «وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ»[۷۸۶]. نعم هذا هو المصير المحتوم الذى ينتظر الأفراد الذين يولون ظهورهم للمعايير الدينية الصحيحة فى حل خلافاتهم الفكرية والعقائدية وتمييز الحق من الباطل والصراط المستقيم من الطريق السقيم ويعولون على أفكارهم القاصرة وآرائهم الباطلة، ولذلك وقعوا فى أودية الشرك والوثنية المقيتة حتى جعلوا للّه جسماً ويداً ورجلًا وشعراً مجعداً، بينما خالفهم البعض الآخر تماماً حتى عطل صفاته سبحانه وهبطوا بالفكر إلى الحضيض فى أنّه لايستطيع إدراك صفاته والتطرق إلى ذاته، فذلك التجسيم الأبله وهذا التعطيل الأحمق هو الوليد الطبيعى للاستناد إلى الآراء الناقصة وهجر تعاليم أئمة الدين، فكان منهم الخوارج الذين يحسبون أنّهم عابدون وقد سلكوا سبيل النجاة، بينما أنكروا أبسط بديهات الإسلام وشرعة المقدس فى ضرورة الحكومة وحاجة الامة الماسة إليها.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۷۰

المستبدون الظالون

استفاضت الأحاديث التى تؤكد على أنّ الهوى يصد الإنسان عن الحق؛ الأمر الذى أشارت إليه بصورة جامعة هذه الخطبة، فهؤلاء الذين عجنت حياتهم بالشهوات لايرون معروف اللّه معروفاً ولامنكره منكرا، فهم لايستندون إلى أدلة العقل، والمعروف ما انسجم وميولهم النفسانية، وما خالفها فهو المنكر. وإذا ما صادفتهم بعض المسائل المعظلة إنّما يلوذون بأفكارهم المنحطة بدلًا من الاستعانة بالعقل والفكر، وأبعد من ذلك الآيات القرآنية وتعاليم الأئمة ليحلوا مشاكلهم. والعجيب أن هؤلاء الأفراد لايقبل أحدهم الآخر، بل كل يرى أنّه إمام نفسه وأنّه مرجعها وملاذها. ومن الطبيعى أنّ لايقود هذا السلوك سوى إلى الحيرة والضلال والسقوط، والاسوأ من كل ذلك يرون أنفسهم مهتدين؛ الأمر الذى صوره القرآن الكريم: «قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمالًا* الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى الحَياةِ الدُّنْيا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً»[۷۸۷].

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۷۱

الخطبة[۷۸۸] التاسعة والثمانون

اشارة

ومن خطبة له عليه السلام

فى الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله وبلاغ الإمام عنه

نظرة إلى الخطبة

تتحدث الخطبة عن ثلاثة أمور مرتبطة مع بعضها؛ الأول تصوير جامع ورائع عن أوضاع العرب فى الجاهلية تزامنا مع بعثة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله يفيد أنهم كانوا فى أسوأ حالة من الناحية المادية والمعنوية؛ الحالة التى لايمكن معها وصفهم بالحياة، بل تشير الخطبة إلى الاوضاع الوخيمة والظلام الدامس الذى كان سائداً حتى خارج الجزيرة العربية. ثم حذر صحبه ومن عاصره من الظن بانقطاع عصر الجاهلية، بل عليهم الاعتبار بحياتهم والحيطة والحذر من العودة إلى الجاهلية. أخيراً صرح بهذه الحقيقة وهى مقارعة الجاهلية وأفكارها المنحرفة، وبينت لكم ما بينه رسولاللّه صلى الله عليه و آله فى زمانه، حتى أتممت الحجة عليكم. ثم حذرهم عليه

السلام من الغرور والغفلة والتحلى باليقظة تجاه الأحداث والمخاطر التى تنتظرهم.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۷۳

القسم الأول: العالم على أعتاب الدعوة

اشارة

«أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الْأُمَمِ، واعْتِزامٍ مِنَ الْفِتَنِ، وانْتِشارٍ مِنَ الْأُمُورِ، وتَلَظٍّ تلظى مِنَ الْحُرُوبِ، والدُّنْيا كاسِفَةُ النُّورِ، ظاهِرَةُ الْغُرُورِ، عَلَى حِينِ اصْـفِرارٍ مِنْ وَرَقِها، وإِياسٍ مِنْ ثَمَرِها، اغْورارٍ مِنْ مائِها، قَدْ دَرَسَتْ مَنارُ الْهُـدَى، وظَهَرَتْ أَعْلامُ الرَّدَى، فَهِيَ مُتَجَهِّمَةٌ لِأَهْلِها، عابِسَةٌ فِي وَجْهِ طالِبِها، ثَمَرُها الْفِتْنَةُ، وطَعامُها الْجِيفَةُ، شِعارُها الْخَوْفُ، ودِثارُها السَّيْفُ».

الشرح والتفسير

إن الهـدف الغائى للإمام عليه السـلام من هـذه الخطبـة هو إيقاظ الناس من سـبات الغفلة والغرور، فقد إصـطحبهم إلى عصـر الجاهلية واسـتعرض لهم التأريـخ، كيف كان الناس، والنقلـة النوعيـة الكبرى التى أحـدثتها نهضة النبى صـلى الله عليه و آله، ثم حذر من عودة أوضـاع الجاهليـة، مؤكـدا أنّه وعلى غرار النبى صـلى الله عليه و آله ثـار من أجـل إجتثـاث جـذور الجاهليـة بما تنطوى عليه من أفكار وأوهام، ليعودوا إلى أنفسهم قبل فوات الآوان. فقد رسم صورة واضحة للجاهلية بعبارات قصيرة عظيمة المعنى فى خمس عشرة. جملة بما يعجز الآخرون عن رسم مثل هذه الصورة. فقال عليه السلام

«أرسله على حين فترةٍ[۷۸۹] من الرّسل»،

وقيل إنّ هذه الفترة قد استغرقت خمسمائة سنة وقيل ستمئة سنة لم يبعث فيها نبى ۷۹۰] (وان كان أوصياؤهم بين الناس). ولذلك ساد الناس سبات

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۷۴

قاتل، وهذا ما أكده الإمام عليه السلام فى العبارة الثانية

«و طول هجعةٍ[۷۹۱] من الأمم»،

ولعل هـذه الفترة تسـتبطن امتحان اللّه للعباد وللوقوف على قـدر الأنبياء ونعمته عليهم. مع ذلك فقد كان هناك أثر مباشـر لهذه الفترة فى تفعيـل حركـة شـياطين الجن والانس؛ وذلك أن الميـدان قـد خلالهم فشـددوا من حملاتهم على الامم والشـعوب فجرعوها أنواع الانحرافات والأضاليل ثم قال عليه السلام فى العبارة الثالثة:

«و اعتزامٍ ۷۹۲] من الفتن»

فقـد شـبه الإمام عليه السـلام الفتن بالإنسان الشـرير أو الحيوان الضارى الـذى يهجم على الإنسان الأمن دون مبرر؛ وهذا ما كانت عليه الإمام فى فترة الرسل.

ثم قال عليه السلام فى العبارة الرابعة:

«و انتشارٍ من الأمور»

يمكـن أن يكـون المراد بهـذه العبـارة تشـتت فعاليـات الجماعـة البشـريـة وانشـطتها، وبعبـارة اخرى ظهـور الفوضـى والهرج والمرج والاضطراب والتشتت فى المجتمعات والذى يعد من الفتن والقلاقل. ثم قال عليه السلام:

«و تلظٍّ[۷۹۳] منالحروب»

يـاله من تشبيه رائع، حيث شـبه الحرب بلهيب الانـار المحرقـة التى تأتى على الأخضـر واليابس فتحيله رماداً. كما شـبه امتـداد الحروب

بالسنة النيران. ولو رجعنا قليلا إلى الوراء لرأينا العالم برمته ولا سيما جزيرة العرب أنّه كان مسرحاً للحروب الدامية فقد كانت الحرب قائمة على قدم وساق بين القبائل العربية ولأتفه الأسباب، إلى جانب معارك الروم وايران، فكانت تسيل أودية من الدماء. وقال عليه السلام:

«والدّنيا كاسفة[۷۹۴] النّور، ظاهرة الغرور»

فالواقع أنّ نور البشرية ليس إلّانور الوحى ووجود الانبياء، فاذا كانت هناك ظلمة مطلقة تلقى بعتمتها على كل شئ فتستفحل أمراض الخدع والمكر، وتتسع رقعة المذاهب الزائفة ويتلبس الدجالون لباس المسوح والاصلاح فيجدوا فى إستغلال الخلق من أجل تحقيق منافعهم المادية. ثم شبه الإمام عليه السلام الناس فى الجاهلية بمزرعة قد ذبلت جميع أشجارها

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۷۵

واصفرت أوراقها (فهى فى حال التساقط) وقد يأس المزارع من ثمرها بعد أنّ غار ماؤها وجفت عروقها:

«على حين اصفرارٍ من ورقها، وإياسٍ ۷۹۵] من ثمرها، واغورارٍ[۷۹۶] من مائها»

وذلك لأنّ مزرعة المجتمع البشرى إنّما تتزين بورود الأخلاق والفضائل، وثمارها العدالة والمروءة والمحبة، أمّا ماؤها فيكمن فى الإيمان والورع والتقوى المعانى التى كانت مغيبة تماماً فى العصر الجاهلى. حتى من الناحية المادية فقد شلت الزراعة والتجارة بسبب الحروب وعدم شياع الأمن والاستقرار فكان الفقر قد ساء العالم الجاهلى بالشكل الذى كان يدفعهم إلى قتل أولادهم، وهذا ما أشار إليه القرآن بالقول: «وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ»[۷۹۷] بغض النظر عن وأدهم البنات خشية الفضيحة والعار. ثم قال عليه السلام فى الصفة التاسعة والعاشرة:

«قددرست ۷۹۸] منار الهدى، وظهرت أعلام الرّدى»

فالمنار موضع النور، حيث كانوا يشعلون فى السابق سراجاً على مرتفع حين الليل فيكون علامة للقرى المدن يشاهدها القاصى والدانى فلايضل الطريق. فاذا تآلكت هذه المرتفعات وتهدمت لم يعد هناك من سراج فوقها، فالعبارة كناية رائعة إلى سراج الكتب السماوية وتعاليم الأنبياء التى تمثل نور الهداية للجماعة الإنسانية، وقد انطفئ هذا النور فى العصر الجاهلى اثر غلبة الاهواء، فكان من الطبيعى إذا اطفئ النور أن يعم الظلام الدامس بكل معانى الحيرة والظلال والكفر والنفاق وقال عليه السلام فى الصفة الحادية عشرة:

«فهى متجهّمةٌ[۷۹۹] لِأهلِها، عابِسةٌ[۸۰۰] فِى وجهِ طالِبِها»

فالعبارة كناية عن شدة العنف والنزاعات وصعوبة المعيش وتعقيد الحياة؛ كيف لا والحياة الوادعة الامنة لاتتحق الا فى ظل العدالة الاجتماعية والاخاء والمحبّة والمودة التى لم يكن لها من أثر فى العصر الجاهلى. ثم قال عليه السلام:

«ثمرها الفتنة، وطعامها الجيفة[۸۰۱]»

. حقاً ليست هنا لك من ثمرة لذلك الوسط بتلك

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۷۶

الصفات سوى الفتن وليس له من طعام سوى الميتة؛ والمفردة جيفة قد تكون إشارة إلى الوضع الذى كان عليه الناس فى عصر الجاهلية حيث كانت ا لعرب تأكل الميتة من شدة الاضطرار فالميتة متعفنة وتدعو إلى الاشمئزاز والنفرة، وقطعا فانّ الحياة فى مثل هذه البيئة إنّما تتسم بالتعفن والاشمئزاز، كما كان دخلهم عن طريق شن الغارات ولسراقات وما شابه ذلك من الامور التى يمجها العقل السليم؛ أمّا الدليل على أكل أهل الجاهلية للميتة هو الآية القرآنية التى نهت عن ذلك: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ المَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الخِنْزِيرِ ...»[۸۰۲] وبالطبع فانّ المراد بالثمرة والطعام فى العبارة الجانب الكنائى. فطعام الإنسان عادة أمّا أن يكون من الثمار أو اللحوم، ولم يكن نصيب الناس فى الجاهلية سوى الفتنة والأفكار المتعفنة التى تدعو إلى الاشمئزاز والتقزز؛ ثمراتهم ونعمهم المادية والمعنوية كانت معجونة بالتعفن والفساد والعار. ثم قال عليه السلام:

«وشعارها الخوف، ودثارها السّيف»

فبالالتفات إلى أنّ الشعار يعنى الثوب الذى يلى البدن والدثار الثوب الداخلى يتبين أنّ العبارة كناية رائعة ولطيفة مصعمة بالفصاحة والبلاغة لتصوير ظروف ذلك الزمان وسيادة الخوف والسيف من الداخل والخارج، فكل يخشى الآخر، وكل قبيلة تتوقع أن تحمل عليها اخرى فتقتل رجالها وتسبى نسائها وتنهب أموالها.

فكانت السيوف مشهورة على الدوام بسبب ذلك الخوف والخشبية، ولعمرى أنّ هذه العبارة قد أشارت إلى كافة أنواع البؤس والشقاء السائدة آنذاك. ومن الطبيعى أن يسود الخوف والرعب أوساط المجتمع الذى تغيب فيه أنوار الهدى وتشع فيه اعلام الضلال والردى ويبتعد فيه الافرد عن تعاليم السماء وإرشادات الأنبياء. أمّا الصورة التى رسمها أميرَالمؤمنين عليه السلام بهذه العبارة التى تعرض إلى خصائص العصر الجاهلى فانّها لاتقتصر على شبه الجزير العربية فحسب، بل تشمل كافة مناطق العالم آنذاك وإن بلغت ذروتها بين قبائل العرب. والحق لايسع خطيب ولاكاتب مهما كانت قدرته على البيان أن يصور فجائع ذلك الزمان وانحرافاته كا صورها الإمام عليه السلام بهذه العبارات المعجزة وهذا ما سنتعرض إليه فى الحبث القادم والمؤسف أن هذه الخصائص إنّما تشاهد اليوم بوضوح فى عصرنا الراهن الذى تحكمه الجاهليات المعاصرة.

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۷۷

ومن هنا نقف على عظم جهود النبى صلى الله عليه و آله فى إخراج تلك الجماعة الممزقة الميتة من الظلمات إلى النور وتبديل خوفها أمنا وفقرها غنى ونزاعها وقتالها إلى إخوة وصلح وسلام، كما جعلهم أمّة متحضرة متمدنة حتى إنتشر الإسلام ورفعت رايته خفاقة فى أغلب ربوع المعمورة، وقد استسلمت الملوك والسلاطين والجبابرة والطغاة لجيوش المسلمين الفاتحة التى حملت مشاعل الهداية والخير والصلاح. كما نهض المجتمع الإسلامى نهضات عظيمة ليشهد ذلك التطور والأزدهار فى كافة المجالات العلمية والاجتماعية والاقتصادية. وحقاً إن هذا لمن معجزات الدين الإسلامى الخالد وا لجهود المضنية التى بذلها الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله؛ ولا غرو فانّ كافة الحسابات المادية تشير إلى إنّ إنقاذ تلك الامّة مما كانت عليه والأخذ بيدها إلى حيث العزة والرفعة والسمو والكمال لايمكن تحقيقه فى ظل المعادلات الطبيعية والحسابات المادية! وكما أوردنا سالفا فانّ هدف الإمام عليه السلام يكمن فى تحذير الامّة من مغبة العودة إلى الجاهلية المقيتة بثيابها الجديدة وإنّ الإمام عليه السلام سيقف بوجهها كما وقف بوجهها رسولاللّه صلى الله عليه و آله واخمدها بجهاده.

الجاهلية المعاصرة

لقد وقفنا على الصورة الرائعة التى رسمها الإمام عليه السلام للعصر الجاهلى بتلك العبارات المشحوتة بالفصاحة والبلاغة. وبالطبع فقد أشرنا إلى جانب من مميزات ذلك العصر فى الخطبة الثانية من المجلد الأول والخطبة السادسة والعشرين من المجلد الثانى. غير أنّه لايمكن الوقوف على عظمة جهود النبى صلى الله عليه و آله فى هداية تلك الأقوام ما لم يتامل الإنسان بعض تفاصيل حياة العرب فى العصر الجاهلى من حيث الحروب والسلام والتقاليد والأعراف والخرافات والأباطيل التى كانت تنظم شؤون حياتهم. والمهم هنا هو أنّ هذه الجاهلية إنّما ترتدى اليوم حلة جديدة فى مجتمعاتنا المعاصرة بينما تشترك فى مميزاتها وخصائصها والجاهلية الاولى فقد كانت القيم الحقة مغيبة فى العصر الجاهلى، ودماء الأبرياء العزل تسفك بسهولة، وديدنه غارات الأموال والثروات ونهبها، ولايفرق هذا مع الجاهلية المعاصرة التى لاتفكر سوى فى الحصول على الأموال وبارخص الأساليب، أدناها بيع أسلحة الدمار الشامل والتجارة

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۷۸

بالمحدرات وشن الحروب من أجل الاستيلاء على مصادر الطاقة. وان شهد العصر الجاهلى وأد بعض البنات، فالقانون اليوم يبرر للناس حالة الإسقاط والإجهاض، كما شنت الحرب العالمية التى أودت بحياة الالاف المؤلفة من البنين والبنات، فقد ذكر أنّ عدد قتلى

الحرب العالمية الاولى والثانية ليفوق بكثير كافة ضحاياً الحروب التى شهدتها البشرية طيلة التأريخ، بل كان قتلى مدينتين فى اليابان من جراء قنبلتين نوويتين أكثر من كافة قتلى العصر الجاهلى! وإن كانت بعض النساء من ذوات الأعلام فى الجاهلية، فبعض النسوة اليوم تجاوزت تلك الأعلام لتعلن عن فجورها وفسادها فى أغلب صحف العالم وتنظم لنفسها بعض الاعلانات داعية الآخرين إليها؛ الأمر الذى دفع بالدول والحكومات إلى فرض بعض الضرائب عليهن، وهذا ما أدى بالتالى إلى توفير الدعم القانونى لهن. بيع البنين والبنات ما زال متواصلًا حيث يقدم الأوربيون والأمريكان على شراء الصبية من المناطق المعدمة ويبيعونهم إلى الغرب؛ وهذا ما ينشر فى الصحف والمجلات. أمّا الأخلاق فحدث ولاحرج فقد محتها أمواج الفساد والبغى والدعارة، ولو إستعرضنا بعض الجرائم والانحرافات لأدركنا أنّ الجاهلية المعاصرة أرهب وأرعب بكثير من تلك الجاهلية. ولعل الآية ۳۳ من سورة الأحزاب ناظرة إلى الجاهلية المعاصرة حين خاطبت نساء النبى صلى الله عليه و آله بالقول: «وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجاهِلِيَّةِ الأُولى .

فالتعبير بالجاهلية الاولى يفيد أنّ هناك جاهلية أخرى

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۷۹

القسم الثانى: كلكم مسؤول

«فاعْتَبِرُوا عِبادَ اللَّهِ واذْكُرُوا تِيكَ الَّتِى آباؤُكُمْ وإِخْوانُكُمْ بِها مُرْتَهَنُونَ، وعَلَيْها مُحاسَبُونَ ولَعَمْرِى ما تَقادَمَتْ بِكُمْ ولا بِهِمُ الْعُهُودُ، ولا خَلَتْ فِيما بَيْنَكُمْ وبَيْنَهُمُ الْأَحْقابُ والْقُرُونُ الدهور، وما أَنْتُمُ الْيَوْمَ مِنْ يَوْمَ كُنْتُمْ فِى أَصْلابِهِمْ بِبَعِيدٍ. واللَّهِ ما أَسْمَعَكُمُ الرَّسُولُ شَيْئاً إِلَّا وها أَنا ذا مُسْمِعُكُمُوهُ، وما أَسْماعُكُمُ الْيَوْمَ بِدُونِ أَسْماعِكُمْ بِالْأَمْسِ، ولا شُقَّتْ لَهُمُ الْأَبْصارُ، ولا جُعِلَتْ لَهُمُ الْأَفْئِدَةُ فِى ذَلِكَ الزَّمانِ، إِلَّا وقَدْ أُعْطِيتُمْ مِثْلَها فِى هَذا الزَّمانِ الأَوان. و وَاللَّهِ ما بُصِّرْتُمْ بَعْدَهُمْ شَيْئاً جَهِلُوهُ ولا أُصْفِيتُمْ بِهِ وحُرِمُوهُ، ولَقَدْ نَزَلَتْ بِكُمُ الْبَلِيَّةُ جائِلًا خِطامُها، رِخْواً بِطانُها فَلا يَغُرَّنَّكُمْ ما أَصْبَحَ فِيهِ أَهْلُ الْغُرُورِ، فَإِنَّما هُوَ ظِلٌّ مَمْدُودٌ إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ».

الشرح والتفسير

خاطب الإمام عليه السلام الناس فى زمانه محذرهم من إمكانية تكرار أوضاع الجاهلية فتعمكم ما كانت عليه من الفساد والانحراف فعليكم باليقظة والحذر:

«فاعتبروا عباد اللّه واذكروا تيك الّتى آباؤكم وإخوانكم بها مرت هنون، وعليها محاسبون».

تيك التى تعنى تلك إشارة شاملة إلى كافة ذنوب وآثام أقوام الجاهلية، وانّ اللّه سيحاسبهم عليها، ولم يذكر هنا المشار إليه حيث بين فى القسم السابق، وعليه لم تعد هناك من حاجة إلى التكرار. هذا وقد ذهب بعض شرّاح نهج‌البلاغة إلى أنّ المراد باسم الإشارة الدنيا والحياة الدنيوية أو الامّانة الإلهية

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۸۰

التى أشارت إليها الآية القرآنية: «إِنّا عَرَضْنا الأَمانَةَ ...»[۸۰۳] إلّاأنّ هذا التفسير لايبدو مستقيماً بالالتفات إلى صدر الخطبة وذيلها. ثم قال عليه السلام:

«و لعمرى ما تقادمت بكم ولا بهم العهود، ولا خلت فيما بينكم وبينهم الأحقاب ۸۰۴] والقرون، وما أنتم الْيوم من يوم كنتم فى أصلابهم ببعيدٍ».

بناءاً على التفسير المذكور فانّ العهود هى المواثيق، والعبارة إشارة لما ورد فى القرآن الكريم «قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ»[۸۰۵] أمّا البعض من الشراح فقد ذهب إلى أنّ المراد بالعهود هنا العصور وعلى هذا الضوء سيكون المفهوم واحدا مع العبارة القادمة:

«و لا خلت فيما بينكم بينهم الأحقاب والقرون»

، ثم أشار الإمام عليه السلام إلى مكانته آنذاك والتى تصاف مكانة النبى صلى الله عليه و آله ازاء فجائع زمان الجاهلية فقال:

«واللّه ما أسمعكم ۸۰۶] الرّسول شيئاً إلّاوها أنا ذا مسمعكموه، وما أسماعكم اليوم بدون أسماع كم بالأمس، ولا شقّت لهم الأبصار، ولا جعلت لهم الأفئدة فى ذلك الزّمان، إلّاوقد أعطيتم مثلها فى هذا الزّمان»

وعليه فانكم تشبهونهم فى كل شئ، والحال إنّكم تلوون رؤوسكم عن الحق الذى كانوا عليه. فالواقع هو أنّ الإمام عليه السلام أشار ضمنياً إلى حقيقة مريرة فى عصره- بسبب سوء تدبير سابق الخلفاء والانغماس فى الثروات التى ملأت الجزيرة العربية من خلال الفتوحات الإسلامية التى جرت عليهم هذه الغنائم- وهى بداية جاهلية اخرى قد أصيب بها الناس. فقد ظهرت الأصنام بصور اخرى، بحيث أصبح الدينار والدرهم صنماً، كما أصبح المنصب والمقام صنماً. فقد أوضح الإمام عليه السلام أنّ رسالته فى هذا العصر والزمان هى ذات رسالة رسولاللّه صلى الله عليه و آله، فهو يبين كل ما بينه النبى صلى الله عليه و آله، ثم قال عليه السلام أنّ أسماعكم

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۸۱

وابصاركم وأفئدتكم ليست باقل من أسماع وأبصار وأفئدة الناس فى عصر الجاهلية الذى نهض فيه رسولاللّه صلى الله عليه و آله وصدع بالأمر، فلديكم ذات الحس والشعور والإدراك (بل إنّكم لتفوقونهم فى ذلك فقد انبثقت الدعوة وانتشرت، فكيف لاتكفون عن سوء الأعمال، ولم ترعوون عن الضلال وتعودن إلى الهدى ولم لاتفيقون من نوم الغفلة». ثم حذرهم الإمام قائلًا:

«و لقد نزلت بكم البليّة جائلًا[۸۰۷] خطامها،[۸۰۸] رخواً بطانها[۸۰۹]»

ذهب أغلب الشرّاح إلى أنّ المراد بهذه البلية فتنة بنى‌أمية التى أحرقت الاخضر واليابس وطالت أموال الناس وأعراضهم. والجدير بالذكر هو أن الإمام عليه السلام قد شبه هذا البلاء الكاسر بالناقة الجامحة التى إسترخى لجامها فهى تنذر بسقوط راكبها. وعليه فالراكب لايتمكن من حفظ نفسه فضلًا عن السيطرة على الناقة وصدها عن الجموح. نعم هكذا كان بلاء بنى‌أمية حيث لم يسلم أحد منهم.

وأخيراً إختتم الإمام عليه السلام خطبته قائلًا:

«فلا يغرّنكم ما أصبح فيه أهل الغرور، فإنّما هو ظلّ ممدودٌ إلى أجلٍ معدودٍ».

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۸۳

الخطبة[۸۱۰] التسعون

اشارة

ومن خطبة له عليه السلام

وتشتمل على قدم الخالق وعظم مخلوقاته، ويختمها بالوعظ

نظرة إلى الخطبة

تتالف الخطبة من أربعة أقسام:

القسم الأول: الحديث عن إحاطة اللّه بالعباد وعلمه بخفاياً الإنسان.

القسم الثانى: ازلية الحق سبحانه وشرحها بعبارات رائعة واضحة.

القسم الثالث: تهديد أعداءاللّه بالعذاب الاليم وبشارة أولياءاللّه بجزيل الأجر والثواب.

القسم الرابع: وعظ عباداللّه والنصح لهم، وكأن الاقسام الثلاث كانت مقدمة لهذا الوعظ المؤثر فى الإنسان.

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٣٨٥

القسم الأول: كان ولم يكن أحد سواه

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ، والْخالِقِ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ، الَّذِى لَمْ يَزَلْ قائِماً قادِماً: إِذْ لا سَماءٌ ذاتُ أَبْراجٍ، ولا حُجُبٌ ذاتُ إِرْتاجٍ، ولا لَيْلٌ داجٍ، وَلا بَحْرٌ ساجٍ، ولا جَبَلٌ ذُو فِجاجٍ، ولا فَجٌّ ذُو اعْوِجاجٍ، ولا أَرْضٌ ذاتُ مِهادٍ، وَلا خَلْقٌ ذُو اعْتِمادٍ: ذَلِكَ مُبْتَدِعُ الْخَلْقِ ووارِثُهُ، وإِلَهُ الْخَلْقِ ورازِقُهُ، الشَّمْسُ والْقَمَرُ دائِبانِ فِى مَرْضاتِهِ: يُبْلِيانِ كُلَّ جَدِيدٍ، ويُقَرِّبانِ كُلَّ بَعِيدٍ».

الشرح والتفسير

استهل الإمام عليه السلام خطبته بالإشارة إلى ثلاث من صفات اللّه فقال:

«الحمد للّه المعروف من غير رؤيةٍ»

نعم فهو ليس بجسم ولايحده زمان أو مكان يرى بالعين؛ فالجسمية دليل النقص والحاجة إلى الزمان والمكان، بينما اللّه منزه عن هذا النقض والحاجة فهو كمال مطلق، مع ذلك فقد ملأت آثاره الآفاق بما يدل على وجود ذاته المقدسة، بما فيها الآيات الآفاقية والنفسية. فالرؤية محالة عليه، إلّاأنّه أوضح الواضحات، فكافة ذرات العالم تسبحه وتقدسه وتشهد له بالوجود. وقال عليه السلام فى الصفة الثانية:

«و الخالق من غير رويّةٍ»[٨١١]

فانّما يحتاج إلى الفكر من كان هناك أشياء مجهولة لديه، أما من لم يكن له من شئ مجهول فالفكر محال عليه. كما يحتمل أن يكون المراد يقوله

«غير رويّةٍ»

بأنّ سابقة لم تكن لهذا الخلق الذى خلقه اللّه، خلافاً لخلاقية الإنسان التى تحتذى بالتجارب. ثم قال فى الصفة الثالثة:

«الّذى لم يزل قائماً دائماً»

فالازلية والأبدية من مختصات الذات المقدسة التى تعد من لوازم تلك الذات المطلقة

نفحات الولاية، ج٣، ص: ٣٨٦

اللامحدودة. فلو كانت هناك من بداية لشئ كانت له نهاية فهو محدود قطعاً. أمّا الذات اللامحدودة واللامتناهية فهى لاتعرف البداية ولا النهاية. فهو الوجود الذى كان وكائن إلى الأبد. ثم وضح عليه السلام أزليته سبحانه بالقول:

«إذ لا سماءٌ ذات أبراجٍ، ولا حجبٌ ذات إرتاجٍ،[٨١٢] ولا ليلٌ داجٍ،[٨١٣] ولا بحرٌ ساجٍ،[٨١٤] ولا جبلٌ ذو فجاجٍ،[٨١٥] ولا فجٌّ ذو اعوجاجٍ، ولا أرضٌ ذات مهادٍ، ولا خلقٌ ذو اعتمادٍ»

يمكن أن تكون العبارة

«حجب ذات ارتاج»

اشارة إلى ما صرحت به الروايات والأخبار من حجب النور تحت العرش التى لايسع مخلوق الاقتراب منها، فشدة نورها التى تخبف الأبصار وتحول دون إجتيازها هى بعض مخلوقات اللّه التى يحتمل أنّها وجدت بعد خلق العرش وقد فصلت العرش عن السموات. فقد جاء فى الخبر عن الإمام الكاظم عليه السلام فى فلسفة التكبيرات السبع فى بداية الصلاة أنّه قال:

«يا هشام إن اللّه خلق السماوت سبعا والأرضين سبعا والحجب سبعا ...»[٨١٦]

ثم ورد فى ذيل الحديث أن هذه الحجب كانت تطرح الواحد بعد الآخر أمام رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله حين المعراج، فكان يكبر اللّه عند رفع كل حجاب وهذه هى فلسفة التكبيرات السبع (فالمصلى حين يقف بين يدى ربّه للصلاة التى تعتبر معراج المؤمن يكبر

سبعاً من أجل رفع تلك الحجب عنه. كما تفيد المناجاة الشعبانية أنّ هذه الحجب النورانية قد رفعت عن بعض أولياءاللّه

«إلهى هب لى كمال الانقطاع اليك وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور فتصل إلى معدن العظمة ...»

وبالطبع ليس لدينا من إطلاع عن ماهية هذه الحجب، أمّا الذى يستفاد من عبارات المناجاة الشعبانية أنّ تلك الحجب تشير إلى سلسلة من المفاهيم الوراء الطبيعة.

وقد تعرض المرحوم العلّامة المجلسى فى بحارالأنوار بعد الإشارة إلى موضوع الحجب النورية الواردة فى الروايات إلى بيان وتفسير الحجب فى أبعادها الجسمانية والروحانية أو المادية والمعنوية.[۸۱۷] العبارة:

«و لا ليلٌ داجٍ، ولا بحرٌ ساجٍ»

فى الوقت الذى تشير فيه إلى أزلية اللّه

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۸۷

ووجوده المقدس قبل الخلق العالم، فهى تلمح إلى نعمه سبحانه على الخلق، وذلك لأنّ ظلمة الليل وسكون البحر من نعمه سبحانه، فالاولى تدعو إلى النوم والراحة التى تلعب دورا بالغاً فى بناء البدن والروح، والثانية فى الملاحة والصيد واستخراج ما فى أعماق البحر من لؤلؤ ومرجان. والعبارة:

«جبل ذوفجاج»

أى أنّ الجبال لو كانت كالجدران متصلة لانفصلت بقاع الأرض عن بعضها واختلت الحركة عليها، بينما إقتضت حكمة اللّه فصلها لتيسير الحركة والمشيى.

«فج ذو اعوجاج»

يمكن أن يكون المراد بها لو لا انعطاف واعوجاج الأودية لأتت السيول بحركتها السريعة فجرفت كل شئ، حيث حال ذلك الاعوجاج دون طغيان السيول وسيطر عليها.

«أرض ذات مهاد»

إشارة إلى الأراضى الواسعة الساكنة.

«خلق ذواعتماد»

إشارة إلى القدرة الروحية والجسمية التى منحها اللّه للإنسان. ثم قال عليه السلام:

«ذلك مبتدع الخلق ووارثه»،

فكل شئ زائل ولايبقى سواه

«و إله الخلق ورازقه»،

وكيف لايكون إله الخلق ومعبودهم وهو بهذه الصفات والكمالات. أضف إلى ذلك فالرزق بيده وهو يفيضه على العباد.

فهو جدير بالعبادة لعظمته وهو أولى بها شكراً لنعمه. ثم اختتم كلامه بالإشارة إلى نعمتين تفيدان قدرته وعظمته فقال:

«و الشّمس والقمر دائبان ۸۱۸] فى مرضاته: يبليان كلّ جديدٍ، ويقرّبان كلّ بعيدٍ»

فقد سمى الشمس والقمر دائبين لتعاقبهما على حال واحدة دائما لايفترقان ولايسكنان. فالقمر فى حالة حركة دائما، إلّاأنّ نسب الحركة للشمس يمكن أن يكون إشارة إلى حركتها الظاهرية (وان كانت فى الواقع ثابته والأرض تدور حولها) أو إشارة إلى سائر حركات الشمس، بل جميع المنظومة الشمسية فى المجرات.

والجدير بالذكر أنّ أغلب عبارات الإمام عليه السلام قد اقتبست من آيات القرآن الكريم، ومنها الآية:

«وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِساطاً* لِتَسْلُكوا مِنْها سُبُلًا فِجاجاً»[۸۱۹] والآية «أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهاداً»[۸۲۰] والآية «وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ دائِبَيْنِ»[۸۲۱].

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۸۹

القسم الثانى: العالم بالخفايا والأسرار

«قَسَمَ أَرْزاقَهُمْ، وأَحْصَى آثارَهُمْ وأَعْمالَهُمْ، وعَدَدَ أَنْفُسِهِمْ، وخائِنَةَ أَعْيُنِهِمْ، وما تُخْفِى صُدُورُهُمْ مِنَ الضَّمِيرِ، ومُسْتَقَرَّهُمْ ومُسْتَوْدَعَهُمْ مِنَ الْأَرْحامِ والظُّهُورِ، إِلَى أَنْ تَتَناهَى بِهِمُ الْغاياتُ».

الشرح والتفسير

يتحدث الإمام عليه السلام هنا أيضاً عن صفات اللَّه ذات الصلة بأوضاع الناس ومصائرهم كمقدمة للوعظ والنصح فقال عليه السلام:

«قسم أرزاقهم»،

طبعا المراد بتقسيم الارزاق تقيسمها على ضوء السعى والعمل والاجتهاد، لا- أنّ اللَّه ضمن ايصال رزق كل فرد إلى باب بيته دون حساب، وان حصل الإنسان أحياناً على رزق

«مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ»

إلّاأنّ هذا ليس أصلًا وقانوناً، والأصل والقانون هو السعى والجد والاجتهاد والعمل والابداع. بعبارة اخرى فانّ الرزق رزقان؛ يتوقف أحدهما على السعى والعمل وبدونهما يحرم منه، والآخر حتمى يصل إلى الإنسان سعى إليه أم لم يسع. والأساس هو القسم الأول. وقد أشارت بعض الروايات إلى القسمين كقول أميرَالمؤمنين عليه السلام:

«إن الرزق رزقان: رزق تطلبه، ورزق يطلبك»[۸۲۲]

والجدير بالذكر أنّ الأرزاق لاتفسر بالماء والغذاء فقط، بل تشمل كافة النعم المادية والمعنوية. فقد قسم اللَّه سبحانه العلم والإيمان والمقام والجاه والموقع الاجتماعى وما إلى ذلك على ضوء الجهود والحركة، مع ذلك هنالك بعض الحالات التى تتجاوز عالم الأسباب لتشير إلى قدرة

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۹۰

مسبب الأسباب فتخيب نتيجة هذا السعى وتنجح تلك دون سعى وجهد، إلّاأنّ هذه امور استثنائية مختصة به سبحانه ثم قال عليه السلام:

«و أحصى آثارهم وأعمالهم، وعدد أنفسهم، وخائنة أعينهم، وما تخفى صدورهم من الضّمير»

وليس هذا فقط فحسب بل

«ومست قرّهم ومس تودعهم من الأرحام والظّهور، إلى أن تتناهى بهم الغايات»

ذهب بعض شرّاح نهج‌البلاغة إلى أنّ المراد بالاثار يعنى آثار وطئهم فى الأرض، كما فسرها البعض الآخر بما يبقى من الإنسان فى العالم. وفسروا عدد الأنفس بعدد الناس فى كل زمان ومكان، كما فسرت بعدد الأنفاس (و يصح هذا التفسير إذا كانت العبارة فى النسخة أنفاس، كما نقل ذلك بعض شرّاح نهج‌البلاغة وهو الانسب لما قبل هذه العبارة وما بعدها). أمّا المراد بخيانة العين النظر الحرام، أو غمز الآخرين من أهل العفة والحياء. وأمّا العبارة

«وما تخفى صدورهم»

فهى إشارة إلى النيات الحسنة والقبيحة والطاهرة والفاجرة والعقائد المختلفة. والمستقر رحم المرأة الذى تستقر فيه نطفة الرجل والمستودع صلب الرجل الذى يضم النطفة قبل إنتقالها إلى الرحم.

والعبارة:

«إلى ان تتناهى بهم الغايات»

أى إلى أن يحشروا فى القيامة، ولايصح ما ذهب إليه بعض الشرّاح من تفسيرها بالجنّة والنار لعدم انسجامها والعبارات السابقة. عل كل حال فالعبارات تشير إلى علمه سبحانه بسبعة امور عن الإنسان، من قبيل الأعمال والحركات والعين والأنفاس والعقائد والنيات ومنذ ظهور النطفة فى صلب الرجل إلى إنتقالها إلى رحم الامُ مروراً بالولادة ومراحل الحياة وأخيرا الموت، ليعلم الإنسان بأنّه فى عين اللّه على كل حال فيلتفت إلى أعماله وحركاته وسكناته. والحق أنّ كلماته عليه السلام إنّما تستد إلى الآيات القرآنية الكريمة، كالاية: «وَنَكْتُبُ ما قَدَّمُوا وَآثارَهُمْ وَكُلَّ شَيءٍ أَحْصَيْناهُ فِي إِمامٍ مُبِينٍ»[۸۲۳] والآية:

«يَعْلَمُ خائِنَةَ الأَعْيُنِ وَما تُخْفِي الصُّدُورُ»[۸۲۴] والآية: «وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها وَمُسْتَوْدَعَها كُلٌّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ»[۸۲۵].

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۹۱

القسم الثالث: ليس كمثله شئ

«هُوَ الَّذِي اشْتَدَّتْ نِقْمَتُهُ عَلَى أَعْدائِهِ فِي سَعَةِ رَحْمَتِهِ، واتَّسَعَتْ رَحْمَتُهُ لِأَوْلِيائِهِ فِي شِدَّةِ نِقْمَتِهِ، قاهِرُ مَنْ عازَّهُ، ومُدَمِّرُ مَنْ شاقَّهُ، ومُذِلُّ مَنْ ناواهُ، وغالِبُ مَنْ عاداهُ، مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفاهُ، ومَنْ سَأَلَهُ أَعْطاهُ، ومَنْ أَقْرَضَهُ قَضاهُ، ومَنْ شَكَرَهُ جَزاهُ».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام إلى قدرة اللّه وشدة نقمته فى ذات رحمته فقال عليه السلام:

«هو الّذى اشتدّت نقمته على أعدائه فى سعة رحمته»،

ثم قال فى الصفة الثانية:

«و اتّسعت رحمته لأوليائه فى شدّة نقمته»

فالعبارتان تشيران إلى حقيقة واحدة من زاويتين، وهى أنّ الرحمة الإلهية الواسعة لاتمنع من شدة العذاب، كما أن العذاب الشديد لايحول دون سعة الرحمة. فالواقع هو أنّ الخوف والرجاء العاملان الرئيسان فى الحركة نحو الكمال قد تجسداً باروع صورة فى هاتين العبارتين، لنظر العباد بعين إلى رحمته وبالاخرى إلى نقمته، فلا يغفلون ولا ييأسون، بل يعملوا بين الخوف والرجاء. ثم قال عليه السلام:

«قاهر من عازّه،[۸۲۶] ومدمّر[۸۲۷] من شاقّه،[۸۲۸] ومذلّ من ناواه،[۸۲۹] وغالب من عاداه»

فالعبارات اشارة إلى حاكميته المطلقة سبحانه لعالم الوجود. وقد

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۹۲

تكررت رحمته الواسعة فى العبارة، مع ذلك فهى لاتعنى سعة الجبابرة والظلمة على مقاومة إرادته سبحانه، وأما إمهاله لهم فانّ ذلك يستند إلى بعض الأسباب، من قبيل امتحان العباد، أو تسليط بعضهم على البعض الآخر. وبالطبع فانّ عبارات الإمام عليه السلام إنّما تستند إلى آيات القرآن، كالآية الواردة بشأن فرعون: «فَقالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولى [۸۳۰] ثم استنتج الإمام عليه السلام بعد ذكر هذه الصفات:

«من توكّل عليه كفاه، ومن سأله أعطاه، ومن أقرضه قضاه، ومن شكره جزاه»

فهذه النتائج الأربع المترتبة على الأوصاف السابقة فى أنّ الشخص الذى حصل على قدرة وأصبح صاحب نعمة وفيرة لابدّ أنّ يكون ملاذا للمتوكلين ومانحاً للسائلين ومثيباً للمنفقين والشاكرين. وعليه فمن حرم من الرحمة والعطاء والثواب فهو المقصر حيث لم يطرق بابه سبحانه ولم يقرضه ولم يشكر نعمه. ومرة اخرى نقول أنّ أغلب عبارات الإمام عليه السلام مملوءة بالمضامين الدينية المستوحاة

من الآيات القرآنيـة، كالاية: «وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ»[۸۳۱] والآية الشـريفة: «مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ أَضْعافاً كَثِيرَةً»[۸۳۲] والآية: «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ»[۸۳۳].

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۹۳

القسم الرابع: محاسبة النفس

اشارة

«عِبادَ اللَّهِ زِنُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُوزَنُوا، وحاسِبُوها مِنْ قَبْلِ أَنْ تُحاسَبُوا، وتَنَفَّسُوا قَبْلَ ضِيقِ الْخِناقِ، وانْقادُوا قَبْلَ عُنْفِ السِّياقِ، اعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ لَمْ يُعَنْ عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى يَكُونَ لَهُ مِنْها واعِظٌ زاجِرٌ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ غَيْرِها لا زاجِرٌ ولا واعِظٌ».

الشرح والتفسير

إختتم الإمام عليه السـلام خطبته بهذه العبارات التى تمثل الكلام الفصـيح النادر اللطيف حسبما ذكر ذلك ابن أبى‌الحديد[۸۳۴]. فقال عليه السلام:

«عباد اللّه زنوا أنفسكم من قبل أن توزنوا، وحاسبوها من قبل أن تحاسبوا»

فقـد درج الإنسـان فى حياته حين المعاملات على زنـة المتاع ثم حساب قيمته، وأنّه ليفقـد رأس ماله إذا التبس عليه الوزن أو الحساب ويصـاب بالضـرر والخسـران، وهـذا مـا ينبغى أن يكـون عليـه فى الامـور المعنويـة، فعليه أن يزن نفسه ويرى مـاهى عليه من الأخلاـق والإيمان ثم يحاسـبها، فان رأى نقصاً هب لاصلاحه قبل أن يرد حساب الآخرة حيث لاسبيل للاصلاح وتدراك الافراط سوى الحسرة والنـدم. فممـا لاشـك فيه أن وزن الأعمال فى القيامـة حق، الأمر الـذى أشار إليه القرآن الكريم: «وَالوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ»[۸۳۵] كما أنّ الحساب من المسـلمات، ومن هنان كان أحد أسـماء يوم القيامة هو يوم الحساب: «وَقالَ مُوسـى إِنِّى عُذتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لايُؤْمِنُ بِيَوْمِ الحِسابِ»[۸۳۶]. ثم قال عليه السلام:

«و تنفّسوا قبل

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۹۴

ضيق الخناق».[۸۳۷]

فـالتنفس هنا كنايـة عن مبادرة العمل الصالـح والعلم وتهـذيب النفس والورع والتقوى. أمّا ضـيق الخناق فيراد به الموت. فقـد جاء فى القرآن: «وَأَنْفِقُوا مِمّـا رَزَقْنـاكُمْ مِنْ قَبْـلِ أَنْ يَأْتِىَ أَحَـدَكُمُ المَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِى إِلى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصّالِحِينَ»[۸۳۸] ثم قال عليه السلام:

«و انقادوا قبل عنف السّياق ۸۳۹]»

فاذا جاء الموت استسلم أعتى الأفراد كفرعون وهامان ونمرود ومن على شاكلتهم ليصرخ

«آمنت لا إله الا اللّه»

ولم ينفعهم ذلك الإيمان. كما صرح القرآن بشأن الآثمين الذى يرون ملائكة الموت أنّهم ينادون: «رَبِّ ارْجِعُونِ* لَعَلِّى أَعْمَلُ صالِحاً فِيما تَرَكْتُ كَلّا إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها»[۸۴۰]. ثم إختتم عليه السلام خطبته قائلًا:

«و اعلموا أنّه من لم يعن على نفسه حتّى يكون له منها واعظٌ وزاجرٌ لم يكن له من غيرها لا زاجرٌ ولا واعظٌ»

فالهدايـة لابـدّ أن تنبع من بـاطن الإنسـان، ومـادام باطن الإنسان ليس مسـتعداً فليس هنالك من تأثير للواعظ الخارجى. وعليه فالإنسان يجب أن يعزم بادى ذى بـدء على إحياء ضـميره ووجـدانه لتحفه العناية الإلهية، وهنا يسـتعد الإنسان لاقتفاء آثار الأنبياء والأولياء ويعر

آذانه لسماع الحق.

تأمّلان

۱- الوزن والحساب فى المحشر

تفيد أغلب الآيات والروايات أنّ يوم القيامة هو يوم وزن جميع الأشياء والحساب عليها، ولايقتصر هذا الوزن على الأعمال فحسب بل يخضع الإنسان للاختبار لمعرفة عقائده ونياته

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۹۵

وأخلاقه. أمّا البعض فقد تصوروا أنّ موازين يوم القيامة كموازين الدنيا، إلّاأنّها أدق، فاضطروا للاعتقاد بوزن الأعمال المعنوية، إلّاأنّ الأمر ليس كذلك، فميزان كل شئ بماياناسبه.

فاليوم تستعمل كلمة الميزان ليقال ميزان الهواء وميزان الحرارة، والحال ليس هنالك مثل هذا الميزان. بل تستعمل الميزان بكثرة فى الأعمال المعنوية ولايراد بها هذا الميزان. والحق أنّ عالم الاخرة آخر واسع يتجاوز حدود هذا العالم بحيث يتعذر علينا تصور ابعاده وحدوده وجزئياته وان كان لنا علم إجمالى به. وقد أوصى الإمام عليه السلام بزنة الأعمال قبل وزنها هناك ومحاسبتها قبل الحساب؛ الأمر الذى أكده سائر المعصومين عليهم السلام. فقد ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام أنّه قال:

«ليس منا من لم يحاسب نفسه فى كل يوم، فان عمل خيرا استزاد اللّه منه، وحمداللّه عليه، وإن عمل شرا استغفراللّه وتاب عليه»[۸۴۱]

. وجاء فى الحديث أنّ رسولاللّه صلى الله عليه و آله قال لأبى‌ذر:

«يا أباذر! حاسب نفسك قبل ان تحاسب، فانه أهون لحسابك غدا، وزن نفسك قبل أن توزن»[۸۴۲]

. كما قال صلى الله عليه و آله لأبى ذر:

«يا أباذر لايكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة الشريك شريكه، فيعلم من أين مطعمه، ومن أين مشربه، ومن أين ملسبه، أمن حل ذلك، أم من حرام».[۸۴۳]

۲- الواعظ الباطنى

إن النتيجة المطلوبة تتطلب أمرين؛ الموضع المناسب والتربية الصحيحة، وبعبارة اخرى

قابلية القابل وفاعلية الفاعل. فالفلاح مهما كان ماهراً والماء مهما كان وافراً، والبذر مهما كان صالحاً، لايجنى أى ثمر إذا كانت الأرض الزراعية مالحة غير صالحة للزراعة، وذلك لأنّ إفتقار الموضع لقابليته يبدد جميع الجهود. ويصدق هذا الأمر على تربية النفوس البشرية، فما لم يكن للإنسان واعظ من نفسه ونزوعا نحو الحق والانصاف لم تؤثر فيه أقوى المواعظ من الخارج.

ومن هنا شرب أبوجهل وابولهب الصدى وهما يجلسان على ساحل منبع الوحى الفياض، بينما ارتوى أمثال أويس القرنى من ذلك المنبع رغم البعد الشاسع عنه. وبالطبع لايفهم الجبر من هذا الكلام، لأنّ الواعظ الباطنى يتبلور أيضاً عن طريق تهذيب النفس وتزكيتها، فشعلته

نفحات الولاية، ج۳، ص: ۳۹۶

تنطفئ فى ظل الأهواء والشهوات، بينما تتقد إثر العفاف والطهارات.

إلى هنا انتهينا بحمداللّه من المجلد الثالث ويليه المجلد الرابع إن شاءاللّه. ولا يسعنى هنا إلّا أن أتضرع إلى البارئ سبحانه بفائق الشكر والامتنان على ما وفقنى إليه، كما أسأله أن يمن على بمواصلة هذا الجهد الزهيد. وما توفيقى إلّاباللّه عليه توكلت وإليه أنيب وآخر

دعوانا أن الحمدللّه ربّ العالمين.

۱۵ جمادى‌الثانية ۱۴۲۱

---

[۱] (۱) سند الخطبة: جاء هذا الكلام فى المحاسن للبيهقى ومروج الذهب للمسعودى وعلل الشرائع للصدوق والتهذيب للشيخ الطوسى(مصادر نهج‌البلاغة ۲/ ۴۰).

[۲] (۱) شرح نهج‌البلاغة للعلّامة الخوئى ۴/ ۳۸۳؛ الكامل للمبرد ۲/ ۱۱۶۴.

[۳] (۱) العلامة المجلسى فى« بحارالانور» فى معرض شرحه لهذا الموضوع، وهو لماذا كان معاوية بن أبى سفيان‌يدعو الرسول الاكرم صلى الله عليه و آله بابن أبى كبشة، عند ذكره إياه، فيقول: إن مشركى العرب كانو أيضا يدعون الرسول بهذا الاسم، وذلك لان« ابن أبى كبشة» هو من قبيلة« خزاعة» والتى كانت على اختلاف مع قبيلة قريش، حول مسألة عبادة الاصنام، فابن أبى كبشة كان من مخالفى عبادة الاوثان.« بحارالانوار ۱۸/ ۲۱۳».

[۴] (۲) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ۵/ ۱۲۹.

[۵] (۱) سند الخطبة: روى مقدمة هذا الكلام ابن‌كثير فى البداية والنهاية نقلا عن كتاب أبى داود، وتوفى أبى داود لمئة وثلاثين سنة قبل السيد الرضى(ره)، ورواها الزمخشرى فى ربيع الابرار مع إختلاف يفيد أنّه نقلها من مصدر آخر غير نهج‌البلاغة. ورواها الآمدى فى غرر الحكم فى حرف الالف(مصادر نهج‌البلاغة ۲/ ۴۲). كما وردت فى كتاب صفين لنصربن مزاحم الذى عاش فى القرن الهجرى الثانى(نهج‌البلاغة طبعة. جماعة مدرسى الحوزة العلمية).

[۶] (۲)« غيلة» على غرة بغير شعور من المقتول كيف يأتيه القاتل، كما ورد« الاغتيال» بمعنى القتل الحيلة، ومن مصاديقه أيضاً بعض الأذى الذى يتعرض له البدن دون القتل.

[۷] (۱) مصادر نهج‌البلاغة ۲/ ۴۲- ۴۳، كما رواه المرحوم ابن ميثم فى شرحه لنهج‌البلاغة ۲/ ۱۵۷.

[۸] (۲)« يطيش» من مادة« طيش» على وزن عيش بمعنى خفة العقل وتستعمل للسهم حين يخطئ الهدف وكأن‌السهم لم يعمل على ضوء العقل، وفسره البعض بكل خفة(كتاب العين ومقاييس اللغة ولسان العرب).

[۹] (۳)« سهم»، وهو فى الأصل واحد النبل، والمركب من النصل والنبل، والجمع، أسهم وسهام، ومن هنا يستعمل أحياناً لتعيين النصيب والقائدة، ويستعمل للقرعة.

ويطلق اصطلاح السهم على النصيب والحظ والفائدة،« والمساهمة» تأتى بمعنى القرعة، ومن هنا وفى حال إجراء القرعة فان أسماء المقترعين تكتب على نصل السهم، ثم تخلط فيما بينها، ثم تتم عملية انتخاب احد السهام، فيكون الاسم المكتوب عليه هو الفائز بالقرعة.

[۱۰] (۴)« يبرأ» من مادة« برء» على وزن قرب بمعنى التحسن من المرض« وبرء» بمعنى الخلق، ومنه« البارئ» بمعنى الخالق.

[۱۱] (۵)« الكلم» بالفتح على وزن نظم بمعنى الجرح. ومن هنا يقال للحديث الذى يترك أثراً على القلوب بالكلام.

[۱۲] (۶) نهج‌البلاغة، الكلمات القصار، ۲۰۲.

[۱۳] (۷) نهج‌البلاغة، الكلمات قصار، ۶- ۳.

[۱۴] (۸) تفسير البرهان ۲/ ۲۸۳.

[۱۵] (۱) سورة الاعراف/ ۳۴.

[۱۶] (۲) سورة المنافقون/ ۱۱.

[۱۷] (۱) لقد ورودت هذه الأقسام بالتفصيل فى التفسير نمونه ۱۸/ ۲۰۷ فى ذيل الآية ۱۱ من سورة فاطر.

[۱۸] (۱) سند الخطبة: كتب صاحب مصادر نهج‌البلاغة فى سند هذه الخطبة: لا ترديد فى أنّ ما ورد فى هذه الخطبة قسم من خطبة طويلة إختار السيد الرضى(ره) بعضها، وأضاف لقد أوردت هنا ما أورده الآمدى فى غرر الحكم فى حرف الالف، أما التفاوت فى بعض العبارات والاضافات فى نقل الآمدى تفيد أنّه استقى هذه الخطبة من مصدر آخر غير نهج‌البلاغة(لابد من الالتفات هنا إلى أنّ الآمدى صاحب غررالحكم من علماء القرن الهجرى السادس، بينما عاش السيد الرضى فى القرن الهجرى الرابع ۲/ ۴۴.

[۱۹] (۱) سورة العنكبوت/ ۲- ۳.

[۲۰] (۲)« سابغ» من مادة« سبوغ» بمعنى الامتداد، ونعمة سابغة تطلق على النعم الدائمة الممتدة، واسباغ الوضوءمواصلته بالماء دون الاسراف.

[۲۱] (۳)« قلص» من مادة« قلوص» على وزن خلوص بمعنى إنقبض وارتفع، وفى الخطبة بمعنى زوال الظل بحلول عتمة الليل.

[۲۲] (۱) سند الخطبة: ورد بعض هذه الخطبة فى كتاب الغرر والدرر للآمدى مع بعض الاختلاف عما ورد فى نهج‌البلاغة، مما يشير إلى أنّه إقتبسها من غير مصدر نهج‌البلاغة، كما نقل بعضها السبطبن الجوزى فى تذكرة الخواص بالاضافة إلى ما ورد فى نهج‌البلاغة، وهذا يعنى أنّه استقاه من مصدر آخر غير نهج‌البلاغة، وصرح فى كتابه بأنّه يذكر عبارات أميرالمؤمنين عليه السلام المتصلة السند(مصادر نهج‌البلاغة ۲/ ۴۷- ۴۸).

[۲۳] (۲)« يحدو» من مادة« حدو» على وزن ضرب، و« حدا» على وزن دعا، وفى الاصل بمعنى الغناء للابل أثناءسوقها بصوت خاص، وذلك عندما يريد سائق الابل الاسراع فى السير، والصحيح« حُدا» وفى لسان عامة الناس يُقال« حُدى .

[۲۴] (۱) سورة الحجرات/ ۱۳.

[۲۵] (۲) سورة البقرة/ ۱۹۷.

[۲۶] (۱) سوره المنافقون/ ۱۰.

[۲۷] (۲) سورة التوبة/ ۱۱۱.

[۲۸] (۳)« ترحلوا» من مادة« رحلة» بمعنى السفر والرحيل من مكان إلى آخر.

[۲۹] (۴)« جد بكم» من مادة« جد» بمعنى حثثتم وازعجتم إلى الرحيل، كما تأتى بمعنى الأهمية، ويراد بها أيضاًالأسفار السريعة.

[۳۰] (۱) تفيد القرائن الواردة فى الخطبة ان« فاستبدلوا» وردت بصيغة الماضى كالمفردة« فاتبهوا» لأنّ كليهما نتيجة للعبارة السابقة، فالانتباه نتيجة صراخ اليقظة وتبدل الدنيا بالآخرة نتيجه العلم بموضعيهما، والعجيب أن أغلب شرّاح نهج‌البلاغة صرحوا بأن« فاستبدلوا» فعل أمر؛ الأمر الذى يغير مفهوم هذه العبارة والعبارات اللاحقة.

[۳۱] (۲) منهاج البراعة للعلّامة الخوئى ۴/ ۳۳۹؛ وقد ورد هذا المعنى فى الكلمة ۱۳۲ من قصار كلمات نهج‌البلاغة حيث قال عليه السلام:« إن للّه ملكاً ينادى فى كل يوم: لدوا للموت، واجمعوا للفناء وابنوا للخراب».

[۳۲] (۱) منهاج البراعة ۴/ ۳۹۹.

[۳۳] (۲)« سدى» من مادة« سدو» على وزن سرو بمعنى الاهمال والعبث، ومن هنا تطلق العرب« سدى على الابل‌التى لاراعى لها وترعى كيفما تشاء، والعبارة بمعنى تعنى أن اللّه لم يخلقكم عبثاً دون هدف.

[۳۴] (۱) سورة القمر/ ۱.

[۳۵] (۲) سورة المعارج/ ۶.

[۳۶] (۱) الكافى ۳/ ۲۴۲.

[۳۷] (۲) نهج‌البلاغة، الكلمات القصار/ ۷۴.

[۳۸] (۱) أوبة له معنى مصدرى واياب بمعنى الرجوع والإنابة.

[۳۹] (۲) سورة البقرة/ ۲۸.

[۴۰] (۳) نهج‌البلاغة، الكلمات القصار، الكلمة ۲۸.

[۴۱] (۴) سورة البقرة/ ۱۵۶.

[۴۲] (۵) نهج‌البلاغة، الرسالة ۳۱.

[۴۳] (۱) سورة البقرة/ ۱۹۷.

[۴۴] (۲) غرر الحكم، ح ۱۱۲۸.

[۴۵] (۳) غررالحكم، ح ۱۵۵۸.

[۴۶] (۴) غررالحكم، ح ۲۵۵۳.

[۴۷] (۱) إنّ الأفعال وإن وردت بصيغ الماضى إلّاأنّها تفيد معنى الأمر. وكأن السامع على درجة من الطاعة بحيث‌يمتثل الاوامر قبل سماعها.

[۴۸] (۱)« يسوفها» من« التسويف» بمعنى التأخير فى العمل واصل العبارة« سوف أفعل كذا».

[۴۹] (۲)« تبطر» من مادة« بطر» على وزن نظر بمعنى بقر الشئ ومنه« البيطار» الذى يبقر بطن الحيوان، ثم أطلق على‌كل طغيان وتجاوز للحد فى السرور عند إقبال النعم، ويمكن القول بان البطر السكر والغرور الذى تفرزه النعمة، فالعبارة تعنى لاتطغيه ولا تسدل على بصيرته حجاب الغفلة عما هو صائر إليه.

[۵۰] (۳)« كآبة» على وزن خرابة لها معنى المصدر وإسم المصدر وتعنى الامتعاظ والانكسار من الهم والحزن، وقيل تطلق على الامتعاظ من الحزن الظاهر على الوجه.

[۵۱] (۱) بحارالأنوار ۳/ ۸۳- ۸۴(ح توحيد مفضل).

[۵۲] (۱) سورة الحجر/ ۳۹- ۴۰.

[۵۳] (۲) سورة الحجر/ ۳۹- ۴۰.

[۵۴] (۱) سورة فاطر/ ۳۷.

[۵۵] (۱) غرر الحكم، ح ۱۰۹۴۸.

[۵۶] (۱) سند الخطبة: نقل الصدوق(ره) هذه الخطبة مع بعض الاختلاف فى كتابه التوحيد وأضاف: أنّ الإمام عليه السلام خطبها حين جهز الجيش ثانية لقتال معاوية. ومن بين المحدثين الذين نقلوا هذه الخطبة المرحوم الآمدى فى غرر الحكم، وإن عاش بعد السيد الرضى. إلّاأنّ اختلاف عباراته مع عبارات السيد الرضى(ره) يفيد أنه رواها من مصدر آخر غير نهج‌البلاغة(مصادر نهج‌البلاغة ۲/ ۵۰).

[۵۷] (۱) سورة الحديد/ ۳.

[۵۸] (۲) سورة القصص/ ۸۸.

[۵۹] (۱) توحيد الصدوق، بحسب ما نقله عن بحارالانوار ۳/ ۲۰۶، ح ۱.

ومن أجل التوضيح أكثر حول حقيقة التوحيد، ووحدانية الله سبحانه وتعالى، يرجى مراجعة كتاب« نفحات القرآن ۳/ ۲۶۰ و ما بعد».

[۶۰] (۲) سورة النساء/ ۱۳۹.

[۶۱] (۱) سورة الاعراف/ ۱۸۸.

[۶۲] (۲) سورة النحل/ ۷۸.

[۶۳] (۱) بحارالانوار، ۴/ ۱۴۳ ح ۱۰، وورد مثل هذا المعنى عن الإمام الصادق عليه السلام فى الكافى، ۱/ ۷۹ ح ۴، كما جاءفى بحارالانوار أنّ الشيطان سأل المسيح عيسى عليه السلام هذا الجواب فأجابه بهذا السؤال(بحارالانوار، ۱۴/ ۲۷۱ ح ۳).

[۶۴] (۱) سورة الأنبياء/ ۴.

[۶۵] (۲) سورة الشورى/ ۱۱.

[۶۶] (۱) لقد وردت العبارة المذكورة فى أغلب نسخ نهج‌البلاغة بهذه الصورة« وكل ظاهر غيره غير باطن وكل باطن‌غيره غير ظاهر» وذهب أغلب شرّاح نهج‌البلاغة إلى وجوب إشتمال العبارة على غير» فى العبارة« ... غير باطن ... غير ظاهر» أو حذفها، حتى زعم البعض خطأ نسخة صبحى الصالح التى لم تتضمن غير فى العبارة الاولى بينما وردت فى العبارة الثانية، وبالطبع فان هذا ما يقتضيه سياق العبارة، ولكن وما ورد سابقاً لايمكن الزعم بان هذه النسخة خاطئة، ويمكن توجيه العبارة بما أوردناه من تفسير.

[۶۷] (۱)« ند» على وزن ضد بكسر النون النظير والمثيل ولا يكون إلّامخالفاً، ومن هنا فسر« بالضد» أحياناً.

[۶۸] (۲)« مثاور» من مادة« ثور» جاءت بمعنى الحركة والانبعات والاثارة، ومن هنا فان« إثارة» تعنى تفرق الشىء، و« مثاورة» تأتى بمعنى وثوب شخصين ليقف أحدهما فى وجه الآخر، ويقال أيضا لكل ضدين، ومن هنا يأتى معناها بمعنى المحاربة.

[۶۹] (۳)« مكاثر» من مادة« كثرة» بمعنى الزيادة، ويطلق على الشخص الذى لديه رغبة فى الزيادة، والذى يتفاخر بالمال والسلطة والجاه بالمكاثر.

[۷۰] (۴)« منافر» من مادة« النفرة» بمعنى الابتعاد والامتعاظ من الشئ.

[۷۱] (۱)« داخرون» من مادة« دخور» على وزن حضور بمعنى الذلة والصغر، تستعمل فى الامور السلبية كما تستعمل فى الامور الايجابية حينما يوصف عبادالله بصفة« داخر» فيعنى ذلك التسليم والتواضع أمام الحق.

[۷۲] (۲) فى الكثير من نسخ نهج البلاغة التى تعرض لشرحها الشارحون جاءت هذه الجملة والتى وردت أعلاه بهذه الصورة« فيقال: هو فيها كائن» ولا ريب فى أن مفهوم هذه الجملة التى جائت فى هذه النسخة هى أوضح، وفى النسخة التى دون النص منها، فان كلمة« فيها» جائت مقدره.

[۷۳] (۳)« ينْأَ» من مادة« نَأْى» على وزن رأى بمعنى ابتعد، والبعض فسرها بمعنى الابتعاد عن الشىء والاتجاه إلى نقطة بعيدة.

[۷۴] (۱) سورة الحديد/ ۴.

[۷۵] (۲) سورة ق/ ۱۶.

[۷۶] (۳) سورة البقرة/ ۱۱۵.

[۷۷] (۴) سورة يس/ ۸۲.

[۷۸] (۱) سورة الانشراح/ ۵- ۶.

[۷۹] (۲) سورة الاعراف/ ۹۷- ۹۸.

[۸۰] (۱) سند الخطبة: رواها جمع كثير من المؤرخين والمحدثين قبل السيد الرضى وبعده ومنهم نصربن مزاحم فى كتاب صفين والحافظ فى البيان والتبيين وفرات بن ابراهيم الذى عاش على عهد الإمام الرضا عليه السلام فى تفسيره المعروف والمسعودى فى مروج الذهب(مصادر نهج‌البلاغة ۲/ ۵۲).

[۸۱] (۲)« ليلة الهرير»: والمقصود به نباح وعواء الكلاب ليلًا من شدة البرد.

و« هرير»: وتعنى فى الأصل صوت الكلب المنخفض، وهو دون النباح، والذى يطلقه من قلة صبره على البرد.

وليلة الهرير هنا، هى الليلة المعروفة، من ليالى حرب صفين المملوءة بالحوادث، حيث استمرت فيها الحرب من النهار إلى طوال الليل، وكانت ليلة قارصة البرد مملوءة بالخوف والمخاطر، حيث هلك فى هذه الليلة عدد كبير من جيش معاوية على يد ابطال جيش الإمام اميرالمؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام.

[۸۲] (۱) مصادر نهج‌البلاغة ۲/ ۵۳.(مع تلخيص)

[۸۳] (۱) سورة الفتح/ ۴.

[۸۴] (۲)« أنبى» من مادة« نبو» على وزن نبض بمعنى ارتقاع شىء عن شىء آخر والابتعاد عنه، وبهذا الدليل‌يستعمل هذا الاصطلاح عندما تعجز السيوف عن أداء دورها، حيث تبتعد السيوف عن تحقيق الهدف.

[۸۵] (۳)« الهام» جمع« الهامة» بمعنى مطلق الرأس وهو كائن ذاروح، واحيانا يستفاد من هذا الاصطلاح بشكل مطلق.

[۸۶] (۴)« لأمة» على وزن رحمة، وهى فى الأصل بمعنى الاجتماع والاتفاق، ومن هنا، فعندما يلتحم الجرح‌ويشفى فيقال له« التيام» و« لأمة» تأتى بمعنى الدرع، ولعل تسميتها بهذا الاسم جاء من قرب حلقاتها واجتماعها وارتباطها، وأحيانا يطلق هذا الاصطلاح على أى سلاح.

[۸۷] (۵)« قلقوا» السيوف من مادة« قلقلة» على وزن مرحمة بمعنى حركوا السيوف.

[۸۸] (۶)« أغماد» جمع« غمد» على وزن رند بمعنى بيت السيف، ومن هنا تطلق على بعض النباتات التى تختفى أشواكها فى حواف أوراقها.

[۸۹] (۱) سورة هود/ ۳۷.

[۹۰] (۱) سورة طه/ ۴۸.

[۹۱] (۲) لابدّ من الالتفات هنا إلى أنّ هذا التفسير على أساس أنّ« أعقاب» جمع« عقب» على وزن نسب بمعنى‌الأولاد، وان كان عقب على وزن قفل بمعنى العاقبة وما يؤول إليه الأمر فانّ مفهوم العبارة سيكون« إنّ الفرار من الجهاد عار فى عاقبة أمركم» إلّا أنّ التفسير الأول أنسب.

[۹۲] (۳) سورة الانفال/ ۱۵- ۱۶.

[۹۳] (۴) جملة« طيبوا نفساً»، تستعمل كتعبير عندما يستقبل الانسان شيئاً بالرضا وطيب الخاطر، وفى هذه الموارد‌تأتى بعنوان تمييز منصوب.

[۹۴] (۱) للوقوف بصورة أعمق على هذا الموضوع راجع الخطبة الخامسة من المجلد الأول.

[۹۵] (۲)« كسر» على وزن مصر شقه الأسفل، كناية عن الجوانب التى يفر إليها المنهزمون.

[۹۶] (۳)« وثبة» من مادة« وثب» على وزن نصر بمعنى الظفر والنصر، كما تعنى القفز للاستيلاء على الشئ.

[۹۷] (۴)« نكوص» بمعنى الانسحاب والتراجع عن القيام بعمل، وعادة ما تستعمل بشأن التراجع عن اعمال الخير.

[۹۸] (۱) سورة الانفال/ ۴۸.

[۹۹] (۲)« صمد» على وزن حمد، وجاء على معنيين، أحدهما« القصد» والثانى« الاستحكام والصلابة» وليس‌مستبعد ان يكون يرجع أصل المعنيين إلى أصل واحد، لان القصد يحصل اذا كان هناك استحكام وصلابة خاصة.

و« صمد» على وزن سبب، بمعنى الشخص الذى يقصده المحتاجون، وتعنى: المكان الرفيع والسامى، وكذلك يأتى بمعنى الشىء المحلوء، وكل هذه المعانى لها تناسب مع المعنى الاصلى لهذا الاصطلاح.

وقد ورد فى الجملة اعلاه كتعبير عن المقاومة والصمودُ البصر والتحمل فى مواجهة العدو.

[۱۰۰] (۳) شرح نهج البلاغة للمرحوم تسترى ۱۳/ ۵۴۳.

[۱۰۱] (۱) سند الخطبة: تعتبر هذه الخطبة من الخطب المعروفة لأميرالمؤمنين على عليه السلام والتى روتها عدة مصادر من قبيل نهاية الارب للتويرى وتأريخ الطبرى وتأريخ ابن الأثير فى حوادث سنة ۱۱ ه وكتاب السقيفة لأبى‌بكر الجوهرى، كما ورد بعضها فى صحيح البخارى وصحيح مسلم، مصادر نهج‌البلاغة ۲/ ۵۸- ۶۰.

[۱۰۲] (۱) روى هذا الحديث فى صحيح مسلم فى كتاب فضائل الصحابة باب فضائل الأنصار، أنّ النبى صلى الله عليه و آله قال:« إن الأنصار كرشى وعيبتى... فاقبلوا من محسنهم واعفوا عن مسيئهم». صحيح مسلم، ۴/ ۱۹۴۹ طبع دار إحياء التراث العربى.

[۱۰۳] (۱) تاريخ الطبرى ۲/ ۴۵۵(بتلخيص).

[۱۰۴] (۲) شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد ۶/ ۱۰.

[۱۰۵] (۳) شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد ۱۷/ ۲۲۳(ذكر ذلك على أنه أحد اعتراضات الشيعة على ابى بكر حيث يعتقد البعض أنه أمر بقتل سعدا».

[۱۰۶] (۴) الغدير ۹/ ۳۷۹(لهام بمعنى الجيش العظيم).

[۱۰۷] (۵) يبدو المقصود هو على عليه السلام(شرح البخارى للقسطلانى ۱۱/ ۳۵۲، نقلا عن البلاذرى فى أنساب الاشراف).

[۱۰۸] (۱) روى هذا الحديث ثلاثة وعشرين صحابيا على الأقل عن رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله. وللوقوف على أسمائهم و العبارات المختلفة التى وردت فى رواياتهم يمكن الرجوع إلى المجلد التاسع من رسالة القرآن/ ۶۲- ۷۹ أو خلاصة عبقات الانوار ۲/ ۱۰۵- ۲۴۲ وإحقاق الحق ۴/ ۴۳۸ والسيرة الحلبية ومستدرك الحاكم والصواعق واسد الغابة وسنن البيهقى.

[۱۰۹] (۱) حديث« القلم والدواة» أو« القلم والقرطاس» من الأحاديث العجيبة فى أمر الخلافة، وقد روته أشهر مصادر العامة صحيح البخارى. فقد ورد فى هذا الكتاب فى باب مرض النبى صلى الله عليه و آله عن سعيد بن الجبير عن ابن عباس قال: لما حضرت رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله الوفاة قال: هلموا أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده. فقال بعضهم: إنّ رسول‌اللّه قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب اللّه. فاختلف من فى البيت واختصموا فمن قائل يقول: القول ما قال رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله ومن قائل يقول: القول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغط واللغو والاختلاف، غضب رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله فقال: قوموا، إنّه لاينبغى لنبى أن يختلف عنده هكذا فقاموا، فمات رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله فى ذلك اليوم. فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله، يعنى الاختلاف واللغط.(صحيح مسلم ۳/ ۱۲۵۱ كتاب الوصية، باب ۵ طبع دار إحياء التراث العربى). كما نقل هذا الحديث صحيح البخارى بطرق مختلفة(صحيح البخارى، المجلد السادس، باب مرض النبى صلى الله عليه و آله ووفاته، ص ۱۲ دارالجيل بيروت).

[۱۱۰] (۱) مصادر نهج‌البلاغة ۲/ ۶۱.

[۱۱۱] (۱)« عرصة» من مادة« عرص» على وزن غرس كل بقعة واسعة بين الدور، والمراد ما جعل لهم مجالًا للمغالبة، وأراد بالعرصة عرصة مصر، وكان محمد قد فر من عدوه ظنا منه أنّه ينجو بنفسه، فأدركوه وقتلوه.

[۱۱۲] (۲)« انهز» من مادة« نهز» على وزن نبض بمعنى القيام والحركة وانتهاز الفرصة إغتنامها.

[۱۱۳] (۱) شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد ۲/ ۹۳.

[۱۱۴] (۱) مصادر نهج البلاغة ۲/ ۶۱ بتصرف.

[۱۱۵] (۲) سفينة البحار ومصادر نهج البلاغة ۲/ ۶۱ فما بعد ومصادر اخرى

[۱۱۶] (۱) الغارات ۱/ ۲۵۲.

[۱۱۷] (۱) سند الخطبة: نقلها بعض المحدثين قبل السيد الرضى(ره) كالبلاذرى(المتوفى عام ۲۷۹ ه) فى أنساب الاشراف واليعقوبى(المتوفى عام ۲۸۴) فى تأريخه. ويفهم من رواية اليعقوبى أنّ الإمام عليه السلام خطبها بعد غارة النعمان بن بشير على عين

التمر(مصادر نهج‌البلاغة ۲/ ۶۰).

[۱۱۸] (۱)« البكـار» جمع« بكر» على وزن مكر من مـادة« بكور»، الفتى من الابـل، ولابـدّ من لالتفـات إلى أنّها تسـتعمل‌بشأن الإنسان أيضاً وجمعها أبكار. و« بكر» على وزن مكر، ويطلق على الصغير من أُنثى الابل وجمعها« أبكار».

[۱۱۹] (۲)« عمدة» من مادة« عمد» على وزن حمد بمعنى إقامة الشـئ بالعمود، وتطلق على الدابة التى انفتح داخل سنامها من الركوب وظاهره سليم.

[۱۲۰] (۳)« متداعية» من مادة« دعوت»، وهذا الاصـطلاح يسـتعمل للاشـخاص يدعون بعضـهم الآخر إلى شـىء معين، ومن هنا يطلق على قطعـة القماش الباليـة والتى عنـدما تتمزق أحـدى زواياها كأنما تـدعوا لزاويـة الاخرى لتكون مثلها، يطلق على هذه القطعة الباليـة« المتداعية».

[۱۲۱] (۴)« حيصت» من مادة« حيص» على وزن حوض بمعنى خيطت.

[۱۲۲] (۱)« أطل» من مادة« طل» على وزن حل بمعنى الاشراف على شئ وهى هنا إشارة إلى إقتراب جيش الشام.

[۱۲۳] (۲)« منسر» على وزن منزل من مادة« نسر» القطعة من الجيش البالغ عددها مئة إلى مئتين والتى تمر أمام جيش كثير.

[۱۲۴] (۳)« انجحر» من مادة« جحر» على وزن جهل بمعنى دخل الجحر.

[۱۲۵] (۴).« ضبه» على وزن دبه بمعنى أُنثى الضب، وفى الاصـل جاءت من مادة« ضبّت» بمعنى إنسـياب الماء بشـكل بطىء وأمثال ذلك.

[۱۲۶] (۵)« ضَبُع»، يطلق على نوع من السباع.

[۱۲۷] (۶)« وجار» من مادة« وجر» على وزن فجر بمعنى صب الـدواء فى الحلق، ومن هنا فان زحف الضـبع فى‌حجره له شـبه بـذلك، ويقال لجحر الضب والحيوانات الاخرى وجار».

[۱۲۸] (۷) وهنا فان الفعل« رُمى» جاء بصورة فعل مجهول، فى حين إن هـذا الفعل تكرر فى الخطبـة ۲۹ بهذا التعبيرولكن جاء بصيغة فعل معلوم، وبما انهما يعطيان معنىً واحداً فى كلا الحالتين، لذا فلا مانع من الاستفادة من التعبيرين فى الترجمة.

[۱۲۹] (۸)« باحـات» من مادة« بوح» بمعنى الاتساع والظهور، ويراد بها ساحـة الـدار. ومن هنا فانه يطلق على الساحةالواسـعة والظاهرة للعيان، ب« الباحة».

[۱۳۰] (۱)« أوَد» من ماة« أود» على وزن قول بمعنى العوج. و« اوَد» على وزن سند، ويطلق على الاعوجاج ب« الاوَد».

[۱۳۱] (۲) الغارات ۱/ ۴۲.

[۱۳۲] (۱)« أضرع» من مادة« ضرع» بمعنى الرضاع« وضع الثدى فى الفم»، ويأتى معناها أيضا بمعنى المناسب فى‌الاشياء، ومن هنا فان هذا المصطلح يستعمل للتعبير عن الدولة.

[۱۳۳] (۲)« أتعس» من مادة« تعس» على وزن« ترس» بمعنى الهفوة والسـهو والزلة وكذلك يأتى بمعنى السـقوط، و« اتعاس» من باب افعال بمعنى الهلكة.

[۱۳۴] (۳)« جـدود» جمع« جـد» وفى الأصـل بمعنى أب الأب أو أب الام، وتأتى بمعنى الرزق والموفقيـة الاجتماعيـة، وأحيانا بمعنى الفائدة، حيث أتت هنا بهذا المعنى

[۱۳۵] (۱) سـند الخطبة: نقله كثير من المحدثين قبل السيد الرضى(ره) ومنهم ابن سعد فى الطبقات وأبو الفرج الاصفهانى فى مقاتل الطالبين وابن عبد ربه فى العقد الفريد وابن قتيبة فى الإمامة والسياسة والمرحوم السيد المرتضى فى الغرر والدرر والشيخ المفيد فى الإرشاد. مصادر نهج‌البلاغة ۲/ ۶۴.

[۱۳۶] (۲)« سـنح» من مـادة« سـنوح» على وزن حضور، بمعنى العبور السـريع لشـىء فى مقابـل الانسان، وكـذلك تأتى‌بمعنى عرض

الشيء أمام الانسان.

وقد فسر عدد من أرباب اللغة لفظ« سانح»، بحركة الشيء من اليسار إلى اليمين وفى مقابل الانسان، وعلى القاعدة فان ذلك يعتبر طالعٌ أو فأل خيرٍ، ويقابل ذلك اصطلاح« بارح» وهى الحركة من اليمين إلى اليسار، وهو طالع غير مبارك وغير حسن.

[۱۳۷] (۱) سورة نوح/ ۲۶.

[۱۳۸] (۱) بحارالأنوار ۱۸/ ۵۹.

[۱۳۹] (۲) بحارالأنوار ۱۸/ ۵۷.

[۱۴۰] (۳) بحارالأنوار ۱۷/ ۲۳۰.

[۱۴۱] (۴) بحارالأنوار ۱۷/ ۲۳۰.

[۱۴۲] (۵) بحارالأنوار ۲۰/ ۷۶.

[۱۴۳] (۱) بحارالأنوار ۱۹/ ۲۵۷.

[۱۴۴] (۱) سند الخطبة: قال صاحب مصادر نهج‌البلاغة هذا مختار من خطبة خطب بها عليه السلام بعد صفين وقد روى طرفا منها ابن دأب المعاصر لموسى الهادى الخليفة العباسى فى كتابه الاختصاص. ورواها المفيد فى الارشاد. وقال ابن أبى‌الحديد: وقد روى هذا الكلام« ما أتيتكم إختياراً ..» على وجه آخر« ما أتيتكم إختياراً ولا جئتكم سوقاً»، والظاهر من كلامه أنها رواية غير النهج وأنّها خطبة واحدة مع الخطبة ۹۷ التى فصلها السيد الرضى(ره). مصادر نهج‌البلاغة ۲/ ۶۶.

[۱۴۵] (۱)« أملصت» من مادة« ملص»، أسقطت وألقت ولدها ميتاً، كما تعنى فقد ان الشئ سريعاً.

[۱۴۶] (۲)« تأيم» من مادة« ايم» على وزن زيد فقدان الزوج وتستعمل بشأن الزوج والزوجة.

[۱۴۷] (۱) شرح نهج‌البلاغة لابن أبى الحديد ۶/ ۱۲۹.

[۱۴۸] (۲)« لهجة» من مادة« لهج» على وزن فلج، ويأتى معنى هذا اللفظ أحيانا بمعنى الملازمة وأحيانا بمعنى‌الاختلاط والمعاشرة وأحيانا بمعنى العلاقة الشديدة بالشيء، وكذلك فان اللهجة ملازمة للغة الانسان، وتطلق على مجموعة مختلطة من الامور، أما فى الجملة أعلاه فالاصطلاح جاء بمعنى الاسرار والمفاهيم الخاصة.

[۱۴۹] (۳)« ويل امه»: عبارة مركبة من(ويل) التى تأتى للدعاء أو التعجب وأمه مضافة إلى ويل إن كان مبتدأ، كما يمكن أن تكون مبتدأ وخبرها محذوف وتقدير العبارة« ويل أمه ثابت أو كائن» فان قرأت منصوبة فهى منادى وأصلها(يا ويل أمه) وقد وردت بكلمة واحدة فى بعض النسخ ولا يفرق ذلك فى المعنى.

[۱۵۰] (۱) رواه الحاكم فى المستدرك ۳/ ۱۳۶ والخطيب البغدادى فى تأريخه ۲/ ۸۱، كما رواه آخرون.

[۱۵۱] (۲) رواه عدد كثير من كبار علماء العامة باسناد معتبرة ومنهم: النسائى فى الخصائص ص ۳ والحاكم فى المستدرك ۳/ ۱۱۲ وابن ماجة فى السنن ۱/ ۵۷ والطبرى فى تأريخه ۲/ ۲۱۳، وجمع آخرن المحدثين.

[۱۵۲] (۳) ورد هذا لاحديث فى الباب ۴۷ من فرائد السمطين بأربعة طرق.

[۱۵۳] (۴) أورده ابن أبى الحديد فى المجلد الثانى ص ۱۰۱.

[۱۵۴] (۱) رواه الترمذى فى الجامع ۲/ ۲۱۴ والحاكم فى المستدرك ۳/ ۱۱۲ كما نقله آخرون.

[۱۵۵] (۲) بحارالأنوار ۳۷/ ۲۶۸.

[۱۵۶] (۳) مسند أحمد ۱/ ۹۹ طبع دار الصادق.

[۱۵۷] (۴) شرح نهج‌البلاغة لابن أبى الحديد ۴/ ۱۱۶.

[۱۵۸] (۱) العقد الفريد ۳/ ۴۳ بتصرف.

[۱۵۹] (۲) الغدير ۳/ ۲۳۷.

[۱۶۰] (۱) ذكرنا اسناد هذه الرواية بالتفصيل ذيل حديث يوم الدار فى رسالة القرآن ۹/ ۳۲۶.

[۱۶۱] (۲) سورة مريم/ ۱۲.

[۱۶۲] (۳) سورة مريم/ ۳۰.

[۱۶۳] (۱) سند الخطبة: رواها الكثير ممن عاش قبل السيد الرضى(ره)، فقد وردت فى الصحيفة العلوية والتذكرة لابن الجوزى والامالى للبغدادى وغريب الحديث لابن قتيبة والغارات للثقفى، كما فسر عبارتها ابن أثير فى النهاية والزمخشرى فى الفائق وابن منظور فى لسان العرب(مصادر نهج‌البلاغة ۲/ ۷۰).

[۱۶۴] (۱)« داحى» من مادة« دحو» بمعنى البسط، و« دحو الأرض» إشارة إلى الزمان الذى خرجت فيه اليابسة‌تدريجياً من الماء وانتشرت.

[۱۶۵] (۲)« داعم» من مادة« دعم» على وزن فهم بمعنى تسوية الاعوجاج، ومنه« الدعامة» بمعنى العمود.

[۱۶۶] (۳)« المسموكات» من مادة« سمك» على وزن سقف بعنى رفع، والمسموكات المرفوعات وهى السماوات.

[۱۶۷] (۴)« جابل» من مادة« جبل» على وزن جبر بمعنى خالق.

[۱۶۸] (۵) سورة الذاريات/ ۴۷- ۴۸.

[۱۶۹] (۱) سورة فاطر/ ۴۱.

[۱۷۰] (۲) ورد مضمون هذا الحديث فى عدة روايات تناهز العشرين، رواها المرحوم العلّامة المجلسى فى‌بحارالأنوار ۳/ ۲۷۶- ۲۸۱، كتاب التوحيد.

[۱۷۱] (۳) سورة الدهر/ ۳.

[۱۷۲] (۴) سورة الشمس/ ۷- ۸.

[۱۷۳] (۱)« شرائف» جمع« شريفة» بمعنى ذاقيمة.

[۱۷۴] (۲)« نوامى» جمع« نامية» من مادة« نمو» بمعنى التوسعة والزيادة والتطور.

[۱۷۵] (۱) بحارالأنوار ۷۴/ ۴۰۰.

[۱۷۶] (۲)« جيشات» جمع« جيشة» من مادة« جيش» على وزن عيش من جاشت القدر إذ إرتفع غليانها، ومنه الجيش‌لحركته.

[۱۷۷] (۳)« دامغ» من مادة« دمغ» على وزن ضرب إذا شجه حتى بلغت الشجة دماغه.

[۱۷۸] (۴)« صولات» جمع« صوله» بمعنى الحملة من أجل الغلبة. ويستعمل هذا الاصطلاح أيضا فى التعبير عن عضة البعير.

[۱۷۹] (۵)« اضطلع» من مادة« اضطلاع» بمعنى القوة والقدرة على القيام بالعمل. وفى الأصل من مادة« ضلع» على‌وزن جسم، بمعنى الضلع، وهو العظم المقاوم فى مقابل الحوادث، وكذلك يطلق على اصطلاح« ضلع» وهو على وزن« منع» بمعنى القوة والقدرة.

[۱۸۰] (۱)« مستوفز» من مادة« استيفاز» بمعنى المسادع المستعجل.

[۱۸۱] (۲)« ناكل» من مادة« نكول» بمعنى الناكص والمتأخر.

[۱۸۲] (۳)« القدم» بضمتين المشيى إلى الحرب ومضى قدما سار ولم يخرج.

[۱۸۳] (۴) الكامل لابن اثير ۱/ ۴۸۹(كما ورد هذا الكلام فى سيرة ابن‌هشام وتأريخ الطبرى).

[۱۸۴] (۵)« واعيا» أى حافظا وفاهما، وعيت الحديث فهمته وحفظته.

[۱۸۵] (۶)« أورى» من مادة« ورى» على وزن نفى بمعنى اشعال النيران وعليه فان(اورى) فعل متعدى.

[۱۸۶] (۷)« القبس» على وزن قفص بمعنى شعلة من النار.

[۱۸۷] (۸)« خابط» من مادة« خبط» على وزن ضبط بمعنى الحركة فى طريق غير صحيح، وكذلك تأتى بمعنى عدم التعادل أثناء المسير أو القيام.

[۱۸۸] (۹)« خوضات» جمع« خوضة» من مادة« خوض» على وزن حوض، وفى الاصل يأتى بمعنى الدخول التدريجى فى الماء، والسير والسباحة فى الماء، وكذلك يأتى كناية عن معنى الدخول أو البدء بعمل أو خطاب سيء وغير مطلوب.

[۱۸۹] (۱) سورة الجن/ ۲۶- ۲۸.

[۱۹۰] (۱)« افسح» من مادة« فسح» على وزن فسخ بمعنى المكان الواسع. ومن هنا فان هذه المادة تأتى بمعنىالتوسعة.

[۱۹۱] (۲) مجمع البيان، ۱۰- ۹/ ۲۱۸ ذيل الآية ۳۰ من سورة الواقعة.

[۱۹۲] (۱) سورة الاسراء/ ۷۹.

[۱۹۳] (۲)« دعة» من مادة« وداع» بمعنى الانفصال والترك وتخلية السبيل، ومن هنا يطلق هذا الاصطلاح على كل‌شيء يتركه الانسان، ويبقى بدون حركة وبحالة من الهدوء. وهذا الاصطلاح يأتى أحيانا بمعنى الهدوء، وقد جاء فى الخطبة اعلاه بهذا المعنى

[۱۹۴] (۱) ثواب الأعمال للشيخ الصدوق/ ۱۸۵.

[۱۹۵] (۲) بحارالأنوار ۱۷/ ۳۰.

[۱۹۶] (۳) كنزالعمال ۱/ ۴۹۰، ح ۲۱۵۳.

[۱۹۷] (۴) كنزالعمال ۱/ ۴۹۰، ح ۲۱۴۹.

[۱۹۸] (۵) وسائل الشيعة ۴/ ۱۲۱۰ الباب ۳۴ من ابواب الذكر.

[۱۹۹] (۶) كنزالعمال ۱/ ح ۲۱۷۷.

[۲۰۰] (۷) كنزالعمال ۱/ ۴۹۴، ح ۲۱۸۲.

[۲۰۱] (۱) شرح نهج‌البلاغة للعلّامة الخوئى ۵/ ۲۱۴- ۲۱۵.

[۲۰۲] (۲) كنزالعمال ۱/ ۴۹۴، ح ۲۱۸۱.

[۲۰۳] (۳) وسائل الشيعة ۴/ ۱۲۱۳(الباب ۳۴ من أبواب الذكر).

[۲۰۴] (۴) كنزالعمال ۱/ ۵۰۷، ح ۲۲۴۳.

[۲۰۵] (۵) كنزالعمال ۱/ ۵۰۴، ح ۲۲۲۹.

[۲۰۶] (۱) زيارة الجامعة الكبيرة.

[۲۰۷] (۱) وسائل الشيعة ۴/ ۹۸۹ باب كيفية التشهد.

[۲۰۸] (۲) سورة الأحزاب/ ۵۶.

[۲۰۹] (۳) تفسير الدرالمنثور ۵/ ۲۱۶ ذيل الآية ۵۶ من سورة الأحزاب.

[۲۱۰] (۴) صحيح البخارى ۶/ ۱۵۱ فى تفسير سورة الأحزاب.

[۲۱۱] (۱) صحيح مسلم ۱/ ۳۰۵ باب الصلاة على النبى صلى الله عليه و آله.

[۲۱۲] (۲) الصواعق لابن حجر/ ۱۴۴.

[۲۱۳] (۳) المغنى ۱/ ۵۷۹.

[۲۱۴] (۱) التاج الجامع للاصول ۵/ ۱۴۳.

[۲۱۵] (۲) تفسير نورالثقلين ۴/ ۳۰۲، رقم ۲۱۱(ذيل الآية ۵۶ من سورة الأحزاب).

[۲۱۶] (۳) التحقيق فى كلمات القرآن الكريم، مادة صلو(باقتباس ونقل بالمعنى).

[۲۱۷] (۱) سند الخطبة روى طرفا من هذا الكلام قبل الرضى ابن سعد فى الطبقات ج ۱ فى ترجمة مروان، والبلاذرى فى أنساب الاشراف بترجمة أميرالمؤمنين، ورواه بعد الزمخشرى فى ربيع الأبرار والسبط ابن‌الجوزى فى تذكرة الخواص باختلاف يسير، وجاء فى النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير. وقال ابن أبى الحديد فى ۶/ ۱۴۶ من شرحه لنهج‌البلاغة: وقد روى هذا الخبر من طرق كثيرة ورويت فيه زيادة لم يذكرها صاحب نهج‌البلاغة، فترى ابن أبى الحديد هنا ينص على تواتر هذا الخبر وكثرة طرقه.

مصادر نهج‌البلاغة ۲/ ۷۲.

[۲۱۸] (۱)« سبة» على وزن غدة تعنى الطعنة فى موضع واصلها من سب كما ترد كناية عن مخرج الإنسان، وقد وردت بهذا المعنى فى العبارة المذكورة، ومعنى الكلام محمول على وجهين: أحدهما أن يكون ذكر السبة إهانة له وغلظة عليه، والعرب تسلك مثل ذلك فى خطبها وكلامها، والثانى أن يريد بالكلام حقيقة لامجازاً، وذلك لأنّ الغادر من العرب كان إذا عزم على الغدر بعد عهد قد عاهده أو عقد قد عقده، قبل إستهزاء بما كان قد أظهره من اليمين والعهد، وسخرية وتهكماً.(شرح نهج‌البلاغة لابن أبى الحديد ۶/ ۱۴۷).

[۲۱۹] (۱)« لعقة» من مادة« لعق» على وزن لعب بمعنى لَحسه و« العقة» اسم مرة« يعنى لعق أو لحس مرة واحدة».

[۲۲۰] (۲)« أكبش» جمع« كبش» بمعنى مذكر الغنم أو الخروف بأى عمر كان تطلق العرب هذه المفردة على رئيس‌القوم وزعيمهم فيقال: كبش القوم وكبش الكتيبة.

[۲۲۱] (۱) اقتطفنا سيرة حياة مروان من تاريخ الطبرى وسفينة البحار وشرح النهج لابن أبى‌الحديد.

[۲۲۲] (۱) سند الخطبة: لقد استفاد بعض شرّاح نهج‌البلاغة من كلام ابن أبى الحديد أنّ لديه خطبة طويلة لأميرالمؤمنين على عليه السلام بعد بيعة عبدالرحمن بن عوف لعثمان وما ورد فى هذه الخطبة طرفا منها، حيث أشار الإمام عليه السلام إلى فضائله وسوابقه ثم قال:« إنّى أحق بها من غيرى وواللّه لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلا علىّ خاصة»(شرح نهج‌البلاغة للعلّامة الخوئى ۵/ ۲۲۳).

[۲۲۳] (۱) اقتباس من شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ۶/ ۱۶۷، وللاطلاع أكثر حول المؤامرة التى حدثت فى قضية الشورى من أجل اقصاء الإمام على عليه السلام من الخلافة وماذا عمل هؤلاء من اجل تأمين مصالحهم المادية، فما عليك الا الرجوع إلى« شرح نهج البلاغة» تأليف« محمد عبده» أحد علماء مصر، وقد أورد ذلك فى ذيل الخطبة التى يدور بحثنا حولها.

[۲۲۴] (۱)« تنافستموه» من مادة« منافسة» للحصول على شىء يعد نفيساً(وإن لم يكن فى الواقع كذلك) ومن هنا يصطلح« بالنفيس» على الأشياء المرغوبة التى يخاطر الإنسان بنفسه من أجلها.

[۲۲۵] (۱)« زخرفه» و« زبرجه» أصل الزخرف الذهب وكذلك الزبرج، ثم أطلق على كل ممّوه مزور، وأغلب ما يقال‌الزبرج على الزينة من وشى أو جوهر.

[۲۲۶] (۱) شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد ۲/ ۱۲۹.

[۲۲۷] (۱) سند الخطبة: لم يذكر الرواة سندا خاصا لهذا الكلام سوى ماورد فى نهج‌البلاغة، إلّاانّ صاحب مصادر نهج‌البلاغة نقل بعض هذا الكلام فى مادة قرف عن ابن أثير فى النهاية والطريحى فى مجمع‌البحرين. مصادر نهج‌البلاغة ۲/ ۷۶.

[۲۲۸] (۱)« قرف» على وزن حرف تعنى فى الأصل فصل قشرة الشئ كقشرة الشجرة، ولما كان تحرى العيوب‌يؤدى إلى ضياع شخصية الأفراد، فانّ هذه الكلمة تستعمل بمعنى الاتهام.

[۲۲۹] (۲)« وزع» من مادة« وزع» على وزن وضع بمعنى المنع، كما وردت بمعنى الجمع. لأنّ جمع الشئ يتطلب منع تشتت افراده، ولعل« التوزيع» بمعنى التقسيم، لأنّ تقسيم الشئ يتطلب جمعه ثم تقسيمه.

[۲۳۰] (۳)« تهمة» من مادة« وهم» تعنى فى الأصل الظن السيئ(وقد وردت هذه المفردة بفتح الهاء وضمها)، كما تعنى التهمة البهتان،

وهذا هو معناها فى العبارة الواردة فى الخطبة.

[۲۳۱] (۴) سورة الحجرات/ ۱۲.

[۲۳۲] (۵) سورة النساء/ ۱۱۲.

[۲۳۳] (۶)« حجيج» من مادة« حج» بمعنى قصد الشىء، ومنه« المحاجة» لمن يحاور العدو بقصد التغلب عليه، وحجيج المارقين خصيمهم، والمارقون هم الخارجون من الدين.

[۲۳۴] (۷) شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد ۶/ ۱۷۰.

[۲۳۵] (۱)« الامثال» جمع« مثل» يراد بها هنا متشابهات الأعمال والحوادث تعرض على القرآن فما وافقه فهو الحق‌وما خالفه فهو الباطل، وقد جرى عليه السلام على حكم اللّه فى أعماله فليس للغامز أن يشير بمطعن.

[۲۳۶] (۱) سند الخطبة: هذه الخطبة رواها قبل الرضى الحرانى فى التحف والكراجكى فى كنز الفوائد مع تفاوت يسير يفيد أنّه لم ينقل عن نهج‌البلاغة. ورواها من بعد السيد الرضى الزمخشرى فى ربيع الأبرار والسبط بن الجوزى فى تذكرة الخواص ومحمد بن طلحة الشافعى فى مطالب السؤل(مصادر نهج‌البلاغة ۲/ ۷۷).

[۲۳۷] (۲) مصادر نهج‌البلاغة ۲/ ۷۸.

[۲۳۸] (۳) بحارالأنوار ۶۶/ ۴۰۸.

[۲۳۹] (۱)« حكم» هنا بمعنى الحكمة.

[۲۴۰] (۲)« وعى» من مادة« وعى» على وزن سعى بمعنى الحفظ وفهم المراد و« أذن واعية» كناية عن سماع الشخص للمطالب وفهمها بصورة جيدة.

[۲۴۱] (۳)« الحجزة» بالضم معقد الازار والمراد بها هنا الاقتداء والتمسك.

[۲۴۲] (۱)« غرض» على وزن مرض بمعنى الهدف الذى يسدد نحوه السهم، كما يعنى المقصود والحاجة، إلّاأنّه وردفى رواية« عرض» بمعنى المتاع الدنيوى الزائل.

[۲۴۳] (۲)« كابر» من مادة« مكابرة» بمعنى المنازعة والمبارزة، كما يطلق على المنازعات العلمية التى تهدف الغلبة على الطرف المقابل لاتحقيق الحق، وقد ارد بها هنا المعنى الأول.

[۲۴۴] (۳) الكافى ۲/ ۱۶.

[۲۴۵] (۴) سورة البينة/ ۵.

[۲۴۶] (۵) بحارالأنوار ۶۹/ ۲۷۸.

[۲۴۷] (۱) الكافى ۲/ ۳۳۵.

[۲۴۸] (۲)« مطية» المركب السريع الذى لايجمع بصاحبه.

[۲۴۹] (۳)« غراء» مؤنث« أغر» كل شيىء أبيض والطريقة الغراء النيرة الواضحة.

[۲۵۰] (۴)« المحجة» من مادة« حج» تعنى فى الأصل القصد، ثم اطلقت على جادة الطريق التى توصل الإنسان إلى‌مقصوده.

[۲۵۱] (۵)« مهل» جاء بصيغة اسم المصدر وبمعنى الرفق والمداراة، ومن هنا فان الفرص تمثل الارضية للرفق والمداراة، وهذا الاصطلاح أستعمل بمعنى الفرصة وفى الخطبة أعلاه، جاء بعنوان الاشارة إلى الفرص التى اعطاها الله سبحانه وتعالى لعباده من اجل اصلاح اعمالهم والاتيان بالاعمال الصالحة، والتى يجب أن يغتنمها الناس.

[۲۵۲] (۱) كلمات القصار/ ۸۲.

[۲۵۳] (۲) اصول الكافى ۲/ ۹۱.

[۲۵۴] (۱) اصول الكافى ۲/ ۱۴۲.

[۲۵۵] (۲) اصول الكافى ۲/ ۱۴۳.

[۲۵۶] (۱) سند الخطبة: روى هذا الكلام أبوالفرج الاصبهانى فى كتاب الاغانى باسناد رفعه إلى الحارث بن جيش قال: بعثنى سعيد بن العاص بهدايا إلى المدينة، وبعثنى إلى على عليه السلام وكتب إليه: إنّى لم أبعث إلى أحد بأكثر مما بعثت به إليك. قال فأتيت علياً عليه السلام فأخبرته فقال: الخطبه(طبعا هناك تفاوت بين ما أورده أبوالفرج وما جاء فى نهج‌البلاغة إلّاأنّ المضمون واحد). وقد روى هذا الكلام الأزهرى فى تهذيب اللغة وأبوعبيد القاسم بن سلام فى غريب الحديث وابن دريد فى المؤتلف والمختلف وأبوموسى محمد بن أبى المدينى الاصبهانى فى مستدركاتى على الجمع بين الغريبين(مصادر نهج‌البلاغة ۲/ ۷۹- ۸۰).

[۲۵۷] (۱)« ليفوقوننى» من مادة« فواق» على وزن رواق المدة المتخلله بين رضعتين حسب قول أغلب أرباب اللغة، بينما ذهب البعض إلى أنّها تعنى المدة المتخللة بين فتح الضرع وغلقه حين الحلب، ولما كان الثدى يخلد إلى الراحة بعد الحلب فقد استعملت بمعنى الهدوء والراحة ومنها إفاقة المريض وإفاقة المجنون. وجاءت فى العبارة بمعنى المال الزهيد الذى كان يعطيه بنى‌أمية الإمام عليه السلام من بيت مال المسلمين.

[۲۵۸] (۱)« لأنفضنهم» من« مادة» نفض على وزن نبض تحريك الشى لتخليصه ممّا علق به ومن هنا يصطلح‌بالنفوض على المرأة الولود، كما تستعمل هذه المفردة فى طرح الثمرة من الشجرة.

[۲۵۹] (۱) الاعلام للزركلى ۳/ ۹۶.

[۲۶۰] (۲) سيد مصطفى الحسينى الدشتى، المعارف والمعاريف، ج ۳ ذيل المفردة بنى‌أمية.

[۲۶۱] (۳) سورة الاسراء/ ۶۰.

[۲۶۲] (۴) تفسير الفخر الرازى ۲۰/ ۲۳۷.

[۲۶۳] (۵) راجع تفسير الأمثل للمؤلف ۱۰/ ۳۴۱ و ۱۲/ ۱۷۲.

[۲۶۴] (۱) كنزالعمال ۱/ ۲۹۹.

[۲۶۵] (۲) كنزالعمال، ح ۳۱۰۶۲.

[۲۶۶] (۳) كنزالعمال، ح ۳۱۰۷۴.

[۲۶۷] (۴) كنزالعمال، ح ۳۱۷۵۵.

[۲۶۸] (۱) العقدالفريد ۴/ ۸۱- ۸۲.

[۲۶۹] (۲) رسالة الجاحظ فى بنى‌أمية/ ۱۲۴ تم نقله من التاريخ السياسى للاسلام ۲/ ۳۹۶.

[۲۷۰] (۳) مختصر تاريخ دمشق ۸/ ۲۱۰ وتاريخ اليعقوبى ۲/ ۲۱۷.

[۲۷۱] (۴) تاريخ الخلفاء/ ۲۲۲.

[۲۷۲] (۵) شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد ۴/ ۵۷.

[۲۷۳] (۶) أنساب الاشراف ۱/ ۱۸۴ نقلا عن التأريخ السياسى للإسلام ۲/ ۴۰۹.

[۲۷۴] (۷) شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد ۴/ ۶۳.

[۲۷۵] (۸) حياة الصحابة ۳/ ۵۲۹ نقلًا عن التأريخ السياسى للإسلام ۲/ ۴۱۰.

[۲۷۶] (۹) مختصر تأريخ دمشق ۹/ ۸۵.

[۲۷۷] (۱) تأريخ الطبرى ۵/ ۲۲۰ نقلا عن التأريخ السياسى للإسلام ۲/ ۴۱۰.

[۲۷۸] (۲) نقلا عن: الحسين النفس المطمئنة، ص ۱۰.

[۲۷۹] (۳) المصدر السابق.

[۲۸۰] (۱) سند الخطبة: السند الوحيد لهذا الدعاء ما أورده قبل السيد الرضى(ره) الجاحظ فى كتاب المائة المختارة، والذى يرتبط بالعبارات التى اختتم بها الدعاء:« اللهم إغفرلى رمزات الألحاظ ...».

[۲۸۱] (۱) سورة المجادلة/ ۶.

[۲۸۲] (۲) سورة البقرة/ ۲۸۷.

[۲۸۳] (۳)« وأيت» من مادة و« أى» على وزن رأى بمعنى العزم على الشى مع قصد الوفاء به، وبعبارة اخرى الموعودالتى يقطعها الإنسان على نفسه، وقد يعنى الوأى والوعد بشأن الذات والآخرين.

[۲۸۴] (۱) وتقدير العبارة:« وأيت من نفسى مع ربى».

[۲۸۵] (۲) سورة التوبة/ ۷۵- ۷۶.

[۲۸۶] (۳) سورة الصف/ ۲- ۳.

[۲۸۷] (۱)« رمزات» جمع« رمزة» على وزن غمزة الإشارة بالعين والحجاب وأحياناً بالشفة، وقال البعض الرمز فىالأصل بمعنى حركة الشفاه لبيان مطلب دون أن يتخلله الصوت، كما تأتى بمعنى الإشارة بالعين والحاجب.

[۲۸۸] (۲)« الالحاظ» جمع« لحظ» على وزن محض بمعنى النظر بطرف العين الذى يكون أحياناً بقصد الازدراء والتحقير، كما يراد به الاستهزاء والسخرية أيضاً.

[۲۸۹] (۳)« سقطات» جمع« سقط» على وزن فقط كل وضيع لاقيمة له من متاع او كلام او فعل وقيل سقطات جمع سقطة بمعنى الزلة وسقطات الالفاظ لغوها.

[۲۹۰] (۴)« هفوات» جمع« هفوة» على وزن دفعة بمعنى الزلة فى الكلام أو العمل، كما وردت هذه المفردة بمعنى السرعة، ولما كانت السرعة تقود إلى الزلة فالمعنيان يعدان إلى مادة واحدة.

[۲۹۱] (۱) العبارة سقطات الألفاظ من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف، تعنى الألفاظ الساقطة، أمّا العبارة« هفوات اللسان» ليست كذلك.

[۲۹۲] (۲) بحارالأنوار ۹۰/ ۳۰۰.

[۲۹۳] (۳) سورة الفرقان/ ۷۷.

[۲۹۴] (۱) سند الخطبة: نقل ذلك قبل الرضى جماعة منهم: إبراهيم بن الحسن بن ديزيل المحدث فى كتاب صفين والشيخ الصدوق فى عيون أخبار الرضا نقله بثلاثة أسانيد، ونقله أيضاً فى الامالى فى المجلس الرابع والستين، ونقله أيضاً فى عيون الجواهر. وأضاف صاحب مصادر نهجالبلاغة بعد أن نقل هذا الكلام قائلًا: ولسنا بحاجة إلى ذكر من رواه بعد السيد الرضى فانّه كلام مشتهر دونته الخاصة والعامة بطرق مختلفة وصور شتى لاتختلف عما رواه الرضى إلّافى بعض الالفاظ(مصادر نهجالبلاغة ۲/ ۸۲).

[۲۹۵] (۱)« حاق» من مادة« حيق» على وزن حيف بمعنى احاط ونزل وعَمَّ، ويستفاد من هذا الاصطلاح فى الاشارةإلى تأثير ضربات السيف ونزول العذاب وذلك بسبب وجود نوع من الاحاطة والعمومية فى نزول العذاب.

و« حاق» فى الاصل من مادة« حق» بمعنى التحقق وقد أشتقت من كلمة« حق» حيث بُدلت القاف الاولى بواو وبعد ذلك بُدلت بألف.

[۲۹۶] (۱) سورة النحل/ ۱۶.

[۲۹۷] (۲) سورة الانعام/ ۹۷.

[۲۹۸] (۱) سورة آل‌عمران/ ۱۹۰.

[۲۹۹] (۱) سورة الاسراء/ ۳۶.

[۳۰۰] (۲) سورة يونس/ ۶۸.

[۳۰۱] (۳) سورة النجم/ ۲۸.

[۳۰۲] (۱) سند الخطبة: أنّ هذا الكلام من جملة كتاب له عليه السلام كتبه بعد احتلال عمرو بن العاص لمصر وقتل محمد بن أبىبكر، استعرض فيه الأحداث من أيام رسولاللّه صلى الله عليه و آله إلى اليوم الذى حرر فيه ذلك الكتاب وأمر أن يقرأ على الناس، وأنّه ليس من البعيد أنّه عليه السلام قال هذا الكلام بالخصوص أكثر من مرة، منها فى ذلك الكتاب ومنها بعد حرب الجمل كما ذكر السيد الشريف فى هذا الموضع. وإنّما قلت ذلك إعتماداً على نص الشريف هنا وما ذكره السبط بن الجوزى فى التذكرة حيث قال: ذكر علماء السير: أنّ علياً عليه السلام لما فرغ من حرب الجمل صعد المنبر البصرة فخطب الناس وقال: إنّ النساء ... بأدنى تفاوت عما ذكر الرضى. ومن نقلها قبل السيد الرضى أبوطالب المكى فى قوت القلوب والشيخ الكلينى فى الكافى المجلد الخامس وابراهيم بن هلال الثقفى فى الغارات وابن قتيبة فى الإمامة والسياسة والطبرى فى المسترشد.(مصادر نهجالبلاغة ۲/ ۸۶).

[۳۰۳] (۱) سورة المعارج/ ۱۹- ۲۱.

[۳۰۴] (۲) سورة الاحزاب/ ۷۲.

[۳۰۵] (۳) سورة الزخرف/ ۱۵.

[۳۰۶] (۴) سورة العلق/ ۶- ۷.

[۳۰۷] (۱) سورة الاسراء/ ۷۰.

[۳۰۸] (۱) سورة البقرة/ ۲۳۳.

[۳۰۹] (۱) سورة النحل/ ۹۷.

[۳۱۰] (۲) سورة الاحزاب/ ۳۵.

[۳۱۱] (۳) سورة الحجرات/ ۱۳.

[۳۱۲] (۴) بحارالأنوار ۴۸/ ۷۳.

[۳۱۳] (۵) الكافى ۲/ ۱۶۲.

[۳۱۴] (۱) سفينة البحار، مادة نسب.

[۳۱۵] (۲) ان رواية« طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة» وردت فى كتاب بحارالانوار للعلامة المجلسى، نقلها من كتاب« عوالى اللئالى» منقولة عن الرسول الكريم صلى الله عليه و آله وكذلك وردت فى كتاب ميزان الحكمة منقولة من مجموعة ورام.

[۳۱۶] (۱) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ۴/ ۲۱۵(بتلخيص).

[۳۱۷] (۲) تاريخ الطبرى ۳/ ۴۷۷(دار الاعلمى للنشر).

[۳۱۸] (۳) الكامل لابن اثير ۳/ ۲۰۶(دار صادر للنشر).

[۳۱۹] (۱) صحيح البخارى ۵/ ۴۷، ورد هذا الحديث فى باب تزويج خديجة وفضائلها.

[۳۲۰] (۲) ذكره ابن أبى الحديد ۶/ ۲۲۵ والعلامة الامينى فى الغدير ۳/ ۱۸۸ عن كتب العامة.

[۳۲۱] (۱) سند الخطبة: روى صدر هذا الكلام- قبل الرضى- الصدوق فى معانى الأخبار وفى الخصال، وروى آخر الكلام البرقى فى المحاسن بتفاوت، ورواه بعد الرضى صاحب غررالحكم بتفاوت يسير جداً، والقتال فى روضة الواعظين ونقله عنه الطبرسى فى مشكاة الانوار.(مصادر نهجالبلاغة ۲/ ۸۸- ۸۹).

[۳۲۲] (۱)« زهادة» على وزن شهادة تعنى عدم الاعتناء بزخارف الدنيا؛ كما تستعمل هذه المفردة بشأن الأفراد ضيقىالنظر أو سيئى الخلق، إلّاأنّ المعنى الأول هو الأشهر ومن لوازمه قصر الأمل وترك الذنوب وما شابه ذلك.

[۳۲۳] (۱) نهج‌البلاغة، الكلمات القصار/ ۴۳۹.

[۳۲۴] (۲) الكافى ۲/ ۱۳۱، ح ۱۱.

[۳۲۵] (۳)« عزب» من مادة« عزوب» على وزن غروب بمعنى بعد، ومن هنا وردت بمعنى ترك الزواج، حيث يطلق‌عله صاحبه إسم الأعزاب.

[۳۲۶] (۴)« مسفرة» من مادة« سفور» على وزن قبور بمعنى الكشف وخلع الحجاب، وعليه فالعبارة تعنى الأدلة التى‌تكشف النقاب عن الحقيقة.

[۳۲۷] (۱) كنزالعمال ۳/ ۱۸۱، ح ۶۰۵۹.

[۳۲۸] (۲) بحارالأنوار ۷۰/ ۱۱۴.

[۳۲۹] (۱) نهج‌البلاغة، الكلمات القصار/ ۱۰۳.

[۳۳۰] (۲) إقتباس من كتاب سير فى نهج‌البلاغة للشهيد المطهرى/ ۲۱۱.

[۳۳۱] (۳) بحارالأنوار ۴۰/ ۳۳۰، ح ۱۳.

[۳۳۲] (۴) بحارالأنوار ۴۱/ ۳۲.

[۳۳۳] (۱) سند الخطبة: صرح صاحب مصادر نهج‌البلاغة قائلًا: قد تواترت عنه عليه السلام صفة الدنيا هذه، ومن الكتب التى رويت فيها قبل النهج، الكامل للمبرد والامالى للصدوق والمجتنى لابن دريد وتحف‌العقول لابن شعبة الحرانى والعقد الفريد لابن عبد ربه وبعد النهج الامالى للمرتضى وتذكرة الخواص للسبط بن الجوزى ومشكاة الانوار الطبرسى وغررالحكم للآمدى وكنز الفوائد للكراجكى بتفاوت.(مصادر نهج‌البلاغة ۲/ ۹۰).

[۳۳۴] (۱)« عناء» بمعنى المشقة ومنها« العانى» يطلق على الأسير لماى واجه من مشقة.

[۳۳۵] (۱) سورة البلد/ ۴.

[۳۳۶] (۲) بحارالأنوار ۶۹/ ۴۸.

[۳۳۷] (۱) وسائل الشيعة ۱۲/ ۲۹۷- ۲۹۸.

[۳۳۸] (۱)« ساعى» من مادة« سعى» تعنى فى الأصل الجرى ومنه السعى بمعنى الجهد وكأنّ الإنسان يجرى نحو الشئ وقد وردت فى العبارة بشأن من يجرى خلف الدنيا وكأنه يتسابق مع الآخرين، كما يمكن أن تكون إشارة إلى أولئك الذين يلهثون وراء الدنيا، والدنيا تهرب منهم. أما بعض أرباب اللغة فقد فسروا هذه المفردة بمعنى دعوة الاماء إلى الأعمال المنافية للعفة. وعليه فالعبارة الواردة فى الخطبة تشبه الدنيا بالامة التى يلهث وراءها أهل الدنيا.

[۳۳۹] (۲)« واتته» من مادة« مؤاتاة» بمعنى طاوعته واستجابت له.

[۳۴۰] (۱) بحارالأنوار ۱۴/ ۳۹.

[۳۴۱] (۲) غررالحكم، ح ۷۳۶۳.

[۳۴۲] (۱) سورة ص/ ۱۶، ۲۶، ۵۳؛ سورة غافر/ ۲۷.

[۳۴۳] (۲) تفسير نورالثقلين ۴/ ۵۰۷.

[۳۴۴] (۳) مجمع‌البيان ۱/ ۲۹۷.

[۳۴۵] (۱) سورة الانشقاق/ ۷- ۹.

[۳۴۶] (۲) تفسير نورالثقلين ۵/ ۵۷۳.

[۳۴۷] (۱) الكافى ۲/ ۱۲۶.

[۳۴۸] (۲) بحارالأنوار ۷۹/ ۱۳۸.

[۳۴۹] (۳) كنزالعمال، ح ۳۱- ۳.

[۳۵۰] (۴) خصال الصدوق/ ۸۰ الباب ۳، ح ۱.

[۳۵۱] (۱) سند الخطبة: هذه الخطبة من خطبه عليه السلام المعروفة وفيها من اللطائف والدقائق ما عده ابن أبى‌الحديد من معجزاته التى فات بها البلغاء وأخرس الفصحاء، وفى قول الرضى(ره):« ومن الناس من يسمى هذه الخطبة بالغراء» دليل على أنّها كانت معروفة بين الناس. رواها الجاحظ، كما رواها حسن بن شعبة فى كتاب تحف العقول والآمدى وابونعيم الإصفهانى وابن أثير على كل حال فانّ هذه الخطبة أشهر من حاجتها إلى مناقشة الاسناد.(مصادر نهج‌البلاغة ۲/ ۱۰۷).

[۳۵۲] (۲) لابدّ من الالتفات هنا إلى ان الخطبة تنقسم على أساس تقسيم كلى إلى إثنى‌عشر قسماً، كما أنّ بعض‌أقسامها تنقسم فرعياً إلى عدّة أقسام، ومن هنا فانا قسمنا هذه الخطبة فى شرحها، وتفسيرها إلى ثمانية عشر قسماً.

[۳۵۳] (۱)« حول» بمعنى تغيير الشئ وفصله عن آخر، ومن هنا يطلق« الحائل» على ما يفصل بين شيئين، وإذاإستعملت هذه المفردة على اللَّه فانه تعنى قدرته على دفع ا لخطر عن عباده ومن القول: لاحول ولا قوة إلّاباللَّه.

[۳۵۴] (۲)« طول» على وزن« قول» بمعنى النعمة ومن مادة« طول» على وزن نور ما يبين امتداد الشئ، ولما كانت النعم امتداد وجود المنعم فقد اطلقت عليها هذه المفردة.

[۳۵۵] (۳)« مانح» من مادة« منح» على وزن منع تعنى فى الأصل إعطاء ا للبن والصوف وولد الحيوان لشخص، ثم اطلقت على كل عطاء، حتى صرح أرباب اللغة بأن منح تعنى أعطى.

[۳۵۶] (۴)« الأزل» تعنى الضيق والشدة، ثم اطلقت على كل بلاء ومصيبة، كما يصطلح بالأزل على الكذب، وقدوردت فى الخطبة بمعنى المصيبة.

[۳۵۷] (۱) سورة النحل/ ۵۳.

[۳۵۸] (۲)« سوابغ» جمع« سابغة» بمعنى الواسع والكامل وقد ورد تفسير هذا الاصطلاح فى شرح الخطبة ۶۳.

[۳۵۹] (۳) بادياً أى سابقاً كل شئ من الوجود، ظاهراً بذاته مظهرا لغيره، والبادى من بدو بمعنى الظهور والبداية، فاللَّه‌بادئ‌الوجود، كما أنّ آثاره ظاهرة عمت السموات والأرض.

[۳۶۰] (۴)« نذر» جمع« نذير»، وردت هنا بمعنى الايات والأخبار التى تحذر من معصية اللَّه.

[۳۶۱] (۱) سورة الاعراف/ ۳۴.

[۳۶۲] (۲) سورة الرحمن/ ۲۶.

[۳۶۳] (۳)« الرياش» من مادة« ريش» ظاهر اللباس، كما اطلق على كل نعمة موفورة. وقال بعض شرّاح نهج‌البلاغة أنّ‌الريش لايعنى ظاهر اللباس فقط، فقد ورد فى الآية ۲۶ من سورة الأعراف:« يا بَنِى آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباساً يُوارِى سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً» ولكن يبدو أنّ الآية تدل على عكس مراده لأنّ اللباس على نوعين: لباس يغطى بدن الإنسان مصداق(يوارى سواتكم) ولباس الزينة. وقد أشار القرآن إلى الأمرين، ثم اتبعه بالحديث عن لباس التقوى« ولباس التقوى ذلك خير».

[۳۶۴] (۴)« أرفغ» من مادة« رفغ» على وزن هدف بمعنى أوسع، أوسع عليكم النعم.

[۳۶۵] (۵) سورة الأعراف/ ۲۶.

[۳۶۶] (۱) هنالك خلاف بين مفسرى القرآن وشرّاح نهج‌البلاغة بشأن محل إعراب(ريشا) فعدها البعض عطفاً على‌لباساً ومن هنا فسروها بشئ أوسع أو مغاير للباس، بينما اعتبرها البعض الآخر(مفعول له) تبين هدف نزول اللباس على الإنسان وهو ستر العيوب ثم الزينة، ويبدو المعنى الأخير أكثر إنسجاماً مع الآية الشريفة.

[۳۶۷] (۲) سورة الجن/ ۲۸.

[۳۶۸] (۳)« رفد» جمع« رفد» على وزن دفع بمعنى نصيب، وعطاء وجائزة.

[۳۶۹] (۴)« روافغ» جمع« رافغة» من مادة« رفغ» وكما أشرنا سابقاً فانها تعنى السعة والرفعة.

وعلى هذا الاساس فان« الرفد» و« الروافغ» تأتى بمعنى عطايا الله سبحانه وتعالى.

[۳۷۰] (۵) جاء فى مقاييس اللغة أنّ أصل هذه المفردة يعنى تقديم الشئ هذا ما صرح به الراغب فى مفرداته. وقالفى كتاب التحقيق فى كلمات القرآن الكريم:« حقيقة الايثار إثبات الفضيلة وتقديم صاحب الفضل».

[۳۷۱] (۶) سورة الاسراء/ ۷۰.

[۳۷۲] (۱)« مدد» جمع« مدة»، أى عين لكم أزمنة تحيون فيها، فالمدّة جزء من الزمان، كما تأتى بمعنى انتهاء زمانمعين.

[۳۷۳] (۲)« خبرة» تفيد معنى المصدر واسم المصدر تعنى العلم والاطلاع، ومن هنا يقال« أهل الخبرة» لمن كان لهم العلم الكافى بالشيئ، كما تعنى الإمتحان وقد وردت هنا بهذا المعنى؛ أى فى دار ابتلاء واختبار وهى دار الدنيا.

[۳۷۴] (۳) سورة مريم/ ۹۳- ۹۴.

[۳۷۵] (۴) سورة العنكبوت/ ۲- ۳.

[۳۷۶] (۱)« رنق» صفة مشبهة بمعنى الكدر. وعليه فانّ العبارة(رنق مشربها) إشارة إلى كدر شرب الدنيا، أمّا رونقفتعنى الجمال، وذلك لأنّ اللغة العربية تتضمن أحياناً مادة واحدة لمعنيين متضادين.

[۳۷۷] (۲)« ردغ» من مادة« ردغ» على وزن فتق كثير الطين والوحل. وفى التشبيه الذى ورد أعلاه فى الخطبة حيث وصفت الدنيا بمثابة نهر كبير ينتهى جريانه بماء مملوء بالطين والوحل.

[۳۷۸] (۱)« يونق» من مادة« آنق» على وزن شفق يعجب، وقوله عليه السلام« يونق منظرها» إشارة إلى المنظر العجيب للدنيا.

[۳۷۹] (۲)« يوبق» من مادة« وبوق» يهلك« وموبق» بمعنى مهلك.

[۳۸۰] (۳) نهجالبلاغة، الرسالة ۶۸.

[۳۸۱] (۴)« حائل» من مادة« حال» بمعنى التحول والانتقال واطلاق« الحول» على السنة لتحولها. وعليه فالحائلالمتغير.

[۳۸۲] (۵)« آفل» من مادة« افول» بمعنى الغياب ومنه افول الشمس والقمر غروبهما.

[۳۸۳] (۶)« سناد» بالكسر ما يستند إليه وهو الدعامة، ولما كانت الدنيا دعامة معوجة ولا يمكن الاستناد إليها عبرت عنها خطبة« سناد مائل».

[۳۸۴] (۱)« قمصت» من مادة« قمص» على وزن شمس بمعنى رفع اليدين وطرحهما معاً ومنه قمص الفرس، كماتستعمل هذه المفردة كناية عن الذل بعد العز.

[۳۸۵] (۲)« قنصت» من مادة« قنص» بمعنى الصيد والقانص الصياد.

[۳۸۶] (۳)« أحبل» جمع حبل.

[۳۸۷] (۴)« أسمهم» جمع سهم وجمعه الآخر سهام.

[۳۸۸] (۵)« أوهاق» جمع« وهق» على وزن شفق بمعنى الحبل الذى يربط به عنق الإنسان أو الحيوان.

[۳۸۹] (۶)« ضنك المضجع»، ضنك يعنى ضيق ومضجع الموضع الذى يضع الإنسان عليه ضلعه، والمراد به فى العبارة القبر.

[۳۹۰] (۱)« أاخترام» من مادة« خرم» بمعنى اشق و هى تشير هنا الى الحوادث التى تستأصل عمر الانسان.

[۳۹۱] (۲)« يرعوى» من مادة« رعوة» على وزن سهو بمعنى الرجوع و العودة من الجهل إلى العلم و اصلاح النفس و الجملة أعلاه« لا يرعوى الباقون احتراماً» اشارة إلى أن البعض لا يعتبرون من دروس العبرة التى تمربهم و لا يتراجعون و لا يتوبون من الذنوب التى

اقترفوها و بالاخير فانهم لا يقدمون على اصلاح انفسهم.

[۳۹۲] (۳)« إجترام» من مادة« جرم» الذنب و اقتراف السيئات.

[۳۹۳] (۴)« يحتـذون» من مادة« حـذو» على وزن حذف بمعنى القيام بالأعمال المشابهة، و من هنا وردت بمعنى الاقتداء فى الأعمال، ويريد بها فى العبارة يشاكلون بأعمالهم صور أعمال من سبقهم و يقتدون بهم.

[۳۹۴] (۵)« ارسال» جمع« رسل» على وزن عسل القطيع من الابل و الغنم والخيل، اريد بها فى العبارة من يتبع الآخرين دون أدنى فكر و مطالعه.

[۳۹۵] (۶)« صـيور» على وزن قيوم من مادة« صـير» على وزن سيل بمعنى الانتقال من حالة إلى اخرى، و هى هنا صيغة مبالغه اريد بها مصيره و ما يؤول إليه أمره.

[۳۹۶] (۱) شرح نهج‌البلاغة لابن ميثم البحرانى ۲/ ۲۳۶.

[۳۹۷] (۲) سورة الكهف/ ۴۵.

[۳۹۸] (۱)« أزف» من مادة« ازف» على وزن شرف بمعنى الاقتراب.

[۳۹۹] (۱)« ضرائح» جمع« ضريح» بمعنى القبر، أو الشق وسط القبر.

[۴۰۰] (۲)« أوكار» جمع« وكر» على وزن مكر بمعنى عش الطيور.

[۴۰۱] (۳)« أوجرة» جمع« وجار» الحفر التى تظهر إثر السيول فى الأودية، كما تطلق على كهف الوحوش.

[۴۰۲] (۴)« مطارح» جمع« طرح» الموضع الذى تطرح فيه الأشياء.

[۴۰۳] (۵) سورة لقمان/ ۳۴.

[۴۰۴] (۶)« مهطعين» مادة« هطع» على وزن منع بمعنى الرعة المصحوبة بالخوف.

[۴۰۵] (۷)« رعيل» القطيع من الخيل أو الطيور.

[۴۰۶] (۸) سورة المعارج/ ۴۳.

[۴۰۷] (۹) سورة يس/ ۵۱.

[۴۰۸] (۱۰) سورة المعارج/ ۴۳.

[۴۰۹] (۱) سورة النبأ/ ۱۸.

[۴۱۰] (۲)« ضرع» على وزن طمع الضعف والخضوع والذل.

[۴۱۱] (۳)« مهيمنة» من مادة« هيمنة» متخافية، الصوت الخفى.

[۴۱۲] (۴)« شفق» تعنى فى الأصل إختلاط ضياء النهار بظلمة الليل، كما تطلق على خصوص الخوف وبهذا المعنى وردت فى العبارة.

[۴۱۳] (۵) سورة ابراهيم/ ۴۳.

[۴۱۴] (۶) سورة طه/ ۱۰۸.

[۴۱۵] (۱)« زبره» الكلام الشديد و لايقال زبرة إلا إذا كان فيها زجر.

[۴۱۶] (۲)« مقايضة» من مادة« قيض» على وزن فيض بمعين المعاوضة.

[۴۱۷] (۳)« نكال» بمعنى العذاب.

[۴۱۸] (۴) و نوال بمعنى النعمة.

[۴۱۹] (۵) أشرنا فى البحث السابق إلى الآيات ذات الصلةبهذا الموضوع.

[۴۲۰] (۶) راجع نفحات القرآن ۵/ ۳۰۷- ۳۵۳.

[۴۲۱] (۱) للوقوف على التفاصيل راجع، نفحات القرآن ۵/ ۳۴۰- ۳۴۷.

[۴۲۲] (۱) سورة الحج/ ۱.

[۴۲۳] (۱)« اقتسار» من مادة« قسر» على وزن نصر الغلبة والقهر.

[۴۲۴] (۲)« أجداث» جمع« جدث» على وزن عبث القبر.

[۴۲۵] (۳)« رفات» جمع رفت الحطام.

[۴۲۶] (۱) سورة النبأ/ ۱۸.

[۴۲۷] (۲) سورة فاطر/ ۱۸.

[۴۲۸] (۳)« مستعتب» من مادة« عتب» على وزن تبت بمعنى الرضى. وذهب بعض أرباب اللغة إلى أنّ أصل هذهالمفردة(عتاب) وإعتاب نفى ذلك والاستعتاب طلب نفى العتاب التى وردت بمعنى طلب الرضى.

[۴۲۹] (۴)« سدف» جمع« سدفة» على وزن غرفة بمعنى الظلمة.

[۴۳۰] (۵)« جياد» جمع« جواد»، والجياد من الخيل كرامها.

[۴۳۱] (۶)« ارتياد» من مادة« رود» على وزن صوت، طلب ما يراد.

[۴۳۲] (۷)« أناة» الهدوء والطمأنينة والوقار والحلم، كما وردت بمعنى الانتظار.

[۴۳۳] (۱) سورة فاطر/ ۳۷.

[۴۳۴] (۱)« حازم» من مادة« حزم» على وزن جزم بمعنى التفكر العميق والصائب، ويطلق الحازم على الشخص‌الواسع الافق، ومنه الحزام الذى يفيد الاستحكام.

[۴۳۵] (۱)« إقترف» من مادة« قرف» على وزن حرف بمعنى إكتسب وتستعمل إقتراف فى إكتساب الاثم.

[۴۳۶] (۲)« إحتذى من مادة« حذو» على وزن حذف بمعنى فصال الحذاء حسب النموذج والقياس المعين، ثم اطلق‌الحذو والاحتذاء على مطابقة الشئ لآخر، وقد وردت فى الخطبة بمعنى المتابعة والتبعية للاسُوة فى كل شئ.

[۴۳۷] (۱)« استظهر» من مادة« ظهر» على وزن دهر، بمعنى حمل الزاد والمتاع على الظهر أو على ظهر مركب.

[۴۳۸] (۲) قيل جملة(جهة ما خلقكم له) ظرف وقيل مفعول به لفعل مقدر وقيل مفعول لأجله ولعل الاحتمال الأول أنسب الجميع.

[۴۳۹] (۳) سورة القيامة/ ۳۶.

[۴۴۰] (۴)« كنه»، الحقيقة وباطن الشئ، كما تأتى بمعنى العاقبة وأجل الشئ واريد بها المعنى الأول فى العبارة.

[۴۴۱] (۵)« تنجز» من مادة« نجز» على وزن عجز، تستعمل فى الوفاء بالعهد، وتنجز الوعد طلب وفائه على عجل.

[۴۴۲] (۱)« عنا» من مادة« عناية» بمعنى الاهتمام بالشئ، والضمير فى عناها يمكن أن يرجع إلى اللّه فيشير إلى‌الأهداف الإلهية التى تبلغ الإنسان عن طريق أذنه، أو يرجع إلى الإنسان ليعنى الأهداف التى ينالها الإنسان عن طريق الاذان، أو يعود إلى الحرف ما ليعنى المطالب المهمة السماع للاذن.

[۴۴۳] (۲)« تجلو» من مادة« جلاء» بمعنى تكشف.

[۴۴۴] (۳)« عشا» من مادة« عشو» أو« عشى» ضعف البصر وعجزه عن الرؤية وقيل عدم الابصار ليلًا.

[۴۴۵] (۴)« أشلاء» جمع« شل» على وزن شكل العضو والجسد، وهنا تعنى الجسد، حيث أردفها بالعبارة(جامعة لأعضائها) وقيل قطعة اللحم وهى العضلات ويصدق هذا المعنى على الخطبة المذكورة.

[۴۴۶] (۵)« أحناء» جمع« حنو» على وزن حلم ما اعوج من البدن، كأغلب العظام.

[۴۴۷] (۱)« أرفاق» جمع« رفق» على وزن فكر المنفعة أو ما يستعان به عليها، وهذا هو المعنى المراد فى عبارةالخطبة.

[۴۴۸] (۲)« رائدة» من مادة« رود» على وزن شوق طلب الماء والمرتع، ثم اطلقت على كل بحث وطلب، كما وردت بمعنى الهادى وذلك لأنّ القوافل كانت تبعث بشخص ليبحث عن مكان مناسب لتوقف القافلة حيث يسمى هذا الشخص الرائد.

[۴۴۹] (۱)« مجللات» من مادة« جلال». ومجللات نعمه غامرات نعمه، النعم التى تغطى جميع كيان الانسان، فهى تفيد السعة والشمولية.

[۴۵۰] (۲)« حواجز» جمع« حاجز» المانع والرادع وحواجز العافية موانع السلامة.

[۴۵۱] (۳)« خلاق» من مادة« خلق» بمعنى تعيين المقدار ومن هنا أطلق الخلاق على السهم والنصيب، والمرادبمستمتع خلاقهم التى وردت فى الخطبة النصيب الوافر من الخير واللذات التى تمتعوا بها فى الدنيا.

[۴۵۲] (۴)« خناق» من مادة« خنق» حبل يخنق به، وخناق بالكسر على وزن كتاب بمعنى الحبل ومستفسح خناقهم النعم التى يتمتع بها الإنسان قبل الموت.

[۴۵۳] (۵)« أرهق» من مادة« إرهاق» أخذ الشئ باستعجال، واصلها رهق على وزن شفق بمعنى الظلم.

[۴۵۴] (۶) هناك خلاف بين شرّاح نهج البلاغة فى أن« شذبهم» كلمة واحدة أم كلمتان. فمن عدها كلمة واحدة« شذب» من مادة تشذيب بمعنى التقشير ومنه تشذيب الشجرة، ويناسب هذا المعنى ما ورد فى الخطبة، ومن ذهب إلى أنّها كلمتان« شذ+ بهم»، شذ من مادة شذوذ بمعنى الانفصال والانفراد وهو المعنى الذى يتناسب وما ورد فى الخطبة أيضاً.

[۴۵۵] (۷)« تخرم» من مادة« خرم» بمعنى الاستصال والاقتطاع.

[۴۵۶] (۸)« أنف» بضمتين مفرد بمعنى بداية كل شئ، ومن هنا يطلق على المرعى الذى لم يرع فيه الحيوان حتى ذلك الوقت وكذلك الظرف الذى لم يشرب به الماء.

[۴۵۷] (۱) بحارالأنوار ۳/ ۸۳(بتصرف).

[۴۵۸] (۱) سورة يوسف/ ۱۱۱.

[۴۵۹] (۱)« البضاعة» مصدر الرقة والحيوية والنشاط.

[۴۶۰] (۲)« حوانى» تعنى فى الأصل أحوال أضلاع الإنسان وهى اثنان فى كل جانب ومفردها حانية، وهى هنا كناية عن الهرم الذى يحدودب فيه الإنسان.

[۴۶۱] (۳)« هرم» بمعنى ذروة الضعف والعجز.

[۴۶۲] (۴)« غضارة» النعمة والسعة والخصب.

[۴۶۳] (۵)« آونة» جمع« آوان» بمعنى الزمان.

[۴۶۴] (۶)« الزيال» مصدر زايله مزايلة وزيال بمعنى المفارقة.

[۴۶۵] (۷)« أزوف» على وزن خضوع بمعنى الدنو والقرب وتطلق الازفة على القيامة لأنّها ليست بعيدة عن العباد.

[۴۶۶] (۸)« العلز» على وزن المرض قلق وخفة وهلع يصيب المريض المحتضر.

[۴۶۷] (۹)« مضض» من مادة« مض» على وزن سد بلوغ الحزن من القلب.

[۴۶۸] (۱)« جرض» على وزن« خرج» ابتلاع الريق بمشقة إثر الهم والحزن.

[۴۶۹] (۲)« تلفت» من مادة« لفت» الانصراف عن الشئ.

[۴۷۰] (۳)« حفدة» من مادة« حفد» على وزن صفد السرعة فى العمل، كما تطلق على بنات الولد لسرعتهم فى أعمال بيت والدهم ووالدتهم.

[۴۷۱] (۴) تأريخ بغداد ۱۰/ ۴۹.

[۴۷۲] (۵) سورة يونس/ ۲۴.

[۴۷۳] (۱)« نواحب» جمع« ناحبة» من مادة« نحب» على وزن نذر والنحيب فى الأصل الجد فى العمل ثم اطلق علىرفع الصوت بالبكاء، وعليه فالنواحب الأفراد الذين يرتفع صوتهم بالبكاء والعويل.

[۴۷۴] (۲)« غودر» من مادة« غدر» على وزن مكر نقض العهد، كما وردت بمعنى الترك، وهذا هو المراد بها فى العبارة.

[۴۷۵] (۱)« هوام» جمع« هامة» الحشرات المؤذية وتطلق أحياناً على خاصة الحشرات السامة.

[۴۷۶] (۲)« نواهك» جمع« ناهكة» ماينهك البدن، وتطلق على من يلبس الثوب حتى يبلى فيقال نهك الثوب.

[۴۷۷] (۳)« جده» من مادة« جديد»، الحديث.

[۴۷۸] (۴)« عفت» من مادة« عفو» درست وأزالت ومحت، ومنه العفو الذى يزيل الذنب، وقد وردت فى الخطبة بمعنى محو آثار الإنسان بعد الموت بواسطة الرياح والحدثان تثنيه بكسر النون وتجمع بضمها بمعنى الحوادث الاليمة.

[۴۷۹] (۵)« الحدثان» من مادة« حدوث»، تعاقب الليل والنهار.

[۴۸۰] (۶)« شحبة» من مادة« شحوب» تغير الجسم وضعفه، تقابل بضة بمعنى النشاط والغضاضة.

[۴۸۱] (۷)« نخرة» صفة مشبهة من مادة« نخر» على وزن ضرر بمعنى البالية، وقد وردت فى الخطبة كاشارة إلى العظام بصفتها ممزقة خاوية.

[۴۸۲] (۸)« أعباء» جمع« عب» بمعنى الثقل، والأعباء فى الخطبة تعنى المسؤوليات الثقيلة.

[۴۸۳] (۱)« قدة» من مادة« قد» على وزن سد بمعنى الشق الطولى، وتطلق على الجادة التى تشق المرتفعات و المنخفضات وتسير قدما، وتطلق على الطائفة التى تنفصل عن جماعة، لأنّ طريقتها تختلف عن تلك الجماعة.

[۴۸۴] (۲) نهج‌البلاغة، الكلمات قصار ۱۲۲.

[۴۸۵] (۳) سورة البقرة/ ۷۴.

[۴۸۶] (۱)« مجاز» من مادة« جواز» مصدر ميمى من جاز يجوز، أى قطع المكان و اجتازه.

[۴۸۷] (۲)« مزالق» جمع« مزاق» موضع الزلل والانزلاق، من مادة« زلق» على وزن دلو.

[۴۸۸] (۳)« دحض» ورد هنا كمصدر أو إسم مصدر هو الانزلاق والسقوط، كما تستعمل أحياناً بشأن زوال الشمس من دائرة نصف النهار نحو المغرب.

[۴۸۹] (۴)« أهاويل» جمع« أهوال»، وأهوال جمع هول، وعليه فالأهاويل جمع الجمع و« هول» بمعنى الخوف والخشية.

[۴۹۰] (۵)« تارات» جمع« تاره» بمعنى الدفعة من مادة« تأر» على وزن طرد بمعنى النظر لشخص بحدة، كما تعنى الضرب بالعصا.

[۴۹۱] (۱) بحارالأنوار ۸/ ۶۵.

[۴۹۲] (۲)« أنصب» من مادة« نصب» على وزن سبب التعب، وعليه فانصب من باب الأفعال بمعنى أتعب.

[۴۹۳] (۳)« أسهر» من مادة« سهر» على وزن سفر اليقظة فى الليل، ولما كانت الحوادث الأليمة تسلب العين نومها وهول المحشر فقد اطلق على الاثنين الساهرة.

[۴۹۴] (۴)« غرار» مصدر واسم مصدر القليل من النوم وغيره، والمراد بالعبارة الواردة فى الخطبة أزال قيام الليل نومه القليل.

[۴۹۵] (۵)« هواجر» جمع« هاجرة» نصف النهار عند اشتداد الحرارة، وأصلها من مادة هجر وهجران بمعنى الترك والمفارقة.

[۴۹۶] (۶)« ظلف» من مادة« ظلف» بفتح وسكون المنع،« وظلف» على وزن« علف» المكان المرتفع، وكأنّه يمنع الإنسان من الوصول إليه.

[۴۹۷] (۱)« أوجف» من مادة« ايجاف» السرعة فى العمل، وأوجف الذكر بلسانه أسرع، كأن الذكر لشدة تحريكه‌اللسان موجف به

كما توجف الناقة براكبها.

[۴۹۸] (۲)« تنكب» من مادة« نكب» و« نكوب» بمعنى الميل عن الشئ والعدول عنه، ومن هنا يقال للدنيا نكبت أنأدبرت عن الشخص.

[۴۹۹] (۳)« مخالج» جمع« مخلج» من مادة« خلج» على وزن حرج الامور المختلجة الجاذبة.

[۵۰۰] (۴)« وضح» من مادة« وضوح» بمعنى الظهور ووضح السبيل وسط الجادة.

[۵۰۱] (۵)« تفتله» من مادة« فتل» على وزن قتل الانصراف عن الشئ، كما وردت بمعنى الشروق ومنه الفتيلة.

[۵۰۲] (۶)« نعمى» بالضم سعة العيش ونعيمه، وللنعمى مفهوم كالنعمة، حيث هو من المفاهيم الواسعة.

[۵۰۳] (۱)« أكمش» من مادة« كمش» على وزن عطش أسرع، والمراد بها فى العبارة جد السير فى مهلة الحياة.

[۵۰۴] (۱) هذا الكلام مضمون حديث عن الإمام الصادق عليه السلام فى كتاب آمالى الصدوق المجلس ۳۳.

[۵۰۵] (۲) ورد الصراط بدل الجسر فى حديث الإمام الصادق عليه السلام، بحارالأنوار ۸/ ۶۴ كما روى هذا الحديث عنرسولاللَّه صلى الله عليه و آله فى كنز العمال ۱۴/ ۳۸۶ ح ۳۹۳۶.

[۵۰۶] (۳) سورة الفجر/ ۱۴.

[۵۰۷] (۴) بحارالأنوار ۸/ ۶۶ ح ۶.

[۵۰۸] (۵) كنزالعمال، السابق.

[۵۰۹] (۶) بحارالأنوار ۸۹/ ۱۹۷ ح ۳.

[۵۱۰] (۷) الغدير ۲/ ۳۲۳.

[۵۱۱] (۸) الغدير ۲/ ۳۲۳(نقل هذه الروايات العلّامة الأمينى من مصادر العامه مع ذكر صفحاتها، وورد فى شرحالشعر المعروف للعبدى:

وإليك الجواز تدخل من شئتجناناً ومن تشاء جحيماً [۵۱۲] (۱)

[۵۱۳] (۲) سورة الاسراء/ ۷۹.

[۵۱۴] (۳) بحارالأنوار ۶۶/ ۳۹۲ ح ۶۸.

[۵۱۵] (۴) بحارالأنوار ۷۱/ ۳۵۲ ح ۲۲.

[۵۱۶] (۵) بحارالأنوار ۸۴/ ۱۴۴ ح ۱۸.

[۵۱۷] (۶) بحارالأنوار ۸۰/ ۱۲۷.

[۵۱۸] (۱) سورة القصص/ ۵۹.

[۵۱۹] (۲) سورة طه/ ۱۱۷.

[۵۲۰] (۳) سورة يس/ ۶۰.

[۵۲۱] (۱) سورة البقرة/ ۱۶۸ و ۲۰۸؛ سورة الانعام/ ۱۴۲؛ سورة النور/ ۲۱.

[۵۲۲] (۲) سورة الزخرف/ ۳۶، كما ورد مثل هذا التعبير فى سورة فصلت/ ۲۴.

[۵۲۳] (۱) بهجالصباغة ۱۴/ ۳۵۰، كما ورد شبه هذا المضمون فى بحارالأنوار باختلاف طفيف كأحد الوصايا الأربعةلموسى عليه السلام(بحارالأنوار ۱۳/ ۲۴۴)(مادمت لاترى الشيطان ميتا فلاتأ من مكره).

[۵۲۴] (۲) نفحات الولاية ۱/ ۴۶۰- ۴۶۷.

[۵۲۵] (۱) هنالك خلاف بين شرّاح نهجالبلاغة بشأن(أم) هل هى إستفهامية ومتصلة أو منقطعة؟ ويبدو من الصعبالحكم فى ذلك،

لأنّ ظاهر عبارة المرحوم السيد الرضى(ره) قد اختار كلاما من هذه الخطبة الطويلة ويمكن أن تكون العلاقة بين العبارات خافية هذه القطوف، وقد فسرناها منقطعه وتقديره العبارة« بل أذكركم بحال الإنسان ...».

[۵۲۶] (۲)« شغف» من مادة« شغاف» على وزن جواب يعنى فى الأصل غلاف‌القلب، والمفردة هنا بمعنى الاغلفة المتعددة.

[۵۲۷] (۱)« دهاق» من مادة« دهق» على وزن دهر بمعنى متتابعا وشدة الضغط، ثم استعملت بمعنى الصب بالقوةوالضغط، واشارت هنا إلى صب النطفة فى الرحم.

[۵۲۸] (۲)« محاق» من مادة« محق» على وزن محو النقص التدريجى والمحو، ومن هنا يطلق المحاق على القمر فى أخره، ووصف العلقة بالمحاق بمعنى خفيت فيها ومحقت حتى زالت صورتها وتبدلت إلى جنين، أو لأنّ لها شكل ممحو وغير معين ولم تتخذ لها صورة.

[۵۲۹] (۳)« يافع» من مادة« يفع» على وزن نفع الغلام راهق العشرين.

[۵۳۰] (۴)« سادر» من مادة« سدر» المتحير والمتخبط.

[۵۳۱] (۱)- ماتح تعنى من ينزل البئر إذا قل ماؤها فيملأ الدلو، و« الغرب» بمعنى الدلو العظيمة، فتفسير العبارةالتى وردت فى الخطبة هو أنّ بعض الأفراد الذين يسعون لاشباع أهوائهم ورغباتهم وما يحلمون به من أمانى.

[۵۳۲] (۲)- ماتح تعنى من ينزل البئر إذا قل ماؤها فيملأ الدلو، و« الغرب» بمعنى الدلو العظيمة، فتفسير العبارةالتى وردت فى الخطبة هو أنّ بعض الأفراد الذين يسعون لاشباع أهوائهم ورغباتهم وما يحلمون به من أمانى.

[۵۳۳] (۳)« كادح» من مادة« كدح» على وزن مدح شدة السعى، كما تعنى الحرص أيضاً.

[۵۳۴] (۴)-« بدوات» جمع بدأة على وزن« غفلة» من مادة« بدو» على وزن دلو بمعنى الظهور، وأدب بمعنى الحاجة والسرور، فالعبارة« بدوات أربه» تعنى الحاجات واللذات التى تخطر على ذهن الإنسان.

[۵۳۵] (۵)-« بدوات» جمع بدأة على وزن« غفلة» من مادة« بدو» على وزن دلو بمعنى الظهور، وأدب بمعنى الحاجة والسرور، فالعبارة« بدوات أربه» تعنى الحاجات واللذات التى تخطر على ذهن الإنسان.

[۵۳۶] (۶)« رزية» من مادة« رزأ» على وزن عضو بمعنى النقص فى الأصل، كما وردت بمعنى المصيبة.

[۵۳۷] (۷)« تقية» وردت هنا بمعنى التقوى ومفهوم الجملة أنّ خشوعه إلى اللّه لايستند إلى التقوى، وذهب بعض شرّاح نهج‌البلاغة إلى أنّ تقية هنا مفعول مطلق للنوع، وقيل مفعول له، وليس هنالك من فارق فى المفهوم.

[۵۳۸] (۸)« غرير» بمعنى المغرور.

[۵۳۹] (۹)« هفوة» من مادة« هفو» رفع القدم بسرعة، ولما كانت السرعة فى المشى تدعو إلى الزلل فى أغلب الأحيانولعلها تؤدى إلى الوقوع فان الهفوة تعنى الخطأ والزلل والوقوع على الأرض.

[۵۴۰] (۱)« دهمته» من مادة« دهم» على وزن فهم بمعنى الغشاوة وتغطية الشئ.

[۵۴۱] (۲)« غبر» جمع« غابر» يعنى الباقى.

[۵۴۲] (۳)« جماح» من مادة« جمح» على وزن جمع التعنت عن الحق، ومن هنا يطلق الجموح على الحيوان الطائش.

[۵۴۳] (۴)« سنن» مفرد بمعنى الطريقة وسنن بالضم جمع سنة.

[۵۴۴] (۵)« مراح» من مادة« مرح» على وزن فرح شدة السرور المقرونة بالطغوى واستثمار نعم اللّه فى الباطل.

[۵۴۵] (۶)« سادرا» تعنى الحيرة كما تعنى الصلافة، والمعنى الأول أنسب للعبارة، بينما المعنى الثانى أنسب للعبارة الاولى التى مرت فى المقطع السابق.

[۵۴۶] (۷)« لادمة» من مادة« لدم» على وزن هدم تعنى فى الأصل الضاربة، ومن هنا تطلق اللادمة على المرأة التىتلطمه وجهها

ورأسها حين المصاب.

[۵۴۷] (۱)« مبلس» من مادة« ابلاس» تعنى فى الأصل الغم إثر شدة اليأس، ومن هنا فسرت بمعنى اليأس، وهى هنابمعنى يأس الأحياء من عودة الاموات.

[۵۴۸] (۲)« سلس» من مادة« سلس» على وزن قصص بمعنى السهل.

[۵۴۹] (۳)« رجيع»، الرجيع من الدواب ما رجع به من سفر الى سفر فكل ثم استعملت للإنسان التعب.

[۵۵۰] (۴)« وصب» الالم الدائمى والمرض والتعب.

[۵۵۱] (۵)« نضو» الناقة أو الحيوان المهزول، ثم اطلقت على الضعيف من الناس.

[۵۵۲] (۱)« مبلس» من مادة« ابلاس» تعنى فى الأصل الغم إثر شدة اليأس، ومن هنا فسرت بمعنى اليأس، وهى هنابمعنى يأس الأحياء من عودة الاموات.

[۵۵۳] (۲)« سلس» من مادة« سلس» على وزن قصص بمعنى السهل.

[۵۵۴] (۳)« رجيع»، الرجيع من الدواب ما رجع به من سفر الى سفر فكل ثم استعملت للإنسان التعب.

[۵۵۵] (۴)« وصب» الالم الدائمى والمرض والتعب.

[۵۵۶] (۵)« نضو» الناقة أو الحيوان المهزول، ثم اطلقت على الضعيف من الناس.

[۵۵۷] (۶)« حشده» جمع حاشد المسارعون فى التعاون.

[۵۵۸] (۱)« زوره» مصدر بمعين الزيارة واللقاء.

[۵۵۹] (۲)« بهتة» من مادة بهت الحيرة والاضطراب.

[۵۶۰] (۱) اقتباس من الخطبة ۱۸۸ من نهج‌البلاغة.

[۵۶۱] (۱) منهاج البراعة ۶/ ۴۰- ۴۱.

[۵۶۲] (۲) منهاج البراعة ۶/ ۴۲.

[۵۶۳] (۱) بحارالأنوار ۶/ ۲۷۱.

[۵۶۴] (۲) سوره غافر/ ۱۱.

[۵۶۵] (۱) رواه الترمذى فى صحيحه عن النبى صلى الله عليه و آله(ج ۴، كتاب صفة القيامة، ح ۲۴۶۰) والعلّامة المجلسى فى‌بحارالأنوار(۶/ ۲۱۴- ۲۱۸).

[۵۶۶] (۲)« حميم» من مادة« حم» على وزن غم فى الأصل الماء الحار وهو المعنى المراد فى العبارة. فقد جاء فى‌القرآن« فَشارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الحَمِيمِ» سورة الواقعة/ ۵۴.

[۵۶۷] (۳)« تصلية» من مادة« صلى» على وزن سعى ويعنى الاحراق، كما تعنى دخول جهنم، أمّا التصلية فية متعدية وهى تعنى الاحراق فقط.

[۵۶۸] (۴)« فورات» من مادة« فورة» الغليان.

[۵۶۹] (۵)« سورات» جمع سوره الغضب.

[۵۷۰] (۱)« زفير» صوت النار عند توقدها.

[۵۷۱] (۲) سورة غافر/ ۴۶.

[۵۷۲] (۳)« دعة» من مادة« ودع» على وزن منع الراحة.

[۵۷۳] (۴)« مزيحة» من مادة« ازاحة» تزيح ما أصابه من التعب.

[۵۷۴] (۵)« ناجزة» من مادة« نجز» منتهية.

[۵۷۵] (۶)« سنة» بالكسر والتخفيف أوائل النوم.

[۵۷۶] (۷)« مسلية» من مادة« تسلية» النسيان، تشغله عما هو فيه.

[۵۷۷] (۱) سورة التوبة/ ۶۹.

[۵۷۸] (۱)« مناص» من مادة« نوص» على وزن قوس الابتعاد والانصال عن الشئ، وقال البعض تعنى الملجأ والمفر.

[۵۷۹] (۲)« ملاذ» من مادة« لوذ» على وزن موز بمعنى الاختفاء واللجوء إلى القلعة، ومن هنا يطلق على الملجأ اسم الملاذ، وتختلف قليلًا عن المعاذ من مادة العوذ على وزن الحوض التى تعنى الالتجاء دون مفهوم الاستتار.

[۵۸۰] (۳)« محار» اسم مكان من مادة« حور» على وزن جور النقص ثم وردت بمعنى المرجع إلى الدنيا بعد فراقها.

[۵۸۱] (۱)« تؤفكون» من مادة« إفك» على وزن فكر بمعنى الانحراف والانقلاب، ثم اريد بها الرجوع.

[۵۸۲] (۲)« قيد» بكسر وفتح القاف تأتى بمعنى المقدار، ومن هنا يقال للحبل الذى يربط برجل الانسان أو الحيوانوالذى يحد من حركته فى حد معين، يقال له« قيد» و« قدّ» بمعنى الطول.

[۵۸۳] (۱)« خناق» من مادة« خنق» الحبل الذى به وضيق الخناق كناية عن شدة المصاب وعظم الضيق.

[۵۸۴] (۲)« فينة» بالفتح الزمان والوقت.

[۵۸۵] (۳)« باحة» من مادة« بوح» على وزن قول الظهور والشهرة وباحة بمعنى صحن الدار وساحتها وهذا هوالمعنى المراد فى العبارة.

[۵۸۶] (۴)« إحتشاد» الاجتماع من أجل القيام بعمل مشترك.

[۵۸۷] (۵)« حوبة» على وزن توبة تعنى فى الأصل الحاجة التى تقود الإنسان إلى الذنب ومن هنا وردت فى القرآنوسائر الاستعمالات بمعنى الذنب والمعصية.

[۵۸۸] (۶)« ضنك»، الشدة ومعيشة ضنك العيش الصعب.

[۵۸۹] (۷)« زهوق» على وزن حقوق، بمعنى الابادة والمحو.

[۵۹۰] (۱) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ۶/ ۲۷۸.

[۵۹۱] (۱) سند الخطبة: رواها جمع من مشاهير علماء الإسلام قبل السيد الرضى(ره) ومنهم ابن‌قتيبة فى عيون الأخبار وأبوحيان التوحيدى فى الامتاع والمؤانسة والبيهقى فى المحاسن والمساوئ والبلاذرى فى أنساب الاشراف. ورواها بعد السيد الرضى(ره) ا لشيخ الطوسى فى الامالى عن محمد بن عمران المرزبانى الذى عاش قبل صدور النهج بستة عشر عاماً وابن عقدة والزبير بن بكار وابن أثير فى النهاية(مصادر نهج‌البلاغة ۲/ ۱۱۹).

[۵۹۲] (۱)« نابغة» من مادة« نبوغ» الظهور والشهورة وتصطلح العرب بالنابغة على المرأة المشهورة بالفساد، كماتطلق على الافذاذ من الأفراد.

[۵۹۳] (۲)« دعابة» بالضم المزاح واللعب.

[۵۹۴] (۳)« تلعابة» بكسر التاء كثير اللعب الذى يشغل الناس بكلامه وأفعاله.

[۵۹۵] (۴)« أعافس» من مادة« معافسة» شدة المزاح.

[۵۹۶] (۵)« أمارس» من مادة« ممارسة» الانهماك بالمزاح.

[۵۹۷] (۱) ربيع الأبرار للزمخشرى، نقلا عن ابن أبى الحديد فى شرحه لنهج‌البلاغة ۶/ ۲۸۳.

[۵۹۸] (۱)« يلحف» من مادة« الحاف» بمعنى الاصرار والالحاح واصلها من اللحاف وهو الغطاء المعروف، ولما كانالشخص المصر يلف من حوله فقد اطلقت عليه هذ المفردة.

[۵۹۹] (۲)« الإل»، العهد، والميثاق، كما تعنى القرابة، والمراد من قطع الال أن يقطع الرحم.

[۶۰۰] (۳) تأريخ اليعقوبى(طبق نقل الغدير ۲/ ۱۷۵).

[۶۰۱] (۱)« قرم» الذكر من الجنس، كما وردت بمعنى الشخص العظيم والسيد، وهذا هو المعنى المراد فى العبارة، لأن عمرو بن العاص كان يعلم ان أميرَالمؤمنين على عليه السلام يصرف وجهه عنه اذا ما كشف عورته.

[۶۰۲] (۲)« سبة» من مادة« سب» على وزن شق الشتم وكل شئ يكره ذكره، وهى هنا إشارة إلى العورة.

[۶۰۳] (۳) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ۶/ ۳۱۲.

[۶۰۴] (۴) كتاب« صفين» لنصر بن مزاحم/ ۲۲۴« بحسب ما نقله الغدير، فى ۲/ ۱۵۸.

[۶۰۵] (۱) روى ابن ابى الحديد ذلك عن المؤرخ المشهور الواقدى(شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد ۶/ ۳۱۷.

[۶۰۶] (۲)« الاتية» بمعنى العطية من الايتاء بمعنى الاعطاء.

[۶۰۷] (۳)« رضيخة» من مادة رضخ،« رضخ» له رضيحة أعطاه قليلا، والمراد بالعبارة أنّ عمرو بن العاص باع آخرتهودينه بذلك المتاع الزهيد من الدنيا، ولاسيما أنّه لم يتمتع بذلك المقام سوى بضع سنوات.

[۶۰۸] (۱) شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد ۲/ ۶۱(بتخليص).

[۶۰۹] (۲) هناك كلام بين المؤرخين بشأن موت عمرو، غير أنّ العلّامة الأمينى ذكر فى غديره وابن أبى الحديد فى شرحه ۶/ ۳۲۱: والصحيح أنّه مات فى سنة ثلاث واربعين، فلم تدم حكومته لمصر أكثر من خمس سنوات.

[۶۱۰] (۳) سورة الكوثر/ ۳.

[۶۱۱] (۱) الغدير ۲/ ۱۲۶؛ شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد ۶/ ۲۸۲.

[۶۱۲] (۲) الغدير ۲/ ۱۲۶.

[۶۱۳] (۳) شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد ۶/ ۳۲۲.

[۶۱۴] (۴) شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد ۶/ ۲۸۲.

[۶۱۵] (۱) اصول الكافى ۲/ ۶۶۳.

[۶۱۶] (۲) تحف‌العقول/ ۴۱ باب مواعظ النبى.

[۶۱۷] (۳) اصول الكافى ۲/ ۶۶۳.

[۶۱۸] (۱) شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد ۶/ ۳۳۰.

[۶۱۹] (۲) سورة الواقعة/ ۳۵- ۳۶.

[۶۲۰] (۳) تحف العقول/ ۸۶.

[۶۲۱] (۴) ميزان الحكمة/ ۴، ح ۱۸۸۶۹.

[۶۲۲] (۵) ميزان الحكمة ۴/ باب ذم المزاح.

[۶۲۳] (۶) ميزان الحكمة ۴/ ح ۱۸۸۷۷.

[۶۲۴] (۷) شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد ۶/ ۳۲۰.

[۶۲۵] (۸) غرر الحكم.

[۶۲۶] (۱) شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد ۶/ ۳۳۳.

[۶۲۷] (۱) سند الخطبة: رواها أبو نعيم الإصفهانى فى كتاب حلية الأولياء والسبط بن الجوزى الذى عاش بعد السيد الرضى(ره) فى كتاب تذكرة الخواص ومحمد بن طلحة الشافعى فى مطالب السؤل(مصادر نهج‌البلاغة ۲/ ۱۲۲).

[۶۲۸] (۱)« أوهام» جمع« وهم» على وزن فهم تعنى لغويا ما يخطر على القلب، وقد وردت فى الخطبة بمعنى إجالةالفكر التى لاتبلغ كنه الذات الإلهية المقدسة وصفاته سبحانه، وبعبارة أخرى لاتبلغ كنه ذاته حتى ذروة حركة العقل التى عبر عنها هنا بالوهم.

[۶۲۹] (۱) راجع بهذا الشأن(نفى رؤية اللّه) المجلد الأول من هذا الكتاب، وكتاب رسالة القرآن ۴/ ۲۳۲- ۲۵۱.

[۶۳۰] (۲) نهج‌البلاغة، الخطبة ۱۷۹.

[۶۳۱] (۳) ميزان الحكمة ۳/ ۱۸۹۳، ح ۱۲۳۱۶.

[۶۳۲] (۱) شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد ۶/ ۳۴۶.

[۶۳۳] (۱) اصول الكافى ۱/ ۹۳.

[۶۳۴] (۲) توحيد الصدوق/ ۶۶.

[۶۳۵] (۱)« سواطع» جمع« ساطعة» النور الواسع الظاهر الدلالة، كما تستعمل هذه المفردة فى الامور المعنوية كآياتالقرآن المجيد الظاهرة أو الشخصيات الإسلامية البارزة.

[۶۳۶] (۱)« علقتكم» من مادة« علق» على وزن فلق تعنى فى الأصل الرابطة الشديدة والتعلق بالشئ، كما تستعمل هذهالمفردة فى الحيوان المفترس الذى يمسك فريسته بأسنانه ويمتص دمائها، أو أن يفترسها بمخالبه. وقد شبهت العبارة الموت بهذا الحيوان.

[۶۳۷] (۲)« مخالب» جمع« مخلب» على وزن محور ومادته« خلب».

[۶۳۸] (۳)« دهمتكم» من مادة« دهم» على وزن فهم بمعنى الغشاوة، وتستعمل هذه المفردة حين غلبة شئ على آخروإحاطته به، هذا هو المراد بها فى العبارة، كما تستعمل فى الظلمة التى تحيط بالأشياء، كما تطلق على الأخضر الفاتح، من قبيل مدهامتان التى وردت فى سورة الرحمن.

[۶۳۹] (۴)« مفظعات» من مادة« فظع» على وزن جزع بمعنى الاخافة ومفظعات الأمر شدته، وتطلق على الحوادث العظيمة التى تخيف الإنسان.

[۶۴۰] (۱) سورة الانعام/ ۱۳۲.

[۶۴۱] (۲) سورة الانعام/ ۸۳.

[۶۴۲] (۳) سورة الواقعة/ ۱۰- ۱۲.

[۶۴۳] (۱) سورة الواقعة/ ۲۷.

[۶۴۴] (۲) سورة الواقعة/ ۸۸- ۹۱.

[۶۴۵] (۳) انظر نفحات القرآن ۶/ ۳۴۵« مقامات الجنّة».

[۶۴۶] (۴) بحارالأنوار ۸/ ۸۹.

[۶۴۷] (۵) منهاج البراعة ۶/ ۱۱۹.

[۶۴۸] (۶) سورة طه/ ۷۵.

[۶۴۹] (۷) بحارالأنوار ۸/ ۱۳۳.

[۶۵۰] (۸)« يظعن» من مادة« ظعن» على وزن طعن بمعنى السفر.

[۶۵۱] (۹)« يبأس» من مادة« بأس» بمعنى الفقر وشدة الحاجة.

[۶۵۲] (۱) سند الخطبة: رويت هذه الخطبة متفرقة فى الكتب الآتية وكلها سابق نهج البلاغة لأن كل واحد من مؤلفيها أخذ غرضه منها: الأخبار الطوال لأبى‌حنيفة الدينورى وتحف‌العقول لابن شعبة الحرانى والمحاسن للبرقى، ما رويت فقرات منها فى المجالس للمفيد والمشكاة للطبرسى والغرر للآمدى(مصادر نهج‌البلاغة ۲/ ۱۲۷).

[۶۵۳] (۲) ورد فی نسخ نهج‌البلاغة لصبحی الصالح التی اقتبست منها متون هذا الکتاب وهی النسخة الصحیحة نسبیا، ان عنوان الخطبة هو عظة الناس بالتقوی والمشورة، ویبدو أنّه هو الذی ذکر لها هذا العنوان، فی حین لم یرد فی الخطبة شیئاً بشأن المشورة، فلایستبعد أن یکون الأمر قد اشتبه علیه حیث خلطها باحدی سائر خطب نهج‌البلاغة.

[۶۵۴] (۱) نهج‌البلاغة، الرسالة ۳۱.

[۶۵۵] (۱)« مهل» علی وزن اجل بمعنی المداراة والمهلة.

[۶۵۶] (۲)« إرهاق» من مادة« رَهَقْ» علی وزن شفق بمعنی الغشیة والتغطیة والسیطرة، ومن هنا فان الأجل اذا جاء للانسان فانه یسیطر علی کافة وجوده، وقد استفید من هذا التعبیر فی الخطبة أعلاه بمعنی الأجل.

[۶۵۷] (۳)« متنفس» من مادة« تنفس» زمان الاتساع والراحة.

[۶۵۸] (۴)« کَظَم» علی وزن قلم بمعنی المضیق ومجری التنفس.

و« کَظْم» علی وزن هضم، وله معنی مصدری بمعنی حبس النفس، ویستعمل کنایة عن ضبط النفس عند الغضب، وما شابه ذلک.

[۶۵۹] (۱) یعود الضمیر فی کتابه وحقوقه إلی اللّه، ولایتناسب ارجاع الضمیر فی حقوقه إلی کتابه وسیاق الکلام.

[۶۶۰] (۲)« سُدی علی وزن شما بمعنی المهمل والذی لا هدف ولا معنی له، وقد استفید من هذا الاصطلاح هناللتعبیر عن البعیر الذی لا راعی له، وقد هام فی الصحراء علی وجهه، فیرعی من کل مکان یصل الیه.

[۶۶۱] (۳) سورة المؤمنون/ ۱۱۵.

[۶۶۲] (۴) سورة الانعام/ ۱۰۴.

[۶۶۳] (۵) سورة الاعراف/ ۳۴.

[۶۶۴] (۱)« أنهی» من مادة« إنهاء» الاعلام والابلاغ وهذا هو المراد بها فی العبارة؛ أی أنّ اللّه ابلغکم ما یلزم علی لسان‌نبیه.

[۶۶۵] (۲)« محاب» جمع« محب» اسم مکان مصدر میمی مواضع حبه وتقابل المکاره.

[۶۶۶] (۳) سورة الانعام/ ۱۴۹.

[۶۶۷] (۱) قال علی علیه السلام:« وعلیکم بالصبر فان الصبر من الإیمان کالرأس من الجسد». نهج‌البلاغة، الکلمات القصار ۸۲.

[۶۶۸] (۱) وسائل الشیعة ۱۸/ ۱۱۸ ح ۲۲ الباب ۱۲ من أبواب صفات القاضی.

[۶۶۹] (۲) سورة الانعام/ ۱۵۲.

[۶۷۰] (۳) سورة الاسراء/ ۳۲.

[۶۷۱] (۴) سورة الانعام/ ۱۵۱.

[۶۷۲] (۵)« تداهنوا» من مادة« مداهنة» وقد اشتقت من مادة« دهن» التی تعنی المرونة المذمومة والنفاق والمماشاة، کما تعنی إظهار خلاف ما فی الطویة.

[۶۷۳] (۱) غرر الحکم، ح ۹۰۲۲.

[۶۷۴] (۱) لابد من الالتفات هنا إلی أنصح» من مادة« نصح» تعنی فی الأصل الاخلاص، وهذا هو مفهوم النصیحة.

[۶۷۵] (۲)« أغش» من مادة« غش» تعنی فی الأصل الضعف والعجز، ومن هنا یصطلح بالمغوش علی الشی غیرالخالص.

[۶۷۶] (۱) شرح نهج‌البلاغة لابن میثم ۲/ ۲۸۵.

[۶۷۷] (۲) شرح نهج‌البلاغة لابن أبی‌الحدید ۶/ ۳۶۵، المرحوم العلّامة المجلسی فی بحارالأنوار ۲۱/ ۲۱۱ حیث‌أوردها فی تأریخ النبی صلی الله علیه و آله فی باب حوادث غزوة تبوک ضمن خطبة صلی الله علیه و آله.

[۶۷۸] (۱) سورة آل‌عمران/ ۲۶.

[۶۷۹] (۲) وسائل الشيعة، ج ۱، الباب ۱۱ من ابواب مقدمات العبادة، ح ۱۶.

[۶۸۰] (۱) وسائل الشيعة، ۱/ ۱۱، ح ۴.

[۶۸۱] (۲)« منساة» من مادة« نسأ» على وزن نصب بمعنى الترك والتأخير.

[۶۸۲] (۳)« محضرة» اسم مكان من مادة« حضور» الموضع الذى يحضره الإنسان أو الشئ.

[۶۸۳] (۴) شرح نهج‌البلاغة للخوئى ۶/ ۱۳۶.

[۶۸۴] (۵) فى ظلال نهج‌البلاغة ۱/ ۴۲۷.

[۶۸۵] (۶)« شفا» بمعنى حافة الشئ، وتطلق فى الأصل على حافة البئر أو الخندق، ولعل ذلك هو السبب فى تسميةالشفة.

[۶۸۶] (۷)« مهواة» من مادة« هوى» لميل الى الشيئ، ومهواة اسم مكان المسافة بين جبلين التى شوق الانسان احياناً الى السقوط.

[۶۸۷] (۱) سند الخطبة: من الأدلة التى تفيد أنّ الخطبة نقلت من مصادر اخرى غير نهج‌البلاغة ما قاله ابن ابى‌الحديد بعد أنّ أكمل شرح هذه الخطبة: وهذه خطبة طويلة وقد حذف الرضى(ره) منها كثيرا(ثم نقل أبى الحديد بعض أقسامها)، ورواها الزمخشرى فى باب العز والشرف من ربيع الابرار بتفاوت يسير نعرف منه أنه لم ينقلها عن النهج(مصادر نهج البلاغة ۲/ ۱۳۳).

[۶۸۸] (۱) شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد ۶/ ۳۶۵.

[۶۸۹] (۱) سورة النور/ ۲۱.

[۶۹۰] (۲)« قرى» مصدر واسم مصدر ما يهيأ للضيف، والمراد به هنا العمل الصالح يهيئه للقاء الموت وحلول الأجل، ومنه« المقراة» التى تطلق على الظرف الكبير الذى يوضع فيه الطعام.

[۶۹۱] (۳) سورة البقرة/ ۲۸۲.

[۶۹۲] (۱) سورة آل‌عمران/ ۱۶۹.

[۶۹۳] (۲)« ارتوى» من مادة« رى» على وزن طى شرب الماء.

[۶۹۴] (۳)« فرات»، الماء العذب.

[۶۹۵] (۴)« نَهَل» بمعنى السقى أو الشراب الأول، ومن عادة العرب، أخذ الابل إلى مكان شُرب الماء، وعندما تشرب‌وترتوى ترجع إلى مكانها، فيقال لها نهلت الابل أو إبلٌ نواهل. وفى المرة الثانية تُعرض على الماء فعندما تشرب، فتسمى الطِّل»، وبعد ذلك تذهب الابل للرعى فى المرعى فاصطلاح« النهل» يستعمل عندما تشرب الابل الشربة الاولى، وهذا الاصطلاح يستعمل دائماً فى الشرب الاول.

[۶۹۶] (۵)« الجدد» من جد، الأرض الغليظة الصلبة المستوية.

[۶۹۷] (۶) سورة الرعد/ ۲۸.

[۶۹۸] (۱)« غمار» من مادة« غمر» على وزن أمر بمعنى التغطية، ولما كانت المياه الكثيرة تغطى الأرض، اطلق عليه‌الغمار.

[۶۹۹] (۲)« عرى» جمع عروه المقبض.

[۷۰۰] (۱) بحارالأنوار ۴۰/ ۱۵۲.

[۷۰۱] (۲) كنزالعمال ۳/ ۴۸۳، ح ۷۳۳۴.

[۷۰۲] (۳) بحارالأنوار ۴۰/ ۱۵۳.

[۷۰۳] (۴) غرر الحكم، ح ۳۹۱.

[۷۰۴] (۱) اصول للكافى ۲/ ۷۴ ح ۲.

[۷۰۵] (۲)« عشوات» جمع« عشوة» مايقدم عليه الإنسان من عمل جهلا، ومن الواضح أنّ نتيجة مثل هذا العمل هى‌الندامة، وكشاف عشوات من يطرح حجب الجهل وينجى أهل الضلالة.

[۷۰۶] (۳)« فلوات» جمع« فلاة» وهى الصحراء الواسعة، مجاز عن مجالات العقول فى الوصول إلى الحقائق، ودليل‌الفلوات العالم بها.

[۷۰۷] (۱) بحارالأنوار ۶۹/ ۹۳.

[۷۰۸] (۲) سورة النبأ/ ۶- ۷.

[۷۰۹] (۱)« ثَقَل» على وزن أجل، وله معان مختلفة، ففى بعض الأحيان يأتى بمعنى أمتعة المسافر واحيانا بمعنى‌الاشياء الثمينة.

و« حل» بمعنى نزل فى منزل جديد وحل الرحال فيه، والجملة الواردة اعلاه، كناية عن أن المؤمن المخلص والسائر على هدى القرآن الكريم، فان حاله كحال المسافر الذى سار وراء قافلة كلما نزلت القافلة فى مكان وحلت رحالها، فانه يتبع هذه القافلة فينزل معها ويحل رحاله معها.

[۷۱۰] (۱) سورة النساء/ ۱۵۰.

[۷۱۱] (۱)« اشراك» جمع« شرك» بمعنى اشباك الصياد.

[۷۱۲] (۲) الكنى والألقاب ۱/ ۲۹۴.

[۷۱۳] (۳) عوالى اللئالى ۴/ ۱۰۴.

[۷۱۴] (۴) بحارالأنوار ۸۹/ ۱۰۷، ح ۱.

[۷۱۵] (۱) تفسير البرهان ۱/ ۱۹.

[۷۱۶] (۲) الكافى ۱/ ۶۸.

[۷۱۷] (۳)« اضطجع» من مادة« ضجع» على وزن زجر بمعنى نام ووضع جنبه على الارض.

[۷۱۸] (۱) سورة النمل/ ۸۰.

[۷۱۹] (۲) سورة الاعراف/ ۱۷۹.

[۷۲۰] (۱) الكافى ۱/ ۴۴، باب استعمال العلم، ح ۱.

[۷۲۱] (۲) علل الشرايع/ ۳۹۴.

[۷۲۲] (۳) منهاج البراعة ۶/ ۱۸۵.

[۷۲۳] (۱) تفسير البرهان ۱/ ۱۹.

[۷۲۴] (۲) وسائل الشيعة ۱۸/ ۱۴۹، ح ۶۶ الباب ۱۳، أبواب صفات القاضى.

[۷۲۵] (۱) سورة الفتح/ ۱۰.

[۷۲۶] (۱) كنزالعمال ۱/ ۲۱۸، ح ۱۰۹۵.

[۷۲۷] (۲) بحارالأنوار ۴۷/ ۲۱۷، ح ۴.

[۷۲۸] (۳) سفينة البحار، مادة« بدع»؛ بحارالأنوار ۶۹/ ۲۲۰.

[۷۲۹] (۱)« تؤفكون» من مادة« إفك» على وزن فكر، الانحراف والميل، ومن هنا يطلق الافك على الكذب والتهمة.

[۷۳۰] (۱)« يتاه» من مادة« تيه» على وزن شئ الضلال والحيرة.

[۷۳۱] (۲)« تعمهون» من مادة« عمه» على وزن فرح الحيرة والتخبط، وقيل: أنّ العمى فى العربية عمى العين الظاهرة والعمه العين الباطنة.

[۷۳۲] (۳) نقل هذا الحديث العلّامة الأمينى باسانيد مختلفة من مصادر العامة(الغدير ۳/ ۱۷۶).

[۷۳۳] (۴)« هيم» جمع« أهيم» الابل العطشى وكذلك يقال للرمال تبتلع الماء، وأحيانا يستعمل هذا الاصطلاح‌للتعبير عن العطش.

[۷۳۴] (۵) سورة المائدة/ ۵۵.

[۷۳۵] (۶) سورة المائدة/ ۷۶.

[۷۳۶] (۷) سورة الشورى/ ۲۳.

[۷۳۷] (۱) للوقوف بصورة أعمق على هذه الآيات واقوال مفسرى الشيعة والسنة راجع كتاب رسالة القرآن، ج ۹.

[۷۳۸] (۲) تفسير الفخر الرازى ۲۷/ ۱۶۵، الآية ۳۳ من سورة الشورى.

[۷۳۹] (۳) اصول الكافى ۲/ ۶۰۰، ح ۴.

[۷۴۰] (۱) سورة آل‌عمران/ ۱۶۹.

[۷۴۱] (۲) نهج‌البلاغة، الكلمات القصار ۱۴۷،« من حسن المصادفات انه كتب هذا القسم من الخطبة فى الذكرى‌الحادية عشرة لرحيل الإمام الخمينى(ره)».

[۷۴۲] (۳) بحارالأنوار ۶۷/ ۲۹۵.

[۷۴۳] (۱) نهج‌البلاغة، الكلمات القصار ۳۲۱.

[۷۴۴] (۲) ينابيع المودة طبقا لنقل إحقاق الحق ۹/ ۳۵۴، وقد نقل هذا الحديث فى عدّة مصادر أخرى من المصادرالمعروفة للعامة، وللوقوف أكثر راجع ۵/ ۶۳۹، من إحقاق الحق.

[۷۴۵] (۳) نهج‌البلاغة، خطبة ۲۰۷.

[۷۴۶] (۴) الغارات، سيرة على عليه السلام فى نفسه.

[۷۴۷] (۵) المصدر السابق.

[۷۴۸] (۱) نهج‌البلاغة، الخطبة ۱۵.

[۷۴۹] (۱)« معقولة» من مادة« عقال» الحبل الذى تربط به رجل الناقة بعد الانحناء لكى لايستطيع القيام فتبقى فى‌مكانها، ثم اطلقت كناية على الامور المستقرة.

[۷۵۰] (۲)« در» تعنى فى الأصل ترشح اللبن من الثدى، ثم اطلقت على سائر السوائل كالمطر وأمثاله، كما اطلقت كناية على مختلف النعم المادية.

[۷۵۱] (۱)« مَجَّة» من مادة« مج» على وزن حج، وفى الاصل تعنى قذف الماء أو اللعاب من الضم بعيداً أو قريباً. ويقال‌لعصير العنب وما يشابهه« مجاج»، على وزن عُقاب، وأيضاً يقال للعسل« مجاج النحل».

وهنا جاء هذا الاصطلاح تعبيراً عن النصر والنجاح والموفقية التى يحصل عليها الانسان ثم يفقدها بسرعة.

[۷۵۲] (۱) الاربعة عشر هم:

۱- معاوية ۴۰- ۶۱ ه ق

۲- يزيد بن معاوية ۶۱- ۶۴

۳- معاوية بن يزيد ۶۴- اربعين يوما أو شهرين

۴- مروان بن الحكم تسعة أشهر من عام ۶۵

۵- عبدالملك بن مروان ۶۵- ۸۶

۶- الوليد بن عبدالملك ۸۶- ۹۶

۷- سليمان بن عبدالملك ۹۶- ۹۹

۸- عمر بن عبدالملك ۹۹- ۱۰۱

۹- يزيد بن عبدالملك ۱۰۱- ۱۰۵

۱۰- هشام بن عبدالملك ۱۰۵- ۱۲۵

۱۱- الوليد بن يزيد ۱۲۵- ۱۲۶

۱۲- يزيد بن الوليد شهرين وعشرة أيام من عام ۱۲۶

۱۳- ابراهيم بن الوليد سبعين يوما من عام ۱۲۶

۱۴- مروان بن محمد المعروف بمروان الحمار ۱۲۶- ۱۳۲

[۷۵۳] (۲) البداية والنهاية ۸/ ۲۴.

[۷۵۴] (۱) شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد ۴/ ۱۳۲- ۱۳۴.

[۷۵۵] (۲) المصدر السابق/ ۱۳۵.

[۷۵۶] (۳) المصدر السابق/ ۱۴۴.

[۷۵۷] (۴) المصدر السابق/ ۱۶۷.

[۷۵۸] (۵) البداية والنهاية ۹/ ۱۷.

[۷۵۹] (۱) البداية والنهاية ۸/ ۵۴.

[۷۶۰] (۲) تاريخ اليعقوبى ۲/ ۲۴۵.

[۷۶۱] (۳) تاريخ اليعقوبى ۲/ ۲۴۷.

[۷۶۲] (۴) تتمة المنتهى/ ۵۸.

[۷۶۳] (۵) البداية والنهاية ۸/ ۲۷۶.

[۷۶۴] (۶) تاريخ اليعقوبى ۲/ ۲۵۹.

[۷۶۵] (۷) البداية والنهاية ۲/ ۲۵۹.

[۷۶۶] (۸) تاريخ اليعقوبى ۲/ ۲۷۷.

[۷۶۷] (۱) البداية والنهاية ۹/ ۲۴۶.

[۷۶۸] (۲) تاريخ اليعقوبى ۲/ ۳۱۹.

[۷۶۹] (۳) تتمة المنتهى/ ۱۲۴- ۱۲۷.

[۷۷۰] (۴) البداية والنهاية ۱۰/ ۷.

[۷۷۱] (۵) تاريخ اليعقوبى ۲/ ۳۳۸.

[۷۷۲] (۶) تاريخ اليعقوبى ۲/ ۳۳۹.

[۷۷۳] (۷) البداية والنهاية ۱۰/ ۳۲.

[۷۷۴] (۱) سند الخطبة: نقل هذه الخطبة بفارق قليل المرحوم الكلينى فى كتاب روضة الكافى والشيخ المفيد فى الإرشاد، كما نقلها ابن كثير فى كتاب النهاية فى ۱/ ۴۶ عن كتاب اللغة مادة« أزل».

[۷۷۵] (۱)« يقصم» من مادة« قصم» على وزن غضب تعنى فى الأصل الكسر بشدة وتستعمل كناية بمعنى الهلاك.

[۷۷۶] (۲)« يجبر» من مادة« جبر» تعنى فى الأصل إصلاح الشئ، وجبر العظم طيبه بعد الكسر حتى يعود صحيحاً، كما تطلق على كل قهر وغلبة ولما كان القهر والغلبة ممزوج بالظلم عادة فقد يستعمل الجبار بمعنى الظالم، وأحد أسماء اللّه الحسنى جابر العظم الكسير.

[۷۷۷] (۳)« الأزل» بفتح الهمزة وسكون الزاى الضيق والشدة ومادتها الأصلية أزل على وزن فضل بمعنى الحبس.

[۷۷۸] (۱)« عتب» على وزن حتم تعنى الامتعاظ الباطنى اريد به هنا عتب الزمان، وعتب عليه إذا وجد عليه.

[۷۷۹] (۲) سورة الأحزاب/ ۱۰- ۱۱.

[۷۸۰] (۳) سورة الأعراف/ ۱۲۹.

[۷۸۱] (۱) نهج‌البلاغة، الرسالة ۴۷.

[۷۸۲] (۲) بحارالأنوار ۱۳/ ۱۲۹.

[۷۸۳] (۳) سورة آل‌عمران/ ۱۷۸.

[۷۸۴] (۱)« يعفون» من مادة« عفاف» على وزن ثواب، وفى الاصل تأتى بمعنى الامتناع عن الاعمال الشائنة والقبيحة، ويقال للشخص الذى يجتنب الاعمال القبيحة« العفيف»، وقد جرى العرف على اطلاق هذا الاصطلاح على الذين يجتنبون القيام بالاعمال الجنسية الغير شرعية.

[۷۸۵] (۱) راجع ذيل الخطبة ۳۸ فى المجلد الثانى من هذا الشرح بخصوص الشبهة ومعناها وتأثيرها فى تحريف‌الحقائق.(۲/ ۴۰۵)

[۷۸۶] (۱) سورة العنكبوت/ ۴۱.

[۷۸۷] (۱) سورة الكهف/ ۱۰۳- ۱۰۴.

[۷۸۸] (۱) سند الخطبة: ورود هذه الخطبة أو بعضها فى كلمات جمع من العلماء ممن عاشوا قبل السيد الرضى(ره)، فقد جاءت فى تفسير على بن إبراهيم الذى عاش لقرن قبل السيد الرضى، ورواها الكلينى فى أصول الكافى(۱/ ۶۰)، وقد ذكر ابن أبى‌الحديد فى شرحه اختلاف الروايات فى بعض ألفاظ الخطبة مما يدل على أنّها نقلت فى مصادر اخرى غير نهج‌البلاغة(مصادر نهج‌البلاغة ۲/ ۱۳۸).

[۷۸۹] (۱)« فترة» تعنى فى الأصل الهدوء والسكنية، كما تعنى الضعف، كما تطلق على الزمان بين حركتين أوحدثين، ومن هنا يصطلح بالفترة على الزمان الفاصل بين ظهور الأنبياء.

[۷۹۰] (۲) ذكر البعض أن الفترة بين ولادة السيد المسيح عليه السلام هجرة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله استغرقت ۶۲۱ سنة و ۱۹۵ يوماً(تفسير ابوالفتوح الرازى ۴/ ۱۵۴، هوامش المرحوم العلّامة العشرانى) كما قيل أنّ النبى صلى الله عليه و آله ولد عام ۵۷۰ م وبعث عام ۶۱۰ م(بينات خالدة ۱/ ۱۲۱).

[۷۹۱] (۱)« هجعة» من مادة« هجوع» نوم الليل شبه به وضع الأقوام الجاهلية بالنسبة للهداية لعمقه.

[۷۹۲] (۲)« اعتزام» من مادة« عزم» العزم والقرار وهو هنا فاعل فتنة.

[۷۹۳] (۳)« تلظ» من مادة« لظى بمعنى لهب النار، و« تلظى» بمعنى النار المشتعلة.

[۷۹۴] (۴)« كاسفة» من مادة« كسوف(» ومنه الكسوف والخسوف الذى تتعرض له الشمس والقمر) وهى هنا كنايةعن إنطفاء أنوار الهداية فى العصر الجاهلى.

[۷۹۵] (۱)« إياس» على وزن قياس عدم الأصل.

[۷۹۶] (۲)« اغورار» من مادة« غور» الغوص فى الأرض، وعادة ما يطلق على الماء داخل الأرض وهو هنا كناية عن انقطاع الهداية.

[۷۹۷] (۳) سورة الاسراء/ ۳۱.

[۷۹۸] (۴)« درست» من مادة« دروس» زوال الاثار وانعدامها.

[۷۹۹] (۵)« متجهمة» من مادة« جهم» على وزن فهم العنف والغلظة، ويقال متجهم لمن يستقبل الآخرين وينظر إليهمبوجه كريه.

[۸۰۰] (۶)« عابسة» من مادة« عبوس» على وزن مجوس كناية عن الاسى الشديد للناس فى العصر الجاهلى.

[۸۰۱] (۷)« جيفة» من مادة« جوف»، وتطلق عادة على الميت الذى يفسد جوفه فتهب منه ريح نتنة.

[۸۰۲] (۱) سورة المائدة/ ۳.

[۸۰۳] (۱) سورة الاحزاب/ ۷۲.

[۸۰۴] (۲)« أحقاب» جمع« حقب» على وزن عنق قيل ثمانون سنة وقيل أكثر وقيل هو الدهر.

[۸۰۵] (۳) سورة البقرة/ ۸۰.

[۸۰۶] (۴) من الواضح أن الضمائر هنا لاينبغى أن تكون بصيغة المخاطب(كم) بل لابدّ أن تكون بصيغة الغائب(هم) لأنّها إشارة إلى من عاش فى عصر النبى صلى الله عليه و آله. ويبدو أنّ الاشتباه من النساخ، ولذلك قبله الشراح بهذا الشكل.

[۸۰۷] (۱)« جائل» من مادة« جولان»، وفى الاصل بمعنى زوال الشىء من مكانه، لذا فيقال للحيوان الذى يتحرر منمكانه الموجود فيه بحيث يستطيع أن يذهب إلى أى مكان، يقال له« جائل».

[۸۰۸] (۲)« خطام» ما جعل فى أنف البعير لينقادبه وجولان الخطام، حركته وعدم إستقراره، لأنّه غير مشدود.

[۸۰۹] (۳)« بطان» البعير حزام يجعل تحت بطنه، ومتى استرخى كان الراكب على خطر السقوط.

[۸۱۰] (۱) سند الخطبة: جاء فى مصادر نهجالبلاغة أنّه رواها على بن محمد الواسطى فى عيون الحكم والمواعظ، وورد ذيلها فى غررالحكم مما يدل عد انها نقلت من مصدر آخر غير نهجالبلاغة، ونقلها ابن أثير فى النهاية(مصادر نهجالبلاغة ۲/ ۱۴۱).

[۸۱۱] (۱)« رويئة» من مادة« رى» على وزن حى الفكر وإمعان النظر إذا وردت من باب التفعيل، ولما كان الإنسانيأخذ بنظر الاعتبار سوابق كل الأشياء والأعمال حين التفكير فانّ هذه المفردة تطلق كناية على الامور التى لاسابقة لها.

[۸۱۲] (۱)« ارتاج» مصدر باب إفعال من مادة« رتج» على وزن خرج بمعنى الاغلاق وإذا جاء من باب الأفعال عنىالغلق المحكم.

[۸۱۳] (۲)« داج» اسم فاعل من مادة« دجو» على وزن هجو بمعنى المظلم.

[۸۱۴] (۳)« ساج» اسم فاعل من مادة« سجو» الساكن.

[۸۱۵] (۴)« فجاج» جمع« فجع» الطريق الواسع بين جبلين.

[۸۱۶] (۵) وسائل الشيعة ۴/ ۷۲۳ ح ۷ من الباب السابع، أبواب تكبيرة الإحرام.

[۸۱۷] (۶) راجع بحارالأنوار ۵۵/ ۴۶.

[۸۱۸] (۱)« دائبان» مثنى دائب» من مادة« دأب» و« دؤوب» على وزن قلب وقلوب بمعنى الاستمرار على عمل معينوفق عادة وسنة ثابتة.

وعلى هذا الاساس، يطلق على الشخص أو الشىء الذى يقوم بعمل أو برنامج معين بصورة مستمرة ودائمة وعلى حالة وسنة معينة بالدائب.

[۸۱۹] (۲) سورة نوح/ ۱۹- ۲۰.

[۸۲۰] (۳) سورة النبأ/ ۶.

[۸۲۱] (۴) سورة ابراهيم/ ۳۳.

[۸۲۲] (۱) نهجالبلاغة، الرسالة ۳۱.

[۸۲۳] (۱) سورة يس/ ۱۲.

[۸۲۴] (۲) سورة غافر/ ۱۹.

[۸۲۵] (۳) سورة هود/ ۶.

[۸۲۶] (۱)« عاز» من مادة« معازه» اصلها عزة بمعنى الغلبة والعزيز من يغلب أعدائه، وقد اريد بها هنا من رام مشاركةاللّه فى شئ من عزته.

[۸۲۷] (۲)« دمر» من مادة« تدمير» واصلها الدمار بمعنى الهلاك.

[۸۲۸] (۳)« شاق» من مادة« مشاقة» العداء والمراد بها هنا المنازعة.

[۸۲۹] (۴)« ناوأه» خالفه من« نوء» على وزن نوع وتعنى القيام مع المشقة واريد بها هنا من يقف بوجه الارادة الإلهية فتذله.

[۸۳۰] (۱) سورة النازعات/ ۲۴- ۲۵.

[۸۳۱] (۲) سورة الطلاق/ ۳.

[۸۳۲] (۳) سورة البقرة/ ۲۴۵.

[۸۳۳] (۴) سورة إبراهيم/ ۷.

[۸۳۴] (۱) شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد ۶/ ۳۹۶.

[۸۳۵] (۲) سورة الاعراف/ ۸.

[۸۳۶] (۳) سورة غافر/ ۲۷.

[۸۳۷] (۱)« خناق» على وزن نفاق بمعنى العنق، ويقال للحبل أو ما يشابهة والذى يُشد على العنق من أجل خنق‌الشىء« الخَنَّاق».

[۸۳۸] (۲) سورة المنافقون/ ۱۰.

[۸۳۹] (۳)« سياق» من مادة« سوق» إشارة إلى الموت الذى يسوق الإنسان من هذه الدنيا إلى الآخرة.

[۸۴۰] (۴) سورة المؤمنون/ ۹۹- ۱۰۰.

[۸۴۱] (۱) ميزان الحكمة ۱/ ح ۳۸۴۵(مادة حساب).

[۸۴۲] (۲) المصدر السابق، ح ۳۸۴۱.

[۸۴۳] (۳) بحارالأنوار ۷۴/ ۸۶.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج ۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت

–عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ أُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ أُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵–۲۳۵۷۰۲۳– (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹